الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد (١٩٩) - محرم ١٤١٤هـ (يوليو) ١٩٩٣م
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE (199) JULY 1993



الهجرة ومسيرة الحضارة الإنسانية

اليهود البيض والفهود السود

لا أريد ابني فاشلاً!

السمنة عرض أم مرض؟

وسبع حدان ثم ضرب سهام من لا يرد عليه في مسألة من يرد عليه وسهام
من يرد عليه فيما بقي من مخرج فرض من لا يرد عليه وإن انكسر فصحح كما مر

فصل وإن مات البعض قبل القسمة فصحح مسألة الميت الأول
واعط سهام كل وارث ثم صحح مسألة الميت الثاني وانظر بين ما في يده
من التصحيح الأول وبين التصحيح الثاني ثلثة احوال فإن استقام
ما في يده من التصحيح الأول على التصحيح الثاني فلا ضرب وصحتا
من تصحيح الميت الأول وإن كان بينهما موافقة فاضرب وفق
التصحيح الثاني في كل التصحيح الأول وإن كان بينهما مباينة
فاضرب كل التصحيح في التصحيح الأول فالمبلغ مخرج المسئلتين واضرب
سهام ورثة الميت الأول في التصحيح الثاني أو في وفقه وسهام ورثة
الميت الثاني في نصيب الميت الثاني أو في وفقه ولو فرض حظ كل فريق

ع

من التصحيح بضرب ما لكل من أصل المسئلة فيما ضربته في أصل المسئلة وحظ
كل فرد بنسبة سهام كل فريق من أصل المسئلة إلى عدد رؤوسهم مفردًا
ثم يعطى بمثل تلك النسبة من المضروب لكل فرد وإن أردت قسمة التركة
بين الورثة والغرماء فاضرب سهام كل وارث من التصحيح في كل التركة
ثم اقسم المبلغ على التصحيح ومن صالح من الورثة على شيء فاجعله
كأن لم يكن واقسم على سهام من بقي

الحمد لله الذي كان لنا منه الإنعام والتحقيق إنه ولي الحسنات والطاعات والتوفيق
والصلوة والسلام على رسوله الذي هو ... في الثناء خليق وعلى آله وأصحابه الذين كانوا
... على التعظيم حقيق وعلى العلماء الذين اجتهدوا على تحقيق علوم الدين والتدقيق
وبعد فإن ... المذنب الرفيق ... المفتقر إلى رحمة ربه الرحيم الشفيق ... الكائن
في بحار المعصية والخطيئة غريق ... الراجي أن يكون له الإيمان والقرآن في القبر رفيق
... المرجو من الله كونه يوم البعث من الخلائق طليق ... الداعي أن يجعل الله لوم
الجزاء عن النيران عتيق ... الكظيم ... والرشيق ... السائل
أن يجعل الله ... جنة الفردوس ... الرحيق

هي معاقدة دفع الأشجار إلى من يعمل فيها على أن الثمر بينهما وهي كالمزارعة
وتصح في الشجر والكرم والرطاب وأصول الباذنجان فإن دفع نخلاً فيه
ثمرة مساقاة والثمر تزيد بالعمل صح وإن انتهت لا كالمزارعة وإذا
فسدت فللعامل أجر مثله وتبطل بالموت وتفسخ بالعذر كالمزارعة بأن يكون
العامل سارقًا أو مريضًا لا يقدر على العمل

كتاب الذبائح

هي جمع ذبيحة وهي اسم لما يذبح والذبح قطع الأوداج وحل ذبيحة مسلم وكتابي
وصبي وامرأة وأخرس وأقلف لا مجوسي ووثني ومرتد ومحرم وتارك التسمية
عمدًا وحل لو ناسيًا وكره أن يذكر مع اسم الله غيره وأن يقول عند الذبح اللهم
تقبل من فلان وإن قال قبل التسمية والإضجاع جاز والذبح بين الحلق
واللبة والمذبح المريء والحلقوم والودجان وقطع الثلث كاف وحل
بظفر وقرن وعظم وسن منزوع وليطة ومروة وما أنهر الدم إلا سنًا

وظفرًا قائمين وندب حد الشفرة وكره النخع وقطع الرأس والذبح من القفا
وذبح صيد استأنس وجرح نعم توحش أو تردى في بئر وسن نحر الإبل
وذبح البقر والغنم وكره عكسه وحل ولم يتذك جنين بذكاة أمه

فصل

فيما يحل وفيما لا يحل لا يؤكل ذو ناب ومخلب من سبع وطير وحل غراب
الزرع لا الأبقع الذي يأكل الجيف والضبع والضب والزنبور والسلحفاة
والحشرات والحمر الأهلية والبغل والخيل وحل الأرنب وذبح ما لا يؤكل لحمه
يطهر لحمه وجلده إلا الآدمي والخنزير ولا يؤكل مائي إلا السمك غير طاف
وحل بلا ذكاة كالجراد ولو ذبح شاة فتحركت أو خرج الدم حلت وإلا لا إن لم
يدر حيوته وإن علم حلت وإن لم تتحرك ولم يخرج الدم

كتاب الأضحية

تجب على حر مسلم مقيم موسر عن نفسه لا عن طفله شاة أو سبع بدنة فجر
يوم النحر إلى آخر أيامه ولا يذبح مصري قبل الصلوة وذبح غيره وضحى

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن

دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY

AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

رئيس التحرير

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

ملاحظات عامة

□ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

□ ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

□ أن يكون مطبوعًا أو مكتوبًا بخط واضح، وبلغة صحيحة وأسلوب سليم.

□ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

□ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

□ تسلسل نشر الموضوعات تحكمه اعتبارات فنية.

مجلة الفيصل العدد (١٩٩) السنة (١٧) محرم ١٤١٤هـ تموز (يوليو) ١٩٩٣م

إطلالة

إنَّ لِلْحَقِّ أعْوانًا

إنها قصة ليست من قصص الفيلسوف الهندي بيدبا في «كليلة ودمنة» بما فيها من حكم وعبر، ولا حكايات لافونتين بأخيلتها، ولا من مثل قصة «حي بن يقظان» بغرابتها، ولكنها قصة واقعية تجسد صفة التراحم الفطرية التي من مقوماتها الموازرة في الأحوال والأهوال. وحينما تتبلور صفة التراحم في شكل حدث إنساني لتجسيد المعاني فهذا تأكيد لكينونتها الغريزية السامية، ولكنها حينما تتجسد في فعلٍ لطائر أعجم فهذا يمثل عمق الفطرة النقية.

إنها قصة غُرابين - ليست من نسج الخيال - يحلقان في أجوائهما الواسعة، فإذا بأحدهما يُصاب بطلقة نارية فيسقط، ثم يحاول الطيران في محاولة شبة يائسة، وما إن يرتفع قليلا عن الأرض حتى يحمله الغراب الآخر بجناحيَ الرحمة ليهبط به على أحد أسلاك الكهرباء المرتفعة.

حدث عابر رواه لي صديق ينطبق عليه وصف المثل الإسباني في الصديق بأنه أكثر المرايا صدقا وإخلاصا، فعشت أبعاده، وأنا أردد قول الحق سبحانه وتعالى في قصة ابنَيْ آدم: ﴿**فبعث الله غُرابًا يبحثُ في الأرض لِيُرِيَهُ كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجَزتُ أن أكون مثل هـذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين**﴾ المائدة ٣١. تلك قصة نسجت خيوطها من سنين طوتها دهور، تؤكد أن التراحم صدى الحب والخير. يأتي الغراب يواري سوءة أخيه لتكون عبرة الموقف وإيحاء الدرس. ويتكرر الموقف نفسه بالنسبة للإنسان بمضمون واحد في كلا الموقفين، والمعلّم فيهما واحد هو الغراب.

وتزاحمت الأفكار والخواطر عند تأملي الموقفين، وأنا أعبر بفكري مرارة واقع اليوم، بما يحمل من المآسي الدامية المتجددة صباح مساء، ونحن نرى جميعا مِحَنَ المسلمين في أماكن كثيرة في العالم: فلسطين والبوسنة والهرسك والصومال وكشمير . . . إلخ القائمة التي يؤلمنا تعدادها، حتى أصبح من سراب التفاؤل النظر إلى المحافل الدولية والاجتماعات العالمية التي تتمخض عن المزيد من مكرور الشعارات والسجلات والأوراق.

وبين هذه الخواطر الكئيبة يتسلل إلى سمعي صوتٌ يجيء من خلف أستار الزمن: «طلع البدر علينا». عدتُ إلى الهجرة - وقد ودّعنا للتو عاما هجريا مضى - من خلال رحلتها المباركة التي قادها نبي هذه الأمة ﷺ، ومضى بها لمستقبل أمته منذ اللحظة التي بعث فيها الطمأنينة في نفس الصدّيق أبي بكر ﴿**إذ يقول لصاحبه لا تحزنْ إن الله معنا**﴾ التوبة ٤٠. وتنطلق قافلة الإيمان وتتبعها قوافل وقوافل، وتكون التضحية وتتوالى الدروس ويكون الفداء، ويعظم عندما تهون النفس في سبيل العقيدة. وعندئذ تتحقق العظائم، وهنا يحدث الامتزاج الروحي ليكون التآخي الذي تتأصل فيه امتداد الفتوحات تحت راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وتتوالى الانتصارات وتتتابع الإنجازات، وعرف المسلمون أن الإسلام دين وأمّة وليس وطنا أو إقليما؛ فامتد التراحم في النفوس وتأصل.

ونحن بين أحداث اليوم وإيحاءات الهجرة والدروس التي نتعلمها كل يوم في حاجة إلى أن ننظر إلى المستقبل. ولن يكون هناك مستقبل إلا بالصحوة القلبية التي تتحرك من خلالها الأمة بكل ما تملك - إزاء مآسي المسلمين التي كدنا لا نذكر لها بداية، وكأن الأعداء لا يريدون لها نهاية - نصرة للمظلوم، وإغاثة للملهوف، ودفاعًا عن الحق. وسيُظهر الله أعوان الحق، فإن للحق أعوانا منهم الباطل.

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

الفيصل

● المراسلات :
مجلة «الفيصل» ص . ب (٣)
الرياض ١١٤١١ المملكة العربية السعودية .
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ تلكس : ٤٠٢٦٠٠ DRFATHSJ - فاكسملي : ٤٦٤٧٨٥١ .

● أسعار بيع النسخ :
المملكة العربية السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلسًا ـ الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلسًا ـ سلطنة عمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ الجمهورية اليمنية ٢٥ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٣ جنيهات ـ المغرب ٦ دراهم ـ تونس ٦٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٢٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنكًا ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية .

• EUROPE - AMERICA - ASIA: Pakistan 20R - Turkey 6000TL - India 25RUPPE - USA and EUROPE 2$

● أسعار الاشتراكات السنوية :
للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا، لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعوديًا، ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل» .

• ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:

Personal Subscription S.R.150
Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

● الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة .

• ALL CORRESPONDENCE TO:

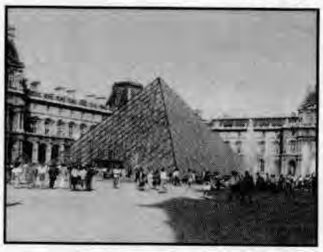
AL-FAISAL MAGASINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDI ARABIA

Tel. 4653026 - 4653027, Telex: 402600 DRFATH SJ. Telefax: 4647851.

في هذا العدد



ص ٣٥ ما تبشّر به البيوتكنولوجيا في عالم الحيوان شيء عظيم، لكن الأكثر والأعظم ما يزال سرًّا خافيًا .



ص ٧٥ اللوفر الكبير أو «لوفر الغد» يحتفل هذا العام ١٩٩٣م بمرور مائتي عام على إنشائه . فكيف تطور هذا المتحف على مدى قرنين من الزمان ؟ وكيف استعد لهذا الاحتفال ؟



ص ٨١ استأثرت المشروعات العلمية المتعلقة باكتشاف أسرار درب اللبّانة بالكثير من الاهتمام لكونها تقود إلى تفهم خصائص الكون .



ص ٨٥ لشجرة الزيتون في التاريخ حكاية، ولها في الطب الشعبي صفحات، وقد جاء ذكرها في العديد من الآيات القرآنية .

الهجرة النبوية :

المقدّمات والأحْداثُ والعِبَر والنتائج

بقلم : د . مهدي رزق الله أحمد

كـان رسـول ﷺ في حركـة دائبـة للبحث عن مكـان يعبد الله فيـه آمنًـا مع أصحابه، ويحقق أهداف رسـالة الإسلام؛ ولذا كان أمره لأصحـابه بالهجرة إلى الحبشة، وأخبرهم بأن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وذلك بعد أن مارس عليهم كفار مكة شتى صنوف الإيذاء المعنوي والجسدي، بل وصل الأمر إلى استشهاد سمية بنت خبـاط (أو خياط) وزوجها يـاسر وابنها عبد الله . وكـانت آيات الله تتنزل على المؤمنين لتهيئهم إلى هـذه الهجرة . فقد نزلت في هـذا الجو آيات قصة أهل الكهف، التي ترشد المؤمنين إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان والظـلم ـ حين مخافة الفتنة على الدين وأمل إيجاد المكان المناسب لتحقيق أهداف الدعوة ـ إلى أرض يسودها العدل إلى حين إيجاد المخرج . وفي هذا تأملوا قول الله تعالى : ﴿وإذ اعتـزلتمـوهم ومـا يعبـدون إلا الله فـأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقًا﴾ الكهف ١٦ .

ثم نـزلت سـورة «الـزمـر» التي تشير إلى الهجـرة وتعلن أن أرض الله ليست بضيقة، فتأملوا من بين ما تأملوا قول الله تعالى : ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة، وأرض الله واسعة، إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ الزمر١٠ .

وكان الرسول ﷺ يفكر دائمًا في مكان مناسب لتأمين دعوته وتحقيق أهدافها السامية ـ كما ذكـرنا ـ لذا كانت هجرته بنفسـه إلى الطائف، وعرض نفسه على القبائل في مـواسم الحج وأسواق العرب، طالبًـا من ذوي الشأن أن يحموه ليبلغ رسالة ربه دون إكراه أحد على دعوته .

لقد كان أهل المدينة أكثر الناس تجاوبًا مع دعوة الرسول ﷺ فعندما عرض نفسـه على ستـة من حجاجهـا الخزرج في العـام الحادي عشر من المبعث، نظـر بعضهم لبعض، وقالوا : «تعلمـون والله أنه للنبي الذي تدعـوكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه» . فأجابوه إلى مـا دعاهم إليه من الإسلام، وقالوا : «إنـا قد تركنا قـومنا ولاقـوم بينهم من العـداوة والشر مـا بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعـرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين . . . » ووفوا بما وعدوا به، فلم تبق دار بالمدينـة إلا وفشا فيها ذكر الرسول والإسلام .

وهكذا كـان وجود اليهـود بالمدينـة من الأسباب التـي مهدت أفئـدة أهلها لقبول الإسلام، وذلك لما أشاعوه فيها من علم أهل الكتاب . وهناك سبب آخر لهذا التمهيد، وهو يوم بعاث[1]، الذي قتل فيه معظم كبار زعماء المدينة، ممّن كـان يتوقع أن يكـون حجر عثـرة في طريق سرعـة إسلام أهل المدينـة[2]، كما حدث من زعماء مكة .

وجاء في مـوسم الحج التـالي من العام الثـاني عشر للبعثة اثنـا عشر رجلاً، بعضهم ممن لقيه في الموسم الماضي، فبايعوه على الإسـلام عند العقبة بمنى ليلاً، وعرفـت بـ «بيعة العقبـة الأولى» . وأرسل معهم الرسـول ﷺ مصعب بن عمير ليفقههم في الدين ويـدعو المشركين واليهود إلى الإسلام . وجاء في العـام الثالث عشر للبعثـة ثلاثـة وسبعون رجـلاً وامـرأتان هما : نسيبـة بنت كعب (أم عمارة) وأسماء بنت عمرو، وبايعوه عند العقبة، وعرفـت بـ «بيعة العقبة الثانية» . وكان من بنودهـا : « . . . وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعـون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم . . »[3] . وكان من أبرز نتائجها :

(١) أنها كانت الأسـاس الذي هاجـر عليه المسلمـون إلى المدينة بمن فيهم الرسول ﷺ .

(٢) أضحى الإسـلام عـزيزًا في المدينـة، فـاستعلن بإسـلامه مـن كان قـد استخفى به .

(٣) ضُيّق كفـار مكة الخنـاق على المسلمين عندمـا عرفـوا خطورة اتصـال الـرسول ﷺ بمسلمي المدينـة والتزامهـم بنصرته . وكـان هذا التضييق سببًـا في

من كتّاب العدد



● د . مهدي رزق الله أحمد
ـ أستاذ مشارك في قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية، جامعة الملك سعود في الرياض .
ـ من أبرز إنتاجه الفكري : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ـ نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

الهجرة النبوية

المقدمات والأحداث والعبر والنتائج

تعجيل الرسول ﷺ بأمر هجرة أصحابه، إلى المدينة، ثم هجرته.

(٤) كانت الأساس الذي قامت عليه الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، ثم انطلاقها إلى أنحاء العالم المختلفة.

ولأهمية هذه البيعة، ولما ترتب عليها من نتائج إيجابية عظيمة قريبة وبعيدة، فقد كان للمبايعين فيها وفي التي قبلها فضل لا يكاد يقل عما لأهل بدر والهجرتين وبيعة الرضوان، من شرف وفضل.

(٥) وكانت بيعة العقبة الثانية هذه شاملة للمبادئ التي سيتم مشروعيتها بعد الهجرة إلى المدينة، وفي مقدمتها الجهاد.

عندما اطمأن الرسول على وجود المكان المناسب لدعوته، أصبحت الهجرة واجبة على من أسلم وخشي أن يفتن في دينه، ويستدل على هذا بقوله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا فيم كنتم، قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرًا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً﴾ النساء ٩٧ - ٩٨.

واقتضت ظروف قيام الدولة الإسلامية في المدينة، وحاجتها إلى مؤمنين يحمونها، أن تكون الهجرة إلى المدينة واجبة على كل مسلم قادر. وأكد الله تعالى هذا الأمر في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر، كما في قوله: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾ الأنفال ٧٢. فلما فتحت مكة، ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل، سقطت الهجرة الواجبة من مكة إلى المدينة، و إذا عادت الأرض إلى الجاهلية تبدأ جولة جديدة أخرى، وفي الحديث الصحيح: «لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار»[٤]. وفي هذا تفصيل ليس هنا مكانه.

أخذ المؤمنون يهاجرون سرًا إلى المدينة. ومن أدلة ذلك ما روى ابن إسحاق[٥] من حديث عمر، أنه قال: «اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاصي بن وائل السهمي التناضُب[٦] من أضاة[٧] بني غفار، فوق سَرِف وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس، فليمض صاحباه، فأصبحت أنا وعياش عند التناضب، وحبس عنا هشام، وفتن فافتتن».

ووقعت للمسلمين في سبيل هذه الهجرة قصص ذات دلالات وعبر. فمن ذلك أن أبا سلمة عندما أراد الهجرة مع زوجته وطفله، علم أهل زوجته بذلك فانتزعوها منه، وغضب لذلك أهل زوجها فتجاذبوا طفلها مع أهل الزوجة حتى خلصوا يده، وذهبوا به، ولم يسمحوا للزوجة بالهجرة إلا بعد سنة، وبعد أن كادت تهلك من الحزن. ورفضوا أن يخلوا سبيل صهيب الرومي، واضطروه إلى أن يترك لهم كل ماله. وفي هذا قال له الرسول ﷺ: «يا أبا يحيى! ربح البيع»[٨].

وعندما أراد أبو بكر أن يهاجر استبقاه الرسول ﷺ ليصحبه في هجرته، فظل يستعد لذلك اليوم، فاشترى راحلتين، وأخذ يعلفهما لمدة أربعة أشهر[٩].

وتتابعت مواكب المؤمنين إلى دار الهجرة، ولم يتخلف إلا صاحب عذر.

هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة

عندما علم كفار مكة بما تم في بيعة العقبة الثانية، وعندما رأوا المسلمين يهاجرون إلى المدينة، خشوا من تجمع المسلمين بالمدينة وخروج الرسول ﷺ إليهم ليقودهم نحو تحقيق ما يريد، قرروا التخلص من قائدهم. فعقد زعماؤهم اجتماعا خطيرًا في دار الندوة، ليتشاوروا في أنجع السبل لتنفيذ قرار التخلص. وقد ذكر القرآن مضمون الآراء التي طرحت في ذلك الاجتماع، كما في قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك[١٠] أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ الأنفال ٣٠. واستقر الرأي على قتله.

أخبر جبريل الرسول بهذا القرار، وأمره بعدم المبيت على فراشه تلك الليلة، وأمره بالهجرة. وعندها أخذ الرسول ﷺ في اتخاذ الأسباب والوسائل المادية اللازمة للإفلات من قبضة المشركين. وتلخصت في الآتي:

(١) خرج إلى منزل صاحبه أبي بكر متقنعًا، وفي وقت لم يعتد أن يزوره فيه - في حرارة النهار - وعندما أذن له أبو بكر بالدخول، طلب منه أن يخرج من عنده حتى لا يسمع ما يدور بينهما، فطمأنه أبو بكر بأنهما ابنتاه: أسماء وعائشة، وأنهما من أهله، وفي ذلك إشارة إلى زواجه من عائشة. وهنا أخبر أبا بكر بإذن الهجرة، وطلب منه أن يصحبه، ووضعا خطة للهجرة، كان من أبرز معالمها:

(٢) اتفقا على الخروج ليلاً إلى غار ثور، في الجهة الجنوبية الغربية من مكة. وفي هذا تمويه على الكفار، لأن أنظارهم ستتجه للبحث عنه في الجهة الشمالية، جهة المدينة.

(٣) أن يمكثا في الغار لمدة ثلاثة أيام، حتى يخف الطلب عنهما.

(٤) استأجرا دليلاً ماهرًا عارفًا بمسالك الصحراء وطرقها، ليقودهما، إلى المدينة، وهو عبد الله بن أرقد(١١) الدِّيْلي، ومشركًا. واستكتماه الخبر. واتفقا معه على أن يلحق بهما في الغار بعد ثلاثة أيام مع عامر بن فهيرة، ليسلك بهما طريقًا غير مألوف حتى لا تعثر عليهما عيون قريش. ودفعا إليه بالراحلتين.

(٥) وضعت لهما أسماء بنت أبي بكر زادًا في جراب، وقطعت من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فسميت لذلك «ذات النطاق» وفي رواية: «ذات النطاقين».

(٦) وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقوله الناس عنهما في النهار، فيأتيهما به بالليل في الغار، ثم يرجع إلى مكة في السحر ليصبح مع قريش.

(٧) وأمر أبو بكر مولاه عامر بن فُهَيْرة أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما في الغار إذا أمسى ليطعما من ألبانها، ويذبحا منها للأكل ويزيل بها آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر.

(٨) وأمر أسماء أن تأتيهما من الطعام بما يصلحهما في كل مساء.

(٩) أمر النبي عليًّا أن يتخلف بعده بمكة ريثما يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، إذ لم يكن أحد من أهل مكة له شيء يخشى عليه إلا استودعه عند رسول الله ﷺ لما يعلمون من صدقه وأمانته.

(١٠) وأمره كذلك أن ينام على فراشه ويتسجى ببرده الحضرمي الأخضر الذي اعتاد أن ينام فيه، وطمأنه بأن لن يصل إليه منهم شيء يكرهه، وكل ذلك للتمويه.

(١١) وأمر أبو بكر مولاه ابن فهيرة بأن يصحبهما في الهجرة ليخدمهما في الطريق.

وعندما جاء المتآمرون لتنفيذ قرارهم اكتشفوا الحقيقة التي أرادوا تجنبها، وهي خروج النبي ﷺ إلى المدينة، فأخذوا في وضع الخطط للعثور عليه. من ذلك:

(١) جاءوا إلى دار أبي بكر فسألوا أسماء عن أبيها، وعندما وجد منها أبو جهل ردًّا سلبيًّا لطمها لطمة طرح منها قرطها.

(٢) وضعوا جميع الطرق النافذة من مكة تحت المراقبة الدقيقة.

(٣) قرروا منح جائزة مقدارها دية كل من الرسول وأبي بكر لمن يعثر عليهما حيين أو ميتين.

(٤) استأجروا قصاص الآثار ليتبعوا آثارهما حيثما حلا.

في الغار

لم يلبث الرسول ﷺ وصاحبه أن استقر في الغار حتى أتى الكفار إلى الغار، فأشفق أبو بكر، فطمأنه الرسول ﷺ بنصر الله لهما، وفي هذا نزل قوله تعالى:

﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا، ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ التوبة ٤٠. وحمى الله نبيه وصاحبه في الغار من كل سوء. ومن أدلة ذلك ما روى أحمد(١٢) أن الكفار عندما وصلوا الغار رأوا على بابه نسيج العنكبوت، فقالوا: «لو دخل ها هنا أحد لم يكن نسيج العنكبوت على بابه».

التوجه إلى المدينة

ولما خف الطلب عنهما، جاءهما الدليل وابن فهيرة ومعهما الراحلتان، فانطلق الأربعة إلى المدينة عن طريق الساحل.

وبعد أن اتخذ الرسول ﷺ جميع الأسباب الممكنة لينجو من الأعداء، كان مطمئنًا، ولسانه رطب بذكر الله، بالدعاء، بينما كان أبو بكر يكثر الالتفات حرصًا على سلامة الرسول ﷺ.

لدروس الهجرة العميقة جعلها الفاروق بداية للتاريخ الإسلامي

وعندما وصلوا ديار بني مدلج علم سراقة بن مالك المدلجي بهم، فخدع قومه ليفوز وحده بجائزة قريش، فانطلق في إثرهم، ولكن الله عصم نبيه منه، حيث ساخت في الأرض يدا فرسه، فطلب الأمان، فأمنه الرسول ﷺ وكتب له بذلك كتابًا كما طلب، فعاد بهذه الكرامة، وأخذ يعمي الأخبار عن الرسول ﷺ.

ومر رسول الله ومرافقوه بخيمتي أم معبد الخزاعية، وسألوها طعامًا، فاعتذرت بالجدب. وأذنت للرسول ﷺ في حلب شاة لها عجفاء يابسة الضرع خلفها الجد عن الأغنام، وعندما مس ضرعها درت لبنًا ارتوى منه الجميع. فكان ذلك من معجزاته الباهرات.

ولقي ركب الهجرة عند الغميم بريدة بن الحصيب الأسلمي - زعيم قومه - وكان قد خرج في طلب النبي وصاحبه ليفوز بالجائزة ولكن الله ادخر له جائزة أعظم، وهي الدخول في الإسلام بدعوة الرسول ﷺ، وأسلم معه زهاء سبعين أو ثمانين بيتا من قومه.

وعندما وصل الرسول ﷺ المدينة استقبله المسلمون بحفاوة بالغة. ونزل بدار أبي أيوب الأنصاري إلى أن تم تجهيز منزله. ثم كان أول ما شرع فيه بناء المسجد، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار ليذهب عن المهاجرين وحشة الغربة، ويشد بعضهم أزر بعض ماديًا ومعنويًا. وقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في الإيثار تجاه إخوانهم المهاجرين. وكتب صحيفة بين المهاجرين والأنصار، وبين المسلمين واليهود، عدت أول دستور مكتوب في العالم.

خلاصة الدروس المستفادة من الهجرة

من خلال وقوفنا عند بعض أحداث هذه الهجرة تجلت لنا الدروس الآتية:

(١) إن الاعتماد في كل أمر لا ينبغي أن يكون إلا على الله ـ عز وجل ـ وأن ذلك لا ينافي اتخاذ الأسباب والتدابير للوصول إلى الأهداف السامية.

(٢) إن قبول علي بن أبي طالب النوم على فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة منقبة عظيمة لعلي - رضي الله عنه - دلت على إيمانه وشجاعته وأمانته. ويدل هذا على جواز خداع العدو والتمويه عليه، عملاً بأسباب النجاة، والحرب خدعة، كما قال الرسول ﷺ.

(٣) إن الدور الذي قام به الشباب في تنفيذ خطة الرسول ﷺ للهجرة، مثل دور علي وأبناء أبي بكر، يعد دورًا نموذجيًا رائدًا لشباب الإسلام في كل زمان

ومكـان. ويدل على أثـر التربية الصحيحـة. فعلي من ثمار غرس مـربيه محمـد ﷺ، وآل أبي بكـر ثمار من غـرس أبيهم الصـديق. تلك التربيـة التي عـودتهم مجاهدة النفس ومجابهة المصاعب.

٤ ـ إن المعجـزات التي أجـراها الله تعـالى لحماية نبيـه ﷺ في هذه الـرحلة، جاءت، كما جـاء غيرها، ضربًـا من ضروب التكريـم والتشجيع للـرسول ﷺ، وإشارة إلى أن الله تعالى ناصره وممكن لدينه في الأرض مهما كانت المعارضة، طال الزمن أم قصر.

٥ ـ إن الـدور العظيم الذي قام به أبـو بكر في الهجرة يعد منقبـة كبرى له، ويكفيه تكريمًا أن يذكر في القرآن بمناسبـة هذا الدور، كما في قوله تعالى: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا..﴾.

٦ ـ إن من أسس الدين ودعاماته التضحية بالمال والوطن والنفس في سبيله، لأن الدين إذا فقـد لم يغن من ورائه المال والوطن والنفس، بل سرعان مـا يذهب كل ذلك أيضًا من ورائه؛ أما إذا قوي شأنه وقامت في المجتمع دعائمه ورسخت في الأفئدة عقيدته، فإن كل ما كان قد ذهب في سبيله من مال ووطن يعود أقوى من ذي قبل؛ حيث يحرسه سياج من الكرامة والقوة والبصيرة.

٧ ـ لم يخب ظن الكفـار في الرسول ﷺ حين تـأكد لهم صحة وصفهم لـه بـ «الصادق الأمين»، وذلك يوم ترك لهم أمانـاتهم عند ابن عمه علي، وتبين للناس قول الله فيهم: ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ الأنعام ٣٣.

٨ ـ لم تكن هجرة الـرسول ﷺ الأولى من نوعها في تـاريخ الأنبياء السابقين في سعيهم لتحقيق أهداف الدين، بل هي سنة من سننهم. فقـد هاجر نوح مع مَنْ تبعـه من قـومه؛ ليستقـر في مكـان جديـد من ديـار بكـر من بلاد الجزيـرة بالشـام، قرب جبل الجودي. وهاجـر إبراهيم من العـراق إلى الشام ثم مصر ثم الحجاز، وهـاجر مـوسى من مصر إلى مديـن بالشام، وهـاجر عيسى مـن بلدة الناصرة وجال في أنحاء فلسطين مبشرًا بدين الله.

٩ ـ وامتـدح الله المهاجرين والأنصار في أكثـر من آية لما قامـوا به من دور في الهجرة وقيـام دولة الإسـلام، ومن ذلك قولـه عنهم: ﴿إن الـذين آمنوا وهـاجروا وجـاهـدوا بأمـوالهم وأنفسهم في سبيل الله، والـذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أوليـاء بعـض، والـذين آمنـوا ولم يهاجـروا مـا لكم مـن ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾ الأنفال ٧٢.

١٠ ـ لم يتشبـث المسـلمون الأوائل ببلـدهم مكـة، وفي هـذا دلالة على أن التشبث بمكـان معين ليـس من فقـه العمل الإسـلامـي، ولا يعبر عن تصـوره الشامل المستوعب للزمان والمكان.

١١ ـ أظهرت الهجـرة إلى الحبشـة ثم إلى المدينة دور المرأة المسلمـة في تحمل المشـاق من أجل الـدين وبناء الـدولـة الإسـلامية. ففـي هجرة الحبشـة الأولى هاجرت أربع نسوة، وفي الثانية نحـو العشرين امرأة، وفي هجرة المدينة هاجرت الكثيرات جنبًا إلى جنب مع الرجال، وكـان في قصة أم سلمة وغيرها عظة وعبرة لنساء الإسلام في كل زمان.

أهمية الهجرة في مسيرة الحضارة الإنسانية

كانت الهجرة إلى المدينة إيذانًا بفتح جديد في تاريخ البشرية، وفاتحة لجهاد إسلامي إيماني عظيم لنشر الإسلام وبناء الدولة الإسلامية وفق منهج رباني سامٍ. إذن فهي بداية مرحلة انتقال من العقيدة في مكة إلى دولة العقيدة في المدينة.

وكانت معلمًا بـارزًا في مسيرة الإسلام ونضـاله في أنقى صـوره؛ صورة جموع المسلمين ذوي القلـة في العـدد والعـدة، يلقي الله في صـدورهم الإيمان والعـزم واليقين والشجـاعـة ما يحملهـم على تحقيق المعجزات في ميـادين الجهـاد بـالمال والنفس وبناء الدولة الإسـلامية وبذر بذور الحضارة الإنسانيـة الراقية. ولأهمية هذا الحدث كان قرار عمر بن الخطاب بأن جعله بداية التاريخ الإسلامي.

ويجدر بنـا نحن المسلمين أن نستلهم العظـات والـدروس من هـذا الحدث المجيد لنعيد مجد خير أمة أخرجت للناس.

الهوامش

١) مكان قرب المدينة، وقعت فيه معركة طاحنة بين الأوس والخزرج قبل الهجرة بخمس سنوات على الأرجح، وقتل فيها خلق كثير من الجانبين، لا سيما الزعامات.

٢) انظر في هذا: البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٦٢/ حديث رقم ٣٧٧٧).

٣) روى بنود هذه البيعة البخاري ومسلم وأحمد وابن إسحاق وغيرهم. واللفظ هنا للإمام أحمد ـ انظر: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٧٠).

٤) قال الكانـدهلوي في «حياة الصحابة» (١/ ٢٦٧): «أخـرجه أبو نعيم وأبو حـاتم وابن حبان والنسائي، وقال أبو زرعـة: حديث صحيح متقن، رواه الأثبات»، وانظر: صـالح الشامي: السيرة النبوية ـ تـربية أمة وبناء دولة»، ص ص ١٢٧ ـ ١٢٩.

٥) ابن هشام (٢/ ١٢٩ ـ ١٣١) ـ بتحقيق الدكتـور همام سعيد وأبي صعيليك، وإسناده حسن وهـذا الأثر الصحيح في قصة هجـرة عمر يخالف الأثر الضعيف المشهـود الذي فيه أنه هـاجر علنًا. وهـو من رواية ابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/ ٥٨).

٦) و(٧) ذكر محمد شراب في «المعـالم الأثيرة في السنة والسيرة» قول عاتق البلادي في «معـالم الحجاز» و«المعالم الجغرافيـة في السيرة النبوية»، فقال: «التنـاضب وأضاة بني غفار موضع واحـد. الأضاة: أرض تمسك الماء فيتكون فيها الطين. والتناضب شجرات في هذه الأضاة...».

٨) وممن رواه: الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٩)، وإسناده حسن لغيره.

٩) البخاري الفتح (١٥/ ٨٨/ حديث ٣٩٠٥).

١٠) ليثبتوك: أي ليسجنوك.

١١) كـذا في أصل سيرة ابن هشـام المخطـوط، وفي المطبـوع «أريقـط». وفي المطبـوع من تـاريخ الطبري (٢/ ٣٨٠): «أرقد»، وبذلك يتضح أن تصحيفًا وقع، والعمدة ما في المخطوط.

١٢) المسند (٥/ ٨٧/ بتحقيق أحمد شاكر) وحَسَّنَ إسناده ابن كثير في تاريخه (٣/ ١٩٩) وابن حجر في الفتح (١٥/ ٩٠).

دروسٌ مِنَ الهِجْرةِ النَّبَويَّة

د. أحمد جمعة حسانين

لم تكن هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة فرارا وهروبا، رغبة في النجاة بحياته من كفار قريش وإيذائهم له ولأصحابه، بقدر ما كانت هجرته انتقالا ربانيا بدين الله تعالى إلى مرحلة جديدة في البناء الإسلامي، من حيث المكان والزمان للانطلاق براية الإسلام إلى آفاق جديدة. من هنا كانت الهجرة قرارا مدروسا وانتصارا محمودا وتحولا عظيما في تاريخ الأمة الإسلامية.

لذلك تُعَدُّ الهجرة النبوية من أهم الذكريات الإسلامية التي يجب أن تحظى باهتمام المسلمين بصفة عامة وعناية الباحثين بصفة خاصة، لما لهذه الذكرى العطرة من أهمية في تربية الأجيال وتنشئتهم تنشئة إيمانية وأخلاقية. خاصة ونحن الآن في حاجة ماسة لهجرة جديدة ومتجددة اقتداءً برسول الله وصحبه، بأسلوب جديد تتوازن فيه الأصالة والمعاصرة، وتتلاءم وتتوافق مع طبيعة العصر الذي نعيش فيه بما احتوى من مشكلات أخلاقية واجتماعية واقتصادية استشرت آثارها السلبية في بنيان أمتنا الإسلامية، وانعكست بشكل مباشر على شخصية الإنسان المسلم الذي غمرته – وللأسف – الأمواج العاتية، وأفسدته الثقافات الوافدة، ولاحقته الأحداث الغابرة، وجذبته أضواء الحضارة الفاتنة، فأحدثت شرخا في جدار عقليته، وانفصاما في جوانب شخصيته. نتيجة غيبة الجانب الإيماني الصحيح، والبعد عن كتاب الله وسنة رسوله وسيرة صحابته.

وإذا كانت هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة فيها الحل لكثير من مشكلات المسلمين في ذلك الوقت، فإن هجرة اليوم التي نأملها هي أيضا النهج والأسلوب والوسيلة لحل كثير من المشكلات التي استفحلت، والقضايا التي تشعبت، والأطماع التي استهدفت ودمرت، والتي ما زال يعانيها المجتمع الإسلامي. إنّ الدعوة إلى الهجرة مستمرة ودائمة ومستهدفة في كل زمان ومكان مصداقا لقول الرسول ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة».

لهذا يجب أن تصبح الهجرة النبوية بجميع أبعادها وأسبابها وفلسفتها ونتائجها أحد المعالم الرئيسة المهمة، والدروس المستفادة التي يجب أن نقف أمامها، لا لسرد القصص والأحداث، وشد الانتباه والأنظار والفخر والإعجاب، بل من منطلق الدراسة والتحليل واستخلاص النتائج والمبادئ والأهداف، من أجل الاستفادة بذلك في إعادة بناء الإنسان المسلم في هذا العصر.

وإذا كانت الهجرة النبوية لها جوانب كثيرة ومتعددة تناولها كثير من الكتاب والباحثين والعلماء بالشرح والتحليل، وكل منهم أدلى بدلوه في إبراز هذا الحدث العظيم الذي كان له أعظم الأثر في تاريخ الأمة الإسلامية، إلا أنني سأهتم بإبراز بعض الجوانب والمضامين التربوية في الهجرة النبوية الإسلامية؛ لأن القيم التربوية الإسلامية هي العامل خصوصا في تنشئة الإنسان المسلم تنشئة إيمانية، خاصة ونحن في حاجة ماسّة إلى قراءة تربوية جديدة في الهجرة النبوية، تتناسب مع طبيعة العصر الذي نعيشه، وقد انعكست آثاره السلبية على الفرد والمجتمع معا، وبهذا نستطيع من خلال هذه القراءة التربوية المتواضعة أن نستوعب العبر والعظات والدروس المستفادة التي نأمل أن يستفيد منها الآباء والمربون والأبناء ومن أهمها:

أولا: حب الوطن والانتماء له

عاش رسول الله ﷺ في مكة المكرمة ثلاثة

من كتاب العدد



● د. أحمد جمعة حسانين
– دكتوراه في فلسفة التربية «تربية إسلامية».
– أستاذ مساعد في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.
– له قيد الطبع والتأليف كتابان:
التنشئة الاجتماعية في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، ودور التربية في مواجهة مشكلة المخدرات في دول الخليج العربية.
وله عدة بحوث منشورة في مجال التربية الإسلامية.

دروسٌ مِن الهِجْرة النَبَويّة

وخمسين عاما حتى ألفها وألفته، ففيها مسقط رأسه، وفيها أهله وذووه، وفي جنباتها عاش طفولته وشبابه مع أصدقائه ومحبيه، وفيها اختاره الله تعالى ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين إلى العالمين.

وكان عليه الصلاة والسلام يتمنى أن يحتضن أهلُه وعشيرته دينَ الإسلام؛ فتكون لهم العزة والسيادة، ويفتح الله لهم أبواب الجنة، ولكن أهل مكة - إلا نفرًا قليلا - كانوا حمقى، أغراهم ضلال آبائهم وأجدادهم فأعرضوا عن الدعوة المحمدية وناصبوها العداء من أول وهلة، فكان الإيذاء للرسول ومن آمن بدعوته.

ولقد كانت مكة المكرمة — رغم الإيذاء والتعذيب - حبيبة إلى قلب رسول الله ﷺ ومن هنا عز عليه فراقها يوم هجرته. وقد ضرب رسول الله عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى والقدوة الحسنة في الانتماء للوطن — موطن رأسه - حينما نظر إلى مكة المكرمة وهو مهاجر منها، وقال قولته المشهورة التي يجب أن يقتدي بها الشباب المسلم في هذا الزمان الذي ضعف فيه حب الوطن والانتماء إليه، يقول الرسول المعلم: «والله إنك لأحب أرض الله إليّ، وأحب أرض الله إلى الله ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت».

ويتضح الانتماء للوطن من الرسول ﷺ أيضا عندما ذهب وزوجه خديجة إلى ورقة بن نوفل ابن عمها، فقص عليه ما رآه من خبر الوحي، فقال له ورقة: «لتقاتلن ولتخرَجن» قال: أَوَ مُخْرِجِيّ هم؟ قال: نعم، ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي» وسؤال رسول الله لورقة بن نوفل «أومخرجيّ هم» سؤال استنكارٍ من محب لبلده منتمٍ إليها، وكيف لا يحبها ولا ينتمي إليها وهي أحبُّ بلاد الله إلى الله؟!

لذلك ما أحوجنا الآن، ونحن نحتفل بذكرى الهجرة النبوية، إلى غرس قيمة الانتماء إلى أمتنا الإسلامية وإلى وطننا الذي نعيش فيه، فنشرب من مائه، ونأكل من خيراته، ونتعلم في مؤسساته، وننعم بعدالة شرعه، وأن نهجر سلبيات استشرت بين شبابنا، وعبارات هدّامة تعمقت بلا وعي أو إدراك في سلوك أبنائنا. فإن ذكرى الهجرة يجب أن تجدد في أقوالنا وأفعالنا تعميق وتأصيل قيمة تربوية مهمة، وهي قيمة الولاء لله ولرسوله، والانتماء للوطن والمجتمع والمدرسة والأسرة، وهذا هو دور التربية من خلال قنواتها الكثيرة والمتعددة، وأدواتها وأساليبها المتنوعة.

> قيم الولاء والانتماء للوطن ثمرة من ثمرات الهجرة

ثانيا: التعاون

كان موقف الرسول ﷺ وصحبه المهاجرين بعد أن تركوا وطنهم مكة وخرجوا من ديارهم وأموالهم، موقفا دقيقا يتطلب التعاون والتضامن والتآخي والتآلف، ويقتضي أن يسود التآخي بين المهاجرين والأنصار الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ والذين تبوءوا الدارَ والإيمان مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبّون مَنْ هاجَرَ إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولوْ كان بهم خصاصةٌ ﴾ الحشر ٩.

ولا غرو فقد شعر الأنصار بحاجة إخوانهم المهاجرين، وقدّروا ظروفهم العصيبة، لذلك كانت قيمة التعاون سمة غالية، اتّسم بها الأنصار عن يقين واقتناع وإيمان، فتحولت من قول إلى فعل، ومن فكرة إلى سلوك، فآوَوْهُم ونصروهم، وضربوا في الإخلاص لهم والتعاون والتفاني في خدمتهم أروع الأمثلة التي لا يتسع المجال لذكرها، حتى لقد وصفهم الله عز وجل بذلك الوصف الرائع ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

لذلك علّنا نستفيد ونعي الدروس المستفادة من إحياء ذكرى الهجرة النبوية، ونغرس في نفوسنا ونطبق في سلوكنا قيمة التعاون التي تجلت في أحسن صورها منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، وخصوصا وأن الأمة الإسلامية في أمس الحاجة الآن إلى تطبيق قيمة التعاون بين شعوبها التي يعاني كثيرٌ منها الجوعَ والتشريد والبطش والقتل والظلم.

ثالثا: الطاعة

لقد ضربت المرأة المسلمة - في الهجرة - المثل الأعلى والقدوة الحسنة للمرأة المطيعة لزوجها في سبيل الله تعالى، فهاجرت النساء مع أزواجهن ورفضن البقاء في مكة مع أهلهن وأقاربهن.

فها هي ذي رقية بنت الرسول ﷺ تهاجر مع زوجها عثمان بن عفان ولم تتركه يهاجر وحده ويعاني الغربةَ وشدائدها، وإنما آثرت أن تشاركه في الضرّاء كما شاركته في السرّاء، وأن تقاسمه آلام الغربة كما قاسمته أنس العيش.

ولم تكن السيدة رقية — رضي الله عنها — هي وحدها التي هاجرت إلى الحبشة، ولكن هناك الكثيرات من زوجات الصحابة رافقن أزواجهن، بل وكان بعضهن حوامل ولم يخشين على حملهن وما في بطونهن، وإنما كن يخشين غضب الله عليهن بسبب عصيان أزواجهن؛ ومن هؤلاء النسوة اللاتي هاجرن مع أزواجهن إلى الحبشة سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة بن عقبة، وقد وضعت ابنها محمدا في الحبشة، وكذلك أم سلمة التي صارت فيما بعد من أمهات المؤمنين، فقد هاجرت مع زوجها وولدت بنتا سمتها زينب، وأيضا هاجرت أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب وولدت هناك ابنها عبد الله، وأمينة بنت خلف التي هاجرت أيضا مع زوجها خالد بن سعيد بن العاص وولدت ابنها سعيدا، وغيرهن كثيرات.

واليوم - ونحن نحتفل بذكرى الهجرة النبوية - لو قارنا بين ما فعلته النساء المهاجرات وبين ما تفعله بعض نساء هذا العصر لوجدنا العجب العجاب. فمنهن من يرفضن السفر مع أزواجهن إذا كان عمله في مكان بعيد عن أهلها وذويها، وكم فشلت زيجات لهذا السبب ومن ثمّ تحطمت حياة زوجية، لذلك يجب أن تقتدي فتاة هذا العصر بأمهات المؤمنين في طاعتهن لأزواجهن.

«بالطاعة والتآلف يتماسك كيان الأسرة المسلمة»

ونستطيع أن نضرب مثالا آخر لطاعة الزوجة لزوجها لعله يكون قدوة لبنات هذا الجيل، فها هي ذي أم سلمة أول مهاجرة من المسلمات تخرج مع زوجها، يحملها على بعيره ومعه ابنه سلمة، فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه وقالوا: هذه نفسك غلبتَنا عليها. أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت أم سلمة: فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه، وغضب عند ذلك أهله، فقالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. وهنا تقول أم سلمة:

فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي مهاجرا إلى المدينة. إن موقفا كهذا يدل على مدى طاعة الزوجة لزوجها لولا أن أهلها أجبروها على تركه ما عصت زوجها.

فالطاعة درس مستفاد من الهجرة النبوية، وطاعة الزوجة لزوجها لا في الهجرة أو السفر فقط، وإنما الطاعة بمفهومها الشامل حرصا على كيان الأسرة، وطاعة الأبناء لآبائهم، وطاعة التلميذ لأستاذه، وطاعة أولي الأمر، كل ذلك وغيره قيمة يجب أن تؤصل وتعمق في سلوكنا خاصة. وإن ما يُسمع ويُقرأ ويُشاهد من معصية يجعلنا في أمس الحاجة إلى غرس قيمة الطاعة في نفوس أبنائنا،

وهذا هو دور التربية الإسلامية ومؤسساتها، وهذه مسؤولية تحتاج إلى الترابط والتكامل والتماسك بين الأسرة والمدرسة على وجه الخصوص، حتى ينشأ أبناؤنا على طاعة الله ورسوله وأولي الأمر.

رابعا: الأمانة

على الرغم من أن المشركين من أهل مكة كانوا لا يؤمنون بدين الإسلام ولا يتبعون الرسول ويجاهرون بالعداوة والبغضاء ويفتنون في ألوان التعذيب، إلا أنهم في داخل نفوسهم كانوا يوقنون بأن الرسول ﷺ صادق وأمين، ولا أدل على ذلك من أنهم كانوا يضعون أموالهم أماناتٍ عنده، لثقتهم بأنها لا تضيع، بل هي في الحفظ والصون، مهما كان بينه وبينهم من اختلاف في الدين والعقيدة.

لذلك عندما عزم الرسول ﷺ على الهجرة لم يأخذ أماناتهم أو يبددها أو يهرب بها، ولكن الرسول الأمين ترك ودائعهم وأماناتهم التي كانت عنده لعلي بن أبي طالب، وأمره أن يرد الأمانات إلى أصحابها يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ النساء ٥٨. وبهذا الخلق العظيم زاد أهل مكة — أهل الكفر والشرك — إعجابا بأمانة الرسول ﷺ، فهو بحق الصادق الأمين. وهذا درس مستفاد من الهجرة في أمانة المال.

أما أمانة الكلمة فتتضح في أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يخبر بنبأ هجرته إلا عددا قليلا حتى لا يتسرب خبر هجرته إلى المشركين فتفسد الهجرة ويستفيد الأعداء من ذلك، وكان الذين أبلغهم بذلك هم: أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ وأسرته وعليّ بن أبي طالب وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن أريقط ـ وكان مشركا ـ وقد ائتمنه الرسول ﷺ على سر الهجرة ـ رغم شركه ـ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام عرف بفراسته ـ التي لا تخطئ ـ أنه أمين على الكلمة والسر ولا يمكن أن يبوح بسر الهجرة، لذلك كانت أمانة الكلمة وكتمان السر، من أهم عوامل نجاح الهجرة. وهذا درس يجب أن يستفاد منه في أمور حياتنا العامة والخاصة، ويمكن القول إن الأمانة، سواء كانت أمانة في المال أو في الكلمة، أمر يجب أن يستفاد منه ونحن نحيي ذكرى الهجرة النبوية حتى يصبح سلوكا في أقوالنا وأفعالنا، وهذا يتطلب أن نغرس قيمة الأمانة في نفوس أبنائنا، وتلك مسؤولية الآباء في الأسرة والمربين في المدرسة خصوصا والمجتمع الإسلامي بمؤسساته عموما.

خامسا: التضحية

من المعلوم أن التضحية تعتمد على دعامتين رئيستين هما: التضحية بالنفس، والتضحية بالمال. ولقد أظهرت الهجرة النبوية العديد من أمثلة التضحية بالنفس والمال لنصرة دين الله تعالى، فالتضحية بالنفس ليست مقصورة على تحمل الأذى، فإن الذي يتعرض لمواطن الأذى ـ وهو يعلم مخاطرها، ويترقب الأذى في أية لحظة من اللحظات، ويوطّن نفسه عليه ـ إنما يمثّل روح التضحية والفداء. فأولئك الصحابة الذين كانوا عونا لرسول الله ﷺ وصاحبه في الهجرة عرّضوا أنفسهم للهلاك؛ حيث إن قريشا لو كشفت أمرهم لآذتهم إيذاء بليغا، ومن أمثلة هؤلاء عبد الله ابن أبي بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وعبد الله ابن أريقط، وغيرهم كثيرون.

وسوف نعرض بعض الأمثلة للتضحية والفداء لصحابة رسول الله في الهجرة النبوية لتكون المثل والقدوة لهذا الجيل الذي ضعفت فيه جوانب التضحية وافتقدت فيه روح الفداء كقيمة، وانتهج في حياته ـ للأسف ـ سلوك الأثرة. ومن هذه الأمثلة:

* حينما يتقدم رسول الله ﷺ وصديقه أبو بكر — رضي الله عنه — من فتحة الغار، هنا يسبق الصدّيق صديقه في دخول الغار مفتشا وباحثا ومنقبا جوانبه؛ خشية أن يكون في داخله ما يؤذي رسول الله ﷺ، وعندما يجد أبو بكر جحورا وشقوقا بالغار يخلع جلبابه ويقطعه قطعا قطعا؛ يسدّ بها جحور الغار خوفا على رسول الله ﷺ، فلما دخل رسول الله ﷺ نظر إلى أبي بكر فلم يجد عليه جلبابا، فقال له: أين جلبابك يا أبا بكر، قال قطعتها لأستر بها جحور الغار؛ مخافة عليك من حية أو عقرب تؤذيك، فرفع الرسول ﷺ يده إلى السماء ودعا ربه فقال: «اللهم اجعل أبا بكر في درجتي في الجنة»، فنزل جبريل في التو والحال وقال: «لقد استجيب لك».

* وتظهر التضحية بالنفس — أيضا — حينما يسمع أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وقع أقدام المشركين عند الغار، فيضطرب قلبه ويهمس في أذن رسول الله ﷺ قائلا: إن قتلتُ أنا فإنما أنا رجل واحد، وإن قُتلتَ أنت هلكت الأمة. إلا أن رسول الله ﷺ يبقى ثابت الجنان واثقا بنصر الله تعالى فيقول لصاحبه: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما،

دروس من الهجرة النبوية

لا تحزن إن الله معنا» وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ إلاّ تَنصُرُوه فقد نَصَرهُ الله إذْ أخْرجَهُ الـذينَ كَفَـروا ثانيَ اثنينِ إذْ هُمَا في الغـار إذ يقول لصـاحبـه لا تَحْزَنْ إن الله معنـا فأنْـزَلَ الله سكينتـه عليهِ وأيَّـدَه بجنـودٍ لم تَرَوْهَا﴾ التوبة ٤٠ .

وهنا يقول الشاعر :

يـــا ثـــاني اثنين في غـــارٍ يضمكما

هل أشرقت قبـلُ شمسُ الله في غـــار

* وموقف ثالث للتضحية بالنفس من أبي بكر رضي الله عنه يـدلّ على حبه وتضحيتـه لرسـول الله ﷺ بنفسه ، فبعد خروجهما مـن الغار وقد اتجها إلى المدينـة كان أبـو بكر يتقـدم الرسـول عليه الصـلاة والسلام مرة ويتأخر عنه أخرى ، فقال الرسول عليه الصلاة والسـلام : ولم تفعل ذلك يـا أبا بكـر فقال له : أتأخر عنك مخافة أن يطلبك عدو من خلفك فأتصدى لـه فداءً لك يا رسـول الله ، وأسير أمامك مخافـة أن يترصدك عـدو فأدفعـه عنك . فـدعا لـه الرسول عليه الصلاة والسلام بالخير .

لـذلك حينما نحتفل بـذكـرى الهجرة النبـويـة نذكّـر أبناءنا بقيمة الصـداقة المخلصة الـوفيّة التي تجلت في أحسن صـورها مـع الصاحب والصـديق أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ الـذي ضحى بنفسه وماله من أجل الصادق المصدوق محمد ﷺ ، فلتكن هذه الأمثلة من أبي بكـر ـ رضي الله عنه ـ القـدوة الحسنة والنموذج المقتدى به للصداقة المخلصة الوفية .

* ومثـال آخر للتضحيـة بـالنفس حين كلف الرسـول ﷺ علي بن أبي طالـب ـ وكـان لا يتجاوز العشرين من عمـره ــ بـأن يتسجى ببردة الـرسـول للتمويـه على الأعداء ، وينـام مكانـه ؛ حتى يظن المشركون أن الرسول ما زال نائما . ولقد نفّذ عليٌّ أمر الرسـول ونام مكانه مضحيـا بنفسه ؛ فداء لـرسول الله ﷺ الذي هو أحب إليه من نفسه وماله والناس أجمعين ، ولم يبـال أن يـدخـل عليــه المشركـــون ويقتلـوه ؛ فداء وتضحيـة بالنفس من أجل رسـول الله ﷺ . وقد خرج النبي ﷺ مـن بين حصار فتيان مكة الأقويـاء الأشداء سالما بعد أن رمـاهم بالتراب وهو يتلو قول الله تعالى : ﴿ وجعلنا منْ بينِ أيديهمْ سدًّا ومنْ خلفهِم سـدًّا فأغشيناهمْ فهم لا يُبصِرُون ﴾ يس ٩ .

وبعـد أن أتم عــلي بن أبي طـالب ــ رضي الله عنـه ـ مهمتـه ولم يصل إليـه الأعداء بسـوء قال لـه رسول الله ﷺ : «بخ بخ وربك يباهي بك الملائكة في السماء» .

> في الهجرة مضامين تربوية لبناء الإنسان المسلم في هذا العصر

هذه بعـض النماذج والأمثلة للتضحيـة والفداء بالنفس في أسمى معانيها ، والتي تعد القدوة والمثل للشبـــاب ليضحـــوا بـأنفسهم في سبيـل دينهم ووطنهم .

أمـا التضحيـة بـالمال في الهجـرة النبـويـة فهي عديـدة ومتنوعـة ، فإذا كان المهـاجرون قـد ضحوا بأغلى ما يملكـون وهي التضحية بـالنفس ، فأهون عليهم التضحية بالمال ، فلقد تركوا خلفهم تجارتهم وأموالهم فداء للدعوة ، واستجابة لرسول الله ﷺ .

ولقـد أظهرت الهجـرة أمثلـة عـديدة لتضحيـة المهاجـرين بأموالهم ، فلئـن كانت الهجـرة قد أدت إلى أن يدع المهـاجرون ما لا يخف حملـه من أموالهم في مكة ، فإن أفـرادا منهم قد أُكرهـوا على أن يتخلوا عن كل ما يملكون . ومن أمثلة هؤلاء :

صهيب الرومي ـ رضي الله عنه ـ كان على رأس من ضحوا بأموالهم ، فحين أراد صهيب الهجرة قال له كفار قـريش : أتيتنا صعلوكا فقيرا فكثـر مالك عنـدنـا وبلغت الــذي بلغت ، ثم تـريـد أن تخرج بمـالك ونفسك ، والله لن يكـون ذلك ، فقـال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلـتُ لكم مــالي أتُخْلـــون سبيلي؟ قالوا : نعم ، قـال فإني جعلت لكم مالي ، فبلغ ذلك رسـول الله ﷺ فقـــال : ربح صهيب ، ربح صهيب . لــذلك أثنى القـرآن الكـــريم على الذين أُخـرجوا من ديارهم وأمـوالهم أطيب الثناء ، يقول تعالى : ﴿ للفقـراء المهاجِرينَ الذيـن أُخرجوا من ديارِهم وأموالهم يَبْتَغُـون فضلاً مِنَ الله ورضوَانا وينصُرُون الله ورسـولـه أولئك هُـمُ الصَّـادِقـونَ ﴾ الحشر ٨ .

وتتضح صـورة أخرى للتضحيـة بـالمال من الأنصار للمهاجرين الذيـن تركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم ابتغـاء فضل الله ورضـوانه ، فكـانـوا خير عون لهم ، لـذلك زكّاهم الله بقولـه : ﴿ يُحبّون مَنْ هـاجـرَ إليهم ولا يَجِدون في صدورهـم حاجـةً ممـا أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولـو كان بهم خَصَاصةٌ ومَنْ يُـوقَ شُحَّ نفسِهِ فـأولئكَ هُمُ المفلحــون ﴾ الحشر ٩ .

ولعلنـا الآن في حـاجـة إلى التضحيـة بـالمال لما يعـاني منـه المجتمع الإسـلامي من خلل في وضعـه الاقتصادي ، فلعل في إحيائنا ذكرى الهجرة النبوية منطلقـا للتضحيـة بالمال لـدول إسـلاميـة في أمس الحاجة لمساعـدتنا ، حيث الجوع يقتلهم ، والمرض يفترسهم ، وأعداء الإسلام يبيـدونهم . لذلك يجب علينـا أن نهاجـر في سبيل الله بـأمـوالنـا ، ونستقبل عاما هجريا جديـدا ، نسارع فيه بإخراج الزكاة ، وأن نكثـر من الصـدقـات للمسلمين في الـداخل والخارج ، وبهذا نكون قد استوعبنا دروس الهجرة النبوية للنفس والمال .

تلك بعض الــدروس المستفـادة من الهجــرة النبـويـة التي اشتملت على قيم تربـويـة إسـلامية ، يجب أن يغرسهـا الآباء والمربـون في أبنائهم لتصبح سلـوكا اجتماعيـا وأخـلاقيا في حيـاتهم ، لينعكس ذلك على الفرد والمجتمع ، ولنعيد لـلأمة الإسلامية حضارةً اندثرت آثارهـا ، ووحدةً تفرقت أوصالها ، وقوةً ضعفت أجـزاؤها ، وتلك مسؤولية مـؤسسات التربية في المجتمـع الإسلامي الـذي يجب أن يكون القرآن الكـريـم منهجه ، والسنـة النبويـة مصدره ، وسيرة صحابتـه قدوته ، وتاريخه الإسـلامي دراسته ومبحثـه ، وبهذا يكـون احتفـالنا بـذكـرى الهجـرة النبـويـة قـد أدى مغـزاه ، وحقق أهـدافـه ، ونفـذ نتـائجـه وغـايتـه ، ونحن نستقبل عـاما هجـريـا جديدا ، وكل عام وأنتم بخير .

الواقع العربي واستدعاء التاريخ

من خلال دلالة المكان في الشعر السعودي

بقلم: د. محمود محمد عيسى

توظيف القيم التراثية؛ للدلالة على القيم الواقعية - على جهة التقابل - أحد أساليب توظيف التراث في الشعر السعودي، سواء ارتبطت هذه القيم بشخصيات معينة، أم ظلت قيما عامة تقصد لذاتها، غير أن الشاعر قد يعمد إلى أسلوب آخر من أساليب توظيف التراث التاريخي، فيوظف المكان ويبرز دلالته التاريخية، في مقابل دلالته الواقعية، ومن ثم يصبح المكان نقطة تلاقي الواقع والتاريخ، وتتم المفارقة من خلاله، إذ إنه يوحي في التراث التاريخي بأبعاد، ويرتبط الواقع بما يقابل هذه الأبعاد، سواء أصرح الشاعر بالبعدين معا - الواقعي والتاريخي - أم صرح بأحدهما، واستدعى البعد الآخر.

ولأساليب توظيف دلالة المكان صور متعددة:

فقد يبهر التاريخ الممتلئ بالبطولة نفسية الشاعر، ويفعم داخله فيعيش لحظات الانفلات من الواقع، ثم يعبر عن هذه اللحظات، التي قد تطغى على مفارقات الوجود.

غير أن البعد الواقعي المفارق يلح على الشاعر، الذي يصر بدوره على تجاهله، ممعنًا في الالتصاق بالتاريخ، ولكن الواقع ما يلبث أن يطل برأسه، معبرا عن نفسه في حياء أولاً، ثم يعلو صوته، في مقابلة صوت التاريخ، بل وقد يطغى على إشراق التاريخ نفسه، فيشكل الصورة المقابلة، وهي البدء بالواقع.

وثمة صورة ثالثة، قد تكون مناسبة لبعض الرؤى الشعرية، حين يستبد الصوتان بالشاعر، في وقت واحد، فيعبر عنهما، في معاناة تمزقه، على حديهما، كما لم يتمزق أحد من قبل؛ إذ إن كبت أحد الأصوات، وتبني الآخر، يجعل التعبير متناسقا؛ لأن الشاعر يعبر عن حالة نفسية متماثلة الأبعاد، حتى وإن كانت تحمل في داخلها مفارقة حادة، أما حين ينبثق الصوتان معا، فإن التوتر الحاد يكون قدر الشاعر، في التعبير عن التجربة، بعد أن كان قدر في معاناتها.

ومما لا شك فيه أن البدء بالتراث التاريخي والتعبير عنه، لا بد من إثارة المقابل له المتمثل في الواقع، كما أن الإيغال في وصف الواقع، لا بد أن يثير البعد التاريخ فتتبطن به التجربة.

ومن هنا يمكن تناول دلالة المكان في إطار أسلوب المفارقة، على النحو التالي:

أولاً: البدء بالتراث وشمول الواقع:

- البدء بالجانب المشرق في مقابة الواقع.
- البدء بالجانب المظلم المتماثل مع الواقع، في مقابلة الجانب المشرق.
- ثانيا: البدء بالواقع، واستدعاء التراث:
- في إطار السلم.
- في إطار الحرب.
- ثالثا: استحضار الصوتين معا: الواقع والتراث.

أولاً: البدء بالتراث

اتجه التعبير بعد الحرب العالمية الثانية إلى الجانب المأساوي، بدلا من التعبير الرومانتيكي، الذي لازم الأدب العربي ما يقرب من نصف قرن، وذلك بسبب الآلام الفادحة التي خلفتها هذه الحرب. وإذا كان الإنسان بعامة قد دفع ثمن هذه الحرب من قُوته، وأمنه، فإن الإنسان العربي خصوصا، قددفع إلى جانب هذا حريته، واستقلاله بعد أن طُمس ما بقي من حضارته. ومن ثم لجأ الشاعر إلى الالتصاق بالماضي حين وجد فيه ملاذا يحتمي به، بعيدا عن مفارقات الواقع، فحلم بالنصر والحضارة، عماد

الواقع العربي واستدعاء التاريخ

من خلال دلالة المكان في الشعر السعودي

تاريخه القديم، وكـان جبل طارق ـ كأحد الأمكنة التي وظفهـا الشاعر لإبراز المفارقـة ـ أحد الـرموز التاريخيـة التي تثير في نفس كل مسلم ذكريـات تثير الشجن؛ فقد كان أول لبنة في صرح الحضارة الإسلامية في الأندلس.

لـو أبـاحت سـرائر منـه مـاذا ... سـوف تنبي ومـا تـراهـا تقـول[1]

إنه يـدرك أسرار الفتح، والبطولـة، والحضارة، بل وأسرار التـاريخ كله؛ فالفاتحون:

«فتيـة آمنـوا» . . فهـانـت صعـاب ... دون آمـالهـم وبـان السبيـل

أوتـدري تلك السفـائن من تحـ ... ـمل في غبشة الدُّجى . . ذا النبيل؟!

إنهـا دعـوة السمـاء إلى الأر ... ض، فنعم النـداء . . نعم الـرحيل!

إن جوهـر مهمة جيش طارق، تخالـف مهمة الفتوح عادة، وطبيعـة هذه المهمة، هي التي دفعت طارق بن زياد إلى إحراق سفنه، فيصبح العدو أمام جنده، والبحر وراءهم، وليس ثمة ـ والله ـ إلا النصر أو الموت:

رب! . . هـذا الـذي أمرت بـه المؤ ... من فـارأف بحـالنـا يـا جليل!

أحـرقـوا السُّفْنَ ـــ يـا رفـاقُ ـــ فإني ... لخبيـر بمـا أروم عقيـل

يـا رفـاق الجهـاد خلفكـم اليَمُّ ... رهيبٌ . . وقـد تنـاهى السبيل

وكانت جولة، وصبر المؤمنـون، وذعر العدو وأدبر، وإذا بجيش الإسلام يكبر فوق أرض لم تعرف الإيمان من قبل، ودخلوا الأندلس:

ولـواء التـوحيـد يسمق خفـا ... قًـا تحييـه أتلُعٌ وطلـول

وبهيج مـن الحضـارة والسعـ ... ـد، وفيض مـن السنـاء مخيل

نَعِمَ الكـونُ والـوجـود بهـا دهـ ... ـرا وكـادت على المدى ـــ لا تـزول

لقد انتشى الشـاعر بـالنصر وعظمة الحضـارة، التي أرساهـا هذا الفتح، فأصبحت الأنـدلس مقصـد طـلاب العلم من أوربـا، وتنتهـي القصيـدة، والشاعر يعيش لحظات خصبة، غير أن شيئا ما يتحرك في داخله، وقد قادتنا إلى هذا الشيء ضـرورات نفسية، كما قـادتنا إليـه ضرورات تعبيريـة كذلك، نعرض لبعضهـا وقبل أن نعرض لهذه الضرورات، نحب أن نشيـر إلى أن هذا الشيء الذي أخفاه هو الذي يثير الصراع من خلال تقابله مع ما عبر عنه.

ترى ماذا أخفى؟ إن الشـاعر لم يكن معاصرا للرمز التـاريخي ـ طارق بن زياد ـــ المرتبط بـالمكان ـــ جبل طارق والأنـدلس ـ حتى يمكن أن يقـال إنه يصور ما يرى، ولكنه شاعر معاصر، عـاش في نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخـامس عشر الهجريين، وقـد كان فتح الأندلس سنـة ٩٢ هـ أي في القـرن الأول الهجري، وهـو حين حـاول استكنـاه التاريـخ؛ ليعرف أسـراره، استوعـب أحداثا عـديدة، مـرت بعد فتح الأنـدلس، إن هذا يعني أنـه وعى الواقع الذي يعيشـه، كما وعى التاريخ القريب الذي ضـاعت فيه الأندلس، قبل أن يلتصق بالتاريخ البعيد حين انتصر العرب. ومن غير الممكن ألا تترك الهزيمة المعاصرة ـ وقبلها ضياع الأندلس ـ على نفسه بصمات غائرة، تعاود الظهور كلما سنحت لها الفرصة، تمثل فـي الوقت نفسه، البعد المفارق لما يعبر عنه. والإحساس بالهزيمـة، ما لبث أن أجبره على اليقظة، فإذا هو يرى أن الحقائق التي عـانقتها ـ في لحظة الانفـلات من الإحساس بالمأسـاة ـ لم تعد غير أطلال، فطفق يندب الماضي، وينحب بالدمع.

وقـد قلنـا إن الـذي قـادنا إلـى البعد المفـارق لمـا عبـر عنه هـو بعض التعبيرات، التي تؤكد ما يصور في نفسه من صراع. ومن هذه التعبيرات:

يـا لهـا قصـة تميس بهـا الـدنـ ... ـيـا وكم يعـز المثيل

إن التعبير بـ(يعز المثيل) يشير إلى ظـاهرة الحضارة التي (لن تكرر)، ولا نستطيع أن نقـول: إن الشارع كـان يرهص بمـا سيحدث، لأنـه ـ كمـا قلنا ـ شـاعر معـاصر، استـوعب جانبي القضيـة: النصر والهـزيمة، وقـد أدرك أن ظاهرة الحضارة في الأندلس (لم تتكرر)، وحل محلها واقع مقابل لها تمامًا.

لقد درست الحضـارة الإسلامية في الأنـدلس، وغاب عن أرض البطـولة سادة، كانوا ملء سمع الدنيا. والشـاعر حين يلتصق بالقصر، يعرف أنه ينكأ جـراح أحـزانـه، غيـر أنـه يحـاول أن يلتمس لمـا آل إليـه أمـر المسلمين في الأندلس ـــ من ضياع مجد وفقـد بطولة ـــ مسوغا مـرتبطا بطبيعة الحيـاة، فما أعطت الدنيـا إلا لتأخذ، ومـا منحت إلا لتسلب! هذا شأنهـا مع كل البشر، وشأنهـا مع الحضارات، فليس بغـريب أن ينتـاب الضر المسلمين، بعـد أن عاشوا في النعيم. وكان من الممكن أن تستـريح نفس ا لشاعر لهذا التعليل، لو أن تصـاريف الزمـن وحدها كـانت وراء تبـدل أحوالهم، أمـا لو كانـوا هم أنفسهم مصدر الضياع، فإن الأمر يختلف، وتصبح الهزيمة أفدح.

مـا هـدَّ أمـرَهُم إلا تفـرُّقُهم ... وآسنـاتٌ مـن اللـذات والبطـر

الخصم يقـرع باب الـدار في صلف ... وهم ثمـالى بكأس الحكم لا الظفـر

إني لأرمـق (رب القصـر) عـن كثب ... يـودع الملك والخـلان في ضجـر

يعطي التفـاتـة مفجـوعٍ فتنهـرُهُ ... عن البكـا أُمُّهُ فـي بـائس الصـور

إن ضياع المجد في حد ذاته مأساة، وتكون المأساة أفدح لو ضيعه بنوه، حين تفرقوا فضعفوا، فانقض عليهم الأعداء، وإذا كان الشاعر قد طغت عليه هذه المرحلة القاتمة من تاريخ أمته، فإن البعد المقابل يلح عليه:

أبكي على طلـل الأجـداد. وا لهفي ... أبكي على مسرح المـاضين في كدر

مـواطـن كن لـلإسـلام منتجعـا ... وللعـروبـة من بـدو ومن حضـر

« يتميّز الشعراء بقدرات خاصة، بها يصدق توقّعهم ويتبيّنون ما لا يتنبّه إليه الآخرون »

أبكي على أمة دار الزمان لها   قبلا ودار عليها بعد بالغير(٢)

لقد كانت الأندلس مسرح حضارة الأقدمين، فأصبحت طللا، وكان المسلمون سكانها فأصبحوا طريديها، وقد منحت الأيامُ الأمة الإسلامية أعرق حضارة، وها هي ذي اليوم تسلبها. والشاعر أمام كل هذا يحس بعظمة الحضارة نغمًا في صدره وبطللها قذى في عينه، وبأمته نهبًا بين دورة الزمان لها، ودورته عليها، بين قبل وبعد، «قبل»: الذي حقق فيه الآباء عزتهم، و«بعد»: الذي تفرقوا فيه فضاعت تلك العزة.

ومعاناة الهزيمة تستدعي واقعا معاصرا يتماثل مع ضياع الأندلس، وهو ضياع فلسطين؛ لأن الضياع ـ وهو العنصر المشترك بين «الأندلس» و«فلسطين» ـ كان نتيجة لمقدمة واحدة وهي الخلف:

واليوم ها هم بنو قومي على سنن   من سالف الأهل والأيام والخبر

كم يملأ الخلف والأهواء ساحهمو   وكم تحوم عليهم (بومة) الخطر

ويحي على سرحة (الأقصى) وقد تخذت   ملهى لكل زنيم أرعن قذر

ويحي لمسرى الهدى والحقّ دنسه   رهطٌ من الغرب والشذاذ بالوضر

إن تماثل الرمزين (الأندلس وفلسطين) يتضح في أنهما كليهما كانا مهبط حضارة، تمثلت في الأولى بالعلم وفي الثانية في كونها مهبط الأديان السماوية، منبع كل الحضارات. كما يتضح التماثل: في غربة الأهل واستبداد الشذاذ بالأرض، وفي تبدل الحال: فقد أصبحتا مسرحا للدنس، بعد أن كانتا منارة لحضارة الإنسان. ويعود الشاعر فيؤكد مصدر كل ذلك: مصدر ضياع الأندلس، وضياع فلسطين:

لم يُنكَبِ العُرْبُ من ضعف ولا عدد   لكنهم نُكِبُوا من قلة النظر

يا (قصر) لو أن قومي أدركوا طرفا   من كامن السر في ماضيك والأثر

إذن لهبّوا إلى داعي الجهاد ولم   ترهبهمو عاتيات العَسْفِ والشرر

وحرروا القبلة الأولى بوحدتهم   وأفلحوا بمنال القصد والوطر

إن التماثل في النتائج يؤكد التماثل في المقدمات، وتنفرد قضية فلسطين بفداحة أكبر، حيث لم يستفد العرب المعاصرون من دروس التاريخ الماضية.

المسجد الأقصى إذن، امتداد لقصر الحمراء، من حيث الدلالة على الهزيمة، التي تتقابل مع فترة ازدهار الأندلس، لقد امتدّ الماضي القريب فشمل الحاضر المعاصر، أو عمق الحاضر، فشمل مرحلة تاريخية تمثل الهزيمة. من حيث البدء ـ وهو الخلف وقِصَر النظر ـ ومن حيث النهاية، وهي الضياع.

وإذا كان الشعراء يتميزون بقدرات خاصة، بها يصدق توقعهم ـ لصفاء قرائحهم ـ ويتبينون ما لا يتنبه إليه الآخرون، شأنهم في ذلك شأن فئران السفن تنذر بالغرق قبل وقوعه، إذ كان هذا شأنهم، استطعنا أن ندرك كيف تحقق توقع الشاعر في مأساة (لبنان) ثم في مأساة (الكويت).

أما (لبنان) فقد كانت امتدادا لمأساة الأندلس، وبعدا مماثلا لمأساة فلسطين، فقد اعتدى عليها اليهود. ومزقوا وحدتها، وكانوا بسبيل التهامها، وقد وجد فيها الشعر السعودي أندلسًا جديدة، وأن جبال الأندلس والجليل قد تداخلا، وتبقى نهاية ساكنيها(٣):

ألا إنها «أندلس» جددت   ففروا من القتل أو أقبلوا

جبال «البرانس» خلف الجليل   أتغفون والأمر يستفحل؟

وكلكم «أحمر» راحل   إذا لم تهبوا وتستبسلوا

لقد نصب الصائدون الشباك   ولن ينجو من شرها الأجدل(٤)

لقد كان تناول الشاعر لقصر الحمراء، وما حدث للمسلمين في الأندلس، مثيرا استدعى كل العناصر المهزومة، والتي تمثل واقع الأمة العربية، وقد كان وراء الهزيمة ـ هزيمة المسلمين في الأندلس، وفي فلسطين، وفي لبنان ـ تفرق رأي، وتصدع صف، وضياع وحدة الكلمة.

أما مأساة (الكويت) فتعد أبشع جريمة ارتكبت في العصر الحديث، فلم يكن القتل والتدمير على يد الكفار أو اليهود ـ كما حدث في الأندلس، وفي فلسطين، وفي لبنان ـ وإنما كان على يد مسلم، ومن منطلق الفرقة والاختلاف الذي أدى إلى الطمع، فنسي قادة العراق قيم الدين، ومنطق القانون، فعاثوا في الأرض فسادا، عتاة متجبرين، وكان حصاد عتوهم وتجبرهم تخريب (الكويت) و(العراق) لقد بدأ مدّ الضياع، ولا أحد يدري ـ إلا الله ـ إلى أين ينتهي، فالعرب يتحدثون عن الوحدة:

لكنهم لم يفيقوا ـ بعد ـ من عَمَهٍ   ولم يزل بهم أمر. فوا حذري!

فأي أمر بهم؟! ألم يكن هو الخلف؟ والتعبير بـ(بهم) يؤكد على أصالته فيهم، وأنه سيظهر كل يوم ببعد جديد، فأبعاده لم تظهر حين ضاعت الأندلس. ولحقتها فلسطين، وتمزقت لبنان. كما يؤكد ذلك (فوا حذري). فالشاعر يشفق مما يرى حين ضاعت فلسطين، ولكنه يحذر مما لم يره بعد، والذي حدث في (الكويت) بعد ذلك. وهو ضياع ما بقي من مجد وعزة، وتصدع وحدة الكلمة. كان ذلك حصاد ما أبهم من (أمر) وتحقيقًا لـ(وا حذري)؛ تلك اللفظتان اللتان شق بهما الشاعر حجب المستقبل، فإذا هما يتفجران في أرض مسلمة ويدمران شعبين من أقوى شعوب المسلمين، إمكانية وقدرة.

ثانيا : البدء بالواقع

حين يحتوي الواقعُ الشاعرَ، ويحاصره، يفرض عليه أن يبدأ به، ومن ثم يتوارى صوت التاريخ، وهو إن أطلّ، فإن إطلاله يكون محدودا، ولكنه حتى في توراية يمثل العنصر المقابل في التجربة الشعرية، ويظل يفجر دلالات سواء كان ذلك : في إطار السلم، أم في إطار الحرب.

أما في إطار السلم فإن قصيدة «صوت من الزنزانة»(٥) تعبر عن ذلك :

صمت السجين وفي السكوت بيان ... يدري بروعة سحره السجّانُ
واستعذب التعذيب عاشقُ أمةٍ ... ما عاش فيها خائن وجبان
تلهو السياط بجسمه فإذا بها ... قلب يترجم عزمه ولسان
يعطي لجلاديه أروع صورة ... تحتار في تحليلها الأذهان

ففي الواقع نرى الأبطال يسجنون، تلهب السياط أجسادهم، فيهزؤون بها، وهم في صمتهم، يعبرون أروع تعبير عن الظلم الفادح، فتعذيبهم في حد ذاته إدانة للعصر الذي تجمعت فيه عوامل وأد الحرية، بعضها من فرض الأعداء، والآخر من صنع العرب أنفسهم.

ويحَ العروبة دبَّ في أوصالها ... داءُ الخلاف وسادها الخذلان
عصفت بها ريح التمزق والعِدَا ... واستحكمت بشعوبها الأضغان

فحين تمزقت الأمة العربية، وتحكمت الأحقاد بقلوب ثلة من أبنائها، ضاعت فلسطين وغرقت القدس في الدماء :

والقدس غارقة يمزقها الأسى ... ويعيد رجع أنينها الجولان

ولم تقتصر سلبية العرب على الخلف الذي أضاع أرضهم، وإنما تجاوزته إلى مدِّ يَدِ السلام إلى أعداء دينهم، والشاعر ـ كرمز للشخصية العربية ـ يرفض ذلك :

لا تبسطوا كف الرجاء لعصبة ... أسلوبها التزوير والبهتان
تسري مبادئها تبث سمومها ... بين الشعوب كأنها السرطان
تتفتت الأكبار من هول الذي ... فعلت بنا وتقرّح الأكباد
هذي فلسطين الجريحة لم تزل ... نهب الغزاة وتلك باكستان

فالرموز المكانية : القدس، باكستان، والجولان، تؤكد غربة الوجود المسلم، وغيبة الهيبة العربية، فالواقع هنا يحتوي الشاعر، بعناصره المتعددة : عنصر السجين، واليهود، والقدس، وغفلة العرب. وكل عنصر من هذه العناصر يرسم ملمحا من ملامح الواقع، وما يلبث الشاعر أن يضيف إلى هذه العناصر عنصرًا آخر يتمثل في :

أين الضمير العالمي؟! ألم يُفِقْ؟ ... ومتى متى يتحرك الوجدان؟
أين العدالة والحياد ؟ فلم يعد ... في الأرض لا عدل ولا اطمئنان

وأما في إطار الحرب، فإن قصيدة (معركة بلا راية) (٦) تعبر عن ذلك :

إنني أذكر ذلك اليوم
عندما خضنا مع المذياع
حطين الجديدة
عندما بشرنا المذياع
بالنصر على وقع الأناشيد الشجية
عندما خَلَّفَنَا المذياع
مابين الرمال
جثثا خرت بلا مجد
كانت الدنيا دوارا
وغضبنا وصرخنا
وارتمينا
شهقة مخنوقة تنضح عارا
وعرفنا لوعة العجز
بكينا كصبية
أوغلت في جسمها البض
أيادٍ همجية

لقد كانت هزيمة ١٩٦٧م معاناة فادحة، لم يحتملها الإنسان العربي، فلم يعد قادرًا على المحافظة على اتزانه، وكيف يستطيع وهو لا يعرف حقيقة ما يدور حوله؟

ويطل التاريخ على الواقع فيزدريه. تاريخ صلاح الدين في معركة حطين، يزدري العرب المعاصرين في فلسطين، وبطولة صلاح الدين تتقابل مع عجز العرب اليوم.

مازلنا صغارًا صغارا
لم نزل نرضع نهد الأمس

ولم نكبر بعد، ولكن :

عندما نقتلع السور ونمضي في الرياح
سوف نرتد كبارا.

وحين يضيف إلى بعد التاريخ، النضج الذي صنع النصر، يضيف إلى الواقع الصغر الذي كان وراء الهزيمة، مؤكدا أننا لن نصنع بطولة أو تاريخا، إلا إذا اتخذنا أبطال التاريخ قدوة ومثالا.

حين يتناول الشاعر الواقع والتاريخ معًا، يفعل ذلك لأنّ الأول يستوعبه والآخر يلاحقه.

غير أن في قصيدة «لا تهيئي كفني»[٧] يزرع في الحاضر بوادر الأمل، جازما بأن بطولة الماضي ستشمل الحاضر:

الصليبيون أمس ارتحلوا

وغدا يمضي الصليب المستجد

لقد خرج صلاح الدين من بين صفوف الأمة العربية، ولن تجدب هذه الأمة، فسيأتي البطل الذي يعيد سيرة صلاح الدين، ومع أن الشاعر يثق في قدرة الواقع على منح الحياة بطلا على صورة صلاح الدين، إلا أن تعبيره يشي بالمفارقة بين التراث والواقع. فالرمز التراثي البطل ظهر. بمجرد حدوث جريمة الصليبيين، ولم يطل الانتظار، أما في الواقع فقد وقعت جريمة اليهود، ومع أن الأمل يراود الشاعر إلا أنه ما زال ينتظر، وفرق بين ارتباط الرفض بارتكاب الجريمة، كارتباط النتيجة بالسبب، وبين انتظار رد العدوان، ومعاناة القلق أثناء الانتظار.

وثمة ملاحظتان على غاية من الأهمية: أما الأولى: فهي أن الشاعر يكشف - حين يبدع - عن أعماق نفسه التي تستجيب - بوعي أو بغير وعي - للمؤثرات الخارجية، التي يتعرض لها. ومهما تعددت نظريات علم الاجتماع فإنها لم تنف أثر الأحداث، ودورها في نوعية الإيقاع النفسي الذي يلعب دورا كبيرا في تكوين الشخصية الفردية، والشاعر واحد من هؤلاء الأفراد من حيث استجابته للمؤثرات الخارجية، ولكنه ينفرد من حيث قدرته على انتزاع نفسه من إلحاح المظاهر المادية، ليعبر عن رؤيته الشعرية في لحظة من لحظات السمو، والانغلاق على الداخل الذي تتغلغل فيه عناصر الواقع الخارجي.

والشخصية الإنسانية بعامة - وهي في الشاعر أوضح منها في غيره - مكونة من عدة ذوات، يختار الإنسان واحدة منها يظهر بها في المجتمع، وتكون مصدر نوع السلوك الذي يسلكه، وتتوارى الذوات الأخرى، التي ما تلبث أن تنبثق منها واحدة لتعبر عن نفسها، تعبيرا قد يختلف كثيرا أو قليلا، عن تعبير الذات الظاهرة، ومن ثم «يضطر المرء إلى الاعتراف بها وتبنيها بتحفظ»[٨].

هناك إذن «الأنا» الداخلي العميق، و«الأنا» الخارجي، ونحن إذا نزعنا شخصيتنا الظاهرة، مع تفسيراتها، وصلنا إلى جوهرنا الحقيقي الكامن في الأعماق. «ومن تحت السدود، وخلف الحدود ينبثق ذلك التيار الداخلي الدفين الذي يعبر عن ماهيتنا الأصيلة»[٩] ودون خوض في ميدان الفلسفة، فإن لشخصية الشاعر - كواحد من البشر - جوانب متعددة، قد يعبر عن جانب منها، نتيجة لوقوعه تحت تأثير ظروف معينة، وتظل الجوانب الأخرى كامنة، خلف قشرة شفافة، تمكنها من الظهور في أية لحظة. وفي هذه الحالة فإن الصوت الخارجي المسموع يتوارى ليصبح خلفية للصوت الجديد، الذي أصبح معبّرًا جديدا، عن قضية جديدة. إن هذا يعني «أن كل فكرة نكونها عن أنفسنا - أو عن غيرنا - لا تسجل سوى لحظة بالذات»[١٠] والشاعر هنا: حين عبر عن فتح الأندلس من خلال قصيدة (وقفة أمام جبل طارق) صور الجانب المشرق، ولكنه كذلك لم يخرج عن عصريته. هو إذن يجمع بين التاريخ في تعبيره، والواقع في داخله. وهو حين يستدعي الجانب المشرق من تارخ الأندلس - متخطيا جانب المأساة - فإنما يقوم بأمرين:

أولا: جعل الواقع امتدادا للمأساة ثانيًا: البحث عن بديل لهما تطمئن إليه نفسه، حين عجز التاريخ القريب والواقع عن تقديم هذا البديل.

هو إذن يعبر عن مرحلة حضارية، ولكن الهزيمة تطل من ثنايا التعبير. يترنم بنشوة النصر، وتضج بالهزيمة أعماقه. فالصراع قائم بين الصوت الداخلي الذي يعانيه، والصوت الخارجي الذي يعبر عنه. وهو يحاول أن يعلي من نبرة الصوت الخارجي علّه يوهم نفسه أنه لا يعاني فقدا أو هزيمة، غير أن الصوت الداخلي ما يلبث أن يزيل القشرة ليعلن عن نفسه.

ومثل هذا يقال في رمز (بيت المقدس) في فلسطين. وكذلك «الجليل» وفي (جبال البرانس) في أسبانيا.

أما الملاحظة الثانية: فتتصل بقضية من قضايا النقد الحديث. وهي وحدة التجربة الشعرية، بمعنى أن القصيدة تعبر عن فكرة واحدة، من خلال لحظة شعورية متناسقة ونحب أن نصوغ القضية على شكل آخر، بحيث يتضح أن إبداع الشاعر كله - مهما تنوعت رؤاه الشعرية - تصدر من منبع واحد، وهذا المنبع يتسم بالوحدة الفكرية، والوحدة الشعورية، أساسَيْ الوحدة العضوية.

فالرؤية الشعرية تتجسد فيها لحظة شعورية ذات مغزى «يبدو الوجود أثناءها لعين الرائي ملونا بلون معين، وتتناغم أجزاؤه، وتتآلف عناصره جميعا، وتتعاون على إبراز غاية واحدة»[١١] دون أن تلغي أبعادا أخرى، يمكن أن تظهر في ظروف مختلفة، فإذا أبدع الشاعر قصيدة يصور فيها النصر، ثم أبدع أخرى يصور الهزيمة، أمكننا القطع بنه حين كان يعبر عن النصر، فإن ثمة صوتا في داخله يتمثل الهزيمة، وحين يعبر عن الهزيمة، فإن ثمة إشراقا يسطع في داخله يرتبط بالنصر، غير أن المسألة هي: غلبة عنصر على آخر تبعا للظروف التي تستدعي التعبير عن النصر أو الهزيمة.

وقد يفسر هذا سلوك الشاعر حين عاش فرحة النصر، في قصيدة «وقفة على جبل طارق» وتوارى صوت الهزيمة.

أو حين برز صوت الهزيمة وتوارى صوت النصر كخلفية لـه في قصيدة (الفردوس المفقود)[١٢]:

أهلي هنــا بـــالأمس كـــا   نـــوا بعـــد أمجـــاد وشـــان
مـــا نـــال منهم غيـــر فـــر   قتهـم وآسنـــــة الشنــــــان
ويـــــلاه هـــــذا داؤنـــا   ويـــــلاه مـن أمــــر مشـــان

فالشاعـر يتجرع مرارة الهزيمـة، ولكن عراقة الماضي لا تفـارق وجدانه، وقد ضاع في الماضي، وضاع الحاضر لفرقة العرب.

ثالثًا: غير أن الشـاعر قد يقع فـريسة الصـوتين معا: الـواقع والتاريخ، فَيَمْتَثِلَانِ في منطقة التعبير، حيث يتناول أحدهما بالإيجاب والآخر بالسلب، أو يتنـاولهمـا بـالإيجاب معـا، وهـو إذ يفعل ذلك فـلأن الـواقع يستـوعبـه، والتاريخ يلاحقه، فيقترن كل عنصر واقعي بمقابله التاريخي، كما في قصيدة «الطوفان[١٣]».

لا تقــــولـي أين كنـت الأمـس إنـي قــــد أضعت اليــــــوم أمسي
بعـت تــــاريخـي وأمجـــــادي بـأســــواق المـــــزادات ببخـس
أطلقَتْ كفـي رصــــاص الغـــــدر مسمـــــومـــا إلى جبهـــة شمسي
ثـم حطمـتُ قنـــــــاديلـي مـن الجهـل علـى صخـــــــرة يـأسي
وتنكــــــرت لآبـــــائي ولـم أحفـل بـــــــذبيـــــان وعبسٍ
ليتني مـــا عشت كيـــلا تجعل الــدنيـــا وفـــاتي يــوم عــــرس

فـالأمس واليوم ــ محور البيت الأول ــ قد تقـابلا من خـلال (أضعت.. أمسي). وإذا كـان قد أضـاع الأمس الذي يعني التـاريخ وأمجاده، فقـد بقي الواقع الذي يحمل ملامح النقيض. والشاعر لا يحب أن يعفي نفسه من وزر مـا حـدث، فيتحمل المسؤوليـة في إصـرار عنيـد. وكمـا هي طبيعة النـزعـة الـدرامية، فإن الشعـراء يطرحـون بعض الخيـوط في القصيدة ليجـدلوا منهـا الحدث بعـد ذلك. وسوف يشكل هذا الإصرار العنيـد محور الرؤية الشعـرية في نهاية القصيدة.

ولكنـه الآن غارق في مفـارقات الـواقع، ويحـدد موقعـه فيه: لقـد أطلق الرصـاص على شمسه غدرا، وحين يعم الجهل، ويستبد اليأس بـالشخصية المعـاصرة في الـواقع، فقـد كان ذلك علـى أنقاض العلم والأمل. وإذا كـان انتسـاب الأمـــة إلى «عبس وذبيـــان» يعني البطـولـــة، ورفض الضيم، حيث استمرت الحـرب بينهما عشرات السنين بسبب واه، ظنه كل منهما امتهـانا، فهي الآن تتعرض لكل أنواع الامتهان.

ولكن الشخصية العربية مصـرة على أن تعيد تشكيل القيم، ليسود العدل والحريـة، وإذا كان الـواقع ـ كمقدمـة ـ يـؤكد تـرويع أحفاده؛ لأن المستقبل سيكون على شاكلته، وإذا كانوا سيجنون نتائج ليست من جنس المقدمات، حين يـزرعـون الحلم ويجنـون الذل، فقـد انطلق العمـلاق، ورفض العـذل والذم، وأصـر على إعادة تشكيـل عناصر الـواقع، وستكـون بعثًا قائمـةً على أساس العدل والخير، حين يتحول الطـوفان إلى روافد ماء تروي الأرض وتنبت الرخاء.

○ ○ ○

الهوامش

(١) عمـران محمد العمـران ــ ديـوان (الأمل الظامئ). من قصيـدة بعنـوان: (وقفـة أمام جبل طـارق). الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون. ط ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ص ٣٣٩.

(٢) السابق ص ٣٢١.

(٣) سعيد سعيد العوفي ـ ديوان ملاحم الشرق ط ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ص ٤٧.

(٤) إشارة إلى أبي عبد الله الأحمر آخر ملوك الأندلس، طرده المسيحيون، فلما بكى قالت له أمه:
ابك مثل النساء ملكًا مضاعًا   لم تحافظ عليه مثل الرجال

(٥) أحمـد سالم بـاعطب ــ ديوان ــ الروض الملتهـب. من قصيدة بعنـوان (صوت مـن الزنـزانة) الـدار السعودية للنشر والتوزيع ط ٢ سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ص ٧٥.

(٦) غازي عبد الـرحمن القصيبي ـ قصائد مختارة. من قصيـدة (معركة بلا رايـة) التي كتبها سنة ١٩٦٨م ثم ذكرها هنا تحت عنوان (بعد سنة) دار الفيصل الثقافية ط ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ص ٩٠.

(٧) غـازي عبـد الـرحمن القصيبي. ديـوان (الحمى)، من قصيـدة بعنـوان (لا تهيني كفني) الكتـاب العربي السعودي (٥٣) ط ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ص ١٠٤.

(٨) سمير الحاج شـاهين لحظة الأبـدية: دراسـة الزمـان في أدب القرن العشـرين. المؤسسـة العربيـة للدراسات والنشر. بيروت ١٩٨٠م ص ٣٦.

(٩) المرجع السابق ص ٤.

(١٠) السابق ص ٣٦.

(١١) مصطفى بدوي. دراسـات في الشعر، المسرح. الهيئة المصرية العـامة للكتاب. الإسكنـدرية، ط ٢، ١٩٧٩م ص ١٨.

(١٢) عمران محمد العمران، ديوان: الأمل الظامئ من قصيدة: (الفردوس المفقود) ص ٣٤٧.

(١٣) أحمد سـالم باعطب، ديـوان: قلب على الرصيف. من قصيـدة (الطوفـان). دار الرفـاعي للنشر والطباعة والتوزيع ط ربيع الأول ١٤٠٣هـ ـ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٨٣م ص ٨١.

العرب

بين "ما هو كائن" و"ما يجب أن يكون"

بقلم: د. صدقة يحيى فاضل

يمكننا القول إن هناك شقين رئيسين للواقع : الواقع «الوضع»، كما هو فعلاً «ما هو كائن»، والواقع كما ينبغي أن يكون في رأي المفكرين أو ـ اختصارًا ـ « ما يجب أن يكون »، فـ « ما هو كائن »، بالنسبة لأمة ما، في وقت معين، عبارة عن واقعها الفعلي ـ وليس المدعي ـ الاقتصادي والاجتماعي والأمني والسياسي، في تلك الفترة المحددة.

ولو تمعّنا النظر في ذلك «الواقع»، لوجدنا بالضرورة، ـ وفي الغالب ـ أن له شقًّا آخر، وخاصة في مخيلة المفكرين الموجودين في ذلك الواقع، أو الذين يعايشونه، وهو الشق الذي يتعلق بما ينبغي أن يكون عليه ذلك الواقع، أو «ما يجب أن يكون»، المرتبط بذلك الواقع.

وغالبًا ما يتضمن ذلك الذي «يجب أن يكون» إصلاحات جزئية أو كلية مقترحة، تتناول هذا الجانب أو ذاك مما هو «كائن»، وكثيرًا ما يشتمل على «بدائل» مقترحة، جزئية أو كلية، لما هو «كائن».

إن من سنن الحياة ـ في كل العصور ـ أن يوجد «ما هو كائن» جنبًا إلى جنب مع «ما يجب أن يكون»، وأن يتلازم الشقان، ولو لم يوجد «ما يجب أن يكون» ـ المتمثل في تصورات المفكرين والعلماء واقتراحاتهم وأحلامهم ـ لما تقدمت البشرية قيد أنملة، ولبقي الإنسان على سيرته الأولى منذ أن أوجده الخالق في هذا الكون، ولما كان هناك تقدم حضاري ـ إنساني يُذْكر.

ولكن إرادة الخالق بأن يكون الإنسان خليفة في أرضه، وأن يتولى هذا الإنسان «إعمار» الكون؛ حتمت وضع غريزة الطموح وحب الرقي والتطور في ذات الإنسان، ودفعته للسعي الدؤوب لتحسين مقامه في هذه الحياة الدنيا، وجعل وجوده أكثر يسرًا وسهولة.

لذلك، فطالما وجدت هناك حياة طبيعية ـ غير ملوثة ـ، فإن «ما هو كائن» لابد أن يتلازم مع وجوده «ما يجب أن يكون». فالإنسان السوي لا يمكن ـ بأية حال ـ أن يقنع بكل واقعه، وأن يقتنع بأن واقعًا ما معيّنًا (ما هو كائن) هو الوضع الأمثل على الإطلاق، وذلك مهما تواضعت الحصيلة الثقافية لذلك الإنسان، ومهما كان ذلك الواقع ـ ما هو كائن ـ حسنًا وخيرًا.

إن «ما هو كائن» يكون دائمًا قابلاً للإصلاح والتحسين والتنمية الإيجابية، وكيفية هذا التحسين لا توجد إلا في الشق الثاني، في «ما يجب أن يكون»، حتى إن المجتمع الذي يقنع بـ «ما هو كائن» مهما كان حسنًا ويتجاهل «ما يجب أن يكون» بشأنه، هو مجتمع يحكم على نفسه، وعلى أجياله القادمة، بالجمود والتخلف.

كما أن من يقول ـ بحسن نية أو سوء نية ـ بأن لا حاجة للمجتمع في التركيز على «ما يجب أن يكون»، والاكتفاء بالتمتع بـ «ما هو كائن» ـ ولو من باب الاعتقاد بأن ليس بالإمكان أبدع مما هو كائن أو كان ـ ، هؤلاء يحاولون ـ من حيث يدرون أو لا يدرون ـ إلغاء إحدى سنن الحياة، ورمي المجتمع ـ الذي نكب بانتسابهم إليه ـ في قيود الجمود، وطواحين التخلف، وغياهب الذل.

إن دعوة هؤلاء لابد وأن تقود مجتمعاتهم ـ إن أخذت برأيهم الخاطئ ـ إلى التأخر والضعف والهوان، فبينما يسير الأسوياء إلى الأمام، فترجع تلك المجتمعات إلى الوراء، والنتيجة أن تصبح المجتمعات المتخلفة ذليلة وضعيفة، تستعبدها المجتمعات المتقدمة، وتستهين بكرامتها، متى تشاء، وكيفما تشاء.

إن المثقف الحقيقي هو الإنسان الذي يعرف «ما هو كائن» في مجتمعه، معرفة شاملة وموضوعية، ويسعى لتقديم النصح لمجتمعه، متجسدًا في أفضل ما يجب أن يكون في رأيه، كبديل (جزئي أو كلي) لما هو كائن، ومهما كان «ما هو كائن» حسنًا وخيرًا فإنه يظل قابلاً للتحسين والتنمية الإيجابية. هذا اعتقاد راسخ لدى كل المثقفين الحقيقيين، لذلك يندر أن تجد مثقفًا حقيقيًا وهو راض ـ تمامًا ـ عن كل «ما هو كائن»، في مجتمعه، أو في سواه. وليس هذا لأنه لا يعجبه العجب، وإنما لأن المثقف الحقيقي لديه ـ دائمًا ـ ما يضيفه، من أفكار بناءة ومقترحات إيجابية.

وبذلك يصبح من العجيب أن يتبارى بعض ما يطلق عليهم اسم «المثقفون» و «المفكرون» في كيل المديح والثناء لـ «ما هو كائن» معين هكذا، وبدون تحفظات تذكر منهم، وسواء في مجتمعاتهم أو في غيرها، رغم كون ذلك الـ «ما هو كائن» سيئًا بكل المقاييس، وفاسدًا بكل المعايير. إن هؤلاء الذين يسعون ـ بمقولاتهم المنافية للطبيعة البشرية السوية ـ إلى تزيين الباطل وتشويه الحق، إنما يرتكبون في حق من يحاولون غشه جريمة شنيعة.

وفي وطننا العربي نجد أن معظم ـ وليس كل ـ «ما هو كائن» سيئ، بكل المقاييس، وخاصة في الفترة المعاصرة التي أطلق عليها ـ بحق ـ «العصر العربي الرديء»، أو عصر «الانحطاط العربي»، والملاحظ أن غالبية المثقفين العرب تُجمع ـ الآن ـ على صحة هذا التشخيص، وتعتبره إحدى الحقائق المؤسفة التي لا يمكن إنكارها.

لذلك، يقدح معظم المفكرين العرب زناد أذهانهم لاقتراح المخرج من هذا الوضع المشين والمأساوي وهكذا كثرت التصورات، وتعددت الاقتراحات، التي تندرج ضمن «ما يجب أن يكون»، ولكن يلاحظ وجود تخبط فكري في معظم التصورات، حتى أصبح السبيل غير واضح.

فحتى الآن، نجح أعداء الأمة في حجب النور عن طريقها للحيلولة دون

العرب

بين "ما هو كائن" و"ما يجب أن يكون"

اتفاقها على تصور شامل متكامل، نابع من ذاتها، وآخذ بكل وسائل القوة والمنعة الممكنة، يمثل «ما يجب أن يكون»، هادفين ـ أي الأعداء ـ الإبقاء على الواقع كائنا كما هو، بل وزيادته سوءًا حتى لا تقوم لهذه الأمة قائمة، وتمسي لقمة سائغة لذئاب هذا العالم وضباعه.

ومن سوء حظ العرب أن يظهر أناس منهم غايتهم البلبلة، وتكريس «ما هو كائن»، ولو كان جحيما وأداتهم الانسياق في ركب الأعداء، ضد أمتهم، فإذا قال العدو ـ مثلاً ـ عن فأر إنه فيل، سارع هؤلاء لإيهام الناس بأن الفأر فيل، بل قطيع من الأفيال!

وهكذا، ستمضي الحياة في معظم أجزاء العالم العربي إلى أن تشرق الشمس، ويأتي الفرج.

أهمية تحديد المصطلحات

ومن الطبيعي أن يهتم العرب ـ بفئاتهم الثقافية كافة ـ بما يجري في العالم، وما يدور حولهم، وبخاصة ماله تأثير مباشر على حياتهم ومصائرهم، وحاليًا يلاحظ أن هناك اهتمامًا كبيرًا، وخاصة بين المثقفين العرب، بأحداث العالم الراهنة، والواقع الدولي الحالي، من ذلك ـ مثلاً ـ اهتمام المثقفين العرب المكثف بـ«النظام العالمي» الراهن، أو ما يشار إليه بـ«النظام العالمي الدولي الجديد».

وكما يبدو، فلقد فاق اهتمام العرب بـ«النظام الدولي الجديد» اهتمامهم بكثير من الأحداث والوقائع السياسية الماضية والحاضرة، وذلك رغم أن العالم ـ منذ أن وجدت الدول فيه ـ لابد وأن يسود فيه نظام عالمي معين، لا ينتهي إلا ويبدأ عقبه مباشرة نظام عالمي آخر.

لذا، فإن «النظام العالمي» الراهن أو الجديد إنما وُجِدَ نتيجةً طبيعية لانهيار وأفول نظام عالمي سابق، وطالما وجد عالم، به دول مختلفة، فلا بد ـ كما قلنا ـ أن يوجد به «نظام عالمي» معين، أو يمكن تعيينه. ولكن لِمَ لم يهتم العرب بالأنظمة العالمية السابقة أو المحتملة، أو المتوقعة مستقبلا كما يهتمون الآن بما يعرف بـ«النظام العالمي الجديد»؟!

هذا سؤال قد تلقي الإجابة عنه بعض الضوء على الواقع السياسي العربي الراهن.

يمكن أن نرد هذا الاهتمام العربي المتزايد بـ«واقع العالم السياسي الحالي» إلى عدة عوامل، لعل أهمها:

١ ـ تصاعد القلق العربي، على مصير الأمة العربية ومستقبلها، في عالم اليوم والغد القريب.

٢ ـ السهولة الخارقة للاتصالات والمواصلات بين شعوب العالم، تلك السهولة التي جعلت من كل العالم بمنزلة «قرية صغيرة واحدة». فما يجري في مكان ما من العالم، يعرف فورًا ـ تقريبًا ـ في بقية أجزاء العالم الأخرى.

٣ ـ ترابط مصالح دول عالم اليوم وشعوبه، بشكل لم يسبق له مثيل من قبل، وذلك ناتج من السهولة الهائلة في وسائل المواصلات والاتصالات، والتقدم الكبير في هذا المجال، كما ذكرنا.

٤ ـ تزايد التساؤل العربي حول حقيقة وطبيعة «ما هو كائن»، في هذا العالم العربي والإسلامي.

٥ ـ كثرة التصورات الفكرية، العربية، المتعلقة بـ«ما يجب أن يكون» عليه وضع العالم العربي والإسلامي.

هذه العوامل، وغيرها، دفعت ـ دون شك ـ تصاعد اهتمام العرب وخاصة المثقفين منهم بالسياسة العالمية، وتزايد اكتراثهم بما يدور على هذه الكرة الأرضية المنبعجة، وتلك ظاهرة صحية تدل ـ ضمن ما تدل عليه ـ على تزايد الوعي الذي يعول عليه كثيرًا، في عملية التنمية الإيجابية في مختلف مجالات الحياة لهذا العالم العربي.

ولكن هذا الوعي الصحي المتزايد ينبغي تنميته هو أيضا، وترشيده، بحيث يسير في الاتجاه الصحيح، وعلى الطريق السليم، الذي يقود في النهاية إلى رفعة الأمة، وعلو شأنها. أما إن سار في دروب غير صحيحة، أو شُوِّهَ، فإن المحصلة النهائية له ـ بالنسبة للواقع العربي الحالي والمستقبلي ـ لن تكون إلا سلبية، ولن تكسب الأمة من هذا الوعي السياسي المتزايد غير المزيد من البلبلة، والضياع، و التشرذم، ومن ثم الضعف والهوان.

ولعل أولى سبل ترشيد هذا الوعي، وتوجيهه، في الطريق السليم، هو أن يعرف أصحابه الهوية والهدف، وأن تُبنى تحليلات المحللين على الصيغ الصحيحة المحددة لكل من الهوية و الهدف فمن نحن؟! وماذا نريد؟!

من المهم جدًا، بل من الضروري، أن نحدد ونوضح «**من نحن؟**» ومن ثم «**ماذا نريد؟**»، وقبل أن نحاول معرفة موقفنا الحالي والمستقبلي على الخارطة السياسية، لعالمي اليوم والغد، نترك الماضي للتاريخ، ولكن نستمد منه العبر، ونستلهم الحكمة والأمجاد. المهم أن نحدد بشكل قاطع الهوية والهدف، وأن نعرف هوية الآخرين وأهدافهم.

والأمثلة على عدم وضوح هذين الأمرين الحاسمين أكثر من أن تعد وتحصى، خذ مثلا، أولئك الذين يقولون إن النظام العالمي الفلاني أفضل من الواقع العالمي الفلاني، دون تحديد بالنسبة لمن؟! قد يكون قولهم صحيحًا، بالنسبة لوضع معين، أو فئة معينة، أما إن كانوا يقصدون الأمة كلها، فمن المرجح أن يكون استنتاجهم هذا أو ذاك، غير صحيح.

فقبل تقرير ما هو طيب، وما هو خبيث، بالنسبة لكذا، يجب أن نحدد المقصود بـ«كذا» تحديدًا مقنعًا. بمعنى آخر، يجب تحديد هوية وهدف «كذا»، و إلا فإن التحليل يصبح صحيحًا فقط بالنسبة لـ«كذا»، التي وجدت في بعض الأذهان، والتي يمكن أن تحدد من قبل الآخرين.

وغالبًا ما تكون «كذا» هذه، هي شيء آخر، غير الأمة، ولكن محاولة تصوير «كذا» بأنها الأمة تثير البلبلة في أذهان العامة ونفوسهم، بل وحتى في أذهان كثير من المثقفين ونفوسهم، خاصة مع اتضاح أن «كذا» المعنية ليست سوى فئة أو فئات معينة، ومعروف أن من أهم مصائب العالم العربي والإسلامي، هي كون حسابات بعض مثقفيه قائمة ـ عمدًا أو عفوًا ـ على ذلك الأساس.

فالتحديد مطلوب إذًا، بل وضروري، حتى يصبح التحليل منطقيًا وصحيحًا، وتكون نتائجه إيجابية، لا سلبية بالنسبة للأمة، وإن كانت (ربما) إيجابية بالنسبة لـ «كذا». إن طبيعة معظم الوضع العربي الراهن تحتم ضرورة إجراء هذا التفريق من قبل المتلقين - بصفة خاصة - لهذا الكم الهائل من الآراء حول أحداث العالم المختلفة.

العرب بين الكائن والمأمول

من السهل - كلاميًا - تحدي هويتنا، فنحن مسلمون عرب، وطالما الأمر كذلك، فإن شعب كل دولة عربية وإسلامية يصبح جزءًا من الأمة العربية والإسلامية الواحدة. ولا شك أن من الطبيعي أن يتطلع كل فرد لأن تكون الأمة التي ينتمي إليها هي من خير الأمم وأقواها، إن لم تكن أفضلها، ولا يكتفي بهذه الرغبة، وإنما يبذل كل فرد ما يمكنه من جهد، في الإطار السليم - الذي يضعه حكماء الأمة وعلماؤها - لكي تكون أمته في مصاف الأمم الراقية، حضارة وخلقًا.

ولكي ترقي الأمة، حضاريًا وأخلاقيًا، وتكون مرهوبة الجانب، عزيزة المكانة، لا بد أن تتحد، وأن تأخذ بكل سبل الرقي والنمو الإيجابي، في كل جوانب الحياة، السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية.

وبما أن العرب يمثلون الجزء الأساسي من العالم العربي والإسلامي، فإن اتحاد العرب أولاً يصبح ضرورة بديهية وحتمية، هذا إضافة إلى السهولة النسبية لتوحيد العرب أولاً، وقيام الاتحاد العربي من المحيط للخليج، يعقبه قيام تحالف إسلامي واسع، تمهيدًا لقيام التضامن الإسلامي الكبير المنشود من السنغال إلى أندونيسيا.

ولا يكفي الاتحاد بالطبع، لقيام أمة عظيمة، بل لا بد وأن تأخذ هذه الأمة بكل الوسائل التي تقود - بالفعل - للرقي والنمو الإيجابي، وذلك في ظل مبادئ العقيدة الإسلامية الصحيحة، ولعل من أبرز هذه «الوسائل»: تبني الصيغة الفيدرالية، وإقامة تنظيم سياسي - اقتصادي متين، يضمن حماية حقوق غالبية الشعب العربي، مع عدم الإضرار بالأقليات، وذلك في الإطار الدستوري العام، القائم على مبادئ الإسلام الصحيحة، ودون هذا المطلب، لن تقوم للمجتمع العربي قائمة. وكفى الأمة ما عانته من صنوف التسلط والاستبداد، على مدار تاريخها الطويل، لا سيما بعد أن ثبت - بشكل قطعي - أن الاستبداد هو - في معظم الحالات والظروف - كارثة تلحق بالمجتمعات التي تُبتلى به.

وبعد ذلك، سيكون على العالم أن يستقبل أمة عظيمة وعريقة. تلك هي الصورة المثلى العامة، التي يتمنى كل عربي مخلص أن يرى أمته عليها، ولو في المدى الطويل.

والحقيقة، أن دون تحقق هذه الأمنية الغالية الكثير من العقبات والصعاب، التي يمكن تقسيمها إلى قسمين مترابطين، هما:

- عقبات ذاتية: ناتجة من واقع الأمة العربية والإسلامية: الاقتصادي والاجتماعي الراهن، وطبيعة التكوين السياسي لمعظم الدول العربية والإسلامية.

- عقبات خارجية: تتجسد في العداء التاريخي الصليبي والصهيوني المعروف للأمة العربية والإسلامية، والسعي الحثيث للاستعمار والصليبية، للحيلولة دون أن يكون لهذه الأمة شأن يذكر.

وسواء أخذنا بهذا التحديد العام للهوية والهدف - التحديد مهم جدًا إذا أخذ المرء في اعتباره طبيعة التمزق العربي والإسلامي الراهن، أم بشيء قريب منه؛ فإن وضع العالم العربي والإسلامي «كما يجب أن يكون»، سيظل أمنية بعيدة المنال، إذا استمر «ما هو كائن» في العالم العربي على ما هو عليه، لأن معظم هذا الواقع الكائن لا يتوقع منه خيرًا، أو نفعًا، بل مزيدًا من التدهور والانحدار.

ودون الخوض في التفاصيل، فإن الواقع الراهن لمعظم العالم العربي والإسلامي - باستثناء بعض النماذج القليلة - هو واقع سيئ، بكل المعايير والمقاييس. وأهم مؤشرات سوئه هو هذا التشرذم والتفكك والتناحر بين أجزاء الأمة الواحدة، المصحوب بتخلف مشهود، في معظم جوانب الحياة، والمتجسد في المعاناة القاسية والعيش الضنك لشعوب معظم هذه الدول على الرغم من أنها تمتلك ثروات بشرية وطبيعية هائلة.

هذه حقيقة، يجمع عليها الآن معظم المراقبين، من العرب وغيرهم.

ما الحل ؟!

لا بد من حل إذًا، والسماء لا تمطر حلولاً. بدايةً، يجب التأكيد - بشكل حاسم - على الهوية والهدف، ومن ثم العمل على تحقيق ذلك الهدف. عبر مقاومة العقبات، وقهر الصعوبات المعروفة، ليصبح النموذج الأمثل - المتفق عليه - هو الغاية الكبرى، في المدى الطويل، وتَضْحَى صيانته وحمايته وتطويره، بشكل مستمر، ومتواصل، هي قضية المفكرين والقادة وشغلهم الشاغل، وعلى مر العصور.

إن اتحاد العرب، ونموهم بشكل إيجابي، سيجعل منهم قوة محترمة في أي واقع أو نظام عالمي. لقد أصبح من الثابت والمسلم به، أنه لكي يكون للعرب مكانا، في عالم اليوم والمستقبل، فإن على العرب أن «يطبعوا» أوضاعهم الشاذة ويتحدوا، ولا سيما أن الاتحاد العربي هو أساس الوحدة الإسلامية الكبرى المأمولة.

لقد تجرع العرب - نظرًا لضعفهم - قدرًا كبيرًا من المرارة، في ظل الأنظمة العالمية السابقة. ويتوقع أن يسقيهم «النظام العالمي الجديد» الحالي المزيد. والواقع، أن من مصلحة العرل - باعتبارهم أمة مميزة ومتميزة - أن يتحول المنتظم الدولي الحالي إلى نظام التعدد القطبي، إذ إن ذلك سيسهل التحلل من ربقة الأقطاب المعادية، عبر إمكان الاستعانة - الحذرة - بالأقطاب الأخرى، للتصدي للمناورات العدوانية المعروفة، المضرة بالمصلحة العربية العليا. غير أن حال العرب لن تتغير كثيرًا، في ظل أنظمة عالمية أخرى، ما داموا على ما هم عليه، في الوقت الحاضر.

وحتى تتطبع الأوضاع العربية الشاذة، فإن المنطق يقتضي - عند محاولة معرفة تأثير وضع عالمي معين على الأمة العربية والإسلامية - تحديد شيئين، قبل التكهن عن أثر ذلك الوضع وتأثيره: إذ يجب في البدء تحديد الطرف العربي المعني، ومن ثم تحديد أهم الأطراف الفاعلة، في النظام أو الوضع العالمي المعني، وموقف تلك الأطراف وسياساتها، نحو الأمة ككل، وكأجزاء، وفئات.

وبدون ذلك التحديد والتوضيح، يكون التحليل مضللاً، والاستنتاج خاطئًا.

الحداثة ومحنة التقليد

بقلم: يوسف فجر رسلان

تروج في العالم العربي دعوات إلى مراجعة التراث من أجل تطويره وتحديثه، وهي - مبدئيا - دعوات مشروعة إذا تناولت صنائع البشر في الحضارة والثقافة معا، لأن ما يصنعه البشر قابل للتطوير والتحديث ما بقي البشر.

ويجيء البديل المقترح عندنا مقبولا أحيانا، ومتجاوزا التراث تجاوزا إيجابيا أحيانا أخرى، وهذا - في الغالب - نادر جدا، فيما يجيء أكثره متراجعا ممسوخا قياسا إلى الأصل التراثي.

وفي هذه المقالة أتناول واحدا من البدائل المحدثة، قد يكون أكثر أجناس الثقافة هزالا وتراجعا، ألا وهو **الحداثة الشعرية المعاصرة** المطروحة بكل عبئها الثقيل على ذوق أمتنا العربية. على أن أصابع الإدانة والاتهام لا تزال توجه حتى الآن إلى أنماط رديئة محددة منها، ولا تتجاوزها، **كقصيدة النثر وقصيدة البطاقة، واللقطة، والومضة، والأنساق ومطولات الشعر الحر أو المرسل**، وما يرافق ذلك من خروج على الأصالة ومروق من ضوابط النظم، ومن تجاوز اللغة نحوا وصرفا، حيث يتم ذلك بدعوى حرية الشاعر في أن يقول ما يشاء وكيفما يشاء.

تلك هي الحالات والأنماط المشهورة المدانة إلى الآن فيما نسميه حداثة شعرية مزيفة، لكن حالة التلبُّس الجديدة التي أقف عندها على الخصوص، هي ما يسمى **ظاهرة النص غير المقروء وهي ظاهرة غربية، فرنسية المنشأ تحديدا**، تأخذ بألباب المقلدين، من راكبي موجة الحداثة الشعرية المزيفة.

علاقات مشبوهة

وإنه لمن المؤسف أن تمتد الحداثة المزيفة إلى هذا الطول والعرض الذي نشهده في صحف ومجلاتٍ عربية كثيرة، حتى إن بعضها يتبنى تلك الحداثة بشكل كامل، ويعقد لها المسابقات، ويدفع لها بسخاء، ولا يقبل القائمون عليها أي جوار أو قرابة، أو صلة رحم مع الشعر العربي الأصيل، **حتى باتت القصيدة الخليلية عندهم عارا على أصحابها في هذا الزمان الصعب**، زمانِ تَرَهُّل القرائح والضمائر - عند الأدعياء والمشبوهين - وانعدام التوازن، والشعور بالدونية، عند رهط ينقلب في مفهومهم قطبا المعادلة، فيحسبون الغرب متقدما في الشعر وأمتهم المتخلفة، ولما **كان كُتَّاب الحداثة المزيفة لا يملكون شرط الكفاية من الملكات والشاعرية فقد انشغلوا بالبحث عن أساليب نشر بضاعتهم وتسويقها**، وكانت وسائلهم إلى ذلك علاقات غير موضوعية مع بعض مسؤولي المؤسسات ودور النشر في مواقع يُعَيَّن فيها المسؤولون بقليل من الحرص والشعور بالمسؤولية، ودونما اهتمام بالميزات الفنية.

إنها لمحنة حقا أن ينبذ شعرنا العربي الأصيل من قبل أبناء الأمة ببديل هجين ترفضه أذواقنا، لأن التحلّل من جزء مهم من تراثنا مقدمة للتحلل من جملة التراث والأصالة، **إنه تحلل من شخصية، وفي شخصية الأمة**، صحيح أنه يتفشّى حاضرا بالمقلدين، لكن عدواه على الناشئة قائمة وممكنة، وسيبقى خطر هذا البديل المزيف ماثلا، ما لم تتجرد له الأقلام الحريصة الجادة، إن الصِّيني ليفخر بشعر أجداده المنظوم في القرن السابع عشر (١) قبل الميلاد، ويسمي الغربيين برابرة الشعر والثقافة والسلوك، فيما نجد المقلدين عندنا ينبذون شعرنا الأصيل، ويأخذون بكل ما يقدمه الغرب من ترهات وفوضى وصرعات أدب اللامعقول.

ولقد وجدنا من تتبُّع الحداثة الشعرية المعاصرة تيارين يعملان على نشرها وتعميمها هما:

١ - **تيار مشبوه مرتبط بجهات أجنبية معادية للعروبة والإسلام**، تسعى إلى تقزيم المجتمع العربي عن طريق تشويه فكره وثقافته ولغته وتاريخه ومعتقداته وذوقه وحسه الجمالي.

٢ - **تيار تابع مقلد لشعراء الغرب**، يخدم أغراض التيار المشبوه عن دراية أو غير دراية.

وأكتفي بالإشارة إلى التيار الأول مذكرا بأن الجهات المتآمرة على أمتنا كانت وما زالت تنشئ دور النشر، وتصدر الصحف والمجلات لنشر كل ما هو مارق من الذوق العربي ومن أصالة اللغة، وكل ما يصدع الأخلاق العربية الإسلامية. ولا بد من أنَّ النقاد المتتبعين لحركة الحداثة المعاصرة يذكرون كيف كان الشبان المبتدئون يتعاملون مع مجلتي **«شعر»** و **«حوار»** اللتين كانتا معروفتين بارتباطهما المشبوه، وكيف كانوا يتباهون بنشر

تفاهاتهم ومزقهم تحت اسم «البطاقة» التي هي جمل مفككة ركيكة بلا رابط لغوي أو ضابط وزني.

التقليد الأعمى

لقد ظن أولئك الشباب أنهم ركبوا سفائن الحداثة، ولا سيما أن ذلك يأتيهم مجانا، أو بأقل ما يمكن من الجهد والمثابرة والتشبع بروح لغتهم. أفاقوا على الكتابة والقراءة فإذا هم شعراء، ولما **كان مستحيلا على النفوس الخاوية أن تفيض شعرا فقد عمدوا إلى تقليد الغرب مُدَّعين أنهم يطورون الشعر العربي ويحدثونه،** ولا يفوتنا ما لشعار الحداثة من بريق في أمة عملت كل الأسلحة على تخلفها، ولهذا توهم المشبوهون والمقلدون على السواء أن أمتنا يمكن أن تأخذ بأية حداثة.

ـ وإذا كنت سأتناول التيار المقلد التابع كموضوع لمقالتي فإني سأمسك به من رأسه، ومن هنا فقد وقع اختياري على كبيرهم **أدونيس**:

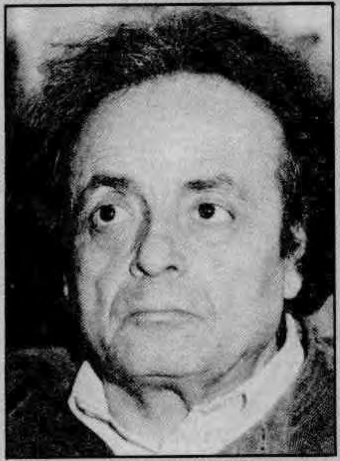
لقد كانت الأبواب مفتوحة أمام هذا الرجل، فإضافة إلى مجلته **«مواقف»** كانت مجلة **«شعر»** تفتح له أذرعها، إذن فالساحة واسعة، والصفحات جاهزة لتسويق أي نتاج مارق من الأصالة.

ـ أرجو ألا يؤخذ القارئ بضلالة الأسماء الجاهزة فيقع في أغلوطة الرأي المسبق، ونحن نعرف أن لهذا الرجل اسما رنانا، وأنه مسوَّق على النطاق العربي، بل والعالمي، ولكن دعونا نتأمل في بعض الطقوس من حداثته الشعرية التي جعلت منه كاهنا في الحداثة عند أصحابه ومريديه منتهجي طرائق الغرب كائنة ما كانت.

أ ـ الدعوة إلى استخدام العامية في الشعر:

تأرجح أدونيس في سنوات خصوبة اللقاء مع مدرسة مجلة «شعر» **بين تأييد هذه الدعوة والتراجع عنها،** ثم صرف النظر عنها فيما بعد، **بينما استمرت مجلة «شعر» بالدعوة إليها، يؤازرها نفر من أقطاب الحداثة المقلدة، والحداثة المشبوهة** على حد سواء **سعيد عقل، يوسف الخال** وغيرهما. ويظهر في هذه الدعوة التآمر على اللغة العربية، تلك التي سمكت وحدة العرب، وأمسكتها أن تميد، لكن بريق شعار هذه الحداثة العارض المضلل لم يصمد أمام الإعجاز والإعجاب والإيمان بلغة كتاب الله العزيز، كما لم تصمد من قبل جميع الحملات والدعوات التنصيرية وأمثالها أمام أصداء كلمات الله سبحانه، ترددها المساجد والزوايا والكتاتيب بكل البساطة والجلال والمهابة.

ب ـ قصيدة النثر لم يقف أدونيس منها موقف المجابهة أو الرفض، بل إنه كتبها في مراحل مختلفة، وأغرق فيها إغرابا وتغريبا وتهجينا، وأغلب الظن أنه ما فعل ذلك إلا لأن قصيدة النثر يمكن أن تكون حلقة الوصل بين الشعر المقلد من جهة والشعر الغربي المشبع بالصرعات المنافية للذوق العربي من جهة ثانية، وخاصة الشعر المترجم منه، والذي يمكن أن يكون الصنف الرديء المُسَوَّق عندهم على طريقة ما يُسَوَّق في بعض أقطارنا على نطاق واسع، أريد أن أقول: إن أدونيس ما كتب قصيدة النثر إلا لأنها يمكن أن توصله إلى العالمية، التي طالما سعى إليها، ولو على أي درب.



أدونيس: لقد صار غيره عالميا دون التنكر لثقافة أمته وأصالتها

○ أمِنْ أجل أن يصير أدونيس عالميًا يقلّد أسوأ التجارب الشعرية الغربية ويتنكر إلى أصالة الشعر العربي؟

ج ـ ظاهرة النص الشعري غير المقروء [٢]:

إن أبرز ما يميز أدونيس في صرعات الحداثة المقلدة هو **قفزاته النوعية في الانتقال إلى الأشكال الشعرية الغربية «الأحدث» والأكثر غرابة وتغريبا.** ومن الأمثلة على ذلك انتقاله المباشر في بعض قصائده إلى الكتابة بطريقة **«النص غير المقروء»** الفرنسية حين ظهورها في الغرب، دون أن يعرج على طريقة الشاعر الفرنسي الآخر ريفيردي على الرغم من إعجابه بكل ما هو فرنسي في شؤون الشعر، وعلى الرغم من أن طريقة ريفيردي كانت أيضا إحدى الصرعات الحديثة في الشعر ـ التي سيأتي ذكرها ـ لقد اختار أدونيس طريقة النص غير المقروء، لأنها أكثر غرابة وتفلتا من الضوابط والنظم، إذن هي من وجهة نظره ونظر تياره المقلد أكثر حداثة ومعاصرة.

وأكتفي باجتزاء مقطع من قصيدة مطولة كتبها على طريقة النص غير المقروء، لأن هذا المقطع يعبر عن القصيدة بل وعن الطريقة بكاملها، يقول أودنيس:

«أغني

لغة النصل أصرخ انثقب الدهر وطاحت جدرانه بين أحشائي تقيأت لم يعد لي تاريخ ولا حاضر/ أنا الأرق

الشمس

والفوهة الخطيئة والفعل انتظرني يا راكب الغيم أشيائي تغوي والشمس تخبط أطرافي أنا الساكن المدى والمزامير أنا الغصن لاجئا» [٣].

دعونا نسأل: هل يمكن أن نعتبر هذا الكلام شعرا؟ بل، وهل يمكن أن

الحداثة ومحنة التقليد

نعتبره نصا نثريا؟ إنه ـ بالمقاييس اللغوية ـ نص نثري مفكك لفقدان الروابط اللغوية بين الجملة والأخرى، ولفقدان علامات الترقيم من النص ومن القصيدة بكاملها، وهذا هو جوهر الحداثة عندهم في ظاهرة النص غير المقروء أما من حيث نواظم الشعر وضوابطه ـ إضافة إلى المقاييس اللغوية ـ فهو مارق منها تماما، إنه، بالمحصلة، **عدد من الجمل غير المترابطة، وغير الملتقية على تقديم موضوع محدد، وإن كانت تحوم حول موقف وجوديٍّ هو موقف المحنة والسأم والعدمية والاحتضار، لا موقف التحفز نحو الحياة وتجاوز المحنة، إنه الكتابة بطريقة الشتات التي لا تقدم شعرا، ولا تفيد نثرا، ونحن نجد التفكك والشتات واضحين في شكل النص وفي مضمونه على حد سواء.**

فمن أجل أن يقلد الظاهرة الفرنسية المذكورة أهمل علامات الترقيم عامدا، حتى وإن ضيَّع الحدود بين الجمل وميَّعها، وهو من أجل التقليد ألزم نفسه بإغفال أدوات الربط وعلامات الترقيم بلا مبرر غير التقليد، وأنت كقارئ تستطيع بعدئذ البدء بالجملة من حيث تريد، لتنهيها أيضا حيث تريد (٤).

وأنت لذلك تستطيع أن تأخذ بدلالات الجمل، بعد تركيبها من قبلك، وفقا لاختيارك الجمل بدايةً ونهايةً، من فاعل ومفعول به، ومبتدأ وخبر، وصفة وحال. . . إلخ.

ولقد وجدتُ أحد النقاد في **مجلة «عالم الفكر الكويتية»** يقدم خمسة أشكال ـ فقط ـ في قراءة جزء من النص المذكور، وحمدت الله على أنه لم يفعل ذلك بالنص كله، ولو فعل لقدم لنا عشرين شكلا، بل ووجدته مادحا ومنوها بأنها ليست الأشكال الوحيدة الممكنة في قراءة ذلك الجزء من النص (٥)، وبالعودة إلى النص نجد أن جمله لا تنساب في كلٍّ يركبها، كلٍّ يريد الشاعر إيصاله إلى القارئ والسامع مرمَّزا أو غير مرمَّز، فالقطع والوقف مع تمييع الحدود يمزق الشحنة النفسية، ويحيلها إلى كُتَلٍ غير متجانسة من اللفظ والأفكار والصور والانفعالات المشتتة، وهي بالمدلول الداخلي مجموعة غير متجانسة من الزفرات، يوزع القارئ توجهاتها كيفما أراد. فهل هكذا تُفجَّر الكلمات في الجملة الشعرية؟!

أمن أجل أن يصير أدونيس عالميا يقلد أسوأ التجارب الشعرية في الغرب ويتنكر إلى أرفع فنٍّ تعتَدُّ به أمة العرب؟ لقد صار غيره عالميا دون أن يتنكر لثقافة أمته أو يمزق من أصالتها، بل لعلهم من أجل ذلك كانوا أكثر احتراما في نظر الغربيين أنفسهم.

ولقد درج كُتَّاب الحداثة المزيفة، وفي مقدمتهم التيار المقلد، على تسمية نتاجهم إبداعا، فلنبحث عن الإبداع في النص الذي ندرسه وهو من أحدثِ نهجٍ لأبرزِ واحدٍ فيهم:

لقد تكلف الشاعر اقتناص الكلمات والعبارات الجافية الفجَّة المدجَّجة بأثقال الإغراب والتغريب، ومن النمط الذي لا يثير في النفس غير السأم والغثيان، والمخاوف والفزع من إنسان وعلى إنسان يتفجَّع ويتوجَّع أمامك حتى الهلاك «تقيأت، طاحت جدران الدهر بين أحشائه، الشمس تخبط أطرافه» فالخبط والتطويح والأحشاء والتقيؤ والانثقاب، ألفاظ كتيمة لا ينبجس منها الشعر. خاصة إذا كان ما يثقبه الشاعر هو الدهر، وإذا كان ما يريده أدونيس بهذه المغلَّظات من الجمل الشعرية خَلْقَ حالة من الانبهار وشد الانتباه، فهي فعلا تشد الانتباه، ولكن إلى الحسرة والمرارة والانقباض والاكتئاب وفقدان الرجاء وجودية سلبية مفعمة بالمرارة.

على أن **الشاعر المطبوع لا يحتاج إلى التهويل والتضخيم وتكلف الانفعال، واصطناع المصاعب والمصائب والهم والسقم والغم والنكد لإقناع القارئ أو لإيهامه بأنه شاعر.** إن القارئ الذواقة ـ وهو أيضا مفطور ومطبوع ـ يواكب دفق شحنات الشاعر النفسية الصادقة، دون أن يضطره إلى تطنيب أوداجه، وشد أشداقه، وتوسيع أحداقه، وتقليب آماقه، وتسعير حملاقه، أو إلى قذف آذان القراء والمستمعين بركام من الألفاظ الغليظة الفجة المهولة.

لقد أشرنا من قبل إلى صرعة أخرى من صرعات الشعر الفرنسي، وهي طريقة الشاعر **ريفيردي**، ونذكر الآن أنها لا تختلف كثيرا عن ظاهرة النص غير المقروء، بل ربما كانت الثانية تقليدا للأولى لأن صرعة ريفيردي أقدم عهدا.

تقوم هذه الطريقة على استخدام فراغات بيضاء محل علامات الترقيم، أي إنها لا تهمل علامات الترقيم تمامًا، بل تهمل دلالاتها، فهي تحدد للقارئ بداية الجملة ونهايتها تاركةً له تحديد دلالة الفراغ، أهو التعجب أم الاستفهام أم التساؤل أم الفاصلة أم الوقف . . . إلخ.

«لقد استبدل ريفيردي بالترقيم أو علامات الوقف نمطا من الفراغات البيضاء» (٦) أما طريقة النص غير المقروء فقد أهملتها تماما على الرغم من أهميتها في جميع لغات العالم، وفي أي نوع من أنواع الكتابة.

ولقد رأينا كُتَّاب التيار المقلد، شعراء ونقَّادا، يتصرفون بالأشكال الشعرية على هواهم، لكن طريقة النص غير المقروء أكثر أشكالهم وأنماطهم مروقا من ضوابط الشعر، لقد حرروا شعرهم ـ قبلا ـ من القافية والروي والوزن والرابطة اللغوية، وهاهم أولاء ـ بطريقة النص غير المقروء ـ لا يخرجون من ضوابط الشعر وحسب، بل ومن منهجية الكتابة، أيَّة كتابة لأن رشق الكلمات على الأشطر كيفما اتفق يؤدي إلى خلل في تساوق الأفكار والصور، وليست صحيحة دعواهم بأن لغة الشعر خارجة عن لغة الفكر، **فما من فعل إنساني لشخص طبيعي إلا ويصوبه العقل**، وليست صحيحة دعواهم بأن النص غير المقروء يكسب القصيدة ثراء في المعاني والصور، لأن الكتابة بهذه الطريقة تشويش يعبر عن خلل في الانفعالات، إن لم يكن مُتعمدا، وعن سوء نية، إذا كان متعمدا لإيهام القارئ بعبقرية الشاعر وفوقيته، وهي في الحالين تعبر عن فساد الوسائل والأدوات والملكات، وعن سوء السلوك أحيانا.

د ـ أدونيس والسأم الوجودي:

صحيح أننا نجد في المقطع الشعري لأدونيس، أو في القصيدة كلها موقفا نفسيا على نحو ما، لكنه موقف المحنة المستمرة والسوداوية



سعيد عقل ويوسف الخال : أبرز الداعين إلى استخدام العامية في الشعر

○ تياران يعملان على نشر الحداثة الشعرية المعاصرة : تيار مشبوه معادٍ وتيار تابع مقلّد .

المفرطة، على طريقة اللامعقول الغربية في الأدب، أو اللامنتمي أو الموقف الوجودي بأسوأ ما فيه، أقصد **الرفض والشك والسأم والتحلل من النظام، كل نظام، دون تقديم البديل الإيجابي**، وكنا نتمنى أن نجد مثل تلك البدائل الإيجابية في وجودية أدونيس، لا أن تكون وجوديته سلبية انهزامية دائما، على أن في الوجودية الغربية بعامة، والفرنسية بخاصة، بعض البواعث والمواقف الإيجابية، لكن أدونيس لم يقلد غير السلبي منها :

الوجودية شر كلها

دعونا نضبطه متلبّسا بالحالة الوجودية السلبية وبحالة التقليد معًا، وقبل أن نفعل ذلك نحب أن نوضح للقارئ أن النص الذي نحلله في هذه المقالة ليس أسوأ مقطع في قصيدة أدونيس، وأننا ما اخترناه كمثال على ظاهرة النص غير المقروء إلا بعد أن اختاره ناقد معجب بالطريقة وبأدونيس معًا.

فبالعودة إلى النص المذكور، ومن تحليل مضمونه، وسبر الخلفية النفسية التي أنتجته، وبعيدا عن التمييز بين الشعر والنثر من الناحية الشكلية، **يمكننا أن نرصد حالة السأم الوجودي السلبية التي أراد الشاعر أن يتكلفها بأغلظ الكلمات وأثخن المسالك اللغوية وأخشنها، حتى لا تكاد الكلمة تنسلك بخيط ضمير المتكلم، الذي يرافق القصيدة كلها، إلا بولادة عسيرة**، تندر فيها حالة الكلمات التوائم، والجمل التوائم التي تكوّن أسرة شرعية هي القصيدة، أقول يمكننا أن نرصد حالة السأم الوجودي السلبية عند أدونيس من جملة واحدة من النص كافية للدلالة على ذلك، وهي قوله : **(الأرق الشمس)** :

فالأرق، لغةً، هو من متعلقات النوم، وإنما يكون النوم وما يتعلق به من أرق وسهاد وغيرهما حالاتٍ تعرض للإنسان ليلا، في الحال الطبيعية ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ النبأ ١٠، أما أدونيس فقد تكلّف استخدام الوضع أو المحلّ أو الزمانِ المناقضِ للوضع الطبيعي، وهو الشمس، مستعيرا من حالاتها وضعًا تكون فيه كالثابتة على قيظها وموقعها، مما يوهم بالركود والرتابة والسأم وتوقف الزمان، وما وجدنا شاعرا أو كاتبا من عباقرة الأمة يستخدم لفظة الأرق إلا بتوأمتها مع الليل.

ويكمل أدونيس دائرة الأنساق ــ كما يحلو لهم أن يقولوا ــ أو **دائرة التَّلَبُّس** بحالة السأم الوجودي عندما يستخدم لفظ **التقيؤ**، وإليكم البيان :

١ ـ تحير مترجمو الوجودية باللفظ العربي المساوي للمبدأ الوجودي المسمى بالفرنسية (Nausée) (٧) أهو **التقيؤ**، أم **التقزز**، أم **القرف**، أم **الاشمئزاز**؟ وقد اختار **بولس سلامة** منها لفظ **التقيؤ** عنوانا لفصل في كتابه **الصراع في الوجود** الذي كرسه لدراسة الوجودية، بعد أن وجده أكثر انطباقا على الوجودية الفرنسية الملحدة.

٢ ــ كان من مؤلفات **سارتر** و**ألبير كامي** كتب عُنْوِنت **بالسأم والغثيان والطاعون**، فضلا عما يندرج فيها من قلق وشك ورفض وأرق وإلحاد، وهي جميعا مبادئ ومصطلحاتٌ في الوجودية الملحدة، والوجودية المؤمنة على حد سواء ـ إذا استثنينا الإلحاد من المؤمنة ــ ولا تكاد تخلو قصيدة لأدونيس من هذه النِّعَم.

ومن المفيد أن نذكر النقاد، وأن نوضح لأجيالنا من الشبان المبتدئين في مجال الشعر والأدب أن **الوجودية مرفوضة منبوذة من فكرنا العربي الإسلامي ؛ لما تشكله من خطر على قيمنا مشمولة في هذا الرفض ؛ لأنها ـ بعد استثناء مسألة الإلحاد ــ لا تكاد تختلف بشيء عن الوجودية الملحدة**.

وعليه، فنحن لم نختر أدونيس لشخصه، بل اخترناه لوجوديته، كما اخترناه لأنه يمثل التيار المقلد التابع بكل عيوبه وزيفه ومروقه من الأصالة، كما اخترناه لأنه قَبِلَ ذات يوم أن يكون عنصرا مضافا إلى التيار المشبوه المتآمر على لغتنا وأصالتنا وذوقنا العربي، فشكل مع ذلك التيار ما عُرف بمدرسة الرفض، وسخَّر مجلته «**مواقف**» لتكون ظهيرا لمجلة «**شعر**» **ومجلة «حوار»** اللتين أغلقتهما الحكومة اللبنانية في أواخر الستينيات من هذا القرن، بعد افتضاح ارتباطهما بجهة أجنبية تتآمر على تراثنا الثقافي والفكري والأخلاقي، وعلى اللغة العربية بشكل خاص. ويدرك القارئ خطورة هذا التآمر، لأنه يعرف أن اللغة العربية هي لغة **القرآن الكريم**، ولغة تراثنا كله. وأنها هي التي حفظت للعرب وحدتهم ـ ولو من الناحية النظرية أحيانا على الرغم من جميع عهود التمزق والضياع.

مراجع وهوامش

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة. مج ٤ . ط ٣، ص ١٠ و١١.

(٢) مجلة عالم الفكر، (الكويتية فصلية) العدد الثالث، سنة ١٩٨٨ . ص ١١٢.

(٣) المرجع السابق ص ١١٠.

(٤) المرجع السابق ص ١٠٩.

(٥) المرجع السابق ص ١١٠ و١١١.

(٦) من مقالة مترجمة للناقد الفرنسي أندريه مالرو، جريدة الأسبوع الأدبي (سورية) العدد ٢٠١، سنة ١٩٩٠م. ص٩.

(٧) بولس سلامة، الصراع في الوجود. ١٩٥٦م، ط ١، ص ٣٢١. (والكتاب مكرس لدراسة الوجودية).



ذكرياتي مع "عبد العزيز السالم"

انطباعات ومفارقات أدبية

بقلم: علي محمد العمير



عبد العزيز السالم

لا أذكر أنني صادفت قارئا دقيقا، واسع المتابعة، متعدد الاهتمامات مثل صديقي وأخي الأستاذ عبد العزيز السالم، حيث تمتد علاقتي به منذ عرفته عام ١٣٨٢هـ، في منزل الأستاذ عبد العزيز الرفاعي قبل وجود «الندوة الرفاعية» بفترة وجيزة. أي إن علاقتي به قد مضى عليها أكثر من ثلاثين عاما عرفت الكثير - من خلالها - عنه.

ولطالما أدهشني بالكثير جدا من اهتماماته الأدبية الواسعة، فربطني ذلك به إلى حد بعيد.

ولعل ما يميز هذا الربط أو تلك العلاقة أننا كثيرا ما نتهادى المعلومات، والآراء، وخصوصا من جانبه، حيث يتعاهدني - بين حين وآخر - بإرسال جذاذات المقالات المنشورة في صحفنا ومجلاتنا، أو في الصحف والمجلات العربية مما يعرف مدى اهتمامي به.

كما نتهادى المعلومات عن الكتب الصادرة حديثا. ولكن من العجب حقا أنني - في كثير من الأحيان - عندما أخبره بصدور كتاب جديد أجده قد سبقني إلى اقتنائه، ثم نهشه بالقراءة فأحتار معه تماما!

وكان ذلك مما يذكرني دائما بطرفة ظريفة، وهي أن أحد كبار الفلاسفة - نسيت اسمه - حضر صالون العقاد، وبالصدفة كان الحديث ذلك اليوم عن الفلسفة، فكأن ذلك الفيلسوف الكبير قد أراد أن يبهر العقاد بسعة اطلاعه، ومتابعاته الدقيقة لأحدث ما ينشر، فقاطع حديث العقاد ليقول له:

- هناك أحد الكتب الفلسفية المهمة جدا تحت الطبع الآن ثم ذكر عنوان الكتاب.

وبكل هدوء نادى العقاد خادمه، أو رفيق دربه الطويل، وطلب منه المجيء بالأوراق الموجودة على السرير، فلما جاءته أمسك بها رافعا يده، وهو يقول لذلك الفيلسوف المتعالم:

- هذه - يا مولانا - آخر ملزمة وصلتني من الناشر!

ونعود - بعد هذه الشطحة - لأروي آخر ما حدث لي مع الأستاذ السالم من هذا القبيل، حيث حصلت - منذ مدة قريبة جدا - على كتاب فريد في موضوعه، وتناولاته، ومعالجاته - بجسارة علمية كبيرة لافتة للنظر - مسألة من أخطر المسائل أو المشكلات التي تمور الآن في العالم الإسلامي، والتي ربما تتسبب في تحولات كثيرة، وربما تنطفئ كما انطفأ غيرها!

وقد أردت أن أخبر الأستاذ السالم عن الكتاب كما هي العادة، ولكني تريثت قليلا حتى أنتهي تماما من قراءته، واستيعابه، ولكنني علمت - بالصدفة - أن الصديق العزيز قد قرأ الكتاب، بل قد درسه، لا بل (هرسه) أيضا!

أما أنا فكنت قد ناوشت الكتاب - مجرد مناوشة - الفهارس، المقدمة، ثم القليل من المسائل تمهيدا للقراءة الشاملة فيما بعد، وذلك هو ما أفعله دائما مع أي كتاب. وكنت ما أزال عند هذا الحد، فثار عجبي الشديد من هذا السالم اتصلت به هاتفيا لأخبره عن «خيبتي» معه من اطلاعه على الكتب قبلي رغم أنه حديث الصدور، فضحك برنة خاصة - كما هي عادته - مع «قفشاتي». ولكنه - على غير عادته معي خصوصا - سرعان ما صرف الحديث عن ذلك. ففهمت - بوضوح - أن تواضعه الشائع الذائع هو الذي دفعه إلى ذلك، رغم معرفته - يقينا - بأنني شديد الضن بثنائي، اللهم إلا في موقعه.

وهو - كذلك أيضا - شديد الضن بثنائه، وإذا بذله فلا يكون إلا حيث يكون الإنصاف.

وأعود - بعد هذه الطرفة الحديثة - إلى الذكريات القديمة لأشير إلى أني - بعد معرفتي به شخصيا - عرفت مدى اهتماماته الأدبية، ولكني لم أكن قد عرفته كناقد أدبي يتابع أحدث مناهج النقد العالمية الحديثة متابعة جيدة، حتى فوجئت بمقالة مطولة له في ملف ثقافي خاص أصدرته مجلة «اليمامة» بتاريخ ١٢/ ١١/ ١٣٩٢هـ احتل عشر صفحات كاملات، وكان عنوانه:

«مركب النقص عند بشار وأثره على نفسيته».

وكان منهجه النقدي في تلك المقالة هو منهج «التحليل النفسي»، وقد بهرني ذلك كثيرا حيث لم أذكر حتى ذلك الحين (قبل ١٧ عاما) أنني قد

قرأت لأي ناقد سعودي غير النقد على طرائق المتقدمين، أو القليل من النقد «الانطباعي» أو «التذوقي» أو نحو ذلك.

أمّا «التحليل النفسي» في النقد الأدبي، فقد كان من أحدث ما وصل إلينا هنا في عمق الجزيرة من مذاهب الغرب، وهو مما «يكشف الملامح التي توضح اتجاه المؤلف في أثره...»[١]، ومن ذلك «العناصر النفسية التي تكون شخصية المؤلف من حساسية مفرطة أو برودة في العاطفة أو جدة في الخيال أو عمق في الفكر... إلخ»[٢].

ومن الطرافة أو المفارقة العجيبة أن «الملف الثقافي اليمامي» قد نشر لي - جنبا إلى جنب مع الصديق السالم - دراسة مطولة عن «أعشى قيس» دون اتخاذ منهج محدد بذاته، ولكن المفارقة ليست هنا، بل في اتفاق موضوعاتنا عن «أعمى» و«أعشى»!

«أديب أقمناه مقام الوالد»


محمود شاكر


العقاد

ولا أظنه نشر بعد ذلك شيئا باسمه الصريح، غير أنه - كما لا يعرف الكثير من الناس - يواصل مشاركاته الأدبية والنقدية باسم مستعار، ربما لدفع الحرج بالنسبة لمنصبه المرموق، وربما بدافع من تواضعه المعهود، وربما لأسلوبه الدقيق في التعامل مع الناس، بل مع مسوغات الحياة نفسها!

ونكتفي عند هذا الحد من الذكريات الأدبية، حيث أرجو أن أكون قد أوضحت بعض المعالم التي تدل على شخصيته الأدبية، والنقدية.

ثم ما كنتُ لأذكر شيئا عن منصبه الرسمي لولا أنني تذكرت - أثناء كتابة هذه المقالة - ضرورة إعطاء لمحة عن إنسانيته، وصدق محبته، بل وصدقه مع نفسه، وسعة باله، ورغبته الأكيدة في مساعدة الناس من خلال مركزه الرسمي، أو من خلال شخصه. فحرت بين الكثير مما أذكره عنه من هذا القبيل، غير أنني تذكرت للتو موقفا لا يخلو من عجيبة، وهو أنني عزمت - ذات مرة - على مساعدة إنسان يستحق المساعدة فعلا حيث له معاملة في وزارة الداخلية يهمه كثيرا سرعة البت فيها.

وكان ذلك منذ ثلاثين عاما حيث كان الصديق السالم يشغل - حينذاك - منصب «المدير العام لمكتب وزير الداخلية»، فذهبت إليه - على استحياء - راغبا منه بذل مساعدته. وكانت تلك أول مرة أذهب إليه في مكتبه، فهش لي، وبش، وأجلسني إلى جواره رغم وجود عدد من الشخصيات من ذوي المكان الأرفع على مجالسهم بعيدة عنه!

أما أنا فكنت مجرد شاب صغير، نحيل الجسم جدا تقتحمني النظرات. فلما استقر بي المجلس، وانتهينا من تبادل التحيات، قلت له: لقد جئتك في طلب فعل خير تثاب عليه إن شاء الله الثواب الجزيل، وأكتفي أنا بدور دليل فعل الخير. ثم سردت عليه الموضوع بكل تفاصيله، وأعطيته ورقة فيها رقم المعاملة، فقال لي: «ما يكون إلا خيرا إن شاء الله».

ثم انصرفت من عنده مكسور الخاطر لأنني لم ألمس منه اهتماما واضحا بالموضوع، ولكني اضطررت - رغم ذلك - إلى العودة إليه في الموعد الذي حدده لي حيث جدد لي حرارة الاستقبال، ثم لم نلبث إلا قليلا حتى فوجئت به يدخل يده في جيبه ليخرج ورقة صغيرة قائلا لي: هذا رقم معاملة صاحبك، وقد تم البت فيها على خير ما يكون. فذهلت كثيرا إزاء اهتمامه الكبير من حيث لم يظهر لي الاهتمام في بداية الأمر. وقد عرفت - بعد ذلك - أن تلك هي عادته!

وهذا الموقف النبيل يجرني - رغم أنني كدت أكتفي بما سبق - إلى ما عهد عن الصديق العزيز من وفاء، وإكبار في علاقاته مع الأدباء (الأساتيذ) أو العلماء الفطاحل.

وأذكر من ذلك أنني صادفته - ذات مرة منذ نحو عشرين عاما، بل أكثر - في بهو فندق الحرمين في البغدادية وكان - حينذاك - أحدث فنادق جدة، وكان - أي الأستاذ السالم - على وشك الخروج فعدل عن ذلك ليستقبلني في غرفته أو جناحه، نسيت.

وفي أثناء الحديث. ناولني كتاب «طبقات فحول الشعراء» في مجلدين ضخمين من تحقيق العلامة الجليل الشيخ محمود محمد شاكر.

ثم عرفت أن الشيخ نفسه يقيم في الفندق بضيافة السالم، فأبديت رغبتي في زيارته والتعرف عليه، لإشباع خيالاتي عنه من قراءة غير قليل من كتبه. وقد كان لي ما أردته، بل أكثر مما أردت وهو سماعي للأحاديث المتدفقة التي تكشف - فضلا عن كتبه - مدى غزارة علمه بالأدب، وغير الأدب، وهو - على كل حال - أشهر وأكبر مما يمكن ذكره عنه هنا، أو غير هنا!

وقد عرفت من أخي السالم أنه قديم الصلة به منذ أيام دراسته في القاهرة حيث لم يكن الشيخ الجليل يكتفي بتوجيهه وتشجيعه، بل يلزمه بالإقامة معه في منزله.

وهكذا زالت دهشتي مما لاحظته من الصلة الحميمة بين الشيخ ومريده من حيث لم ينس التلميذ قط فضل شيخه عليه، ولم يصرفه عنه بريق منصب، أو سعة جاه، أو رفعة مكانة!

وتلك جلسة لي مع شيخ وتلميذ لا يمكن أن أنساها!

الهوامش

(١) المعجم الأدبي لجبور عبد النور. مادة (نقد).

(٢) المرجع السابق.

رينيه وِلِك.. كبير نقاد أمريكا

بقلم: د. علي شلش



يعدّ رينيه وِلِك من أهم أعمدة النقد المعاصر في أمريكا. ومع أنه توقف حاليا عن الكتابة، بعد أن تخطى التسعين، فما زال تلامذته نشطين منتجين في أكثر من جامعة أمريكية، وما زالت مؤلفاته الغزيرة مراجع ومصادر أساسية في نظرية الأدب وتاريخ النقد في أمريكا وأوربا على الأقل. بل ما زالت مراجعاته الانقلابية لمفهوم الأدب المقارن عند الفرنسيين سارية المفعول في أمريكا، منذ شرع فيها عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية. وحول هذه المراجعات دارت مناقشات وخصومات كثيرة بين المشتغلين بالأدب المقارن في الشرق والغرب، وبسببها تنازل الفرنسيون عن تعصبهم التقليدي لمفهوم الأدب المقارن من حيث هو دراسة للأدب القومي في صلته بالآداب الأجنبية وقابليته للتأثير والتأثر.

ومن حسن الحظ، وبطريق المصادفة، ظهر لولك بعض إنتاجه في العربية. ففي عام ١٩٧١ م ترجم في دمشق كتابه - الذي شاركه أوستن وارن في تأليفه - بعنوان «نظرية الأدب» وفي عام ١٩٨٧م ترجم في الكويت منتخب من فصول كتابيه: مفاهيم نقدية، ألوان من التمييز، بعنوان «مفاهيم نقدية». ولكن مترجمي هذين الكتابين (محيي الدين صبحي ومحمد عصفور) لم يهتما بتقديم الرجل وأفكاره إلى قارئ العربية خارج حدود الكتابين المذكورين: وهذا ما سنحاوله في هذه المقالة.

دقة المعلومة ووضوح الرأي

إذا كان كثيرون من أعلام النقد المعاصر في أمريكا ولدوا خارجا، ونشأوا في ثقافات أخرى قبل أن يهاجروا إليها، مثل إيهاب حسن وإدوارد سعيد، فقد سبقهم رينيه وِلِك.

وقد ولد وِلِك بمدينة فيينا عام ١٩٠٣م لأب محام يجيد أكثر من لغة. وفي وسط هذا الجو المتعدد اللغة نشأ وتربى، ودرس اللغات الألمانية والتشيكية (لغة أبيه الأصلية) والفرنسية والإنجليزية، ثم ألَمَّ في الجامعة باللغتين الإيطالية والروسية، مع أنه تخصص في الأدب التشيكي، ونال فيه البكالوريوس والدكتوراه.

وكان حصوله على الدكتوراه عام ١٩٢٦م، أي وهو في الثالثة والعشرين من عمره.

ويبدو أنه وطَّن نفسه منذ البداية على التضلع في اللغات وآدابها. ففي عام ١٩٢٧م جاء إلى أمريكا، والتحق بجامعة برينستون بناء على منحة دراسية، وظل بها ثلاث سنوات أهلته للكتابة بالإنجليزية، ثم عاد إلى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٣٠م،

حيث عمل بتدريس الأدب الإنجليزي، وتزوج عام ١٩٣٢م،

ثم ذهب إلى لندن عام ١٩٣٥ فعلّم اللغة التشيكية وأدبها بجامعتها حتى ١٩٣٩ م. وبعدها عاد إلى أمريكا، واستقر بجامعة أيوا في الغرب الأوسط، حيث عرف زميله أوستن وارن الذي شاركه في تأليف كتاب «نظرية الأدب». ثم ترك أيوا، وعمل بجامعة ييل عام ١٩٤٦ م أستاذا للأدب السلافي والمقارن (١٩٤٦ م - ١٩٥٢ م)، وأسس - منذ وصوله - قسم الأدب المقارن هناك، بعد أن كان مجرد برنامج للتدريس. وظل بجامعة ييل بعد ذلك أستاذًا للأدب المقارن حتى عام ١٩٧٢. ثم تقاعد وصار أستاذًا غير متفرغ. وفي غضون تلك السنين ازداد نشاطه في التأليف والبحث، وتزوج للمرة الثانية عام ١٩٦١ بعد وفاة زوجته الأولى. وعاش بمدينة نيوهافن، حيث توجد جامعة ييل، بولاية كونيتكت. وكان قد تجنس بالجنسية الأمريكية عند عمله بجامعة ييل عام ١٩٤٦م، وحاضر بكثير من الجامعات الأمريكية، وحصل على شهادات دكتوراه فخرية من ١١ جامعة أمريكية وأوربية منها هارفارد وأكسفورد وروما وكولومبيا ومونتريال وميونيخ، فضلا عن بعض المنح الدراسية المرموقة.

من السهل أن يكتشف قارئ كتابات وِلِك اتساع أفقه، وسعة علمه وغزارته، وتضلعه في لغات أوربا وتاريخها وآدابها، فضلا عن أمريكا. ومن السهل أيضا أن نكتشف كيف درَّب عقله على الفهم والتعبير المرتبين وعلى الرغم من قوة حسه التاريخي فلديه أيضا حس بارز بالقيم الجمالية التي يسعى وراءها الناقد. وقد أشار هو نفسه في مقدمة كتابه «ألوان من التمييز» إلى اهتمامه الشخصي «بالوضوح والتماسك والتحديد في التفكير في الأدب» [1] بل كتب في إحدى مقالاته الباكرة، عام ١٩٣٦م: «نحن نفكر في توضيح المشكلات النظرية التي لا يمكن حلها إلا على أساس فلسفي (أي قائم على المفاهيم). فالوضوح إزاء القضايا المنهجية يجب أن يؤثر في اتجاه أبحاث المستقبل» [2] وهذا ما أخذ به نفسه منذ ذلك التاريخ. فهو باحث يتوخى الدقة في المعلومة والوضوح في الرأي. وهو مؤرخ أدبي يسعى إلى الإحاطة، وناقد يبحث عن القيم الجمالية. وإذا كان المقارن يحتاج إلى هذا كله فقد تجمع في شخص واحد، وهو شخصه.

نظرية الأدب وتاريخ النقد

قبل أن يهاجر وِلِك إلى أمريكا

عام ١٩٣٩م كان قد كون لنفسه رؤية خاصة للأدب، ومبدأ نقديا شكلتهما - إلى حد كبير - حلقة براغ اللغوية التي كان من أعضائها الشباب على حد تعبيره (٣). ومن المعروف أن هذه الحلقة تكونت عام ١٩٢٦م، وظلت نشطة حتى رحيل ولِك عن براغ. وكان من أعمدتها اللغوي الروسي رومان جاكوبصن الذي كان من الشكلانيين الروس وزعيم حلقة موسكو اللغوية. فلما هاجر عام ١٩٢٠ إلى براغ أقام صلة بين الشكلانية والبنيوية التشيكية، حتى هاجر مرة أخرى إلى أمريكا بعد هجرة وِلِك. وكانت الحلقة تمثل «نوعا من الانتقال من الشكلانية إلى البنيوية الحديثة» (٤) ومع ذلك تأثر وِلِك في شبابه أيضا - وإلى حد كبير على حد تعبيره - بالمفكر الناقد البولندي رومان إنجاردن (٥)، وكان من دعاة إشراك القارئ في إنتاج معنى النص أو العمل الأدبي. وبناء على هذه المؤثرات كان من الممكن أن يتحول وِلِك في أمريكا إلى جماعة النقاد الجدد، ولكنه اكتفى بالتعاطف معهم. وفي ذلك يقول:

« أعتقد أن لي مفهوما مختلفا حول طبيعة العمل الأدبي. فلست أتفق مع نزعتهم السيكلوجية.

ووجهة نظري ظاهرانية، ولا أحتاج إلى أ. أ. ريتشاردز الذي تتعارض آراؤه مع آرائي. ولا أشارك ت. س. إليوت رأيه في تاريخ الشعر الإنجليزي»(٦)

غير أن وضع النقد في أمريكا عند هجرة وِلِك إليها لم يكن مطمئنا. فهو يضيف: «كان ثمة نزاع بين تاريخ الأدب والنقد. وكان ذلك يشكل قضية بارزة في الجامعة (أيوا) فقد دهشت، بل صدمت إلى حد ما، لنقص الإدراك النظري في هذا البلد. وكنت - شخصيا - قد عارضت - منذ فترة طويلة وأنا في أوربا - البحث التاريخي الذي كان مهيمنا وقتها. فلما عينني نورمان فورستر، الذي كان مديرا لكلية الآداب في أيوا، فعل ذلك إلى حد ما بناء على انحيازي إلى صف النقد»(١)

ومن الواضح أن هذا السبب عينه هو الذي دفع وِلِك بعد استقراره إلى التفكير في إحياء النقد ونظرية الأدب في التعليم الجامعي.

فقد اتفق مع زميله أوستن وارن على تأليف كتابهما المشترك «نظرية الأدب» الذي أراد هو نفسه أن يجعله محاولة لنقل التطورات في النقد الأوربي إلى أمريكا. وكان وارن من المتحمسين لجماعة النقد الجديد الأمريكية. ولكن اشتعال الحرب أرجأ المشروع. وفي عام ١٩٤٥ شرعا في التأليف حتى انتهيا منه بعد عامين، وإن كان الكتاب لم ير النور إلا عام ١٩٤٩م. وكان وِلِك وقت ظهور الكتاب قد انتقل إلى جامعة ييل، وانهمك في تأسيس قسم الأدب المقارن بها، وهو قسم لم يسبقه في أمريكا سوى القسم الذي تأسس بجامعة كولومبيا عام ١٩٠٣م، ثم ألغي عام ١٩١٠م وضم إلى قسم اللغة الإنجليزية في هذا الكتاب الذي اشتهر شهرة عريضة، وترجم إلى ٢٢ لغة منها لغتنا، شارك ولك بثلاثة عشر فصلا من فصوله التسعة عشر. ولكن الخطة العامة لهذه الفصول جميعا تؤكد على التمييز بين نوعين من التناول النقدي في دراسة الأدب: نوع ثانوي يتناول الأدب من الخارج، ويستخدمه المشتغلون بعلمي النفس والاجتماع والفلاسفة ومؤلفي سير الأدباء، ونوع آخر جوهري يتناول الأدب من الداخل، ويركز على العمل الأدبي والمشكلات التي يطرحها وحلول الأديب لها. وقد رفض المؤلفان النوع الأول، وشددا على النوع الآخر. ومع أن هذا النوع الأخير قريب الصلة مما يدعو إليه «النقد الجديد» في أمريكا فقد حرص ولك على عدم التحالف مع أنصار هذا النقد، وألح على أن دراسة الأدب ليست مجرد مسألة لغة وأسلوب وإنما هي تشمل عالما أوسع من حدود اللغة والأسلوب. فهو يرى أن واجب النقد الأساسي تحديد الأدب وتعريفه، ووصف طبيعته، وأن التركيز على مصادر العمل الأدبي وأسبابه وآثاره يؤدي إلى سيطرة مذهب الحتمية الذي يرى أن أفعال الإنسان ثمرة عوامل خارجية لا سلطة له عليها. كما يؤدي هذا التركيز إلى تشجيع النسبية في تفسير الأدب. ولا يقوم فهم الأدب في نظره إلا على الدراسة الفاحصة لبنيته وشكله، بحيث لا تنزل هذه الدراسة إلى المستوى اللغوي والأسلوبي. وحدهما، بل تتجاوز اللغة والأسلوب إلى عالم المبدع.

ومع ذلك لم يكن كتاب «نظرية الأدب» هذا أول أعمال ولك. فقد سبقه كتابان آخران لم يكن موضوعهما من النوع الذي يشتهر كثيرا: «إيمانويل كانط في إنجلترا من ١٧٩٣ إلى ١٨٣٨م» وقد ظهر عام ١٩٣١م وهو ما زال في براغ، «نشأة تاريخ الأدب الإنجليزي» وقد ظهر عام ١٩٤١م، وفي عام ١٩٥٥م ظهر المجلد الأول من أكبر أعماله وأهمها، وهو «تاريخ النقد الحديث من ١٧٥٠ إلى ١٩٥٠م» الذي صدر في ثمانية مجلدات ضخمة حتى عام ١٩٩٢م. ويضم موسوعة بانورامية لحركة النقد الأوربي والأمريكي على مدى قرنين، ويتيح للدارسين مرجعا لا نظير له في موضوعه ولا في مجاله. وبه رسّخ قدميه على أرض نظرية الأدب والنقد وتاريخ الأدب معا.

في مقدمته للمجلد الأول شرح ولك تصوره للنقد وخطة الكتاب:

«سوف أفسر مصطلح «النقد» على نحو عام بحيث لا يعني مجرد الأحكام التي تصدر على الكتب والأدباء كلا على حدة، والنقد «القضائي»، والنقد التطبيقي وشواهد الذوق الأدبي، وإنما ما جرى التفكير فيه أساسا حول مبادئ الأدب ونظريته، وطبيعته، وإبداعه، ووظيفته، وآثاره، وعلاقاته بمناشط الإنسان الأخرى، وأنواعه، وأدواته وتقنياته، وأصوله، وتاريخه. وسأحاول أن أتخذ وجهة وسطا بين الجماليات الخالصة من ناحية - أي «الجماليات من أعلى»، والتأملات المتصلة بطبيعة الجميل والفن عموما - ومجرد الأحكام المعبرة عن الذوق الانطباعي، والآراء التي لم يقم عليها دليل أو تثير النقاش من ناحية أخرى. وسيكون من المستحيل أن أتجنب بعض الجولات في تاريخ الجماليات المجردة والذوق الحسي، نظرا لأنه من الواضح أن تاريخ النقد الأدبي لا يمكن فصله كلية عن هذه الأمور. ولكننا سنناقش المشتغلين بالجماليات الفلسفية الخالصة، مثل كانط، دون أي توسع، بل سنلقي نظرة عابرة حتى على الأدباء المرموقين الذين لا يضفون شيئا من الإطار النظري على ميولهم وأذواقهم الأدبية.

«ولن يتناول المجلدان الأولان سوى أربعة أقطار هي: إنجلترا (مع أسكتلندا)، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، وعلى الرغم من أن الخاتمة ستتعرض بإيجاز للتطورات في الأقطار الأخرى. أما في المجلدين

رينيه ولك

الثـالث والـرابـع فسـوف نضيف إسبانيـا وروسيا والولايـات المتحدة، وإن كـانـت الفترة محل النقـاش تكشف عن أن النقـد الإسباني يبـدو ثـانويا، والـروسي يكـاد لا يبين، والأمـريكي مـا زال صـدى للإنجليزي».

وقـد ظهر أقـرب كتاب إلى هـذا الموضـوع بـالإنجليـزيـة في ثـلاثـة مجلدات (١٩٠٠ ـ ١٩٠٤م) لجورج سينتسبري بعنـوان «تـاريخ النقـد والذوق الأدبي في أوربا» ولكنه شمل النقـد القـديم منـذ الإغـريق حتى العصر الحديث، ولـم يهتم بمسائل نظريـة الأدب وجمالياتـه، مما أضفى على كتاب ولـك تفـردا وسبقا. ومع ذلك لم يستقر على أربعة مجلدات كما تصـور في البـدايـة، وإنما تـوسع، وخصص المجلـد الخـامس للنقـد الإنجليزي في النصف الأول من هذا القـرن، والسادس للنقـد الأمـريكي في الفترة نفسهـا. وزود المجلـدات الأربعـة الأولى بهوامش غـزيـرة في لغاتها الأوربية الأصليـة، مما لم يكن بحاجة إليه في المجلدين الأخيرين.

لـم يتـوقف ولك عن كتـابـة المقـالات وتأليـف الكتب أثنـاء فترة إعداد هذه الموسوعـة على أية حال. فقد أخرج بعد «نظـرية الأدب» ستة كتب عدا أبحاثه، ومسـاهماته تأليفا وترجمة في كتب الآخـرين. وكان أول هذه الكتـب الستة بعنوان «مفـاهيم نقـديـة» وهو مكـون من ١٤ مقـالاً وبحثًا جمعهـا ستيفن نيكـولـز عـام ١٩٦٣م، ومعظمهـا حول المفـاهيم الأساسية في النقد الحديث والدراسة الأدبيـة، فضـلا عن فلسفـة النقـد الأمريكي المعـاصر واتجاهاتـه في هذا القـرن. وتـلاه كتـاب آخـر بعنـوان «مقالات في الأدب التشيكـي» عـام ١٩٦٣م، ثم كتـاب «مـواجهـات» عـام ١٩٦٥م، وهـو دراسـات في العلاقات الفكرية والأدبية بين ألمانيا وإنجلترا والولايات المتحـدة في القرن ١٩م. وفي عـام ١٩٧٠ ظهـر جـزء مكمل للمفـاهيم النقـديـة بعنـوان «ألـوان من التمييز» ثـم ظهر كتـاب «أربعـة نقاد: كـروتشي، فـاليري، لـوكاتـش، إنجاردن» عـام ١٩٨١م وهو دراسة مقارنـة ذات سعي وراء القيم النقدية. وتـلاه كتاب «الهجوم على الأدب» عـام ١٩٨٢م، وهـو مقـالات تعـالج بعـض القضـايـا النقدية المعاصرة، مثل النقد كعملية تقييم، والشكـلانيـة الـروسيـة، والشعـريـة، والتفسير. وفي عـامـه الثاني والثمانين ظهر آخر كتبه بعنوان «تشيكـوف: منظـورات جـديـدة» (١٩٨٤م) ثم ظهـر الجزء الثـامن والأخير من «تاريـخ النقد الحديث» عام ١٩٩٢م.

> يتسم "ولك" بسعة الأفق والعلم، وبالفهم والتعبير المنظّمين، وبالتضلع في الثقافتين الأوربية والأمريكية.

ومن الـواضح أن هـذه القائمـة المتنوعـة من المؤلفات تصب في تلك الثـلاثيـة التي جعلهـا ولـك نفسـه عنـوانا لإحـدى مقـالاتـه: «نظريـة الأدب، والنقد، والتـاريخ». ولا بد أن نضيف إلى كلمـة التـاريخ هـذه صفة «الأدبي»، أي «تـاريخ الأدب» فهذه هي مجالاته وحدوده وطموحاته أيضا. وهـذه المقالـة اختارها النـاقد المؤرخ هـارولد بلـوم لتمثل صاحبهـا في مـوسـوعتـه الأضخـم عن «فن النـاقد: نظـريـة الأدب والنقد منـذ الإغريق حتـى اليوم» (٨). فولك لا يفصل بين هـؤلاء الأشقاء الثـلاثة إذا صح التعبير، ولا يفـاضل بينهم، أو يميـز واحـدا على آخـر. ولكنـه لا يعتقـد أن النقـد فـن، وأن النـاقـد فنـان، وإنما هـدف الاثنين تحقيق المعرفـة العقلية أو الفكـرية. والمؤرخ الأدبي يحتاج إلى أن يكون نـاقدًا، لأن مـوضـوعـه هـو العمل الأدبي، ولأن العمـل الأدبي بُنيـة من القيـم. والـدراسـة الأدبيـة ــ أي البحث في الأدب ـ ليسـت مجرد وقائع تُسرد، أو تُعدد. ومع ذلك فكل فـرع من هذه الفـروع الثـلاثـة مستقل عن الآخـر بمقدار ما هو مرتبط.

لنعد هنا إلى الـرجل نفسه. فقد لخص تجربتـه مع هـذه الفـروع في مقـالة ألقـاها بجامعة ييل عـام ١٩٧٨م بعنـوان «المأمـول والمستعاد». وروي أن إنتاجه يعكس «التغيرات التي جـرت في الـدراسـة الأدبيـة والنقـد خلال سني حيـاتـه الكتـابيـة الخمس والأربعين. ومع ذلك لم يتأثـر بالفـرويدية والماركسية والشكلانية التـي ازدهرت في براغ في شبابـه. ولكنه ازداد تعلقا بـالفلسفة الألمانيـة والإنجليزيـة عند رحيلـه إلى أمـريكا، وسـاعدتـه دراساته لفقـه اللغـة والأدب المقـارن القـائم على دراسة الفـولكلور، واتصالـه بفيليم مـاثيسيـوس (١٨٨٢ ــ ١٩٤٥م) أستـاذ الإنجليـزيـة بجـامعـة بـراغ ومؤسس حلقتها اللغـوية ورئيسها، على التعمق في نظـريـة الأدب كما تسمى في الإنجليـزيـة، أو علـم الأدب كما يسميهـا الألمان. بـل ساعده اتصالـه بالنقاد الإنجليز عند عملـه بجـامعـة لنـدن (١٩٣٥ ـ ١٩٣٩م) على هـذا التعمق. ونبهـه الناقد الإنجليزي فرانك ليفر على أن «النقد لا يهتم بالأفكار المجردة وإنما بـالقـراءات العينيـة الحساسـة»(٩) ولكن أمريكـا لم توفر له بيئة صالحة للنقد في البداية؛ لأن النقد ـ وقتها ـ كـان جسما غـريبـا في الجامعـات الأمريكيـة، ومع ذلك، ولأنه أوربي يجيـد لغـاتٍ كثيرة، عهـدت إليـه جامعـة أيوا بإعداد مقرر عن الـرواية الأوربيـة، وسيمنار عن العلاقـات الفكريـة الألمانية الإنجليزيـة. وكان مقتنعـا منذ فترة طـويلـة ـ على حـد تعبيره ـ بـأنه «لا يوجد أدب يمكن دراسته دون التجـاوز المستمر لحدود أرضه»(١٠) ومن هنـا شغله الأدب المقارن، وتفرغ له بجـامعة ييل، بعد أن تولى زميله هـاري ليفن أمر إحياء قسم الأدب المقـارن الميت بجـامعـة هارفـارد، وتولـت جامعـة كولـومبيا إحيـاء قسمهـا أيضـا. وبـذلك ازدهرت حـركة النوع من الـدراسات عندما تطـور القسم الـذي اضطلع بإنشائه في ييل. وعن طريقـه أسهم في أول مجلـة لـلأدب المقـارن عنـد ظهـورهـا فصليـة عـام ١٩٤٩م، وأشرف على مـدار السنين على ٥٠ رسالـة حـول الموضـوع. بل ازداد اقتنـاعا بأن نظـريـة الأدب «تأتي من التاريخ وأن التـاريخ لا يمكن فهمه إلا بالتفكير في الأسئلـة والأجوبـة.

فالتـاريخ والنظريـة يشرح كل منهما الآخر ويتضمنه. وثمة وحدة عميقة بين الـواقعـة والفكـرة، بين الماضي والحاضر»(١١)

ظل ولك طوال حياته منضـويا تحت لـواء مـدرسـة معينـة أو فكـر

معين. وأكسبه هذا الاستقلال دروسا ناتجة عن الخبرة أكثر مما هي ناتجة عن أشخاص أو فلسفات. ومع ذلك لخص المبادئ التي اقتنع بها، وسار عليها في كتاباته، على النحو التالي:

«التجربة الجمالية تختلف عن غيرها من التجارب، وهي التي تطلق عالم الفن والخيال والنور Schein من عقال الحياة. والعمل الأدبي بنية لغوية ولكنه يشير في الوقت ذاته إلى العالم الخارجي.

ولذلك لا يمكن وصفه بالوسائل اللغوية وحدها، لأن له معنى يتصل بالإنسان والمجتمع والطبيعة. وجميع الجدل المؤيد للنسبية يصطدم بحاجز نهائي. ونحن نواجه، كطلاب للأدب، شيئا، هو العمل الفني، نواجهه في مكان ما (مهما كانت حالة الوجودية النهائية) فيتحدانا لفهمه وتفسيره. ومن ثمة لا توجد حرية كاملة في التفسير. فالتحليل والتفسير والتقييم، مراحل متصلة ومتداخلة لإجراء واحد. والتقييم ينمو من الفهم. ونحن - كنقاد - نتعلم كيف نميز بين الفن واللافن، ويجب أن نتسلح بالشجاعة في معتقداتنا. فالمحامي يعرف، أو يظن أنه يعرف، الصواب والخطأ. والعالم يعرف الحقيقي والمزيف. والطبيب يعرف الصحة والمرض. ولكن المشتغل بالعلوم الإنسانية المسكين وحده هو الذي يتخبط، غير واثق من نفسه ومن رسالته، بدلا من الزهو بتوكيد حياة العقل التي هي حياة التفسير»(١٢)

ومنذ الستينيات التي بلغ فيها ولك قمة نضجه كناقد ومؤرخ ومنظّر للأدب على الساحة الأمريكية هبت عبر الأطلسي رياح شرقية — أوربية — تحمل ظواهر ودعوات شهد هو نفسه براعمها في شبابه الأوربي. وكان على رأس هذه الظواهر والدعوات وجودية سارتر، وعبثية بيكيت، وشكلانية الروس، وبنيوية شتراوس وتفكيكية دريدا، وأسلوبية جاكوبصن. كما ظهرت دعوات تحمل على الأدب نفسه كنشاط إنساني. وبدأت في الظهور عناوين كتب ومقالات، وأقوال مثل: وفاة الأدب، نهاية الفن، وفاة الثقافة، الفن المضاد، ما بعد الثقافة، أدب الصمت، إلخ، وظهر صدى هذا كله في الإبداع والنقد الأمريكيين. بل اتهم ولك نفسه بالتخلف، والانتماء إلى عهد مضى كما قال الناقد المصري المولد إيهاب حسن (١٣). ومع ذلك تلقى هذه الدعوات والاتهامات بصدر رحب، ورد عليها بأدب، وناقشها بجدية.

كان مما قاله في رد «الهجوم على الأدب الذي حمله عنوان كتابه المذكور «إننا لا نستطيع التنبؤ بشكل الأشياء في المستقبل . . . ولكن ثمة ثوابت أساسية مؤكدة تبقى. فأنا واثق من أنه لن يحدث صمت وجمجمة متصلة كما تنبأ بلانشو. وسيبقى صوت الأدباء والشعراء — نظما ونثرا — الذين سيعبرون — مثلما فعلوا منذ أقدم العصور — عن مجتمعهم وعن البشرية. وستظل البشرية على الدوام في حاجة إلى صوت أدبي، وسجل لهذا الصوت كتابة وطباعة»(١٤) وكان مما قاله في الرد على التفكيكيين الذين ازدهروا في أمريكا إن دعوتهم «تؤدي إلى الشك الكامل في كل شيء، بل إلى نزعة عدمية غريبة تماما على الخط الأساسي للبنيوية . . . ولكن الأدب ليس مجرد لغة. فهو فن مثل الرسم والنحت والموسيقى، ومن ثمة فهو موضوع لعلم الجمال. ومع ذلك تنكر التفكيكية - ببساطة - التجربة الجمالية مثلما أنكرها في الماضي أ. أ. ريتشاردز على سبيل المثال. وبهذا الإنكار يبطل أي فرق بين الأدب كخيال تصوري وأي نوع آخر من الكتابة الأدبية التي يطلقون عليها الآن اسم «الكتابة» أو «النص». ويصبح النقد ضربا من الخيال»(١٥)

> العمل الأدبي لا يمكن وصفه بالوسائل اللغوية وحدها، لأن له معنى يتصل بالإنسان والمجتمع والطبيعة.

وإذا كان ولك أصدر هذا الحكم الأخير عام ١٩٨٦م، في خاتمة الجزء السادس من «تاريخ النقد الحديث»، فقد تلاه بما يشبه الكلمة الختامية حين أنهى ذلك المجلد بقوله إن إحدى وظائف النقد الأساسية هي «الحفاظ على الماضي ونشر تراث الأدب العظيم في عهد الحضارة التكنولوجية». ولكن الأمر يحتاج إلى تصحيح - كما يقال - إزاء تجاوزات ألوان نزعة الشك الأخير. «فإذا لاقت تعاليم هذه النزعة قبولاً عاما فلن تؤدي إلى «تفكيك» النقد الأدبي والدراسة الأدبية بأسرها وحسب، وإنما ستؤدي إلى القضاء عليهماولكن يجب ألا نفهم هذه الدعوة إلى الرجوع إلى العقل على أنها مناصرة للتخلي عن الواجب العظيم لنظرية الأدب التي أقامتها جهود وسجالات متصلة منذ زمن أفلاطون وأرسطو فإلى جوار علم الجمال الفلسفي، وتاريخ الفن، وعلم الموسيقى، نجد أن نظرية الأدب - البويطيقا — إحدى محاولات الإنسان الأساسية لفهم ما يبدعه»(١٦)

بهذه العبارة الأخيرة انتهى كلام الرجل، ثم صمت — أو أوشك على الصمت - بعدها. فبعد هذه الكتب لم يظهر له شيء، ولم يعد أخباره تسمع أو تقرأ في تلك الشيخوخة المعمرة التي دخلها قبل ظهور آخر مجلد من أهم أعماله.

هوامش

1. Wellek, Rene, Discriminations, Yale University Press, New Haven, U.S., 1970, p. 7.
2. --------------, Concept of Criticism, Yale University Press, New Haven, U.S., 1969, p. ix.
3. Evory, A. and Metzger, L. (eds.), Contemporary Authors, vol. 8, Gale Research Co., Detroit, U.S., 1983 p. 523.
4. Eagleton, Terry, Literary Theory, Basil Blackwell, Oxford, U.K., 1989, p. 99.
5. Evory and Metzger, op. cit., p. 99.
6. Ibid.
7. Ibid.
8. Bloom, Harold (ed.), The Art of the Critic, vol. 10, Chelsea House, N.Y., 1990, pp. 68-79.
9. Wellek, Rene, The Attack on Literature, University of North Carolina Press, Chapel Hill, U.S., 1982, p. 154.
10. Ibid., p. 156.
11. Ibid., p. 157.
12. Ibid., pp. 157-58.
13. Wellek, Rene, Discriminations, op. cit., pp. 47-48.
14. ________, The Attack on Literature, op. cit., p. 18.
15. ________, A History of Modern Criticism, Vol. 6, Yale University Press, New Haven, U.S., 1986, p. 297.
16. Ibid., p. 299.

صداع العقول

قانون الهوية



أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

جعل الفلاسفة قوانين العقل ثلاثة، وهي:

١ ـ السببية، فلا يكون شيء إلا بسبب.

٢ ـ نفي ارتفاع النقيضين مع نفي اجتماع الضدين والنقيضين.

٣ ـ الهوية، وهو أن الشيء يساوي نفسه.

قال أبو عبد ا لرحمن: هذه القوانين حقيقة في ذاتها يحكم بها العقل.

ويظهر لي ـ ولم أتحقق ذلك تحقق الباحث المتقصي ـ أن مآل حجج العقول عند التحليل لا يتجاوز هذه القوانين الثلاثة. ويظهر لي أن قانون الهوية أصلها؛ لأن تحليل براهين العقل ينتهي إليه.

ومسلك علماء الكلام أسهل وسيلة لتحليل حجج العقول لمعرفة قوانين العقل الجامعة، ذلك أنهم لاحظوا أحكام العقل التي يحكم بها على الأشياء في ثلاثة أحكام، وهي: الامتناع، والإمكان، والوجوب.

فما لا يستطيع العقل تصور وجوده ممتنع. وما لا يستطيع العقل التصور بدونه واجب. وما جاز أن يتصوره نفيًا وإثباتا فهو الممكن. فالمحك قدرة العقل على التصور.

والممتنع والواجب من ضرورات العقول الواضحة الجلية عند كل أحد، يجدها في عقله كما يجد لذة الماء بعد الظمأ، ولذة الأكل بعد الجوع، وألم البرد والحر.

وكذلك صحة الاحتمال عند الإمكان ضرورة عقلية. وإذن فهاته الضرورات صفات وجودية، والعقول يشهد بعضها بأنها موجودة، وقانونها هو وجودها فحسب.

أما هل يستطيع أحد المكابرة بإنكارها، فالجواب نعم، ولكن بلسانه فقط. وتعرف مكابرته بما تعرف به صفة المنقطع في الجدال، ولست بسبيل البحث عن هذا.

إن قانون العقل ـ الذي لا قانون غيره ـ هو شهادته بأن هذا واجب، أو ممتنع، أو ممكن. إنها إحالة المحال، وتحتيم الواجب، واحتمال الممكن.

والبدهيات كثيرة، وهي أكثر من القوانين الثلاثة التي ذكرها الفلاسفة، وبرهانها منها؛ لأن العقول مجمعة عليها، فمن كابر فيها فليس عليك إلا أن تحللها له إلى شهادة عقل مباشرة، أو إلى شهادة حس تحكم بها.

خذ مثال ذلك القول بأن الضدين لا يجتمعان، لأن العقل يحيل ذلك، وما أحاله العقل تعذر وجوده في المشاهدة. والركوع والسجود ضدان، فلا يمكن اجتماعهما لذات واحدة في آن واحد؛ لأن العقل يحيل ذلك فطرة، ولأن التجربة شهدت لفطرية نفيه، ولأن المكابر لا يستطيع تحقيق ذلك في المشاهدة. وربما كابر مغالط فقال: أركع ساجدًا في آن واحد على مرتفع في سمت انحنائي، فأكون راكعًا ساجدًا.

قال أبو عبدالرحمن: حينئذ نزيّف مغالطته بأمرين:

أولهما: الرجوع إلى هوية كل واحد من المحال اجتماعهما، وحينئذ نرى أن السجود المنفي اجتماعه مع الركوع ذو هيئة خاصة لا يتحقق إلا بأن يؤدى وحده. وهكذا الركوع المنفي اجتماعه مع السجود.

وثانيهما: طرده إلى مثال لا تتشبث به المغالطة، وهو الانبطاح والاستلقاء محال أن يكونا لذات واحدة في آن واحد.

قال شيخ الإسلام في بعض ردوده: «وطلب الفرق بين المتماثلات طلب ما لا حقيقة له، فهو ممتنع»[١].

قال أبو عبد الرحمن: التماثل من وجهين:

أحدهما: أن يوجد شيء مستقل بوجوده في المكان تحيزًا وإشارة، وفي العدد بأن يكون له رقم مع أمثاله كصنع فنجانين من الفخار متماثلين طينة وطبخا وصنعا ومقاسًا وشكلا وحجمًا ووزنًا ولونًا.... إلخ.

ولا فرق بينهما لذاتهما، وإنما الفرق بينهما لغيرهما برقم العدد الذي أعطيه كلٌّ واحد منهما، أو بالتحيز في المكان، أو بصفة العلاقة المكانية بأن يميز أحدهما بأنه فوق أو تحت، أو قُدَّام أو من خلف، أو من يمين أو عن يسار.

وثانيهما: أن يوجد غيران مختلفان في بعض الوجوه، ولكنهما متماثلان في وجه أو وجهين أو وجوه. ويراد التسوية بين ما تماثلا فيه. فطلب الفرق بين المتماثلين محال، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، والمرجع إلى الهوية في المشاهدة، فإن الفارق معدوم ليس من هويتهما. فلا بد أن يكون التفريق بشيء من هوية أحدهما وليس من هوية الآخر.

قال أبو عبد الرحمن: وقد يورد النظار جملة في سياق البدهيات، فإذا امتحنتها بقانون الهوية وجدتها مغلوطة.

مثال ذلك قول أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي: «أما برهان وجوده تعالى فحدوث العالم، لأنه لو لم يكن له محدث بل حدث بنفسه لزم أن يكون أحد الأمرين المتساويين متساويًا لصاحبه راجحًا عليه بلا سبب، وهو محال»[٢].

قال أبو عبد الرحمن: مآل تحليل هذا الكلام إلى قوانين الفلاسفة الثلاثة: فبقانون الهوية جعل السنوسي الوجود والعدم متساويين: وبقانون السببية نفى رجحان المتساويين بلا مرجح.

وبقانون نفي النقيضين أبطل دعوى حدوث العالم بنفسه، لما يلزم عن ذلك من جمع بين نقيضين بأن يكون أحد الأمرين متساويًا وراجحًا في آن واحد.

قال أبو عبد الرحمن: في هذه البرهنة غفلة، لأن العدم لا يساوي الوجود، بل الوجود أكمل. كما أن الوجود والعدم - مع عدم استوائهما غير مجتمعين للعالم في آن واحد، فما كان العالم عالما إلا بوجوده.

إذن، ليس هناك أمران مستويان، وليس هناك لزوم اجتماع التساوي والرجحان في آن واحد. إذن لحدوث العالم برهان من وجه آخر.

والقانون السديد أن يحال تصور مفهوم جملة «حدث بنفسه» لأن المراد بالنفس الذات صاحب الوجود. فهوية معنى حدث في اللغة تعني كون شيء لم يكن كائنًا قبل ذلك. وهوية معنى نفس أو ذات تعني شيئًا موجودًا، أو ذا وجود. وحالة أن ذلك الشيء ذا نفس أو ذات أو وجود تنفي وصفه بأنه حدث بنفسه، لأنه قبل الحدوث لا نفس له يكون بها الحدوث.

قال أبو عبدا لرحمن: والهويات أعيان في الوجود مشاهدة، وأحكام في العقول مفطورة.

والله سبحانه الذي خلق الأعيان والعقول جعل تلك الأحكام فطرة في العقول لا يتوقف صدقها على استقراء كل ما في الوجود من أعيان. ولم يجعل في الأعيان شاهدًا ينقضها، لأن الله أراد من العقول أن تدرك الوجود وتحكم فيه بقدر ما أذن باكتشاف البشر له، فجعله أحكامها الفطرية وفقا للواقع في الوجود.

قال الإمام أبو محمد بن حزم - وهو يعدد بعض البدهيات -: «الصبي الصغير في أول تمييزه إذا أعطيته تمرتين بكى، وإذا زدته ثالثة سر. وهذا علم منه [يعني علمًا فطريًا] بأن الكل أكثر من الجزء، وإن كان لا يتنبه لتحديد ما يعرف من ذلك»[٣].

قال أبو عبد الرحمن: الكل والجزء والطويل والقصير هُويَّات أحكام مجردة من هُويَّات أعيان. وكل فرق وجودي بين هويتين ينتج هوية حكمية.

وقانون الهوية يحقق مطلبين هما: أن الشيء يساوي نفسه، وأن الشيء لا يساوي غيره والله المستعان.

الهوامش

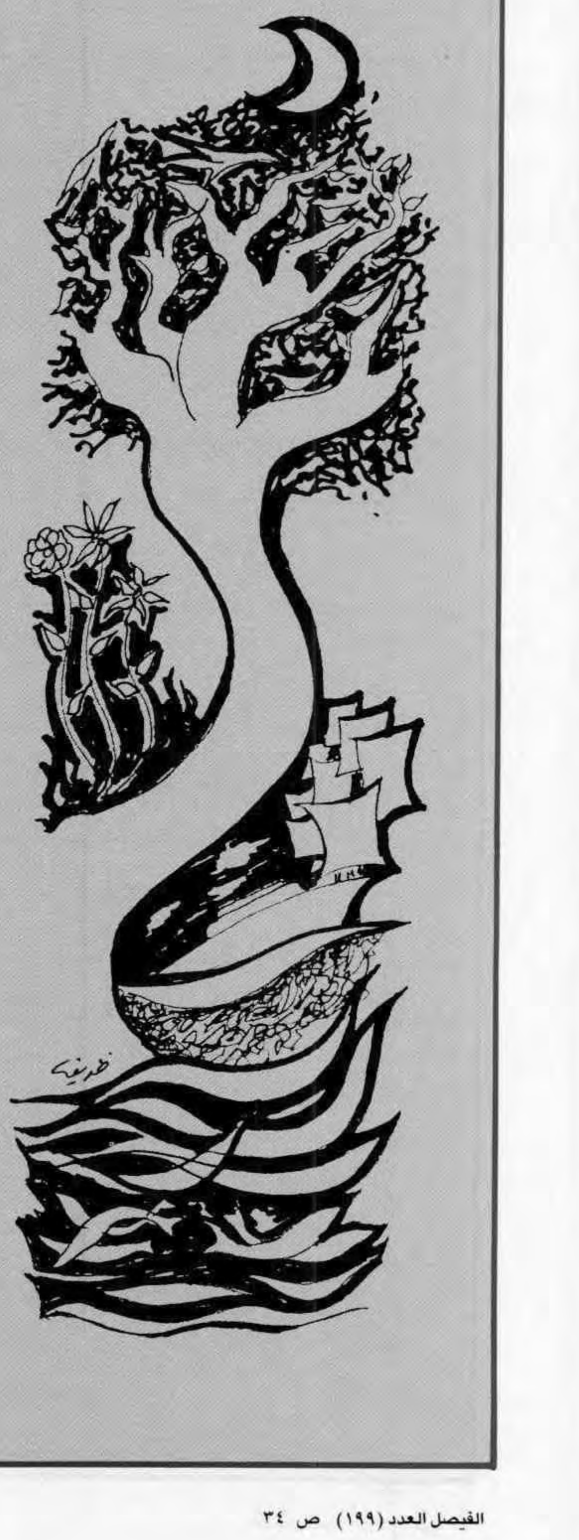
(١) الرد على المنطقيين ص ٢٩.

(٢) أول أم البراهين ضمن مجموع مهمات المتون.

(٣) الفصل ١/ ٤٠.

نظرة واعتبار

شعر: عبدالله بن حمد الشبانة



عن «ثمود» فسل وسل عن «عاد»   وعن القوم إذ طغوا في البلادِ ؟
أين «قارون» أين قوم «شعيب»؟   ذهبوا مثل صرخةٍ في وادِ
وطواهمُ ما قد طوى قبلهم قـ   ـوم «نوح» على مدى الآمادِ
كذَّبوا الرسل واستخفُّوا سواهم   وأشاعوا في الأرض كلَّ فسادِ
ومضوا يغضبون ربَّ البرايا   في جحودٍ وخِسَّةٍ وعِنَادِ
فأراهم ربُّ البرايا صنوفاً   من عذابٍ وشدَّةٍ واضطهادِ
تلك عقباهم بدنيا وأما   يوم بعثٍ فالنار بئس المهادِ
إنما عبرة التواريخ تتلى   أن يَرَى رائح ويَسْمعَ غادى
فاتعظ حينما تمرك ذكرى   أي قومٍ أو أمةٍ أي نادِ
واعتبر بالقرون تلك الخوالي   كيف مرَّت كنقطةٍ من مدادِ
وتفكَّر فيما مضى أو سيأتي   وأجِلْ مُقلةً بكلِّ امتدادِ
إنظر الكونَ كيف يجري ودَقِّقْ   في السماءِ التي بغير عمادِ
وانظر الأرض كيف أمست فراشاً   بين عالٍ بها وبين وهادِ
وأجلْ نظرةً بتلك الرواسي   ثبَّتتها عن هزةٍ أو ميادِ
وتفكرٌ في البحرِ تَسبحُ فيه   كائنات وليس يروى الصادي
فهو ملح أجاج ليس مساغاً   بينما الحلو كامن في النجادِ
وتأمل هذا النبات وفكرٌ   في اختلاف الثِّمار رغم اتحادِ
في المياهِ التي بها ذاك يسقي   ثم تجري المياه في الأعوادِ
اختلافٌ في اللَّونِ بين اصفرارٍ   واحمرارٍ وخضرةٍ أو سوادِ
واختلافٌ في الطَّعْمِ أيضا فبعضٌ   منه حلوٌ أو حامضٌ بازديادِ
أو فمرٌ أو مالحٌ إن تذقه   تشربُ الماءَ مثل شرب الصادي
جلّ ربي وعز أحكم صنعاً   إن إتْقَانَ صُنْع ربي لَبَادِي
فلتثوبوا أهل الضَّلالِ لرشدٍ   ولتدينوا لله ربِّ العبادِ
فهو سبحانه الإله بحقٍّ   سوف يجزي العباد يوم المعادِ
ففريقٌ بجنةٍ سوف يُجزى   وهم السالكون دربَ الرَّشادِ
بينما الكافرون جمعاء في النـ   ـار وأهل الفسوق والإلحادِ

المستقبل البيولوجي لعالم الحيوان

ماتُبَشِّرُ بِهِ البيوتكنولوجيا

بقلم : فوزي عبد القادر الفيشاوي

إن مـا تبشر به «البيـوتكنـولوجيـا» في عـالم الحيوان شيء كثير عظيـم . ففي عهد الثـورة الجينية ، تبدو النعاج عملاقة . . إنها بحجم الأبقار وفوق ذلك ، فهي تضع أكثر من مرة في السنة ، وفي كل مرة تلد عدة توائم ، وثمـة حيوانات أخرى نادرة ، كادت أن تنقرض . غير أن البـاحثين ، تمكنوا من إكثـارهـا عن طريق الـزرع في الأنـابيب . وفي معامل مهنـدسي الجينـات ، حيوانـات معدلـة وراثيًا ، بـوسعها أن تكـون عديـدًا من البروتينات والأنـزيمات والهرمونات البشرية الثمينة .

وهناك حيـوانات أخـري عجيبة ، تمكن الباحثـون من (توليفها) . واحـد منها يبـدو كحيوان استدعي على عجل من بين صفحـات قصص الأطفال الخرافية ، فنصفـه كالخراف والنصف الآخر كالماعز . والأعجب والأغرب هذه الآلاف من الحيـوانات المتماثلة وكأنها نسخ بالكربون والمدهش أنها جميعًا قد تـولدت من قطعة صغيرة من نسيج الأمعاء . وكما نـرى فإن ما تبشر به «البيوتكنولـوجيا» يبدو شيئًا كـثيرًا عظيمًا ، ولكن الأكثر والأعـظـم مـا يـزال سـرًا خافيًا .

اليوم فئران وغدًا أبقار وخرفان

كـانت الفئران متشـابهة تمامًا . . نفس الشعـر البني اللون والبقع البيضاء ، نفس العيون الخرزية ، رباه . . لقـد كانت نسخًـا بالكـربون من الأصل ، الذي منه قد جاءت . وأصلها . . ما أصلها ؟ مجرد قطعة صغيرة من نسيج أمعاء «فأرة» صغيرة حديثة الولادة . فالمدهش حقًا ، أن عملية التوليد هذه ، لم يشارك فيها فأر ذكر واحد بأيّ دور على الإطلاق . فالتوالـد ـ هنا ـ يتم كله بمعـرفة الأناث ، ولا شيء غير الإناث . إن تفسير «عالم الحريم» هذا ، يكمن فيما يسميـه العلماء (التكـاثـر الـلاجنسي) أو (الخضري) ، إذ تكفي خليـة من أمعـاء ضفـدع ، لتعطي ضفدعًا كاملاً ، وهو صورة طبق الأصل من الضفدع الـذي عزلت عنه . وبـالمثل . . فإن خلية جسدية واحدة من ذيل فأر ، كافية تمامًا لتعطي فأرًا جديدًا ، هو صورة «طبق الأصل» من الفأر الأول . وهكذا . . فالأساس في الخلق واحد ، وإن اختلفت الصور وتباينت ، وربما يسأل سائل عن هذه المسألة الغريبة ، وما حقيقتها ؟

وفي معـامل العلماء ، تبدو هـذه المسألـة خبرة مألوفة وروتينية ، بعد ما أتقنوا ممارستها مع الضفادع والفئران منـذ سنوات عديـدة ، تخيل أنك في زيارة لمعمل الدكتور ج . ب . جيردون (بجامعة أكسفورد بإنجلترا) ، رائد هذه التجارب المدهشة . وها هو ذا يقف أمام أجهـزته ، شارحًـا لنا فكرته ببسـاطة . . حسنًـا ـ أيها السـادة ـ هـا نحن نضغط على جسم أنثى ضفـدع متخمة بـالبـويضات . وهـاهي ذي البويضات النـاضجة ، جاهزة لاستخـراج أنويتها بطرق خـاصة . والآن . . حـان الوقت لعـزل قطعة من نسيج أمعـاء الضفـدع . وهـذه تحوي مئـات الخلايا الدقيقة ، التي نفصصها عن بعضها . ومن خلية واحـدة ، ننزع عنهـا نواتها ونسحبهـا بأنبـوبة شعرية مجوفـة ودقيقة غاية الدقـة ، وتحت عدسات المجهـر ، نقوم بحقن النـواة الجسـديـة (نواة خليـة الأمعاء) في سيتو بلازم البويضة المفرغة ، ثم نطلقها في الماء . وماذا بعد؟ حينئذ سـوف تنقسم البويضة بسرعة مدهشة ، وتزداد في عددها ، حتى تتطور إلى ضفدع كـامل ، هو صورة بـالكربـون من الضفدع الذي عزلت منه النواة الجسدية . والمرء تستولى عليه

ماتبشر به البيوتكنولوجيا

الجديدة. تلك التي تضمن نقل الصفات الجسدية المرغوبة من الحيوانات الممتازة لأنسالها. وهي حيوانات عالية الإنتاج، ممتازة الصفات، قل الزمان أن يجود بمثلها، وقل أن تأتي بنفس نقاوتها الوراثية عن طريق عمليات الخلط والتهجين الجنسي. ومثل هذه الحيوانات جديرة بأن تبعث منها آلاف النسخ، بهذه التقنية الجديدة. خذ على



توائم متطابقة من عجول الأبقار نتجت بعد عملية شطر الأجنة

الدهشة، حينما يسمع العلماء يفيضون بالحديث عن هذه التجارب، وعن تجارب أخرى مماثلة مع الفئران. والفئران ـ كما قد علمت ـ من الثدييات كالأبقار والماعز والخراف. وتسمعهم يقولون «وإذا كان اليوم ضفادع وفئران، فغدًا سيأتي الدور على الأبقار والخرفان». وهذا عالم الأجنة والوراثة الشهير «ليون كاس» **Kass** يؤكد على ذلك بقوله: «**إننا نتوقع، على ضوء تجاربنا الحالية، إنتاج أول حيوان ثديي من خلايا الجسد، في غضون السنوات القليلة المقبلة**». ولنا الآن أن نتصور الحيوانية في العالم.

نسخ الأبقار

لقد علمت، ولا شك علمنا، أن عمليات التهجين والتزاوج الوراثي، التي طالما مارسها الإنسان، بين حيواناته الممتازة الصفات، لتحسينها وراثيًا، ظلت دائمًا عمليات بطيئة وذات كلفة عالية. ولم تكن خلوًا من العيوب. زد على هذا، أنها لا تضمن تكثيفًا للصفات المرغوبة في الناتج. والحال غير هذا في طريقة التوليد الخضري



جنين بقرة في مرحلة نمو ٣٢ خلية، وهو ما يعرف «بالتوتية» (Morula)

سبيل المثال هذا الثور (الكنز) الذي بيع أخيرًا بأكثر من مليونين ونصف مليون من الدولارات، نظرًا لما يتمتع به من قدرات جسمية فائقة، وصفات إنتاجية عالية. أفلا يستحق هذا الثور أن يبعث منه المئات والآلاف التي تشبهه تمامًا؟ إذ تكفي رقعة صغيرة من نسيجه الحي، يجرى تفصيصها إلى خلاياها. وهذه تسحب منها أنويتها لتشغل بويضات مفرغة من النوى وجاهزة للعمل، بمجرد نقل النويات الجديدة إليها. وبعد عدة

انقسامات، تنقل إلى أرحام أبقار مضيافة، لنشهد بعد شهور الحمل، مولد مئات النسخ الجديدة من الثور. **وثمة بقرة أخرى شهيرة، تدعى «بيتشر آرلندا ألين»**، ظلت تدر لبنًا بحالة مستمرة، **حتى وصل مادرته إلى ٢٥ طنًا في السنة الواحدة**. أفلا تستحق هذه البقرة الأصيلة، أن تبعث من خلاياها آلاف النسخ الجديدة؟

وفي **جامعة كامبريدج**، لديهم سلالات من الأغنام، تعطي إنتاجًا وافرًا من اللحوم، وقد أوتيت نعاجها قدرة فائقة على إنجاب ستة توائم في كل حالة وضع. إنها ولا شك ثروة وخير، وتستحق كذلك أن يكون منها نسخ كثيرة.

حيوانات الأنابيب

إنك إذ تنظر في كثير من الحيوانات التي تعيش في الأسر، أقصد تلك التي تعيش في حدائق الحيوان بالعالم، تجد أنها تضرب عن الإنجاب وتفضل حياة العزوبية. وبعضها قد يلد صغارًا، يقوم إليها فيأكلها فور ولادتها. وبعضها قد يرفض العناية بأطفاله الصغار وحينئذ لا مفر من توفير من يقوم على تربيتها. ومن ثم تفقد هذه الحيوانات كثيرًا من غرائزها الأولى، وتعجز بعد ذلك على التعامل طبيعيًا مع أقرانها أو التناسل معها. وتكون النتيجة المحتومة أن الكثير من الحيوانات كالفهود والنمور والدببة وغيرها، في سبيلها للانقراض. ولكننا وقد تعلمنا، أن العلم كل يوم يأتي بجديد، فقد تمكن الباحثون في **حديقة حيوان لندن** من ولادة «بوني» شبل الأسد الأمريكي (البوما) عن طريق تكنيك الزرع في الأنابيب. ويعد ذلك فتحًا جديدًا لإنقاذ الحيوانات من الانقراض. والتجربة على نحو ما أعلنت، تبدأ بتنشيط ذكر البوما ـ عن طريق نبضات إلكترونية ـ ليفرز مادة التذكير تلك التي تستخدم في تخصيب بويضة مأخوذة من أنثى. والإخصاب يجري داخل الأنبوبة، حيث تترك الخلايا تنقسم لحد معين، وعندها يتم الزرع في رحم أنثى، جرى إعدادها مسبقًا لاستقبال الحمل بواسطة هرمونات مناسبة. وهكذا فقد أعاد (بوني) الأمل في إمكانية المحافظة على الحيوانات التي توشك على الانقراض.

مخلوق اسمه «جيبب»

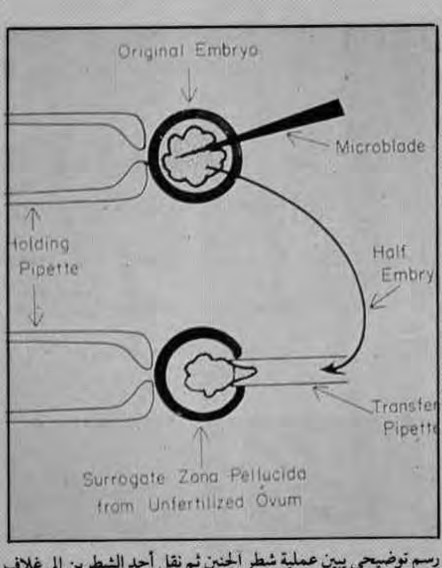
هل سمعت عن «جيبب»؟ حينما يهل علينا

"جيبب" يتبادر إلى ذهنك للوهلة الأولى، أن أحد مدربي السيرك، قد ألبس معزة معطفًا من الفراء لإضحاك جمهوره من الأطفال، ولكن الحقيقة غير ذلك تمامًا. فهذا "الجيبب" ظهرت صورته مؤخرًا على غلاف مجلة "نيتشر" **Nature** الإنجليزية. وهو حيوان نصفه كالخراف والنصف الآخر كالماعز. ولذا فقد سماه العلماء "جيبب" Geep (وهي كلمة مأخوذة من Goat وتعني عنزًا، وكلمة Sheep وتعني خروفًا). والآن.. دعونا نذكر أن هذه التجربة الفريدة، قام بها العلماء الإنجليز في **معهد فسيولوجيا الحيوان بكمبريدج**، ففي معاملهم، قام العلماء بدمج خلايا جنينية لكل من الفصيلتين وكم كانت دهشتهم، حينما اندمجت الخلايا بسهولة. وعندئذ قاموا بزراعتها في رحم معزة، لتلتصق الخلايا في الجدار الداخلي للرحم وتتكون المشيمة ويتقبلها الجهاز المناعي للأم، وهكذا فقد أكمل الجنين الجديد حياته في رحم أمه، حتى حانت ساعة الوضع، فخرج "جيبب" العجيب إلى الحياة. ولقد تندر بعض العلماء على هذا المخلوق الجديد، فأسموه (الكمير) **Chimera** والكمير -على نحو ما نعلم- هو الكائن الخرافي الأسطوري، الذي جاء ذكره في الميثولوجيا اليونانية القديمة، وكان برأس أسد وجسد شاه وذنب ثعبان. غير أن صديقنا (جيبب) حيوان وديع جدًا، ويتمتع بصحة جيدة، ويقبل على الطعام بشهية مفتوحة، وله كثير من طباع الماعز، حتى أن أحد ذكورها حاول التزاوج مع عنزة أخرى. ولكن هيهات، فمثله كالبغل (ولد الحمار والفرس)، فهو عقيم ولا يلد ومنشأ ذلك كله في الوارثة، حيث لا تتوافر به أزواج من الكروموزومات المتجانسة التي تحاكي ما كان موجودًا عند آبائها. بعض الناس يرى أن مثل هذه البحوث والتجارب، لا تعدو أن تكون بابًا من أبواب التسلية، أو مجرد إثبات لحالة علمية. ولكن الباحثين، يرون فيها الشيء الكثير العظيم. فهي تمد الباحثين بمعلومات علمية قيمة عن فسيولوجيا الإخصاب والتزاوج في عالم الحيوان. وهي كذلك تهدف لأغراض إنتاجية واقتصادية كثيرة.

إنهم ينقلون الأجنة

ما كان يخيل لنا أن الثور المدعو Horsen) Hog)، لديه هذه القدرة العجيبة، أن يخصب ٦٧٠٠ بقرة. ولكنها الحقيقة الأغرب من الخيال. وما كنا نصدق أن ثورًا آخر عجيب، قد أنجب من الأبناء نحوًا من ١٠٠,٠٠٠ في العام الواحد، فضرب بذلك الرقم القياسي في الإنجاب. ولكنها الحقيقة كذلك. أما تفسير ذلك كله، فيكمن في التلقيح الصناعي بواسطة السائل المنوي لتلك الطلائق الممتازة الصفات. ويبدو أن هذا السائل المنوي قد أصبح سالعة تجارية مهمة، تسوق على مستوى العالم فقد أحصوا أن ٦٠ في المائة من ماشية اللبن الأمريكية، قد نتجت من التلقيح الصناعي بالسائل المنوي. وقد أسهمت هذه التقنية في رفع إنتاجية الأبقار من ٢٨٧٠ لترًا عام ١٩٤٨م إلى نحو ٤١٠٥ لترًا عام ١٩٧٥م. وربما يسأل سائل عن هذا التلقيح الصناعي، وعن دوره في نقل الصفات الممتازة من الأب، وهل يمكن كذلك نقل صفات الأم الممتازة؟ والحق أن عدد الأبقار ممتازة الصفات في اللبن أو اللحم، محدود للغاية. وفي الوقت نفسه، من الصعب إكثارها بالطرق التقليدية؛ فالبقرة، أية بقرة كانت ممتازة أو عادية، وإن كانت تحمل في مبيضيها آلاف البويضات، غير أنها لا تفرز غير بويضة واحدة، كلما تاقت للحمل، وفوق ذلك فالبقرة لا تنجب خلال حياتها الخصيبة أكثر من ١٢ عجلاً. ومن ثم، فقد تساءل بعضهم، أما من حل مبتكر، يفضي إلى تكاثر الطلائق الممتازة مع الأبقار الممتازة، وبأكبر عدد ممكن؟ وأخيرًا، جاء الحل الذي حسم الأمر كله. فقد توصل العلماء إلى أسلوب جديد مبتكر يحقق هذه المعادلة ويعرف بتقنية نقل البويضات المخصبة أو "نقل الأجنة". وفي هذه التقنية، يجرى دفع مبيض البقرة الممتازة، وحثه ببعض الهرمونات المعينة، لإنتاج عشرات البويضات الناضجة في المرة الواحدة. وبواسطة السائل المنوي للطلائق الممتازة، يجرى تلقيح البويضات وإخصابها داخليًا. وتكون النتيجة، عشرات الأجنة الصغيرة في رحم البقرة وهذا عدد كبير يعجز رحم البقرة المحدود عن استيعابه ولهذا يتم استخراج الأجنة مبكرًا من الرحم بطرق خاصة. ثم يزرع كل جنين في رحم بقرة عادية تعرف بالبقرة الحاضنة وهي بقرة عادية، قد هيئت للحمل بمعاملات هرمونية خاصة. وفي أرحامها، تظل الأجنة تنمو حتى يتم الوضع. وعندئذ تخرج العجول الوليدة حاملة للتركيبين الوراثيين الممتازين للأب والأم. وبهذه

○ التجارب تتيح معلومات علمية قيّمه وتحقق أغراضًا إنتاجية واقتصادية كثيرة.



رسم توضيحي يبين عملية شطر الجنين ثم نقل أحد الشطرين إلى غلاف جنيني فارغ وإبقاء الآخر في غلافه الأصلي، وبذلك يمكن الحصول على توائم متطابقة الصفات عن طريق نقل الأجنة وزراعتها في أمهات "حاضنة"


صورة توضح عملية شطر الجنين في جنين حي

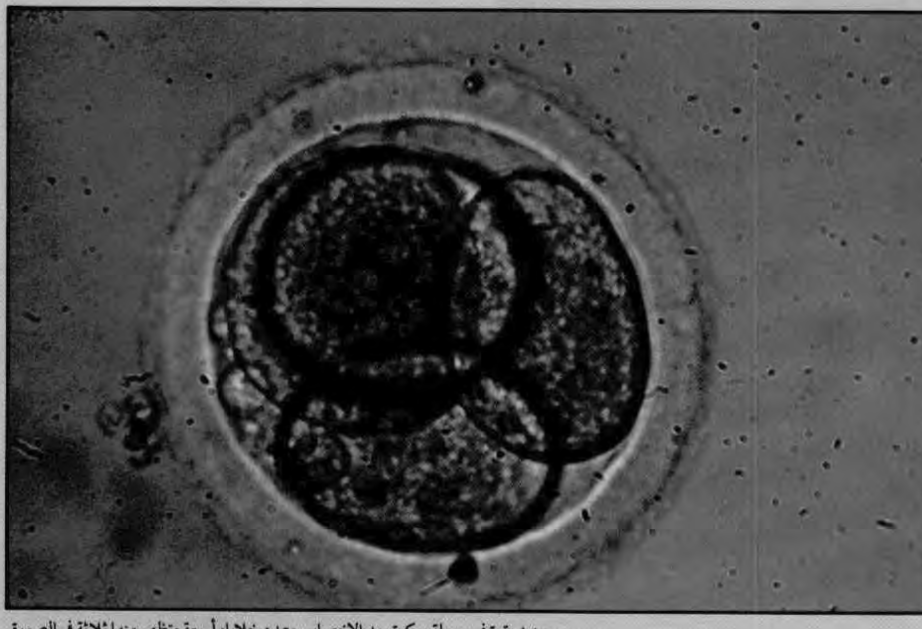
ما تبشر به البيوتكنولوجيا

التقنية الجديدة، يمكن إنتاج قطعان حيوانية ممتازة وراثيًا في وقت قصير وبكلفة أقل.

تجميد الأجنة وشطرها

دعونا نذكر، أنهم في بداية عهدهم بتقنية نقل الأجنة بين الأرحام، كانوا قد استخدموا الأرانب في نقل الأجنة من البقرة الأم إلى الأبقار الحاضنة، حينما يريدون نقلها من بلد إلى بلد آخر بعيد والحكمة وراء ذلك لا تخفى على لبيب. فهذه الأرحام - أرحام الأرانب - بيئة مناسبة مؤقتة، تحفظ البويضات أثناء نقلها وهي كذلك تخفض تكلفة الشحن بالطائرات، فبدلاً من شحن الأبقار، فلتشحن أرانب صغيرة، تحمل في أرحامها أجنة الأبقار وفي هذه الأرحام، تظل الأجنة حية، لمدة تصل إلى أربعة عشرة يومًا.

ومن جديد ما توصل إليه العلماء إمكانية تجميد الأجنة. نعم تجميدها، ويتم ذلك بحفظها على درجة حرارة منخفضة تصل إلى ٢٠٠ درجة مئوية تحت الصفر. وهم يتوسلون بغاز النيتروجين المسيل للوصول إلى هذه الدرجة المنخفضة، توقف انقسامات خلايا الجنين دون إتلافه. وهي كذلك تحفظ حياة الأجنة المجمدة لعدة أشهر، وربما لعدة سنوات، وأنت تنظر اليوم، فتجد تجارة نقل الأجنة المجمدة بين قارات الدنيا، في طرود البريد الصغيرة، قد راجت حتى جاوزت قيمتها نحو أربعين مليونًا من الدولارات سنويًا. وثمة تجارب



جنين بقرة في مرحلة مبكرة بعد الإخصاب وعدد خلاياه أربعة وتظهر منها ثلاثة في الصورة



جهاز يستعمل في تجميد الأجنة بطرق معينة على درجات حرارة منخفضة

أخرى أكثر جرأة، قام بها الباحثون في كامبريدج، فقد تمكنوا من تفريد خلايا أجنة الأغنام، ثم قاموا بتنمية كل خلية مفردة لتصبح جنينًا كاملاً. وهكذا فقد أنتج هؤلاء الباحثون خمسة أغنام من أصل جنين واحد وجميعها أجنة متطابقة وراثيًا.

وفي جامعة ولاية كولورادو، فريق آخر من الباحثين، بقيادة **الدكتور تتسو تاكيدا T. Takeda** من **معمل زراعة الأجنة في فورت كولينز Fort Collins**، يعلن عن نجاح تقنية شطر الأجنة في الأبقار فقد تمكنوا من إنتاج عجلين متماثلين من جنين واحد بعد شطره ثم إعادة الزرع في الأرحام إنها ولا شك معالجة معملية في غاية الدقة، وفي غاية الرهافة ولكن آثارها جديرة بالعناية.

هندسة دودة القز

منذ أكثر من ٤٠٠ عام، ولدت صناعة الحرير من دودة القز. وكان مولودها في الصين واليوم، تنتج نحو ٣٥ دولة الحرير الطبيعي، ويصل إنتاجها إلى ٥٢,٠٠٠ طن من الحرير الخام وعلى مدى هذه السنوات الطويلة، بذلت محاولات كثيرة لإنتاج سلالات من الديدان، ذات إنتاج أوفر وتكون خيوطها عالية المتانة جيدة الصفات. وقد حاولوا ذلك عن طريق تهجين الأنواع المختلفة من ديدان الحرير ولكن النتائج لم تكن مشجعة. وأخيرًا، يعلن **الباحثون الروس** - في معامل البيوتكنولوجيا - عن نجاحهم في إنتاج مردود مرتفع من الحرير وبمواصفات جيدة. كما نجحت تجاربهم لإنتاج أعداد لا حصر لها من توائم دودة القز المتماثلة وراثيًا، وهي في الوقت نفسه نسخ وراثية مطابقة تمام التطابق للأب أو الأم الذي منه قد جاءت، ولقد توصلوا أخيرًا لحل مشكلة تنظيم الجنس في ديدان الحرير، فالمعروف أن ديدان الفراشة الذكر تنتج كميات من الحرير تزيد بنسبة ٢٠٪ على ما تنتجه مجموعة مختلطة من الديدان الذكور والإناث. وفي معامل هندسة الوراثة باليابان، تحظى دودة الحرير بعناية خاصة، فعند الباحثين أنها مضيف جيد لإنتاج العديد من البروتينات والأنزيمات والهرمونات البشرية الثمينة، والتي تفشل البكتيريا المعدلة وراثيًا في إنتاجها بصورة نقية مأمونة.

أدوية بيطرية بالتقنية الحيوية

لعل مما سجله تاريخ «البيوتكنولوجيا» أن أول مستحضر أنتجته شركات الهندسة الوراثية، وطرح في الأسواق، كان لخدمة الحيوان. فقد طرحت شركة «انترفيت» الهولندية، لقاحًا للعجول والخنازير، يمنع الجفاف الناتج عن الإسهال، وتلا ذلك سيل من المستحضرات البيطرية، التي تستهلك بكميات هائلة من قبل هؤلاء «المرضى» الذين عادة ما يذبحون. وقد قيل باستخفاف إن لقاحات الحيوانات ستكون هي الهدف المفضل

لشركات البيوتكنولوجيا، بحيث تهمل إلى جانبه أدوية الإنسان التي تغل ربحًا أقل. فقد أحصوا ـ على سبيل المثال ـ **قيمة تجارة هرمون النمو البقري (Bovine Growth Hormone)**، عام ١٩٨٢ فبلغت نحو ٥٠٠ مليون دولار وهذه تمثل خمسة أضعاف تجارة هرمون النمو البشري (Human Growth Hormone) ومن جهة أخرى، فقد وضعت الهندسة الوراثية، بين أيدي شركات البيوتكنولوجيا، تكنيكا جديدًا لإنتاج اللقاحات البيطرية التي تخلو من أي أخطار محتملة، ويسمى هذا التكنيك «الإنتيجينات المخلقة». وأخيرًا، تأتينا أخبار علماء البيوتكنولوجيا الروس بأنهم قد نجحوا في إنتاج أحد الهرمونات التي تساعد على زيادة كمية اللبن الذي تدره الأبقار بنسبة تزيد على ٤٠٪ هذا إلى جانب مجموعة كبيرة من اللقاحات والأدوية البيطرية التي لا غنى للحيوان عنها.

كيف يحركون الجينات؟

في مجلة «نيتشر» العلمية، استرعى نظري صورة فأرين صغيرين شقيقين، ولدا في الوقت نفسه وفي الحقيقة فقد كان الفأران توأمًا من (البطن) نفسها لكن الاختلاف بينهما في أحد الجوانب كان كبيرًا جدًا، فقد كان حجم أحدهما عاديًا، وحجم الآخر عملاقًا في أكثر من ضعفي حجم شقيقه. وتفسير نمو هذا الفأر العملاق يكمن في أساليب الهندسة الوراثية فقد عالج فريق من العلماء الأمريكيين، بويضة ملحقة لفأرة، بأحد الجينات البشرية وهو جين ينتج هرمون النمو البشري، وحينما تركت هذه البويضة تنمو نموًا عاديًا في رحم أنثى الفأر، لتصبح جنينًا ثم فأرًا يولد كانت المفاجأة، فهذا الفأر المحقون بالجين البشري كان ضعف حجم شقيقه الذي لم يحقن بهذا الجين. الواضح إذًا أن الجين البشري كان فعالا تماما في هذا الفأر العملاق مثلما هو فعال في الإنسان. ويسأل سائل: وما فائدة كل هذا؟ الحق أن القيمة العلمية الباهرة في هذه التجارب تكمن في القدرة على تحريك الجينات من نوع من الحيوان إلى نوع آخر. والأكثر إبهارًا أن تنتقل هذه الجينات إلى الأجيال التالية حاملة معها (صنعتها الجديدة). ومثل هذا النوع من المهارات، هو هدف الباحثين في تجاربهم على الأبقار والماعز والخراف والخيل، وكل ماتود إكثاره ليدر عليك مزيدًا من الخير، وفرة في اللحم واللبن والنسل. ومثل هذا النوع من المهارات هو سبيل العلماء لإنتاج سلالات جديدة من الخراف. سلالات تحمل أكثر من مرة في السنة وتضع في كل مرة عدة توائم. وسبيلهم في هذا بعض الجينات الخاصة، يأخذونها من الأرانب وينقلونها إلى خلايا الخراف، ومثل هذا النوع من المهارات هو سبيلهم لإنتاج



صورة لسبعة عجول نتجت بعد جمع الأجنة من أم واحدة (ذات اللون الأبيض والأسود في الصورة) ثم تم تجميد هذه الأجنة ثم نقلت إلى أرحام أمهات حاضنة (ذات اللون الأحمر) حتى تم ولادتها



أحد الأجهزة الحديثة التي تستعمل لفحص الأجنة وشطرها او لنزع انوية الخلايا ونقل أنوية أخرى لها في تقنية التحسين الوراثي للأنواع

سلالات أخرى عملاقة من الخراف. وهذه تستلزم نقل جينات معينة من الأبقار، لإيلاجها في خلايا الخراف. وهكذا يمكن لأفكار العلماء أن تسترسل في مستقبل هذه التقنية الباهرة دون أن تنتهي إلى غاية. وربما يبتسم بعض الناس الآن، ولعلهم يرون أن هذا كله كان من نسج الخيال، ومن نسج العناكب الذي لا يصمد للريح، ومع هذا فهم يبتسمون، ويرتاحون إلى سماعه، كما يرتاحون إلى القصة التي تدغدغ الخيال، أما أن تصبح هذه الأفكار حقيقة واقعة، وأما أن نرى نتائجها في الحياة بيننا فهذا كله شيء مدهش، وشيء عجيب وسبحان الله الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

المراجع

1 8 Blakely, J., and D.H. Bade (1979). "The Science of animal Husbandry". Reston Pub. Co. Inc., Reston, U.S.A.

2 8 Borgstrom, G. (1974+. "World Food Ressources", Inter. Text. Co., New York.

3 8 Lowry, J. (1976). "World population and Food Supply", E. Arnold, London.

4 8 Gilbert, W. and Villa 8 Komaroff, L. (1980). Useful proteins from recombinant bacteria, Sci. America 242 (4) : 748

5 8 Robert, F. Weaver; (1984). "Changing Life's Genetic Blueprint; "National Geographic" No. 6.

٦ ـ يوكسين، ادوارد (١٩٨٥م): من يتحكم في البيوتكنولوجيا؟ ـ ترجمة (أحمد مستجير) ـ مكتبر غريب ـ القاهرة.

٧ ـ صالح عبد المحسن (١٩٨٤م): التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان ـ عالم المعرفة ٤٨ ـ طبعة ثانية ـ الكويت.

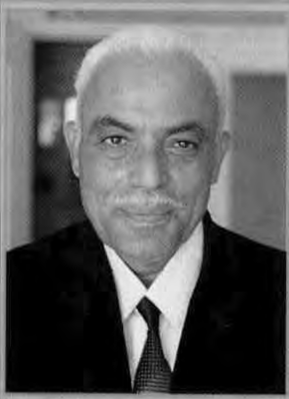
٨ ـ الكرمى زهير (١٩٧٨م): العلم ومشكلات الإنسان المعاصر ـ عالم المعرفة ذ ـ الكويت.

٩ ـ عبد السلام محمد السيد (١٩٨٢م): التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي ـ عالم المعرفة ـ ٥٠ ـ الكويت.

١٠ ـ مجلة الثقافة العالمية ـ ٤١ ـ السنة ٧ ـ يوليو ١٩٨٨م ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت.

١١ ـ أوفتسيكوف يوري أ. (١٩٨٤م): علوم تؤتي ثمارها ـ اليونسكو ٢٧٥ ـ أبريل ـ اليونسكو.

اليهود البيض .. والفهود السود!



بقلم: أ.د. حسن ظاظا

قد يتبادر لبعض الأصدقاء القرّاء أن الموضوع لا يعنيهم، فهؤلاء البيض والسود يهود في يهود، والدخول فيما بينهم قد لا يفيد القارئ العربي، وقد يحكم عليه اليهودي المتسرع بأنه، من الكاتب، صفاقة وتدخل فيما لا يعنيه، وقد يتبع ذلك بتهمة اللاسامية، والتعصب، وما إليها من تلك المعزوفة التي يقذف بها الصهاينة في وجه كل من تسول له نفسه أن يتناولهم بالحديث. والواقع أن الحديث في هذا لم يكن ليخطر ببالي لولا مصادفة طريفة وقعت لي في باريس أخيرا.

كنت جالسا في قهوة بحيّ شعبي مزدحم، بعد وقفة قصيرة في مكتبة يهودية اشتريت منها كتابين قديمين يرجعان إلى العصور الوسطى، أحدهما «دلالة الحائرين» من تأليف موسى بن ميمون، وهو من أشهر كتب اليهود في (علم العقائد) الذي يقابل (علم التوحيد) عندنا. والكتاب الآخر ديوان شعر عنوانه «تاج الملْك» للشاعر الفيلسوف سليمان بن جبيرول الأندلسي، المعروف عند الأوربيين باسمه محرّفا (آفسبرون).

بعد قليل وجدت ثلاثة من الشباب يتقدمون نحو منضدتي بأدب وابتسام ويحيونني بالعربية فرددت التحية بأحسن منها ودعوتهم إلى الجلوس، وقدّم أحد الثلاثة نفسه إليّ كما قدم زميليه: داود نعيم، هارون أبنير، نحمن زكّاي. وعندما قدمت لهم نفسي تلعثموا إلى أن قال هارون أبنير: عفوًا، ظننا أنك يهودي سِفَرَدي مثلنا! قلت: ما عليكم، فقد ظننتكم مسلمين مثلي! فقال نحمن: رأيناك تضع على المنضدة كتابين من تراث اليهود السفرد. هل عندك فكرة عنهم؟ قلت باختصار: نعم! فكلمة (سِفَرَد) باللغة العبرية اسم جغرافي لما نسميه الآن (أيبيريا) أي إسبانيا والبرتغال، كما أن كلمة (إشكناز) تعني ما يقابل ألمانيا الآن. هذا هو الأصل، لكن اليهود السفرد الآن هم كل يهود البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى والأوسط، فاستدرك داود نعيم باشمئزاز: ما عدا إسرائيل! قلت: إسرائيل فيها وفيها. فهزّ كتفيه قائلا: فيها أربعون في المائة إشكناز غربيون يحكمون، ويستعبدون الستين في المائة من السفرد، هل سمعت بالفهود السود؟ قلت: نعم! إنها تسمية كان المطالبون بالحقوق المدنية من الملوّنين في أمريكا يطلقونها على أنفسهم، إعلانًا عن مقاومتهم للتفرقة العنصرية، ثم أخذها اليهود السفرَد للهدف نفسه والاستعمال في مواجهة الإشكناز.

فقاطعني داود نعيم بحماسة: فنحن الثلاثة من الفهود السود، أنا من مواليد الجزائر، وهارون من أصل يماني، ونحمن عراقي من الأهواز. وتأكدنا أنك مثلنا عندما رأينا الكتابين معك. أجبت بأن هذا تخصصي، وهو تخصص كثيرا ما عرّضني لنفور المتطرفين من الصهاينة والمسلمين والمسيحيين على حد سواء. فضحك نحمن قائلا: لأنك غير متطرف، أي إن (شرّ الأمور) الوسط! فالمتطرف اليهودي يظن فورا أنك لم تتخصص في الفكر اليهودي إلّا للتجسس، والمتطرف المسلم يخشى أن تكون هذه الدراسة قد أثرت على نصاعة إيمانك، فلوّثته، بل ربما اتهموك بأنك تهودت وانتهيت! قلت مداعبًا: والنصارى؟ فأجابني بأن المتعصبين منهم سيتساءلون ما لهذا المسلم والفكر اليهودي؟ ألسنا نحن ورثة التوراة بتفويض من المسيح؟ فقلت وأنا أضحك: ونحن المسلمين ألسنا ورثة التوراة والإنجيل بتفويض من نبينا محمد ﷺ؟ فقال بهدوء: نعم لكن (التعصبّ) يعمل في (الأعصاب) لا في العقل!

وعدت إلى هؤلاء الفرسان الثلاثة أسألهم: ألم تفكروا في الهجرة إلى إسرائيل؟ فقال نحمن زكّاي: لقد هربنا منها بعد أن عشنا فيها سنين، كنا نشتغل بالسخرة، لا نجني من عملنا الشاق ما يكفي لمعيشتنا. وكانت الواجبات العسكرية لا ترتفع عن رقابنا، فكنا نُستدعى في أي وقت من الأوقات، ونعمل

دائما تحت أمر ضباط من الإشكناز، متعجرفين يجمعون بين الجبن وبذاءة اللسان واليد الطولى في العدوان. يرموننا في موارد الموت إمّا على الحدود أو للتنكيل بالثوار العرب وإذلالهم. والويل لمن يعصي أوامر هؤلاء الضباط المنحرفين. فقلت مقاطعا: منحرفين؟ وكيف؟ قال: كلهم من مدمني الخمور والمخدرات، وأكثرهم يشتغل بالتهريب والاتجار في السوق السوداء، بل تجد منهم من يحمي بعض بيوت الدعارة، لقاء رشوة أو مشاركة للزواني في أجرهن.

قلت: فإذا كان العرب في السنة السادسة من انتفاضتهم لم يحصلوا على شيء من السلام الإسرائيلي... فقاطعني هارون أبنير: ولن يحصلوا، إلا إذا قامت لهم في فلسطين دولة مستقلة بحدودها وإدارتها عن إسرائيل. قلت: لعل وعسى! قال: ليس الأمر مستحيلا، فقد قرأنا في الصحف الفرنسية نبأ انتخاب عزرا فايسمان رئيسا لإسرائيل، بعد أكثر من نصف قرن من الحرب ضد الهتلرية الألمانية أولا، فقد كان ضابطا بسلاح الطيران الملكي البريطاني، ثم اشترك في جميع حروب إسرائيل ضد العرب، ولكنه أخيرًا تاب وأناب. وأنا يهودي أقول لك: إن اليهودي لا يتوب إلا يأسا، والرجل بعد كل هذه (الانتصارات) قد بدا له بوضوح أن ذلك طريق لا نهاية له. فالعرب أكثر من اليهود بخمسين ضعفا، ووراءهم العالم الإسلامي الذي يعتبر نفسه طرفا مباشرا في القضية، وهو يفوق عدد يهود العالم بأكثر من مائة مرة، وكل هؤلاء يملكون الغذاء والمال والوقود والماء والأيدي العاملة، فكيف يمكن هزيمتهم؟ وإلى متى؟ فنظرت إليه باستغراب وقلت: أنت تقول هذا؟! فأجابني: قاله منذ وقت قصير من هو أهم مني، هو الجنرال باروك القائد العام للجيش الإسرائيلي، وكان يتحدث عن الانتفاضة العربية حديث اليائس من إخمادها، لدرجة أنه قال: إن العمل العسكري لا يجدي في العثور على حل للانتفاضة، والحلّ السياسي هو الوحيد الذي فيه بارقة أمل الآن. قلت متعجبا: وبهذه الصراحة؟ قال: بل بأكثر منها، فقد ورد في تصريحه أنه يريد أن يتحدث بصدق وواقعية، ومن العبث أن نضحك على أنفسنا ونضحك على العالم معنا!

وبادرني هارون أبنير يقول: إن اليهود السفرد عددهم مليونان في إسرائيل، وهم على الأقل أعرق وأصدق في اليهودية من الإشكناز، ومع ذلك فإنهم يعيشون معهم في ذل وبؤس، وهم إخوانهم في الدين، والعرب في إسرائيل والمناطق المحتلة عددهم نصف عدد اليهود السفرد، والدماء والأحقاد تقوم بين الطرفين كالجبال، والأمل في سلام أو دولة موحدة أو اتحاد فيدرالي أو ما إلى ذلك مستحيل. وكنا نحن اليهود السفرد أولى لو أنه كان ممكنا. إن قرونا طويلة عاشها اليهود الإشكناز في ظل أوربا المسيحية، بكبريائها وتعصبها وكراهيتها لليهود واضطهادها لهم من أيام الرومان إلى أيام هتلر، وما بعدها، كانت مدرسة للضغينة والعنصرية، تخرّج فيها اليهود على مدى ألفين من السنين، وهم يمارسون على العرب الأساليب نفسها التي تعلموها من أباطرة الرومان وقياصرة الروس وقادة النازيين، وخلاصة الموضوع أن الصهيونية الإشكنازية الحاكمة في فلسطين تقسم السكان هناك ثلاثة أقسام: الإشكناز في القمة، والسفرد في الحضيض، والعرب في حضيض الحضيض، مرشحون للطرد من الأرض أو الإبادة، والسفرد ليسوا - في نظرهم - إلاّ يدًا عاملة رخيصة مهينة في وقت السلم ووقودًا للنار في وقت الحرب.

ثم سألني: هل قرأت كتاب اليهودي السفردي «فيكتور مَلْكَا؟» قلت: لا، ومن هو؟ قال: إنه من علمائنا، فرنسي الجنسية، وهو مدرس للتاريخ اليهودي في جامعة باريس (في فرعها بضاحية نانتير) وعنوان كتابه المنشور بالفرنسية في باريس (اليهود السفرد). وسألته إذا كان شراؤه ممكنا من المكتبة اليهودية التي كنت فيها؟ فأجاب: بكل سهولة، ثم انطلق وعاد في دقائق والكتاب معه، فأعطيته ثمنه، وتصفحته بسرعة فقرأت على جلدته أن هذه هي الطبعة الثانية من الكتاب (مزيدة ومنقحة) صدرت عام ١٩٩١م من ١٢٠٠٠ نسخة! أما الطبعة الأولى فأشار الناشر (المطابع الجامعية بفرنسا) إلى أنها صدرت عام ١٩٨٦م.

وصحبت هذا الكتاب يومين حتى أتممت قراءته، فرأيت المؤلف قد بدأه بفصل قصير بعنوان (الأصول) أشار فيه إلى ما ذكره موسى بن ميمون في إحدى رسائله بقوله: «عندنا مأثورة شفوية عظيمة ومدهشة، حدثني بها أبي عن جدي عن أبيه عمّن حدثه بها من السلف تقول: إن أصل مجيئنا إلى أسبانيا يعود إلى طرد اليهود من بيت المقدس (أورشليم) حسب النبوءة المسطورة في أسفار الأنبياء (سفر عوبديا ١ : ٢٠) والذين جلوا من جيش بني إسرائيل عن أرض كنعان يستقرون في «صَرْفَت» - أي فرنسا - والجالون عن أورشليم في «سِفَرَدْ» - أي أسبانيا والبرتغال - ومدن الجنوب».

وهذه الإشارة إلى الجلاء، وأنه جيش من بني إسرائيل غامضة أشد الغموض شأن معظم النبوءات المنسوبة إلى أنبياء اليهود وحكمائهم. فهذا الجلاء المشار إليه هل يقصد به الجلاء القديم أمام بختنصر البابلي في القرن السادس قبل الميلاد؟ أم الجلاء الروماني عام ٧٠ الميلادي وما بعده(ومهما يكن من شيء فإنها مجرد أسطورة، نشأت بجانبها أساطير أخرى من أشهرها أن اليهود السفرد كانوا من أمراء المملكة الإسرائيلية في فلسطين قديما وكانوا ينفون من الأرض إذا غضب عليهم الملك! بل زعموا أن داود وسليمان كانا يرسلان سفراء إلى ملوك أسبانيا (لماذا ملوك أسبانيا فقط؟) وأن اليهود السفرد هم سلالة هؤلاء السفراء! والقراءة المتأنية في دقائق التاريخ اليهودي القديم تشير إلى أن تلك الجموع من اليهود كانت منتشرة في حوض البحر الأبيض المتوسط خصوصا منذ القرون اليونانية الرومانية للاشتغال بالتجارة وبعض الحرف، وأن كثيرًا منهم لجؤوا إلى أسبانيا هربًا من الاضطهاد الروماني في إيطاليا والمستعمرات القريبة منها مثل بلاد اليونان وتونس وجنوب فرنسا، فتزاحموا على المستعمرات الرومانية البعيدة عن متناول يد الحكومة المركزية: أسبانيا والبرتغال جنوبا، وشمال أوربا وشرقها شمالاً، وهكذا تكونت جاليتان: السفرد والإشكناز.

وعلى إثر الفتح الإسلامي للقسم الجنوبي - أسبانيا والبرتغال - عاشت الجالية اليهودية في ظل الإسلام في حرية وأمن ورخاء في ظل النظم الإسلامية الخاصة بأهل الذمّة، فهم يعفون من الجهاد ويدفعون لحمايتهم ضريبة تسمى (الجزية)، وهم بعد ذلك أحرار في ممتلكاتهم وعباداتهم ومواريثهم وثقافتهم ولغتهم. ووصل الأمر في الأندلس أنه كان يسمح لغير المسلمين بحضور

◀

اليهود البيض

.. والفهود السود!

الدروس ـ في جامع قرطبة مثلا ـ باستثناء دروس القرآن الكريم فبرعوا في علوم اللغة العربية والرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء والطب والصيدلة، وما لا يكاد يُحصى من فروع العلوم الدنيوية والدينية. وفي تلك الفترة كان اليهود الشماليون والإشكناز، في عزلة تامة عن المجتمعات الأوربية التي رفضهم ولفظتهم فتقوقعوا في أحياء خاصة بهم، تلعنهم الكنائس المسيحية على منابرها لأنهم أعداء الله وقتلة المسيح، فإذا خرج الإشكنازي من الحيّ الخاص به (الجيتو) خرج ماشيًا لا حق له في الركوب، ومعلقا في رقبته عَجَلةً من الخشب ليعرف الناس أنه يهودي، ومشى على يسار الطريق لأنه ليس من أهل اليمين. وإذا سافر كان عليه أن يأخذ تصريحا من السلطة الحاكمة، وإذا اجتاز بلدا مسيحيا نزل عن دابته أو عربته ومشى على رجليه حتى يخرج منها، ولم يكن له الحق في استئجار مسيحي لخدمته أو امتلاك عقار أو حقل أو مصنع، وآلاف من ألوان المضايقة الاجتماعية منها احتمال السبّ والإهانة، وقد يصل ذلك إلى الضرب أو القتل.

وبعكس ذلك كان اليهود في العالم الإسلامي أطباء وفلكيين ومهندسين وصيادلة وكتّابا وأدباء وشعراء ومؤلفين، مما أتاح لهم أن ينقلوا هذه الحضارة العربية الإسلامية إلى مجتمعاتهم فسجلوا لأول مرة في تاريخهم قواعد اللغة العبرية، كما فعل ذلك في بغداد شيخ اليهود في الدولة العباسية «سعديا سعيد بن يوسف الفيومي» في القرن العاشر الميلادي، وأبو زكريا يحيى بن داود حيّوج في القرن الحادي عشر بالأندلس، وأبو الوليد مروان بن جناح القطبي في القرن الثاني عشر، وأخذوا عن المسلمين قواعد التلاوة والقرآن في التوراة محاكاةً للمسلمين في تلاوة القرآن الكريم، واشتهر من علماء القراءات في التوراة عندهم ابن آشر وبن نفتالي، وترعرع علم التفسير واستنباط الأحكام من التوراة على يد المفسرين إبراهيم بن عزرا وداود قمحي وموسى بن نحمان وسليمان بن إسحاق الذي نقل فن التفسير إلى اليهود في جنوب فرنسا. ولا بد أن أمسك عن الاسترسال، فإن الثروة العلمية الهائلة التي أورثها اليهود السفرد إلى قومهم جميعا استغرقت من البحوث والمؤلفات ما يملأ مكتبات كاملة في جميع أنحاء العالم، ولا تتسع للإلمام به حياة رجل واحد فضلاً عن مقالة في مجلة. ويكفي أن أشير إلى الصهيونية الإشكنازية التي أشرنا إليها، عندما قررت إحياء اللغة العبرية بعد موت دام أكثر من ألفين من السنين وجدت اللهجة الإشكنازية وأساليب التعبير فيها مكسرة ركيكة، فاضطرت صاغرة إلى اعتماد اللهجة السفردية في التعبير العبري لنقائها وانضباطها بقواعد أخذوها عن نحاة العرب الأقدمين وعلى رأسهم سيبويه وأبو الفتح عثمان بن جني وأمثالهما. وهكذا بقي من حضارة العرب في المجتمع اليهودي لغة السفرد المقررة في التعليم والصحافة والإذاعة والمسرح والغناء والشعر.

ومع ذلك بقي السفرد منبوذين من الصهيونية لأنهم يحملون الطابع العربي الإسلامي في تراثهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ولكن كيف حدث هذا؟

في عام ١٤٩٢م وعلى إثر زواج إيزابلا ملكة قشتالة بفرديناندو ملك أراجون عام ١٤٦٩م وإعلان المملكة الإسبانية عام ١٤٧٩م، بدأت الجولة العسكرية الأخيرة لتدمير الوجود العربي في أسبانيا، وانتهت بسقوط غرناطة، وإصدار المرسوم الملكي من قصر الحمراء بتوقيع الملك والملكة، والقاضي بطرد غير المسيحيين الكاثوليك من البلاد، والمقصود طبعا المسلمون واليهود. وكان تاريخ هذا المرسوم ٣١ من مارس عام ١٤٩٢م، ولكنه بقي سرا مكتوبا لمدة شهر، حتى يتم طرد الجميع دون أن يحاولوا تهريب مدخراتهم، وأعلن عنه في ٢٩ أبريل من السنة نفسها، وكذلك في اليوم الأول من مايو، وأعطي المطرودون ثلاثة أشهر للخروج من الأرض كلها، كما وضعت شرطة خاصة للتدقيق ومصادرة الأمتعة غير المسموح بها، ولجأ النظام الأسباني الجديد إلى عرض ثلاثة خيارات أحلاها مرّ كما يقال، هي: إما الخروج بالضروري الذي لا بد منه من المنقولات، وإما تقرير البقاء في البلاد ومع إعلان الارتداد عن الإسلام أو اليهودية، والتقدم لفريضة التعميد (التنصير) في الكنيسة بحضور شهود على ذلك، وإما القتل لمن قضى الأشهر الثلاثة وبقي في البلاد.

ولجأ بعض اليهود السفرد إلى التزوير، فادعوا أنهم تنصّروا، وبنوا كنائس ظاهرها كاثوليكي وباطنها يهودي، واشتهروا بين المؤرخين باسم (المارانوس)، ولم أعثر على أصل أرتضيه لهذه التسمية، فالصهيونية بتعصبها المألوف تزعم أن هذه الكلمة من العامية الإسبانية القديمة ومعناها (الخنازير)! وإن صح هذا فكيف يصف أبناء هذه الطائفة أنفسهم بأنهم مارنواس؟ فهم قد بقوا إلى أيامنا هذه لا يريدون الدخول في اليهودية الرسمية حتى بعد إعلان الحرّيات وحقوق الإنسان.

وهناك كثير من ضعفاء اليهود السفرد لم يستطيعوا الخروج من ديارهم ولم يفكروا في الابتعاد عن دينهم، فانقضت عليهم «محاكم التفتيش» الكاثوليكية وعلى رأسها الراهب الدومينيكاني توركويمادا، وكانت محاكمه تأمر بقتل من بقي على دينه من المسلمين أو اليهود على أبشع الأساليب، وعلنًا في الساحات العامة للمدن: بالصلب، وإلا حُرِقَ بالنار، والسحل إلى أن تتقطع أوصال المحكوم عليه، بل كان هذا الراهب يضمر احتقارا وعداوة كامنة لليهودي أو المسلم الذي ترك دينه وصار كاثوليكيا! حتى هذا؟!

وهكذا انتشر اليهود السفرد في حوض البحر الأبيض المتوسط، ولا سيما الشرق العربي الإسلامي، بل في بعض البلاد الواقعة تحت حكم المسلمين في ذاك الوقت مثل تركيا وتسالونيك (باليونان) وحتى ألبانيا والبوسنة والهرسك وكوسوفو. لكن لماذا تحتقرهم دولة إسرائيل الصهيونية؟

يقول بن غوريون، أكبر أقطاب هذه الصهيونية: «إن يهود المغرب ليس لديهم أية تربية، وعاداتهم تشبه عادات العرب! وأنا لا أريد الثقافة المغربية هنا!» لماذا؟ لأن الصهيونية ليست إلا حركة سياسية استعمارية عنصرية تتستر وراء الطابع الديني، وتتجمل بعطور التقدم والحرية حتى تخدع العالم، وتجذب لها مزيدا من المؤيدين، ويستحسن أن يكون كثير منهم من غير اليهود، ليصبح كل منهم بمثابة كلب الصهيونية العقور.

أضواء على شوقي من كتاب مجهول

كتاب "شوقي"

تأليف: أنطون الجميل

عرض ومناقشة: د. محمد عارف محمود حسين



دون منازع تُـوِّج شوقي أميرًا للشعراء في العصر الحديث، ولا غرو فهو الطائر المغرد في سماء الشعر العربي بأعذب الألفاظ، وألطف المعاني، شدت بأشعاره أصوات الشادين، فغدا شعره على كل لسان، وخالط فنه كل بيان، وأقيمت له حفلات التكريم، وألفت فيه المقالات والمؤلفات، وقررت أشعاره على تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات.

ويأتي الأستاذ «أنطون الجميّل»[1] ليؤلف كتابه «شوقي» الصغير حجما، الكبير قدرا، الفريد نسخة، إذ لا توجد منه نسخة في أية مكتبة عامة أو خاصة، لذا كان عرض هذا الكتاب من الفائدة بمكان.

والكتاب - على صغر حجمه - يحوي بحوثا ثلاثة، بعضها مديح وتقريظ، وبعضها الآخر رثاء وتأبين، وهي تعد بمثابة لآلئ ثلاث سلكها المؤلف في عقد واحد، أحاط به عنق شوقي، وكأن المؤلف قد آلى على نفسه أن يكرم «شوقي» حيًّا وميتا.

شاعر الأمراء

والبحث الأول «شاعر الأمراء»[2] يبدأ بالحديث عن شاعرية شوقي الفذة، تلك التي صيغ في مدحها قلائد المدح، ونظم فيها عقود الثناء «**فكل قصيدة له تنعت بالعصماء، وكل منظومة تعدّ شوقية غراء**»[3]. **فهو شاعر الغزل، والنسيب، وناظم الحوادث والتاريخ، صاحب الحكم الرائعة والأمثال الذائعة، ترجمان العاطفة الوطنية، والذائد عن العقيدة الدينية**»[4]

ويخلص من هذا إلى أنه من الصعب أن يتناول شوقي - على تعدد جوانب شاعريته - من خلال بحث موجز؛ لذا قصر بحثه على مظهر من مظاهر شاعريته الجمّة، وهو نزعته السياسية وما طرأ عليها من التقلبات. ويعلل المؤلف اختياره هذا المظهر بأن الكتّاب قد أفاضوا في الكلام عن شوقي أمير الشعراء. ولم يتناولوا (شوقي) شاعر الأمراء إلاّ على نحوٍ من التلميح لا التصريح، إضافة إلى أن (شوقي) قد أصابته - من خلاله - قذائف صائبة، في صحة عقيدته السياسية ونزاهة مبدئه الاجتماعي، مفادها أنه مدّاح السلطة أية كانت السلطة، ومطري القائمين بالأمر أيا كان القائمون بالأمر. ويبين المؤلف أنه «**إذا كان من مستلزمات التكريم إذاعة المناقب، فقد يكون من مستوجباته - كذلك - دفع التهم؛ ليكون التكريم تامًّا كاملا، لا تشوبه شائبة**»[5].

ويدفع المؤلف عن شوقي هذه التهمة بتوضيح منهجه في مديحه، وغرضه الذي يرمي إليه، فيقول: «**مدح جميع من ذكرنا من الملوك والأمراء، ولكنه نصح لكل منهم بالإصلاح، واحترام الحرية، والعمل على ترقية البلاد، وحسن سياسة العباد. ورفع منار العلم، وهو يرى أن جميع هذه الصور لا تتم في الشرق إلاّ على أيدي القائمين بالأمر فيه**»

فشوقي - إذن - يمدح القائمين بالأمر وأصحاب السلطة؛ لما يرجوه على أيديهم من إصلاح وتقدم وترقية للبلاد، لذا كان تغيير اسم الممدوح لا يعني تغيير عقيدته السياسية ولا صدقه الاجتماعي؛ لأن مطلبه من المدح لم يتغير، ونصحه الذي يزجيه لممدوحه لم يتبدل «**فالنصائح هي هي مهما تغيرت المدائح . . . ومن أجل ذلك خدم السلطة لأنه رآها واجبة لازمة لتحقيق جميع تلك المطالب**»[7]

ويورد المؤلف الكثير من الأمثلة على نهج شوقي، ذلك الذي سلكه في مديحه، فيقول: «**يمدح الخديوي عباسا، ولكنه يقول له:**

لا يُظهر الكبراء آية عزّهم

حتى يعزوا آية الأفكار

ويذكِّره، وهو يفتتح الجامعة المصرية، أن :

تـــركَ النفـــوسِ بـــلا علمٍ ولا أدبٍ
تـــركُ المريضِ بـــلا طبٍّ ولا آسِ

وإذا مـدح الملك (فـؤادًا) عقب على المدح بقوله :

إنْ سرّكَ الملكُ تبنيـــه على أُســسٍ
فـاستنهضِ البانييْنِ : العلمَ والأدبَـا
وارفع لــه من حِبـالِ الحقِ قـاعـدةً
ومُـدّ من سببِ الشـورىٰ لــه طُنُبَـا

فماذا يهمنا اسم الممدوح، وماذا يهم بنوع خاص الأجيال القادمة، إذا كان المدح ينطوي على مثل هذه العظات والحكم البالغة ؟

وهذا التبديل في أسماء الممدوحين لا يعني التنكر والجحود للممدوحين السابقين، فشوقي **«لا ينكر صداقاته القديمة بل لا ينفض يده من يد الذين لا يزالون على غير فكره، وإذا دالت دولة من دول الشرق التي كان لها نصيب من مدحه وتمجيده، فلا يرى وجوب النعي والنحيب والامتناع عن مجاراة الزمان، بل يبرز للدولة الجديدة مُطريا مادحًا مع دعوة إلى الإصلاح وإلى تحقيق ما لم يتحقق على عهد سالفتها، فخلاصة مبدئه : الترحيب بالحاضر مع احترام الماضي»** [٨] .

ويوضح المؤلف أن دعوة شوقي - من خلال قصائده المدحية - إلى احترام السلطة - في أي وقت - والحفاظ على هيبتها ودعوة الناس إلى الالتفاف حولها، ليست إلا دعوة إلى الاستقرار الذي يحفظ للدول قوتها وهيبتها، وبخاصة في عصور الاضطرابات التي تضعف فيها الحكومات .

يقول شوقي :

إلام الـــــخُلْفُ بينكمُ إلامـــــا
وهـذي الضجـة الكبرىٰ علامَـا ؟
وفيـم يكيـــــد بعضكـمُ لبعـض
وتبـــدون العـــداوة والخصامـــا ؟

عاش شاعرا ومات شاعرا

وفي البحث الثاني **« شوقي : عاش شاعرا ومات شاعرا»** [٩] يتحدث المؤلف عن ملكة شوقي الشعرية، تلك الملكة التي تبدّت أماراتها منذ كان طفلا في الثالثة من عمره، حين كان بصره لا ينزل عن السماء، من ارتجاج أعصابه، مما جعل



الخديوي ينثر بدرة من الذهب على البساط عند قدميه، فوقع شوقي على الذهب يشتغل بجمعه واللعب به [١٠] . وهذا يعني أن **(شوقي)** كان شديد الإحساس بما يحيط به، سريع التأثر بما يستقبله من مؤثرات، مما يؤذن بشاعرية مبكرة .

وحقا فلقد تفجرت شاعريته مذ كان طالبًا في المدرسة، حيث أخذت ملكة الشعر توحي إليه بالصور الجميلة، والكلام الموزون؛ فبدت أشعاره جميلة، موشاة في ألفاظ رشيقة ومعان لطيفة، ولازمته ملكة الشعر وهو يطلب الحقوق والآداب في فرنسا **«وقد نظم في تلك الحقبة من القصائد ما كان يبشّر بما سيصير إليه من الإمامة والإمارة في دولة القريض»** [١١] .

وقد رافقته تلك الملكة، وهو يمثل الحكومة المصرية في مؤتمر (جنيف) فنظم قصيدة غرّاء تضمنت ما وقع في وادي النيل من كبار الحوادث منذ فجر التاريخ [١٢] . بل رافقته في جميع أدوار حياته، وهو في أوج الجاه وأبهة المناصب العالية والنفوذ لدى الحكام، ورافقته - أيضا - وهو في منفاه يطوّف بربوع الأندلس ويتغنى بمفاخرها الدارسة، ويبكي ويستبكي حنينا إلى وطنه بل ظل شاعرا بعد عودته إلى ذلك الوطن [١٣] .

ويحدثنا المؤلف - خلال هذا البحث - عن أخصب أدوار عمر شوقي إنتاجا شعريا، فيبين أن أخصبها هو ذلك العهد الذي أعقب عودته من المنفى، والذي يعد - أيضا - عهده الأخير. وفي هذا العهد يقلع الشاعر عما ألفه اضطرارا بحكم لقبه ومنصبه، من الموضوعات التي حفل بها ديوانه الأول. ويتوفر على كل موضوع وطني تاريخي عمراني، فيما ازدادت قريحته صفاء ورواء، وكأن شاعريته كانت تزيد تدفقا وغزارة، كلما أخذ معين الحياة ينضب في جسمه النحيل .

ولعلّ تدفق شاعريته في أواخر حياته، جعله لا يكتفي بالقصائد، بل عمد إلى أشهر الحوادث من تاريخ مصر وتاريخ العرب، ينظمها روايات تمثيلية [١٤] . **«وهكذا كان في الحلقة الأخيرة من عمره يطالعنا في كل حادث من الحوادث بقصيدة عصماء، ويزفّ إلينا في كل عام رواية حسناء»** [١٥] .

وظل شوقي شاعرا في مماته، فبعد وفاته ببضع ساعات كانت آخر قصيدة نظمها تُلقى في حفلة الشباب القائم بمشروع القرش [١٦] .

وينهي المؤلف بحثه بكلمات صادقة عن أخلاق شوقي، المتمثلة في وداعة نفسه، ولين جانبه، ونقاء قلبه؛ مما جعل للسانه عفّة، ولقلمه نزاهة، فلم ينطق هُجْرًا، ولم يكتب هَجْوًا، ولذا صدق فيه قول المرحوم إسماعيل صبري :

مـرحبًـا بـالمقـالِ سمحًـا كـريمًا
لم يَشُبْـــهُ هجـــوٌ ولا إيـــذاءُ
مـرحبًـا بـالبيـانِ سحـرًا وبالشعـ
ـــرِ تحلّيـــه حكمـــةٌ غـــراءُ

شاعريته ومميزاتها

وفي البحث الثالث **«شوقي : شاعريته ومميزاتها»** يتناول المؤلف شاعرية شوقي، أو شوقي الشاعر، مبتدئا بالحديث عن فنونه الشعرية التي حلق بها في سماء الشعر، ومنتهيا بالحديث عن مميزات هذه الشاعرية، التي كانت مثار إعجاب النقاد والدارسين. ذلك لأنه لن يبقى للشاعر بعد مماته سوى شعره، أمّا ما عداه من الجاه والعظمة فبادٍ وفانٍ .

ويتطرق المؤلف - ابتداء - إلى قضية مهمة، وهي أن (شوقي) **«لم يشدّ إلى قيثارة الشعر وترًا جديدًا. ولكنه عرف أن يُنطق الأوتار القديمة بنغمات جديدة مستعذبة . . . وهكذا كانت أوتار القيثارة في يده تُخرج ألحانًا مستجدة في كل موضوع»** [١٨] .

ويأخذ المؤلف - بعد هذا التصدير - في الحديث عن فنون شوقي الشعرية - أو أوتاره كما يسميها - وهي أوتار : الدين والوطن والحكمة، والوتر المصور **(الوصف)** والوتر الخاص .

الشعر الديني

وعلى وتر الدين نقر شوقي أعذب الألحان، فتغنى بالإسلام مبدأ وعقيدة :

آيـاتـه كلّمـا طـال المدى جـدُدٌ
يـــزينهنّ جـــلال العتق والقـــدم
يكـــاد في لَفْظـــةٍ منـــه مشرّفـــةٍ
يـوصيك بـالحق والتقوىٰ وبالرحـــم

وتغنى به دُولاً وحواضر :

دَعْ عنك (روما) و (آثينا) وما حوتا
كل اليواقيت في (بغداد) والتُّوَمِ [19]
دار الشرائع روما كلما ذُكِرتْ
دارُ السلام لها ألقت يدَ السَّلَمِ [20]

وتغنى به ملوكا وأمراء :

ولا احتوت [21] في طراز من قياصرها
علىٰ رشيد ومأمون ومُعْتَصِمِ
من الذين إذا سارت كتائبُهُم
تصرَّفوا بحدود الأرض والتُّخُمِ
ويجلسون إلى عِلْمٍ ومعرفة
فلا يُدانُونَ في عقل ولا فَهَمِ

ومثل هذا التغني كثير، مما ترددت أصداؤه في كثير من قصائده، لا سيما «الهمزية» و «عرفات» و«الخلافة» و «ذكرى المولد» و«الأزهر» و«البردة» مما يدلّ على أنه كان يصدر فيه عن عقيدة راسخة وإيمان صادق، وتمسك شديد بهذا الدين، وبخاصة بعد أن خبر الدنيا وذاق حلوها ومرها :

جنيتُ بروضها وردا وشوكا
وذقت بكأسها شُهْدًا وصابا
فلم أرَ غير حُكم الله حُكمًا
ولم أرَ دون بابِ الله بابا

الشعر الوطني والقومي

أما وتر الوطن فقد نقر عليه كثيرا، وكان فيه مثال البراعة والحذق، وكانت (وطنيات شوقي) لذلك خليقةً أن تجمع وتدرس في المدارس لتنشئة الطلبة على حب الأوطان [22]. وحديث شوقي عن الوطن ثَر متدفق، مفعم بالعاطفة الجيّاشة، والشعور المعظم لهذا الوطن، ومن هنا تغنى شوقي بوطنه في قصائد كثيرة، وفي جوانب متعددة، فقد تغنى به آثارًا شامخة، تتحدث عن مدهشات الفن وروعة الإبداع، فهو يقول عن الهياكل والمعابد القديمة :

شاب من حولها الزمان وشابت
وشبابُ الفنون ما زال غضًّا
ومحاريب كالبروج بَنَتْهَا
عزماتٌ من عزمة الجن أمضى

وتغنى به نيلا، يعلن عن سر الخصب والنماء والحياة :

من أي عهد في القرىٰ تتدفق
وبأي كفٍّ في المدائن تُغْدِقُ
ومن السماء نزلت أم فُجِّرت من
عُليا الجنان جداولا تترقرق
وبأي نَوْلٍ أنت ناسجُ بُردة
للضفتَيْن، جديدُها لا يَخلَقُ

وأشاد به علماء أعلامًا نشروا نور التمدين في العالم :

فكانوا الشهبَ حين الأرضُ ليلٌ
وحين الناسُ جِدُّ مُضَلَّلينا
مشت بمنارهم في الأرض روما
ومن أنوارهم قبست أثينا

وافتخر به شبابًا هم معقد آماله ومعقل رجائه :

وطنٌ يَرفُّ هوىً إلى شُبانه
كالروض رَفَّتْه على ريحانه
هم نظم حِليته وجوهر عقده
والعِقدُ قيمته يتيم جُمانِه

وحبُّ شوقي لوطنه أسيفا حين تردَّت أحواله، وصارت مقاليد أموره في غير يد أبنائه :

أرى وطنا تحير ناشئوه
فما يجدون من عمل قِواما [23]
فلا أسسُ التجارة فيه قَرَّت
ولا ركنُ الصناعة فيه قاما

ولذلك صارت حالة أبناء الذين علموا الدنيا الفنَّ والصناعة إلى ما يؤلم النفس :

مدح شوقي الملوك والأمراء لكنه نصح لهم بالإصلاح وحُسْن سياسة العباد

تجدُ الذين بنَىٰ المسلة جدُّهم
لا يحسنون لإبرة تشكيلا

وفي «وطنياته» هذه يرسم شوقي طريق الخلاص للوطن من هذه الهوة العميقة، حين يدعو إلى الاتحاد لأنه مصدر القوة وإلى البعد عن الخلاف، لأنه مبعث التفرق والضعف :

صوتُ الشعوبِ من الزئير مجمَّعًا
فإذا تفرَّقَ كان بعضَ نُباحِ

وحين يدعو بالمطالبة بشيئين أساسين عليهما إنهاض الوطن وإسعاده، الأول : العلم والقوة، والثاني : الدستور والشورىٰ، وقد انبثّ لشوقي شعر كثير تعبيرا عن هذين الأساسين، مجملين مرة، كما في قوله :

إنْ سرك الملك تبنيه على أسس
فاستنهض البانِيَيْنِ : العلم والأدبا
وارفع له من حبال الحق قاعدة
ومدّ من سبب الشورىٰ له طُنُبا

ومفصلين مرة أخرى، أما القوة والعلم فحيث يقول :

وما الحُكْم أن تنقضي دولةٌ
وتقبل أخرى وأعوانُها
ولكن على الجيش تقوىٰ البلا
دُ، وبالعلم تشتدّ أركانُها

وأما الشورىٰ والدستور فحيث يقول :

الرأي رأي أمير المؤمنين إذا
حارتْ رجالٌ وضلَّت في مرائيها
وإنما هي شورىٰ الله جاء بها
كتابُه الحقُّ يُعليها ويغليها

ووطنية شوقي المتدفقة في عروقه، جعلته يوجه نصائحه المتوالية إلى شباب الوطن، كي يُنهض هذا الوطن من عثرته بالإقدام والعمل :

قل للشباب بمصرٍ : عصرُكم بطلٌ
بكل غاية إقدام له ولَعُ
أُسُّ الممالك فيه همةٌ وحجىً
لا الترهات لها أُسٌّ ولا الخِدَعُ

على أن حبّ شوقي لمصر لم يجعله ينسىٰ وطنه الكبير ــ بأقطاره المتعددة، التي تجمعها بمصر

روابط الجوار أو اللغة أو الدين ــ متغنيا بآماله، وباكيا لآلامه :

كان شعري الغناءَ في فرح الشر
قِ وكان العزاءَ في أحزانه

ويقول :

ونحن في الشرق والفصحى بنو رَحِمٍ
ونحن في الجرح والآلام إخوان

وحقا لقد عشق شوقي وطنه (مصر) **ولقد نظم في بغداد ودمشق ولبنان، مهنئا أو معزيا أو مواسيا، ما قد يكون قصّر عنه شعراء العراق أو الشام أو لبنان»** [٢٤]

الحكمة في شعره

وعلى وتر الحكمة ضرب شوقي بأبياته الفريدة، ونصائحه الرشيدة، التي ازدانت بضروب التوجيهات وصنوف الإرشاد التي تهدي الإنسان إلى أقوم سبيل؛ لأن (شوقي) يرى الحكمة فنا من فنون الشعر الرئيسة :

نصيحة ملؤها الإخلاص صادقة
والنصح خالصه دينٌ وإيمانٌ
والشعرُ ما لم يكن ذكرىٰ وعاطفة
أو حكمةً، فهو تقطيع وأوزان

وحكم شوقي واجتماعياته امتازت«بسهولة معناها ورواء مبناها، فجمعت إلى أبهة الحكمة وجلالتها عذوبة الحياة وطلاقتها» [٢٥].

وقد انبثت حِكَمُ شوقي في قصائده المختلفة الدينية، والوطنية والاجتماعية، داعية إلى العدل والإنصاف، ومكارم الإخلاق، يدعو إلى الإنصاف فيقول :

فهو الذي يبني الطباع قويمة
وهو الذي يبني النفوس عدولاً
ويقيم منطق كل أعوج منطق
ويريه رأيا في الأمور أصيلا

ويدعو إلى العدل في تدبير الملك :

والعدل في الدُّولات أُسٌّ ثابتٌ
يُفني الزمان ويُنفدُ الأجيالا

ويدعو إلى الرفق في سياسة الناس :

إن ملكتَ النفوسَ فابغ رضاها
فلها ثورةٌ وفيها مضاءُ



يسكن الوحشُ للوثوب منَ الأسـ
ـرِ، فكيف الخلائق العقلاء

وينادي بوجوب تعليم المرأة وتربية الأسرة :

وإذا النساء نشأن في أمّيَّةٍ
رضع الرجالُ جهالة وخمولا

أما الأخلاق فقد أكثر من ذكرها والحث عليها، فبها تحيا الأمم ويسعد الأفراد :

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ
فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وعلى وتر الوصف غنانا شوقي بما يطرب الأسماع، ويفتن الأبصار، وكان عنده من دقة الملاحظة، واستيعاب ما يراه ما ساعده على أن يستجمع بلحظة عين ما لم يره غيره، وما لم يره بأم عينه نظر إليه بعين خياله : لمحة عين، أو لمحة قلب، كانت تكفيه ليطبع في خاطره رسم الأشخاص والأشياء، ثم يجيء بكل ذلك وصفًا أخّاذًا، وصورا ضاحكة خلابة [٢٦].

وقد أثرى شعره الوصفي كثرةُ مشاهداته ومرائيه؛ فقد رأى مصر وآثارها الخالدة، ورأى أوربا ومعالمها، ورأى الشام وجبالها الشاهقة، وعاش السلاطين والملوك، وطاف بين كثير من الأمم والشعوب [٢٧].

ويورد المؤلف أمثلة لهذا اللون من الشعر عند شوقي، يصدرها بقوله : «هل زرتم هيكل أنس الوجود، ورأيتم مياه النيل قد كانت تغرقه، وإلاّ فانظروا صورته في هذه الأبيات :

قف بتلك القصور في اليمّ غرقَىٰ
مُمسكًا بعضُها من الذعر بعضَا [٢٨]
كعذارى أخفين في الماء بضًّا
سابحات به، وأبدين بضّا

ويقول المؤلف : «الأكثرون منا لم يروا الغواصة، ولكنهم يرونها، كما وصفها شوقي :

ودبّابة تحت العُباب بمكمن
أمينٍ، ترى الساري وليس يراها
هي الحوتُ أو في الحوت منها مشابهٌ
فلو كان فولاذًا لكان أخاها [٢٩]

ويذكر المؤلف أن (شوقي) يجيد وصف المعنويات إجادته وصف المحسوسات، فيجعل البعيد قريبًا، والغائب شاهدًا والخفيّ ظاهرا، وها هو ذا يلخص النظام الحكوميّ في الإسلام، فيقول :

فرسمتَ بعدك للعباد حكومةً
لا سوقةٌ فيها ولا أمراءُ
الله فوق الخلق فيها وحده
والناس تحت لوائها أكفاءُ
والدينُ يسرٌ والخلافةُ بيعةٌ
والأمرُ شورى والحقوقُ قضاءُ

وكثيرا ما يأتي شوقي بصوره الواصفة، في خطوط قليلة توفي ما أراد تصويره **«وعند شوقي الكثير من هذه الصور السريعة العجلى في بيت أو شطر من بيت»** [٣٠]، منها صورة المدفع عند إطلاقه :

إذا عصف الحديدُ احمرَّ أُفْقٌ
على جنباته واسودَّ أُفْقُ

وصورة أقسام الجيش المنكسر وفراره :

لـمَّا صدعتَ جناحَيْهم وقلبَهُمُ
طاروا بأجنحة شتى مِنَ الرُّعُبِ

«وهل أبدع وأروع من هذه الصورة لاستماع الليل نداء المغنّي الشجيّ :

يسمع الليل منه في الفجر «يا ليلُ» فيصغي مستمهلا في فِرارة [٣١].

«وهكذا يتحول هذا الباب في ديوان شوقي متحفًا عامرا ببدائع الرسم والتصوير» [٣٢]

وهناك وتر شوقي الخاص، المشدود إلى نياط قلبه، المتصل بدقائق شعوره، الذي يظهر واضحًا في غزله، ومناجاته عهد الصِّبا، وفي بسمته لأولاده وحفدته، وفي دمعته على آبائه وأجداده. فهناك عواطف الحنان، ولواعج الأشجان، وهناك خفقات الجوارح ونبضات الفؤاد [٣٣]. وقد وجد النقاد ـ كما يذكر المؤلف ـ في هذا النوع مجالا للمؤاخذة، فهو ـ في نظرهم ـ قليل مطروق. ويدفع المؤلف هذه المؤاخذة بأن القلة نسبية؛ أي بالنسبة لما نظمه شوقي، وإلاّ فإن هذا القليل في الحقيقة كثير، وأمّا رميه بالابتذال فقد يكون مرجعه

إلى أن (شوقي) لم يعمد إلى تحليل عواطف النفس وميولها وأهوائها تحليلا دقيقا، بل جاء وصفه لها وصفا طبعيا خاليا من الإيغال في التفصيل والتعمق في التحليل [٣٤].

وشوقي - في غزله - لم يخرج عن النهج القديم الذي انتهجه الشعراء في الأفكار والمعاني، ولا عن صور البيان التي صيغت فيها هذه المعاني من تشابيه واستعارات وكنايات قديمة، ولكنه يكسوها شيئا من الجدة بالقالب الذي يفرغها فيه:

يا ثغرَها أمسيتُ كالغوّاص أحلم بالجواهرْ
يـــا لحظَهـــا، مَنْ أمُّهـــا
أو مَنْ أبـــوهـــا في الجآذِرْ
يـــا شعـــرَهـــا، لا تسعَ في
هتكي، فشأنُ الليل ســـاتــــر
يا قدَّها، حتّام تغدو عاذلا وتروح جائر؟

«وإذا تكلم عن قلبه قال كغيره من الشعراء إنه خفق في ضلوعه، وسال في دموعه، ولكنه يجدّد المعنى بالمقاربة بين الضدين:

تسرَّب في الـــدمـــوع فقلتُ ولَّى
وصفَّق في الضلـــوع فقلتُ ثـــابـــا [٣٥]

ومما يمثل عاطفة البنوة قوله في رثاء والده:

أنـــا مَنْ مـــات ومَنْ مـــات أنـــا
لقـي الموتَ كـــلانـــا مـــرَّتَيْن
نحـن كنّـــا مهجـــةً في بـــدن
ثـم صرنـــا مهجـــة في بـــدنَين
ثم عـــدنـــا مهجـــة في بـــدن
ثـم نلفـى جثـــــة في كفنين
ثـم نحيـــا في (عليّ) بعـــدنـــا
وبـــــه نبعـث أولى البعثتين

وإذا مرض ابنه (حسين) مرض معه وعوفي معه:

جـــرحـه كـــان بقلبـي يـــا أبـــا [٣٦]
لا أُنبِّيــه بجـــرحي كيف كـــانـــا
لطـفَ اللهُ فعُـــوفينـــا معًـــا
وارتهنّـــا لـك بـــالشكـر لســـانـــا

وإذا وصف كريمته الطفلة، قال:

كـــم خفـــق القلـــب لها
عنـــد البُكـــا والضَّحكِ

فـإن مشتْ فخـــــاطـــــري يسبقهـــــا كـــــالمسك

وينهي المؤلف بحثه هذا بالحديث عن مميزات شاعرية شوقي، فيقول إنها خصبة جوّادة فياضة، امتدت شباكها إلى مختلف الحوادث والشؤون، فعادت منها بكرائم المعاني في حرائر الألفاظ [٣٧]. وكان شوقي يثري قريحته ويرفد شاعريته بكثرة المطالعة والدرس يمهد بهما لما يريد نظمه، ويبدو أثر هذا الاطلاع الواسع في قصيدتيه: في «شكسبير» و«أرسطو» ففيهما خلاصة مطالعة دقيقة لروايات شاعر الإنجليز، وفلسفة حكيم الأفارقة. كما كان يتخير موضوعه فيحتضنه يوما أو شهرا في ذهنه، فيكسو المعاني وشي الكلام في فكره، ثم يملي قصيدته بألفاظ كيّسة، عذبة الإيقاع، منسجمة الاتساق [٣٨]. وتتجلّى جودة قريحته في كثرة ما نظم، وفي طرقه الموضوع الواحد في أكثر من قصيدة، وهو في كل مرة يأتي بالطريف الجديد [٣٩]. ومن مظاهر هذا الخصب في القريحة أنه طرق أبعد الموضوعات عن الشعر فاستخرج منها شعرا طيبا، كالنحلة تشتار [٤٠] عسلها من جميع أنواع الزهر، وذلك مثل وصفه (طابع البريد) ووصفه يد الطبيب الجراح [٤١]. وهذه القريحة لم تذهل عن هذا التجديد الذي شغف به الكثيرون، ولكنه التجديد المقرون بالأناة والتؤدة [٤٢].

وبعد، فقد استطاع المؤلف - خلال كتابه هذا - أن يكشف نفائس شعر شوقي وروائع خرائده، وأن يبين عن ملكته الشعرية الخصبة بقلمه الحاذق الصناع، وبهذا تحققت للقارئ المتعة مرتين: مرة حين تغنى بأشعار شوقي، ومرة حين تذوقها بقلم الجميّل.

○ تدفق شاعريته في أواخر حياته جعله لا يكتفي بالقصائد، بل عمد إلى نظم روايات تاريخية

الهوامش

(١) صحافي أديب من أدباء العصر الحديث، لبناني الأصل ولد في بيروت ١٨٨٧م. وانتقل إلى مصر سنة ١٩٠٩م وظل بها حتى وفاته سنة ١٩٤٨م. تقلد وظائف عدة، وشارك في نشاطات مختلفة: فكان صحافيا بارعًا، ومجمعيا لامعًا وكاتبا متألقا (انظر: كتاب «المجمعيون» في خمسين عاما. د. مهدي علام. نشر المجمع سنة ١٩٨٦م.

(٢) نشر هذا البحث في «السياسة الأسبوعية» (٣٠ أبريل سنة ١٩٢٧م). بالعدد الخاص بتكريم شوقي، أي في اليوم التالي لمبايعته أميرا للشعراء.

(٣) شوقي: ٧ أنطوان الجميل بك. نشر مطبعة المعارف. مصر. (د. ت).

(٤) السابق: الصفحة نفسها.

(٥) السابق: ٨. (٦) السابق: ١٠.

(٧) السابق: ١٠. (٨) السابق: ١٤-١٥.

(٩) نشر بجريدة الأهرام، يوم وفاة شوقي. (توفي في ١٤ أكتوبر ١٩٣٢م).

(١٠) شوقي: ٢٣. (١١) السابق: ٢٤.

(١٢) السابق: ٢٤. (١٣) السابق: ٢٤-٢٥.

(١٤) السابق: ٢٥. (١٥) السابق: ٢٥.

(١٦) السابق: ٢٦.

(١٧) وضع المؤلف هذا البحث ولخّصه في خطبة ألقاها في حفلة تأبين شوقي في دار الأوبرا، بعد ظهر يوم الأحد (٤ ديسمبر سنة ١٩٣٢م).

(١٨) شوقي: ٣١.

(١٩) التوم: جمع التومة، وهي الحبة من الفضة تعمل على شكل الدرّة.

(٢٠) دار السلام: بغداد، والسلم: التسليم.

(٢١) الضمير يعود إلى روما.

(٢٢) شوقي: ٤١.

(٢٣) القوام: ما يقيم الإنسان. (٢٤) شوقي: ٥٥.

(٢٥) السابق: ٥٦. (٢٦) السابق: ٦١-٦٢.

(٢٧) السابق: ٦١. (٢٨) السابق: ٦٢-٦٣.

(٢٩) السابق: ٦٣. (٣٠) السابق: ٧٠.

(٣١) السابق: ٧١.

(٣٢) السابق: ٦٢.

(٣٣) السابق: ٧٤

(٣٤) السابق: ٧٤-٧٥.

(٣٥) السابق: ٧٦.

(٣٦) الخطاب موجه إلى الجراح الكبير علي باشا إبراهيم.

(٣٧) شوقي: ٨٤.

(٣٨) السابق: ٨٤-٨٥.

(٣٩) السابق: ٨٦.

(٤٠) تشتار: تستخرج.

(٤١) السابق: ٨٧.

(٤٢) السابق: ٨٨-٨٩.

صورة الشرق في الرحلة المغربية

بقلم: أم سلمى

ارتبطت الرحلة في المجتمعات الإنسانية بالاكتشاف والتنقيب عن عوالم أخرى خارج عالم المرتحل. وتتميز الرحلة بصفة عامة بالوصف الإثنوغرافي، حيث تتحول الكتابة إلى استعراض وإعادة استرجاع لما شاهده الواصف. ومع ذلك لا يمكن القول: إنها تنقل إلينا صورا محايدة، لأن الخيال لا يمكن أن يدخل في نسيجها ويؤثر على الحقيقة التاريخية التي يسجلها المؤرخ. وذلك لما للعواطف والانفعالات من تأثير على كتابات أصحابها ومواقفهم.

والرحلة ـ بصفة عامة ـ كمادة حكائية تجري في الزمن المسجل بدقة من طرف الكاتب، تُحكىٰ كأحداث وقعت في الماضي في أمكنة معينة. ولذلك يرتبط فعل الحكاية من نصوص الرحلات والمكان والحال. ولا يمكن الفصل بين زمان الرحلة ومكانها إلا نظريا؛ لأن المكان يمتلك زمنه بالضرورة. ومن خلال مفهوم الزمن يتحرك كاتب الرحلة للتنقل من مكان إلى آخر عن طريق الاسترجاع الذي تمارسه الذاكرة.

الرحلة المغربية وسماتها

نلاحظ في نصوص الرحلة المغربية أنها تحتفظ بنظام ثابت ومعين في الحكاية تنتهجه جميعها، سواء في التتابع الزمني، أو في اعتبار المكان من المكونات الأساسية التي قامت عليها عملية الحكاية. والمكان في هذه الرحلة ليس خياليا، بل له مقوماته الأساسية وأبعاده المتميزة، ولكنه مكان حقيقي عاش فيه الكاتب بالفعل ورأى فيه ما يستحق فوصفه وصفا دقيقا. ولهذا فهو لا يكتسب خصوصياته إلا من خلال الوصف الطوبوغرافي.

وقد ارتبطت الرحلة المغربية المتجهة نحو الشرق بأهداف معينة. وبذلك كانت الصورة ـ بصفة عامة ـ تخدم تلك الأهداف وتتشكل في إطارها. وعلى الرغم من أن الموقع الجغرافي للمغرب قد أملى عليه السياحة والسفر إلى مختلف الأقطار المختلفة شرقا وغربا، إلا أن اهتمام المغاربة بالسفر نحو المشرق عامة والحجاز خاصة استحوذ على اهتمامهم واستهواهم.

ولهذا نجد أن ابن خلدون يذكر في مقدمته أن رحلة المغاربة: «كانت غالبا إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم»[(١)].

والرحالون المغاربة يكونون في ذهنهم صورة معينة للشرق قبل الرحلة إليه. فهو ذلك الحلم البعيد الذي يتطلع إليه المغربي بشوق ويتطلع إلى السفر إليه.

خاصة الأمكنة أو البقاع المقدسة التي تضم أغلى ما عند المغربي المسلم. ونكتفي بهذين البيتين للتعبير عن الشوق، وعن صورة المعشوقة المتمثلة في الديار المقدسة عند المغربي المسلم[(٢)].

أومن سبيل للورود بزمزم ... كي ينقع الصادي لواعج غلته
أومن سبيل للحلول بطيبة ... يقضي بها المشتاق أقصى منيته

ولذلك نجد أن المغاربة لا يكتفون برحلة واحدة نحو المشرق وإنما تجدهم بمجرد عودتهم إلى بلادهم يحنون إلى الرجوع إلى الشرق عامة، وإلى الحجاز بصفة خاصة. بل إن بعض المغاربة قد يمكثون فترات طويلة فيه أو قد يستقرون طول حياتهم فيه. وهناك العديد من أفواج الرحّالين المغاربة الذين شدوا الرحال إلى الشرق ممن لا يمكن حصره أو عده. وكل منهم كون صورة معينة عن ذلك الشرق الذي يضم أطهر وأشرف خلق الله، والذي في أجوائه ترتفع دعوات كل المسلمين وتتجه إليه أنظارهم خمس مرات في اليوم.

دوافع الرحلة

وإذا حاولنا تتبع البواعث والدوافع التي دفعت الرحالين المغاربة إلى شد الرحال إلى المشرق عامة والحجاز خاصة، نجدها كثيرة ومتنوعة. منها الشوق إلى تجشم أخطار الرحلة للوصول إلى زيارة قبر الرسول وتأدية مناسك الحج.

من كتاب العدد



● **أم سلمى**

ـ من مواليد ١٩٥٩م بتطوان ـ المغرب.

ـ دكتوراه السلك الثالث في الأدب المقارن، وكان موضوع الرسالة «صورة الغرب في الفن الحكائي المغربي الحديث».

ـ تحضر لنيل دكتوراه الدولة في موضوع: «الحركة الأدبية في تطوان خلال الحماية والاستقلال: المكونات والقضايا والظواهر».

ـ أستاذة باحثة في كلية عبد المالك السعدي بتطوان.

ـ عضو في رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

ـ الإنتاج المنشور: لها ديوانا شعر «لعبة اللانهاية» ١٩٨٥م و«فصول من موعد الجمر» ١٩٨٦م. ولها تحت الطبع: «إيقاعات في قلب الزمن» مجموعة قصصية، و«رحلة محمد الصفار نحو الغرب» دراسة وتحقيق. كما لها مقالات وبحوث منشورة في العديد من المجلات المغربية والعربية.

ومنها الاتصال بالعلماء والفقهاء والأخذ منهم وأخذ الإجازات عنهم، وهذان الباعثان من أهم البواعث التي حفزت المغربي على التنقل والسفر ومن ثم تدوين ما شاهده وما لاحظه وما قرأه على أيدي علماء المشرق وفقهائه. وهناك باعث آخر لا ينبغي إهماله يكتسي طابعا مهما ويحفز الرحالين المغاربة على التنقل والسفر نحو المشرق، وهو العلاقات المتينة بين المشرق وبين المغرب «والتي كان الطرفان معا يعملان على تقويتها والإبقاء عليها، فقد كان كل طرف مطلعا على ما يجري في الجهة الأخرى للطرف الآخر. بل إنه يبدي رأيه ويشير بما يجب عمله، وذلك عن طريق المراسلات وبعث السفارات التي غالبا ما تكون مصحوبة بالهدايا الثمينة. وكان ركب الحجاج المغاربة في الغالب يقوم بحمل هذه الرسائل والهدايا»(٤).

وكما قلنا: فإن الرحلات المغربية المتجهة نحو الشرق متعددة، ولا يمكن في مقالة قصيرة تكوين صورة واضحة المعالم لصورة الشرق فيها ورؤية الرحالة لهذا الشرق وموقفه منه. إلا أننا سوف نكتفي بنموذج ربما يكون كافيا لتقريب الصورة وتوضيحها وهي رحلة العبدري المسماة بـ «الرحلة المغربية».

رحلة العبدري

وصاحب الرحلة «هو الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري»(٥) المعروف بأبي البركات الحاجي. وقد اختلف الرواة في نسبه وحياته. لكن المتفحص لرحلته - لا شك - يستقي منها ما يروي غليله من حياته وعلمه وثقافته. كما يتجلى له اهتماماته العلمية ومشاركته في مختلف علوم عصره وفنونه، من فقه وحديث وتفسير وعروض ونقد وأدب. ومن خلال مناقشاته العلمية في الرحلة يتضح لنا مدى مكوناته العلمية وثقافته الواسعة، ومدى الأهمية التي كانت لها في عصره وفي العصور التالية له، حيث اعتمد عليها العديد من المؤرخين والرحالين المغاربة. ورغم أهمية هذه الرحلة العلمية والأدبية إلا أنها «ظلت مخطوطة إلى أن نبه المستشرقون إلى أهميتها العلمية والنقدية وذلك بالأخذ منها في أبحاثهم وترجمة أجزاء منها. فانصرف الكثيرون حينئذ إلى الاشتغال بها وإخراج نصوصها. وهكذا تم طبعها أولا بالجزائر بتحقيق الأستاذ ابن جدو إلا أنها طبعة مبتورة ينقصها أكثر من النصف. فكانت طبعة الرباط الحالية بتحقيق الأستاذ محمد الفاسي مكملة لهذا النقص إذ أخرجت الرحلة في طبعة علمية مفيدة»(٥).

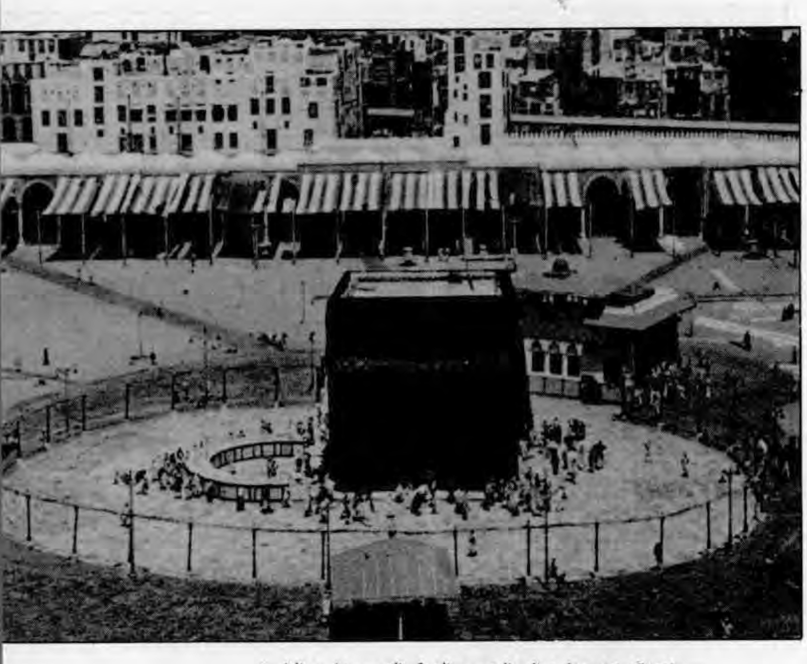
محتويات رحلته

ومن خلال فحص ما اشتملت عليه الرحلة، نجد أن الهدف منها هو تأدية فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة بالمشرق والاتصال بعلمائه وفقهائه ومعاينة آثاره وعمرانه وأحوال أهله.

ويصف صاحب الرحلة الشيخ العبدري البلدان التي مر عليها في رحلته وصفا دقيقا، ويعطينا صورة واضحة المعالم لها ولأهلها ولأحوال العلم والأدب فيها، وذلك من خلال اتصاله بعلمائها وفقهائها، فنجده مثلا يقف وقفة مطولة على مدينة بجاية ليبدي إعجابه بجامعها وليأخذ العلم عن عالمها أبي عبد الله الكناني الشاطبي(٦).

والرحالة العبدري لا يكتفي بإبداء الإعجاب والتقدير بما مرَّ به من بلدان ومدن، ولكن ينتقد ما يستحق النقد، فنجده مثلا يصف الأوضاع المزرية التي وصلت إليها طرابلس من الناحية الأخلاقية والعلمية، فتحامل عليها

> ذكر ابن خلدون أن رحلة المغاربة: «كانت غالبًا إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم».



مكة المكرمة استقطبت الرحالين - من الشرق والغرب - على مر التاريخ

كثيرا، لأنه لم يجد فيها من يروي غليله بالعلم والثقافة. ولا يهتم العبدري بالناحية العلمية والأدبية فقط، وإنما يهتم أيضا بالجانب الاجتماعي، فتراه مثلا ينتقد بعض عادات أهل برقة ونسائها كستر نسائهم لوجوههن بإسدال البراقع عليها مع بقائهن عاريات الرأس مكشوفات الأطراف حافيات الأقدام (٨).

في الإسكندرية والقاهرة

وبوصوله إلى الإسكندرية يكون الشوق قد أضناه إلى هذا الشرق الذي أخذ يسفر له عن جانب وجهه المتمثل في الإسكندرية التي رآها في صورة رائعة، فوصف إعجابه بها ومدى انبهاره بجمالها وروعتها وغرائبها وعجائبها الحضارية والعمرانية، إلا أن هذه الصورة الرائعة التي كونها عن الإسكندرية قد خدشت وهو يتلمس سلوك بعض أهلها ويعتبره غاية في الشناعة والقبح. وهذا السلوك هو تفتيش الحجاج، والأذى الذي يلحق بهم من جرائه وأنواع المغارم التي يفرضونها عليهم. وقد أورد العبدري قصيدة طويلة لابن جبير الذي تعرض فيها لهذه المغارم ودعوته لصلاح الدين الأيوبي برفعها عن الحجاج(٩).

في مكة المكرمة

وبعد ذلك رحل إلى القاهرة فوصفها وأبدى رأيه الصريح فيها. ثم توجه إلى مكة المكرمة. وقضى في هذه الرحلة نحو شهر ونصف الشهر لكن هذه

اهتم العبدري في رحلته إلى المشرق بالناحية الاجتماعية إلى جانب اهتمامه بالنواحي العلمية والأدبية



مسجد «المرسي أبو العباس» أحد معالم الإسكندرية التي زارها العبدري في رحلته

المرحلة لم تأخذ من وصفه إلا القليل، نظرا للشوق المفرط للديار المقدسة الذي ملك عليه حواسه ومشاعره بشكل لم يستطع أن يستوعب جيّدًا ما مر عليه في هذه الفترة، ولذلك لم يستطع وصفها وصفا دقيقا أو الوقوف عليها كما فعل في المراحل السابقة في الرحلة. ومن خلال القصيدتين اللتين مهّد بهما لوصف مكة المكرمة نستطيع أن نكوّن الصورة التي رأى بها الرحالة العبدري هذا البلد المبارك، ونستطيع كذلك أن ندرك الإحساس والشعور الذي امتلكه وهو يشرف عليه وتكتحل عيناه به بعد أن أضناه الشوق والحنين. يقول في القصيدة الأولى (١٠).

أسعداني بذكره يا خليلي ... فقد يسعد الخليل الخليل
وعداني ومنّياني وصولا ... فقصارى مُنَى الفؤاد الوصول

ويقول في قصيدة أخرى كاشفا التحول النفسي الذي شعر به حين دخل مكة بعد طول أمل : (١١).

وكنتُ كغصن قد ذوى من صدى به ... فلمّا حملناها رويت وأورقت

وقد وصف العبدري إحساسه وشعوره بزيارة هذا البلد الأمين بشكل رائع يهيج به مكامن الأشواق لدى المتلقي لزيارة هذه الأماكن المقدسة. ومن شدة ولعه بهذه المدينة المباركة فقد عزم على الاستقرار فيها، لولا فتنة عصفت بمكة فأحدثت الاضطراب بين الحجاج أدت به إلى تغيير رأيه. وبعد زيارته مكة يمضي إلى المدينة. ولا يصف أيضا ما شاهده في الطريق بين المدينتين؛ لأن الشوق والحنين إلى حبيب الله ورسوله لم يسعفاه على تملي المشاهد بين المدينتين. وقد لخص ما شعر به في قصيدة استهل بها حديثه في المدينة المنورة. وقد أعرب في قصيدة أخرى عن حيرته بين رغبته إلى البقاء بجوار الرسول عليه الصلاة والسلام وبين الرجوع إلى أهله وأبنائه يقول :

لكن قضاء الله عاق إقامتي ... وأقامني نحو الترحل مقصدي
لولا موانعُ ما قضاه وصيةٌ ... تبكي لكل مسجع ومغرّد
خلفتهم في غربة تبكي لهم ... ورق الحمام بكل غصن أملد
في منتهى الغرب الذي ما دونه ... إلا تلاطم موج بحر مزبد
ما كنت أخطو نحو غيرك خطوة ... حتى أوافي مضجعي في ملحدي

ورغم عدم طول مكثه في المدينة المنورة إلا أنه حرص على وصفها ووصف معالمها وآثارها كجبل أحد والبقيع وقباء، كما حرص على وصف مسجد رسول الله ﷺ، فسجل تاريخ تأسيسه، ووصف منبره وما حصل فيه من زيادات وتغيرات عبر العصور والحقب.

عودته

وبعد خروج الرحالة العبدري من المدينة المنورة يتجه إلى الشام فيدخل إلى القدس، ويصف المسجد الأقصى بها وصفا دقيقا، ومقارنا بين ما يعاينه وما ذكره أبو عبيد البكري في حديثه عنها. ثم يأخذ طريق العودة فيمر بعسقلان وغزة والصالحية، ويصف كل ما شاهده من عمران وآثار وأحوال البلاد والعباد، ويبحث عن العلماء، ثم يجالسهم ويخرج بصورة متكاملة عن الحالة العامة للمدينة التي يوجد بها حسب علمائها وفقهائها. وبهذا يكون قد اتخذ موقفا إيجابيا من الصورة التي تكونت لديه. فهو لا يكتفي بالوصف والملاحظة ولكنه ينتقد كل ما يراه خارجا عن الصواب وخارجا عن الحق في رأيه.

وحين يصل إلى القاهرة يأخذ الطريق نفسه التي أتى منها ولذلك نجد أن وصفه موجز وسبق تفصيله في مرحلة الذهاب.

ومن خلال الصورة التي قدمها العبدري للشرق نجد أنه لم يكن منحازا في إعجابه وانبهاره، وكذلك لم يكن متسرعا فيما يصدر عنه من أحكام ومن انتقادات، مما جعل من الرحلة المغربية وثيقة صادقة ودقيقة يستفيد منها المؤرخون والأدباء والجغرافيون على حد سواء.

الهوامش

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٨٠٥. دار الكتاب اللبناني ط. ٢ـ ١٩٦١م.

(٢) من قصيدة لأبي يحيى العزمي. وهي موجودة بكاملها في كتاب : نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان لابن الأحمر. تحقيق : د. محمد رضوان الداية. ١٩٧٦م. ص ١٢٢ ـ ١٢٤.

(٣) أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني. الحسن الشاهدي. جـ١ ـ ص ٧٠ ـ ٧١.

(٤) جذوة الاقتباس لابن القاضي. الرباط ١٩٧٣م.

(٥) أدب الرحلة بالمغرب. مرجع سابق. ص ١٨٤.

(٦) الرحلة المغربية. العبدري. ص ٢٧.

(٧) نفسه. ص ٧٧.

(٨) نفسه. ص ٨٨.

(٩) نفسه. ص ٩٤ ـ ٩٦.

(١٠) نفسه. ص ١٦٩.

(١١). نفسه. ص ١٧١.

مذاهب الشعر الفرنسية

بقلم: د. منير العجلاني

ظهرت في فرنسا مدارس كثيرة للشعر، قد نجهل بعض أسمائها، لكثرتها وتفاهتها، كالطبيعية والإنسانية والتَّرَفِيّة والذروية والتركيبية والتمامية والإغرائية والإخلاصية والكثيفية والثنائية والتكعيبية والدادائية والمستقبلية والإجماعية إلى مذاهب أخرى (فوق الواقعية) و(وراء الخيالية).

مذاهب في الشعر نجهل أسماءها، ولكنها كانت، في فرنسا، مذاهب لها زعماؤها وأتباعها، ولها مناهجها ومجلاتها، ولها كذلك نواديها ومقاهيها الخاصة.

أين ولدت هذه المذاهب؟

ولد أكثرها في حانات الخمر ومجالس المخدرات؛ وأنصارها، على كل حال، فئة قليلة، وآثارها هزيلة.

يزعم شعراء هذه الضلالات أن (الواقع) شيء لا يُؤبه له، وأن العقل عدوٌّ للإنسان وينبغي له أن يتحرّر منه!

دخل رجل على جماعة من هؤلاء الشعراء، وهم يدخنون (السجائر) في مقهى ملأته سحب الدخان حتى عاد مظلمًا، وقال لهم:

أسرفتم يا قوم في الخيال، فعودوا إلى الواقع، وإلى العقل!

فأجابوه:

الواقع؟! ما الواقع؟ إنه عقب هذه (السيجارة) وأعقاب السجائر تلقى على الأرض، أما الدخان، أما الخيال، فهو وحده الذي يصعد إلى السماء، وهو وحده جدير بالتكريم والتقدير.

الدادائية مدرسة اخترعها روماني يهودي، اسمه **تريستان تزارا** Tristan Tzara، جاء إلى باريس، وأنشأ مذهبًا جديدًا أسموه: **(دادا)** وهو لقب (الحمار)، وتتلخص مبادئ هذا المذهب في أن الشعر هو (العفوية) المطلقة، فما ينبغي للشاعر أن يصحح شعره وينقحه؛ وليدون كل شيء يخطر بباله، سواء في ساعة صحو أو في ساعة سكر أو في ساعة هذيان أو حلم! وقد اخترع أنصار الدادائية (لعبة) تصنع شعرًا، وذلك أن تقص من جريدة كلمات وجملاً قصارًا، ثم تُلصقها في غير ترتيب على ورقة، وترسلها إلى **مجلة (دادا)**، فتنشرها، ولن يفهمها القراء. ولكن ذلك دليل على جودة الشعر وعمقه، **لأن الشاعر العظيم هو الذي لا يستطيع الناس فهم شعره!**

ولد تزارا سنة ١٨٩٦م وتوفي سنة ١٩٦٣م ونشرت آثاره بعد موته، ودافع عنه ناشره قائلاً: إن تزارا صحح بعض أشعاره، وكان شيوعيًا، ولكنه لم يكن فوضويًا، وإنما كان يعتقد أن المستقبل لا يُبنى بمواد الماضي الصدئة المهترئة - كذا -.

العقل؟! ما العقل؟ إنه هذا القالب الفولاذي الذي يضغط على الفكرة ويحبسها أو يمسخها ويشوهها. العقل هو الذي يعقل لسانك وقلبك وجسدك، ويحجّر عاطفتك ويبلّد خيالك.

ذلك لون من التفكير أو غياب التفكير، في مذاهب قرعت لها الطبول، ونُفِخَ في الأبواق، ثم ذهبت مع الريح، ولم تعش إلا حياة الحشرات الدنيا المجنَّحة، كالذباب والبعوض، تطير، وتؤذي، أيامًا معدودة، ولكنها لا تلبث أن تتهافت وتموت!

أما المدارس التي قُدِّر لها أن تعيش وتزدهر، فهي:

١ - المدرسة (البارناسية) أو مدرسة الوصف.

٢ - المدرسة (الرومانتيكية) أو مدرسة العاطفة والوجدان.

٣ - المدرسة (السانبولية) أو مدرسة الرمز.

ثم نشأت على قاعدة المدرسة الرمزية مدرسة عرفت بالشعر الصافي أو النقي La poésie pure وكان من أعلامها **بول فاليري** Paul Valéry.

وهناك مدرسة عرفت باسم **الانطباعية** impressioniste كان لها أثر في الرسم والشعر، ومدرسة أخرى عرفت باسم **(فوق الواقعية)** sur réaliste، إلى مدارس أخرى لم تعش طويلا.

بين الشعر والكلام المقفّى

ونحب قبل التحدث عن مدارس الشعر المعتمدة في فرنسا، أن نشير إلى خطأ الذين يعرّفون الشعر بأنه «كل كلام مقفى موزون»، وأن رسالة الشعر هي تسجيل الأيام والوقائع. **يقول أبو هلال العسكري في كتابه «الصناعتين»:**

«لا نعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها، إلاّ من خلال شعرها». وهذا التحديد لرسالة الشعر لا يخالف المفهوم الحديث للشعر

مذاهب الشعر الفرنسية

الرمزيون بشّروا بالشعر الحر، والغموض جزء من طبيعة المدرسة الرمزية

فحسب، ولكنه يخالف أيضًا ما قاله أرسطو عن الشعر، في وقت عريق في القدم، فقد ذكر في كتابه «الشعر» أن «بين الشاعر والمؤرخ فروقًا كبيرة، فصفحات **هيرودوتس**، لو كانت نظمًا، لبقيت تاريخًا ولما سُمّيت شعرًا.

فالتاريخ إخبار بما كان واقعًا، والشعر إبداع وتخيل لأشياء لم تقع، وإن تكن محتملة الوقوع.

التاريخ يقصّ علينا الأحداث الماضية، جليلها وتافهها، وأمّا الشعر فلا تعنيه إلاّ الفكرة العامة، وفيه عناصر من الفلسفة والجمال لا توجد في التاريخ».

ويقول **إدجار بو** :

«**الشعر هو الجمال يُغنّي، أو الجمال نتغنّى به**».

وللشعر جناحان : جناح النظم أو الموسيقى أو الوزن والقافية، وجناح الجمالية والعاطفة. ولذلك لا نستطيع، مثلاً أن نعدّ ألفية ابن مالك في النحو شعرًا، وإن كانت كلامًا مقفى موزونًا، **فالشعر مادته الجمال والعاطفة والخيال**، لا النحو والصرف، ولا الطب والهندسة.

البارناسية
(أو مدرسة الوصف)

البارناسية نسبة إلى جبل بارناس ـ مقر آلهة الفنون الجميلة في الأسطورة الإغريقية ـ مدرسة في الشعر **تُعنى بوصف الأشكال الجميلة**، وتوجب على الشاعر أن يصف مظاهر الجمال وصفًا حقيقيًّا كما يفعل المصور (الفوتوغرافي)، وشعارها : أجمل الشعر أصدقه وصفًا للواقع المرئي.

يأخذ الرمزيون على البارناسيين ضيق آفاقهم والتزامهم الشديد بقواعد العروض القديمة ونفورهم من الخيال.

يقول **ستيفان مالارمه** : «إن البارناسيين يصفون الأشياء وصفًا ظاهرًا خارجيًّا، لا يحتاج إلى فكر، وبذلك يحرمون القارئ لذة التأمل والغوص في المعاني الغامضة العميقة، بل يحرمونه الفرحة التي يتنعم بها حين يستخرج من الكلمات المبهمة المعاني الدقيقة، كما تستخرج اللآلي من أعماق البحار. إن تسمية الشيء باسمه تذهب بثلاثة أرباع اللذة المكنوزة فيه».

المدرسة الرومانتيكية

الرومانتيكية، وترجمت إلى العربية بالوجدانية، والإبداعية، والخيالية، والعاطفية، والروائية. . . إلخ، هي : «**مدرسة التعبير المثير عن الأحاسيس التي تجيش في نفس الشاعر**، كلما فكر في الخالق والطبيعة والحب والموت ومآسي التاريخ الكبرى ونحو ذلك».

يكثر الشاعر الرومانتيكي من استعمال أدوات الفن الخطابي ومن الأخيلة والأساطير، والمبالغات والاستعارات العجيبة. وتجد في قصائده كثيرًا من إشارات التعجب والاستفهام والنقط. ومن زعماء هذه المدرسة في فرنسا : **فيكتور هوجو، ولامارتين، ودوموسيه**.

المدرسة الرمزية

في آخر حدود الإنسانية، في واد تحيط به الجبال من كل جانب ولا تنفذ إليه أشعة الشمس إلا من بين أوراق الشجر، كان يعيش الشاعر الأمريكي **إدجار بو** مع بنت عمه **أيليونور**. وكان يجد كل واحد منهما في رفيقه سلوى لنفسه وأمنا. وقد نعما بهذه العيشة الراضية زمنًا، ثم أصيبت أيليونور بمرض عضال، لو أصيب به غيرها لتمنى الموت وناداه :

ياموت، خذ ما أبقت الأيام والساعات مني

بيني وبينك خطوة ـ إن تخطها فرجّت عني.

أما أيليونور فلم تشأ أن تموت، لا حبًّا بالحياة، وهي مريضة موجعة، ولكنها كانت تخاف أن يهجر ابن عمها الوادي، بعد موتها ويعشق فتاةً غيرها من بنات المدن !

قالت ذلك لابن عمها الشاعر، وهي في آخر لحظة من حياتها، فركع عند قدميها، وعاهدها أن يبقَى وفيًّا لحبها، وأن يقيم في الوادي ما دام حيًّا. فالتمعت عينا أيليونور بنشوة السعادة والظفر، وتنفست الصعداء، وكأنما أزيح عن صدرها غم جاثم.

ثم أطمأنت في سريرها، وقالت للشاعر، وهي تحتضر : إنها تعرف ما أنفق من جهد في تهوين آلام المرض عليها وإبعاد مخاوف الموت عنها، ولذلك سوف تسهر عليه، وهي روح في السماء، وإذا لم تستطع أن تزوره (بشخصها) فسوف تتمثل له في زهرة يعجبه جمالها، وتعطر النسمات التي يتنشقها بطيب تستعيره من مباخر الملائكة !

قالت هذا، ونامت إلى الأبد.

عاش **إدجار بو** مع خيال أيليونور بعد موتها، فكان خيالها يعرض له في الزهرة، والنسيم والجدول، والتعاشيب، وكان يرى في كل شيء شيئًا من بنت عمه، فلم تكن الأشياء عنده إلا مظاهر مختلفة لتلك التي ماتت، ولم تمت في نفسه !

على هذه الأوهام شيدت مدرسة الشعر الرمزي، **فشاعر الرمز يغوص إلى أعماق الأشياء ويتصور لكل جمال (شخصية)، ولكل جماد روحًا، ويرى وراء كل شيء (عالمًا) لا نراه نحن، فالأشياء المرئية كلها ــ عنده ـ رموز لجمالات خفيّة**.

الرمزيون يكرهون التشبيه

الشاعر الرمزي لا يؤخذ بهذه التشابيه التي أولعت بها طائفة من شعرائنا، فراحت تشبه العيون بالسيوف والحواجب بريش الغراب والقامة بالخيزران، إنه لا يحفل بالتشبيه، لأنه مقارنة بين صورتين (خارجيتين)، ولكنه **يُعنَى بالروح، يعنى بالرمز**، وهو في الفلسفة، صلة بين لحظة من ديمومة الذات ولحظة من ديمومة الأشياء.

ولا يسمون الأشياء بأسمائها

يقول (**البارناسيون**) إن رسالة الشعر هي أن يشبه ويصف. فالشعر عندهم (رسم ناطق). وأما **الرمزيون** فيتخذون الشعر وسيلة لنقل القارئ إلى مثل العالم الذي عاشوا فيه لمّا نظموا قصيدتهم، ولذلك يعنون كثيرًا بالعنصر الموسيقي، ولكنهم لا يسمون الأشياء بأسمائها حتى لا يفقد القارئ لذة الحزر، ولا يصفونها بظواهرها المرئية، وإنما يصفون أثرها في نفوسهم، ولا يحللونها لأن التحليل أو التفصيل يهدم الجمال، وقد سئل الشاعر الفرنسي الكبير (**بودلير**) عن أجمل شيء في حبيبته، فقال :

«مادامت كلها كنغمة الماء، فلست أفضل بعضها على بعض إنها تسحر كالفجر، وتسلّي كالليل».

يصف لك الشاعر البارناسي امرأة، فكأنه يضع تمثالاً لها بين يديك. وأما شاعر الرمز فينقلك على أجنحة الأنغام والأخيلة إلى عالم علوي، تتنعم فيه بفتنة جمالٍ تتخيله أنت كما تحب!

يقول **أريسطوفان** : إن الرجل والمرأة كانا في البدء مخلوقًا واحدًا، ولكن (أبولون) قسمه ذات صباح شطرين والحب هو سعي كل شطر من هذا الجسم إلى الشطر الذي يتممه، فلا يتوهمن أحد أن الرجل يبحث عن الجمال المطلق ويحبه، كلا إنه يبحث عن جمال مخصوص يتم به جماله، فَرُبَّ امرأة تبدو لك رائعة، بينما يراها آخرون تافهة. فليس للجمال مقياس مطلق، فأنت تحب جمال امرأة معينة، لأنها تظهر مزاياك وتكمل نقائصك، وبكلمة أوجز لأنك تعتقد أن (نظامك) يكمل بها».

وهكذا شعر الرمز، يهوى الشاعر جمالاً مخصوصًا، ويحاول أن يشركك في إعجابه به وحبه له، فيكسب في روحك مثل مشاعره ويهدهدك بالأنغام التي طرب لها، وحين يصف جمال امرأة مثلا، لا يصفها بأسلوب البارناسيين يضعون تمثالها بين يديك ولكنه يبعث في نفسك حلم جمال يفتنك.

الرمزيون والموسيقى

يُعنى الرمزيون كثيرا بالموسيقى، وقيمة الحروف الغنائية، حتى إن بعضهم إذا وصف وثبة أسد على حيوان ضعيف ليفترسه، جاء البيت الأول من قصيدته فخمًا ضخم مخارج الألفاظ، والبيت الذي يصف فيه الحيوان الوديع من أرقّ الشعر، فكأن البيت الأول يفترس البيت الثاني.

وشعراء الرمز، بالجملة، يقولون إن القصيدة (قطعة موسيقية) ويعالجونها كذلك، وكل ما يخشون من المعنى أن يكون مبتذلاً بحيث يهدم ما في القطعة من ائتلاف منسجم.

الرمزيون والبحور

لا يلتزم الرمزيون بالبحور والقوافي، فليس صحيحًا في نظرهم أن بحرًا معينًا لا يصلح إلاّ لأنواع من الشعر معينة، ليس ذلك صحيحًا في فن الموسيقى، وهو ركن الشعر الرمزي.

والرمزيون هم الذين بشروا بالشعر الحر، ولم يكتفوا بالتمرّد على البحر والقافية من حيث اصطناعهما في أغراض مختلفة من الشعر، ولكنهم تمردوا كذلك على (التقاطيع) ـ أي التفاعيل ـ والقوافي، حتى إن منهم من يعتقد أن البيت يقف حيث يقف نَفَس الشاعر، وأن (التفعيلة) لا قيمة لها، فكلمة (كرات تراك) في علم العروض الفرنسي، تساوي كلمة (ريمي) والفرق بينهما واضح، والأذن الموسيقية، هي وحدها، التي تقدر، لا العروض.

كراهية البديع

يكره شعراء الرمز (البديع) و(المحسنات البديعية) لأنها في نظرهم ألعاب لفظية، وقيمة الشعر لا تقاس ببلاغته، ويقول فيرلين هو نفسه: «خذ البلاغة، واقطع رقبتها».

الرمزيون والغموض

الغموض جزء من طبيعة المدرسة الرمزية، لأن الشاعر لا يعطيك إلا طرفا من فكره ويترك لك أن تكتشف بقيته، وهو يبدع عالما جديدا فيجب عليك أن تقضي وقتا طويلا في تفهمه، وربما اكتشفت فيه، بعد كل قراءة، ناحية كانت خافية عنك فزاد إعجابك بكثرة معانيه ورموزه، ويقول أحد النقاد : إن العبقرية في نظر الرمزيين تشبه الجنون، فكما أن المجنون الذي يمسك بيده قشة مثلا، يظن أنه ممسك بشعاع من نور، فكذلك الشاعر الرمزي يقول : في يدي شعاع، مسميا الشيء، لا باسمه، ولكن بالخيال الذي أثاره في نفسه، وحركه في حسه.

الرمز والكناية والتشبيه

الرمز غير الكناية، **فالكناية عند الرمزيين، نوع من ألاعيب الكلام يوصف فيه الشيء ببعض مظاهره. وأما الرمز فهو الإشارة إلى الشيء بحالة نفسية**، والشاعر لا يستنفد الرمز بكلمة أو بجملة، فقد يستغرق الرمز القصيدة كلها ولا يتم إلا بتمامها، بينا تقتصر الكناية على كلمة أو كلمات قليلة.

والرمز يختلف عن التشبيه، فإنك تقول مثلا: هذا الشيخ يشبه قبرًا عتيقًا، تعني بذلك أنه بِكِبرَ سِنِّه وضعفِه وهُزالِه وتجعد بشرته يشبه قبرًا متداعيًا متهافتًا، وهذا تشبيه صورة ظاهرة بصورة ظاهرة.

ولكن (**بودلير**) حين يشبه نفسه بقبر، إنما يقول إنه انحنى على نفسه وطاف في أعماقها فوجدها قبرًا تزدحم فيه الذكريات.

فالتشبيه هنا (نفساني) وليس (ماديًا).

و(فرلين) حين يقول : «وأنا أمضي مع الريح السّيئة، التي تحملني من هنا ومن هناك، مثل ورقة ميتة»، إنما يرمز إلى حالة نفسية، بصورة خارجية ظاهرة.

يقول **عدي بن زيد العبادي**، يصف حال النعمان حين ترك الملك ولبس المسوح وطلب ما عند الله، في الآخرة :

وتفكر : رب الخورنق إذ أشرف يومًا وللهدى تبصير

سرّه حاله وكثرة ما يملك والبحر من معرض والسدير

فارعوى قلبه فقال : وما غبطة حي إلى الممات يسير؟

ثم بعد الفلاح والملك والأمة وارتهم هناك القبور

لا نستطيع أن ننتحل المذاهب الغربية في الشعر . لماذا ؟!

ثـم أضحــــــــــــــــــوا كـــأنهـم ورق جـــف

فـألـــــــــوت بـــــــه الصبـــــا والـــــــدبـــــور

وهذا البيت الأخير يشبـه أبيات (فرلين) الرمزية، ولكنهـا لا تعتبر رمزًا، لأن عديًّا يشبه صورة ظاهرة بصورة ظاهرة .

للحروف ألوان

ومن شعـراء الرمـز من يعتقد أن للحـروف ألـوانًا، فـلا يوصف اللـون إلا بحرف، وقد بالغ في ذلـك الشاعر الفرنسي **«رامبو»** . وله أبيات عن الحروف الصوتية، تـرجمها د. **رائف بهجت في كتابـه «روائع الشعر الفرنسي»** وهذه هي :

«أسود أبيض أحمر أخضر أزرق

حروف سأروي ذات يوم ولادتكم الخفية .

أسود، رداء مغطى بذباب براق ينفتح حول العفن القاسي .

خليج من الظل، مطهـر البخـار والخيـام، رمح الثلج المتكبـر، ملـوك بيض، رعشـات مركـزة أرجواني، دم مبصـوق، ضحكات الشفـاه الجميلة، أثناء الغضب أو أثناء سكرات الندم دورة التموجـات الخالدة للبحار الرهيبة . سلام المـراعي التي تبعثـرت فيها الحيـوانات، سلام التجـاعيد التـي تطبقها السماء على الحياة العريضة .

البـوق الأعظم للصـرخـات الغـريبـة . الصمت الـذي يختـاره النـاس والملائكة . أوميجا، الإشعاع البنفسجي لعينيها» .

متاعب الرمزية

لم تستطع مدرسـة الرمز أن تفـرض نفسها على الناس إلا بمشقـة وكفاح طويلين، فالـنـــاس - كما يقـول دوجورمون — يتغنون بالشعر القديم، الذي أفرغـه المعلمون في صدورهم وهم على مقـاعد المدارس، ولا يعـرفون أو لا يتـذوقون شعـرًا غيره، ولم يقبل المعلمـون أن يفسحـوا في الكتب المدرسيـة مكانًا للشعـر الرمزي إلاّ بعد معارك طويلـة وضجة هائلة أثارها الرمزيون في الصحف والأندية .

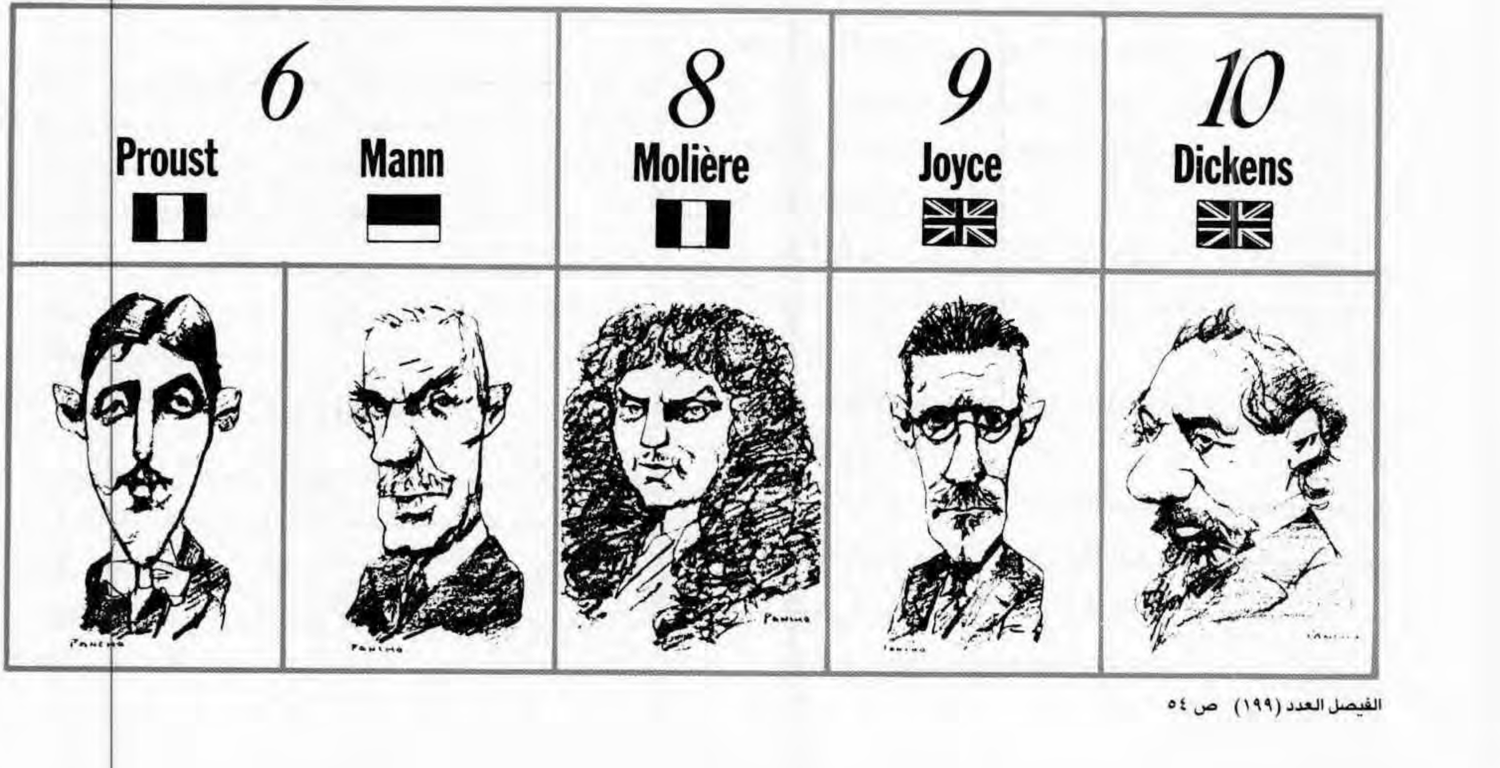
ويقول **ريمي دوجـورمون** أيضًـا : «إن المدارس مصـانـع شهرة، تغمـر الأسواق ببضائع عتيقة» .

وطـوبى للشاعـر الـذي دخل اسمـه في مناهـج المدارس، مهمـا يكن سخيفًا، لأن ألـف ناقـد لن يستطيعوا إخـراجه منهـا بعد أن درسـه المعلمون وحفظـوه وفهمـوه وألفت فيـه الكتب المـدرسيـة، ولن يـرضى المعلمـون أن يدخلوا عليهم شاعرًا جديدًا .

شعرنا والمذاهب الحديثة الغربية

والآن نتساءل : أين موضع شعرنا العربي من هذه المدارس؟

لم يخطر ببـال أحد أن يصنف شعرنـا العربي أصنـافًا تلحقه بـالمدارس البارناسية والرومـانسية والسانبولية و(الصافية) وغيرهـا من المدارس الغربية، فقـد نشأنا على تقسيم الشعـر إلى غـزل ومدح وهجـاء ورثاء وفخر ووصف وزهد إلى غير ذلك من أغراض الشعر، ولكن الثقافة الغربية التي انتشرت في بلادنا وجعلتنا نكثر من الحديث عـن المدارس الشعرية في الغرب أثرت في بعض شعـرائنـا، فنشأ عنـدنا (الشعـر الحـر) والشعـر المنثور، ومـا يسميـه بعضهـم شعر الحداثة .



والحق أن شعر الوصف هو الشعر البارناسي، وشعر الحب والغزل هو الشعر الرومانسي، ولا يخلو شعرنا من رمزية خفيفة أحيانا. وفي شعرنا، قديمًا وحديثًا، قصائد بالغة الروعة، أخيلة ومعاني وموسيقى ووحدة موضوع.

إننا لا نستطيع أن نقلد أو (ننتحل) المذاهب الغربية في الشعر، فتاريخ آدابنا لا يشبه تاريخ آدابهم، ولكن المؤسف أن كثيرًا من شعرائنا نظموا قصائد طويلة في السياسة والمديح والرثاء والدين والأخلاق، ولم يحاولوا أن يلتزموا في قصائدهم وحدةَ الموضوع، وهذا اللون من القصائد لا تجد فيه إلا القليل من (الجمالية) ورهافة العاطفة.

ولقد دعا بعضهم، في هذا العصر، إلى وحدة الموضوع في القصيدة، دعوة صادقة، حارة، كُتِب لها كثير من النجاح، وفي مقدمة هؤلاء الدعاة:

عباس محمود العقاد ـ رحمه الله ـ الذي كان يدعو الشاعر إلى الاقتصار في شعره على وصف الجمال والحب وما يتصل بهما، وأن يترك السياسة والمدح والذم، للسياسيين ورجال الصحافة، **يقول العقاد**:

نحن قوم، يا حبيبي قد خلقنا للجمال

إن أجاد الله في الخلق أجدنا في المقال

قال: غنّوا وصفوا خَلْقِي البديع في القصيد

واطلبوا أجرَكُمُ عند الربيع والخدود

ولكن **العقاد** الكاتب الكبير والناقد البارع لم يوفق في شعره كثيرًا، مثله في ذلك كمثل **مارون عبود**، ومهما يكن الأمر، فإن حملات العقاد على شعراء الصناعة اللفظية الفارغة من العاطفة والجمال، كان لها أعظم الأثر في توجيه الجيل الصاعد من الشعراء إلى الابتعاد عن التقليد، وإلى الإبداع، مع الإفادة من عطاء شعرائنا القدامى المحسنين، ومن عطاء شعراء الغرب أيضا، وليس معنى ذلك تقليدهم، فالطالب الذي يأخذ عن أساتذته دروسًا في فن الموسيقى مثلا، يأخذ عنهم المناهج والمفاتيح ثم يطبع إنتاجه هو بطابع عبقريته المتميز.

الأوربيون لا يقدرون الشعراء

ولنختم الآن بحثنا باستفتاء طريف. فقد قامت خمس صحف أوربية كبيرة وهي «دي تزايت» الألمانية، و«تايمز» الإنجليزية، و«ليز» الفرنسية، و«ال بايس» الإسبانية، و«لا ستامبا» الإيطالية، باستفتاء كبير بين قرائها، طالبة منهم أن يختاروا عشرة من الأدباء يعتبرونهم أعظم الأدباء الأوربيين، واشترطت عليهم أن يكون الأدباء من خمس جنسيات فقط، هي جنسيات الصحف نفسها، ويستثنى من الاختيار الأحياء والروس وبقية دول الغرب طبعا.

وقد دلّ هذا الاستفتاء على أن القراء لا يقدرون الشعراء، فهم لم ينتخبوا رجلا واحدا عرف بأنه شاعر، ليس غير.

وهذه هي نتيجة الاستفتاء، وقد رتبت الأسماء على مقدار الأصوات التي نالوها، ونال شكسبير وجوته الإجماع:

١ ـ شكسبير: إنجليزي	**٦ ـ لبروست : فرنسي**
٢ ـ جوته : ألماني	**٦ م ـ توماس مان : ألماني**
٣ ـ سرفانتس : إسباني	**٨ ـ موليير : فرنسي**
٤ ـ دانتي : إيطالي	**٩ ـ جويس : إنجليزي**
٥ ـ كافكا : ألماني	**١٠ ـ ديكنز : إنجليزي**

ويلاحظ أن هؤلاء الأدباء إنما اختيروا لأنهم ألفوا قصصا وروايات ومسرحيات. وتقول صحيفة فرنسية: إن دواوين الشعر لا تجد إلا عددا محدودا جدا من القراء وتعاني من كساد عجيب.

فلنحمد الله على أن البلاد العربية لا تزال تحب الشعر وتقدره وتكرم الشعراء.

نتيجة استفتاء أجرته خمس صحف أوربية حول أعظم الأدباء الأوربيين



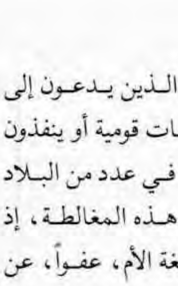
تأثير وسائل الإعلام في لغتنا العربية

د. شعبان شمس

نبّه بعض الكتّاب المعاصرين إلى خطورة التعريف الوظيفي الشائع للغة الذي يقوم على أنها أداة أو «وسيلة للتبليغ»، ذلك أننا إذا حصرنا اللغة ضمن التعريف التبسيطي، وقصرنا مهمتها على حدود التبليغ أو التعبير انتفت جميع الفروق الأساسية التي تفصل بين اللغة القومية واللغة الأجنبية، فأصبح بإمكان أية أمة أن تختار اللغة التي تستعملها بالاعتماد على مفاضلة بين اللغات من حيث درجات نضجها وقدرتها على الاستيعاب، ومما يتوافر فيها من إمكانات للتعبير ومدى طاقاتها على الاستجابة للحاجيات التعبيرية المتجددة للأمة التي تستعملها. وهكذا يفضي مثل هذا المفهوم إلى مغالطات أساسية منها: إلغاء خصوصيات اللغة القومية، وتجاهل دورها المتميز، واعتبارها مجرد أداة قابلة للاستبدال بها.

والواقع أن كثيرين من الذين يدعون إلى إحلال لغات أجنبية محل لغات قومية أو ينفذون ذلك بصفة كاملة أو جزئية في عدد من البلاد النامية، إنما يستندون إلى هذه المغالطة، إذ يفصلون اللغة القومية أو اللغة الأم، عفواً، عن إطارها الثقافي والحضاري، ويلغون دورها

من كتّاب العدد



● د. شعبان أبو اليزيد شمس

ـ من مواليد البحيرة، مصر، ١٩٥٦م.

ـ عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، قسم الصحافة والإعلام.

ـ حاليًا: أستاذ مساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عمادة مركز خدمة المجتمع والتعليم المستمر.

ـ من مؤلفاته: مدخل إلى دراسة الاتصال بالجماهير، مدخل إلى دراسة الإعلام والدعاية. وله بحوث منشورة في مجالي الاتصال والعلاقات العامة.

الخاص، ويتهمونها ـ عادة ـ بالقصور في هذا المجال أو ذاك، ويعتبرون اللغة البديلة أداة جاهزة أنضج وأتم وأيسر وأقدر على الإسهام في تحقيق التطور المنشود! فهي طريق مختصرة للتقدم والالتحاق بركب الحضارة.

ومن هذه المغالطات أيضا الفصل التعسفي بين اللغة والفكر، فكأن اللغة مجرد وعاء يحمل ما أودع فيه من أفكار وكأن «التقدم» أو «اللحاق بركب الحضارة ـ ويقصد بذلك عادة الحضارة الغربية ـ عملية آلية متوقفة على استعاضة اللغة القومية بلغة أجنبية أرقى بصفة جزئية أو كلية.

وفي مجال الاتصال الجمهوري «فإن اللغة تعد بمثابة الرموز المشتركة بين الذين يتكلمون بها، ومن ثمَّ هي عامل يؤثر بدرجة كبيرة في الرأي العام، ولا سيما إذا أمكن استخدام اللغة بنجاح عند الاتصال بالجماهير، حيث إن لكل لغة خصائص معينة تعكس من خلالها طرق الحياة الخاصة بكل شعب، ودرجة تقدمه أو تخلفه، كما تنعكس فيها المواريث التاريخية والقيم والمعتقدات، **ولذلك يجب على القائمين** بالاتصال، مراعاة الحفاظ عليها من أي غزو ثقافي يتعارض مع طبيعتها، كما يجب مراعاة طريقة عرضها من خلال الوسائل المختلفة بحيث يؤخذ في الاعتبار مستوى الرجل العادي، وإطاره الدلالي والألفاظ الأكثر تمشياً معه والتي يمكن له أن يفهمها. كما يؤخذ في الاعتبار مستوى النخبة وقدراتها والمستوى اللغوي الأكثر ملاءمة لها.

ويلجأ رجل الإعلام في وسائل الاتصال المختلفة إلى صياغة رسالته متحريا الدقة في أن تعبر هذه الرسالة عن الأفكار التي يريد أن ينقلها إلى الجمهور. فعملية الاتصال تبدأ بالمصدر الذي يضع فكره في رموز، ثم تنقل هذه الرموز من خلال وسيلة اتصال إلى المستقبل الذي يقوم بفك هذه الرموز من خلال إطاره الدلالي ليستخلص منها الأفكار التي تحملها الرسالة، والتي تكون تصوّرًا ذهنيا لواقع معين. فإذا كانت عملية الاتصال هذه قابلة للتشويش Noise أو عدم التيقن Entropy فإن الصورة الذهنية الناتجة عنها تكون هى الأخرى معرضة لعدم الدقة.

والسبب الرئيس في عدم الدقة هو اللغة نفسها، فالكلمات التي يستخدمها رجل الإعلام ليضع فيها تصوره لواقع معين لا تتفق بالضرورة في معانيها مع الصورة التي يدركها المستقبل، فالكلمات قد تحمل معاني مختلفة، بالإضافة إلى احتمال اختلاف الإطار الدلالي بين المرسِل والمستقبل أي عدم توافر الخبرة المشتركة بينهما مما يجعل الصورة المنقولة عن طريق الكلمات غير دقيقة في التعبير عن ذلك الواقع.

وسائل الإعلام ولغة أطفالنا

في الوقت الذي تتراجع فيه مصادر المعرفة التقليدية كالمدرسة والكتاب التي ظلت مصادر

تعليمية مرجعية حقبة طويلة من الزمن، نجد بدائل جديدة للتنشئة الاجتماعية والتربوية تتمثل في القوة الرهيبة لوسائل الإعلام الجمهوري التي أثرت في شتى مناحي حياة الطفل، وخصوصا اللغة الأم في العالم الثالث. فمن أهم الانتقادات التي توجه لوسائل الإعلام، خاصة التلفاز كعامل من عوامل تلوث بيئة الطفل، سوء استعمال اللغة، ويكاد الإجماع يكون تاما على أن طريقة الكلام في البرامج ولغة التمثيليات تؤثر في أطفالنا تأثيرًا بالغًا، فأسلوب الأداء في تقديم المواد المذاعة مُفْعَم بالعبارات الشاذة والألفاظ الدخيلة فضلا عن النطق المنحرف، ويتعرض الطفل الذي يشاهد التلفاز لسماع عبارات تافهة وكلمات سطحية، ومعانٍ ضبابية تغلف الحقائق بطريقة استعراضية تخفي المعلومات بدلاً من إيضاحها. وعندما يريد الكاتب أن يستخدم اللغة الفصحى، يلجأ إلى النقيض، مسرفًا في السجع والجناس والطباق والمحسنات اللفظية والألفاظ الرنانة والعبارات الفارغة من أي مضمون. وفي كثير من التمثيليات تستخدم اللغة العامية في أبشع صورها وأحط عباراتها. والغريب أن الأطفال يلتقطون هذه الكلمات وتلك العبارات ويرددونها في كل مكان: في الأسرة والمدرسة والنادي وغير ذلك، حتى ولو كانت تلك الألفاظ سوقية أو رخيصة. ومهما حاولت المدرسة أو الأسرة تنقية البيئة من هذه الألفاظ وتلك العبارات، فإن جهودهما تذهب أدراج الرياح، لأن التأثير التلفازي القوي المتراكم لا يقاوم بسهولة. ومع أن لغة الإذاعة والصحافة قد حسمت قضية التناقض بين الفصحى والعامية بظهور ما يمكن أن نسميه بلغة الإعلام والاتصال بالجماهير، وهي لغة وسطى بين فصحى التراث وعامية المثقفين، بحيث أصبحت مستساغة للجميع حتى الأميين، فإن الأداء التلفازي لا يزال متعثرًا في هذا الصدد. وربما يكون السبب في ذلك أن التلفاز يهتم بالشكل والمظهر أكثر من اهتمامه بالمضمون والأداء الإيجابي المقنع. ومن هنا جاء تلوث بيئة الطفل لغويا عن طريق التلفاز.

الإعلان واللغة

وإذا كان الإعلان شكلا من أشكال الاتصال الجمهوري يؤثر بشكل فعال في سلوك الجمهور وقيمه، كما أن لغته المستخدمة من خلال الرسالة الإعلانية بطريقة جذابة تجعل الجمهور المتلقي في العديد من دول العالم يردد جمله وألفاظه، فإن على القائمين عليه من معلنين ووكالات إعلان ووسائل نشر الحفاظ على اللغة القومية حتى لا تصبح اللغة الأجنبية هي البديل الذي يعبر به الإعلان عما يريد توصيله إلى جمهوره. وهذه مشكلة عالمية، خاصة في دول العالم الثالث حيث نجد أن لغة الإعلان لها تأثير فعلي في الثقافة العامة في المجتمع، فقد ظهرت دلائل على أن هذه اللغة منتشرة في وسائل الاتصال كافة، وفي كثير من الأعمال الأدبية التي تأثرت بلغة الإعلان، وخاصة الأعمال النثرية، وذلك لأن الإعلان يلجأ إلى ما يعرف بالألفاظ المنمقة والتزويق اللفظي لإقناع جمهور المستهلكين.

كما أن الإعلان كان أحد أشكال الاتصال الرئيسة التي حبذت الألفاظ والمصطلحات الأجنبية، فمن خلال الملاحظة اليومية في معظم الدول العربية يمكن أن نرى انتشار الأسماء الأجنبية على واجهات المحال والأسواق والشركات أيًا كان حجمها، وهذا يعد - في رأيي - نوعًا من التأثير الفعلي للغة الإعلان التي تستخدم المصطلحات والشعارات الأجنبية بشكل مكثف، ولعل مثالاً واحدًا في حياتنا اليومية يوضح مدى تغلغل لغة الإعلان في حياتنا مثل مصطلح «Co» وهو اختصار لكلمة Co-operation أي شركة أو منشأة، قد انتشر على واجهات كثير من المؤسسات والمحال التجارية.

وكذلك كلمة Center أي مركز تستخدم بدلا من الألفاظ العربية التي يمكن أن تكون بديلاً فعالاً ولائقا ومتوافقا مع هويتنا ولغتنا القومية.

عالمية لغتنا العربية

وأخيرًا فنحن نحتاج إلى خطة عربية موحدة لعمل ضوابط لوسائل الإعلام واستخدام اللغة فيها بحيث نشيع العزة والحماسة في نفوس من يكتبون الرسالة الإعلامية بأشكالها المختلفة لأنهم مسؤولون أمام أجيال عديدة عن الحفاظ على لغة القرآن الكريم التي عاشت آلاف السنين رغم العديد من الحملات الشرسة التي واجهتها، فمن منا لا يفخر حينما يقرأ ما قاله الكاتب الإسباني المشهور «الفارو AL VARO» في القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري يصف إقبال قومه على العربية ويصور أسف أحد كبار الإسبان المتعصبين لهذا الإقبال، بقوله: «إن أرباب الفطنة والتذوق سحرهم رنين الأدب العربي فاحتقروا اللاتينية وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها، ولقد ساء ذلك بعض كبار الإسبان فقال: إن إخواني المسيحيين يعجبون بشعر العرب وأقاصيصهم ويدرسون التصانيف التي كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمون، ولا يفعلون ذلك لدحضها والرد عليها، بل لاقتباس الأسلوب العربي الفصيح، فأين اليوم من رجال الدين من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والإنجيل؟ وأين اليوم من يقرأ الأناجيل وصحف الرسل والأنبياء؟ وا أسفاه!

إن الجيل الناشئ من المسيحيين الأذكياء لا يحسنون أدبا أو لغة غير الأدب العربي، ويجمعون منه المكتبات الكبيرة بأغلى الأثمان، ويترنمون في كل مكان بالثناء على الذخائر العربية، بينما هم حينما يسمعون بالكتب المسيحية يأنفون من الإصغاء إليها، محتجين بأنها شيء لا يستحق منهم مؤونة الالتفات، فيا للأسى، إن المسيحيين قد نسوا لغتهم، فلا نكاد نجد فيهم اليوم واحدًا في كل ألف يكتب بها خطابا إلى صديق، أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها على أحسن أسلوب».

ولعل كلمات «الفارو» تؤكد لنا قوة لغتنا وعالميتها وانتشارها بين حضارات تختلف عنا في أساليب الحياة وأنماطها ومعاييرها، كما تؤكد أن الأمل قائم في حفاظنا أولا على أحد مقوماتنا وإحدى سمات شخصيتنا الإسلامية والعربية، وثانيا نشرها بين سائر الأمم كما فعل أجدادنا وسلفنا الصالح.

□ □

تزكية النفس الإنسانية

بقلم: د. أحمد عمر هاشم

إنَّ تكوين الشخصية القويمة لا يستكمل ملامحه إلا بتزكية النفس وتنقية داخل الإنسان وأعماقه قبل مظهره الخارجي. والإنسان الذي يعجز عن إصلاح نفسه التي بين جنبيه هو أكثر عجزا عن إصلاح نفوس الآخرين والتأثير فيهم. وللنفس البشرية دوافعها في السلوك وتأثيرها في الكيان الخارجي، ولها وساوسها المتحركة وهواجسها الشائكة التي تدفع إلى الانحراف والسوء والفحشاء والمنكر ﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾ يوسف ٥٣.

وبالقرآن الكريم تتزكى النفوس، فلا تعوقها الفتن، ولا تعكّر حياتها الضلالة فتنتهي بالهلاك، وقد أمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام أن يذكّر الناس بكتاب ربهم لئلا تبسل نفس وتهلك، فقال تعالى ﴿وذكّر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع﴾ الأنعام ٧٠.

ولا تأتي للنفوس تزكية في غير البيئة الإسلامية الآمنة، المطبقة لشريعة الله، ففي رحابها تستقر النفس وتطمئن، فلا ترتاع من أحد يمكر بها، ولا ترتاب من نفوس من حولها.

ويتتبع الإسلام تزكية النفس في مسار الحياة فيدفعها إلى الخير، ويعمل على ترقيتها من نفس أمّارة بالسوء إلى نفس لوامة ثم إلى نفس مطمئنة. لقد وضح القرآن الكريم حقيقة النفس البشرية في ضعفها، وكيف تستهويها الفتنة بمظهرها الخلاب ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ يوسف ٥٣.

لكن عندما يصحو الضمير الديني ويتحرك وازع الدين يخاف الإنسان مقام ربه، وعندئذ ينهى نفسه الأمّارة بالسوء فيحظى بالرحمة والجنة، قال تعالى: ﴿وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنة هي المأوى﴾ النازعات ٤٠، ٤١. وعندما ترتقي نفس الإنسان المسلم بالتزكية تلوم نفسها لا على ارتكاب الخطأ فحسب، بل تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان.

وبتلك النفس اللوامة ورد القسم في القرآن في قوله تعالى: ﴿لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ القيامة ١، ٢.

وعندما ترتقي النفس بالتزكية وتطمئن بإيمانها وسلوكها تنتهي عما نهى الله وتأتمر بأمر الله، وحين تنتهي بها رحلة الحياة الدنيا تقبل على الله محبورة مستبشرة ويقال لها: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي﴾ الفجر ٢٧ ـ ٣٠.

ومن رحمة الله بعباده أنه وضح لهم طريق الخير ليتبعوه وطريق الشر ليتركوه، وألهم كل نفس هذا الإحساس والبيان: ﴿ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكّاها. وقد خاب من دسّاها﴾ الشمس ٧ ـ ١٠.

وفي مسار تزكية النفس يحرص الإسلام على تسليم النفس بذكر الله والوضوء والصلاة لينتصر على وساوس الشيطان وينفض غطاء الكسل وعوامل التثبيط. ففيما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة، عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ وذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان».

إن الكسل ظاهرة غير صحية في حياة المسلم، لكن خبث النفس تحطيم للشخصية بمنظاره القاتم، يتطلع المرء إلى من حوله فيسيء بهم الظنون، وحيث تقع نظراته على محامدهم إذا بها في عينه مثالب.

وما أحوج المجتمع الإنساني إلى تزكية النفس، وإلى التضرع إلى الله ليحفظها في السر والعلانية، في اليقظة وفي النوم، كما كان سلفنا، يضرعون إلى الله ليحفظها.

روى الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر أنه أمر رجلا إذا أخذ مضجعه قال: «اللهم خلقت نفسي وأنت تتوفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها وإن أمتّها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية». وما أروع أن تدعو بدعاء رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليّها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها».

بين الخوف والرجاء

يتشكل الوجدان الإسلامي المعتدل بين الخوف والرجاء، حيث يتوازن بناء الشخصية فلا يؤدي به الرجاء إلى الإهمال، ولا يؤدي به الخوف إلى

اليأس: ﴿إنه لا ييأس من رَوْح الله إلا القوم الكافرون﴾ يوسف ٨٧ .

وبين الخوف والرجاء يتيقظ الضمير الديني محذرا صاحبه من التردي في مهاوي الفساد والتهلكة، مرغبا له في طريق الطاعة والنجاة. وبالرغبة والرهبة تنمو في الأعماق عواطف جياشة وأحاسيس صادقة مبعثها صحة العقيدة وقوة الصلة بالله، وهذه الصلة الوثيقة هي التي تضفي على حياته الرجاء في رحمة الله، وفي الوقت نفسه تحذره من عذابه: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ الإسراء ٥٧ .

والاتجاه إلى الله بالرغبة والرهبة مع المسارعة في الخيرات سبيل لفتح الأبواب وتحقيق الآمال، لأنه لا يستقيم على ذلك إلا من صدقت نيته وصفت سريرته وأشرقت حياته بالإيمان. ولقد أخبر الله تعالى عن زكريا عليه السلام، حين طلب أن يهبه الله ولدا نبيا من بعده، فسارع هو وأهله في الخيرات وفي الدعاء رغبًا ورهبًا، فأجاب الله دعاءهم وحقق رجاءهم، قال تعالى: ﴿وزكريا إذ نادى ربَّهُ رَبِّ لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين. فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين﴾ الأنبياء ٨٩، ٩٠ .

فهذا نموذج عال يقدمه القرآن فيه تجلية لأثر الخوف والرجاء وما ينبغي أن يكون عليه المسلم في دعائه واتجاهه إلى الله، وبين الخوف والرجاء دائرة إيمانية مشرقة تنطفئ فيها المخاوف النفسية وينبثق منها الأمن الروحي، حيث يكف الإنسان نفسه عن كل ما يغضب الله خوفا منه ويسارع إلى مرضاته رجاء رحمته، وعندئذ يظل مستشمرا ثواب الله وعقابه وغفرانه وعذابه .

﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم. وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ الحجر ٤٩، ٥٠ وقال تعالى ﴿حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم. غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير﴾ غافر ١ ـ ٣ .

وكما دعا القرآن إلى الخوف والرجاء، ففي السنة الشريفة فيض غامر يستهدي به المسلم في حياته ويفتح أمامه باب الأمل والرجاء في رحمة الله. فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال الله عز وجل: «سبقت رحمتي غضبي»، وروي أيضا عن عمر بن الخطاب أنه قال: «قُدِمَ على رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي تبكي إذ وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا رسول الله ﷺ: أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: «لَلَّهُ أرحمُ بعباده من هذه بولدها» .

وحتى لا يتكل الناس على الرحمة وجانب الرجاء نجد أن الرسول ﷺ يخبر عن وقوع العذاب من أمور قد يستهين بعضنا بها. روى الإمام مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض». وتؤكد السنة المشرفة حقيقة الخوف والرجاء ومدى ما عند الله من العقوبة والرحمة حتى لا يتسرب الغرور أو اليأس إلى داخل النفس الإنسانية. روى مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد» .

وترسم السنة صورة كاملة الملامح لحياة الإنسان يكتنفها الخوف والرجاء في حركته وسكونه، في يقظته ونومه، ففيما رواه مسلم عن سعد بن عبيدة: حدّثني البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أخذت مضجعك فتوضأ للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم إني أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت» .

وليس في عنصر الخوف من الله ما يدّعي أعداء الإسلام، فإن الخوف صمام أمن وعاصم من الزلل. والتربية في أمس الحاجة إليه. ثم إنه ليس خوفا من مخلوق وإنما خوف من الله .

وازع الدين ووازع الضمير

وللوازع الديني طابعه الواضح في حياة الأفراد والجماعات والأمم والشعوب، فصوت الحق ينبعث منه مدويا في الكيان الإنساني، له تأثيره القوي، وله عمقه وفاعليته في الواقع العملي للحياة والأحياء، ولقد تعددت الأشكال التطبيقية في سائر المجتمعات البشرية واختلفت الأساليب، وتنوعت المناهج وتضاربت الآراء لدى المجتمعات التي فقدت عنصر الوازع الديني ولم تتخذ الإسلام منهجا للحياة، حتى وإن كان أفراد المجتمع مسلمين، فهناك فرق واسع بين جماعة إسلامية أخذت الإسلام عقيدة وسلوكا وتطبيقا، وجماعة إسلامية أخرى أخذت من الدين اسمه ومن الإسلام رسمه ولم تعمل بأصوله ولم تطبق منهجه .

فالأولى تمتعت بالأمن والاستقرار لأنها تقوم برسالتها في وضوح من الأمر واحتكمت خطاها المطمئنة على درب النور وعلى الطريق المستقيم، ووجدت في شريعة الله كل ما تحتاج إليه من قوانين تضبط السلوك والمعاملات، قوانين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، إنها قوانين ربانية نتائجها مضمونة .

وأما الثانية فهي في متاهات الحياة تتقلب كل يوم مع أنظمة حديثة وقوانين مستوردة، هي من صنع العقل البشري ووليدة أمشاج من تجارب عاشت على مسار الزمن بين مد وجزر وقبول ورفض، وبينما تمسك بنظام إذا بها يتبين لها منه الخطأ والقصور فتعدل عنه وتذهب إلى غيره ثم تتركه، لا استقرار ولا ثبات. وطالما ارتفعت أصوات المصلحين وجلجلت نداءات الدعاة توجيها إلى الحق ومقاومة للمنكر والشر ولكن بلا صدى .

ولقد حاولت المدنية الحديثة أن تضع الضمير دافعا ووازعا وتصوره كذلك زعما وتلبيسًا للأمور، وراح بعضهم مرددا: إنه يفعل كذا إرضاء لضميره، ومحاولة اتخاذ الضمير من ضوابط العمل الإنساني، ومحاولة جعله هدفا أو غاية أو الصدور عما يمليه على الناس، كل ذلك نزوع إلى طريق الانحراف وإهدار لقيم نبيلة وطمس لمعالم لا يصل إليها صوت

تحت ستار إرضاء الضمير تحدث مخالفات وتفريط في الواجب.

الضمير. وأحيانا كثيرة يتجاهلها ويجهلها ويتناساها وينساها. ومن جانب آخر فإن ما يمليه الضمير الإنساني ليس واحدًا في كل الأمور وليس متفقا مع جميع البيئات وليس متحدا لدى جميع الأفراد والجماعات، فالذين يحاولون أن يتخذوا إرضاء الضمير غاية وهدفا إنما يفرون من الحقيقة ومن الحق الثابت ومن قوانين الشريعة المستقرة التي لا تتغير إلى ما ليس ثابتا ولا مستقرا وهو الضمير، لأنه يتغير من بيئة لأخرى ويختلف من جماعة إلى جماعة أخرى، بل وأحيانا يختلف بين الجماعة الواحدة من فرد لآخر. وتحت ستار إرضاء الضمير قد تحدث المخالفة أو التفريط في الواجب ويحاول بعضهم إقناع الآخرين بأنه أرضى ضميره بل ويقنع نفسه بأنه راضي الضمير، مبررا الأمور على حسب ما يحب ومفسرا ظواهر الأشياء على حسب هواه. وعندما يتخذ الإنسان الهوى طريقا للعقل وحده هاديا، ويبتعد عن هدى ربه يضل ضلال مبينا، فلا هداية إلا هداية الله ولا حكم إلا لشريعة الله ولا وازع إلا من الإسلام. أما الذين يتخذون الضمير ويسلمون حياتهم إلى هوى النفس أو حكم العقل فهم بعيدون عن روح الإسلام، وعن جوهر العقيدة الصحيحة، يقول الله تعالى محددا الاتجاه الحق في شريعته وهو الذي يجب اتباعه والبعد عن الهوى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون. إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين. هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون. أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون. وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يُظلمون. أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ الجاثية ١٨ ـ ٢٣.

وأما عن وازع الدين، فإنه يصدر عن حكم الله، وفي رحابه يقدم الإنسان على العمل إرضاء لله وابتغاء مرضاته وطاعة له. ووازع الدين تربيه العقيدة وتثمره وتصله الشريعة وتنميه وفي ظله يتم صلاح القلب الذي يترتب عليه صلاح كل عمل يقوم به الإنسان، كما جاء في الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

وقد نطلق عليه اسم (الديني) ولذا فمن الواجب توضيح الفرق بينه وبين الضمير العام الذي سبق الكلام عنه وأنه يصدر عن الهوى. فالوازع الديني ـ أو ما يشار إليه بالضمير الديني أحيانا ـ هو الذي لا يصدر في حسّه وفعله إلا عن العقيدة والشريعة نابعا من القلب الذي هو محل النية والتصديق، وتبرهن عليه الأعمال الصالحة التي مبعثها شريعة الله، ومن هنا كان للقلب الصالح السليم إحساسه الصادق وحاسته المرهفة التي أشار إليها الرسول صلوات الله وسلامه عليه في قوله: «استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك» وأشار أيضا في قوله ﷺ: «البرّ حُسْنُ الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس».

ونحن إذا انتقلنا إلى واقع الحياة لنرى بعض الأمثلة والنماذج التطبيقية ندرك الفرق واضحا بين وازع الدين وما يدّعيه بعضهم من إرضاء الضمير.

في كثير من المجتمعات عند وقوع عقوبة من العقوبات أو تطبيق بعض القوانين يستطيع بعض الناس أن يفلت من القانون أو يحاول التهرب منه، خشية الوقوع تحت طائلة العقاب، وربما إذا نوقش إنسان أحدث مخالفة من المخالفات أو قصر في واجب من الواجبات أجاب بأنه قد قام بما قام به عن اقتناع، وأنه قد أرضى ضميره، وقد لا يكون على حق ولكنه يحاول تبرير الموقف بما يتفق مع هواه وبما يتمشى مع ما يريد بغض النظر عن أي اعتبار آخر. فأين هذا الضمير من وازع الدين الذي كان يدفع بعضهم حين يرتكب ذنبا ليأخذ عقابه ويطلب إقامة الحد عليه؟

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني، فردّه فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول الله إني قد زنيت فردّه الثانية، فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه، فقال: أتعلمون بعقله بأسا تنكرون منه شيئا؟ قالوا: ما نعلمه إلا وفي العقل من صالحينا فيما نرى، فأتاه الثالثة فأرسل إليهم أيضا فسأل عنه، فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله، فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمر به أن يرجم، قال: فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني، فلم يجبها وإنما ردّها فلما كان الغد قالت: يا رسول الله لِمَ تردّني لعلك أن تردّني كما رددت ماعزا فوالله إني لحبلى، قال: أما الآن فلا اذهبي حتى تلدي. فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة قالت: هذا قد ولدته قال: اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته وأكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها أن يحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها، فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها، فسمع نبي الله ﷺ سبّه إياها فقال: مهلا يا خالد، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له، ثم أمر بها فصُلّي عليها ودفنت.

وحياة المجتمعات البشرية مليئة بنماذج تطبيقية وأمثلة واقعية يتضح من خلالها الفرق الشاسع بين سلطة الدين ووازع الدين وبين السلطة القانونية.

وفي ظل الوازع الديني فإن المؤمنين المخلصين يراقبون ربهم في كل أعمالهم سرا وعلانية لا يعنيهم أن يراهم الناس لأنهم لا يراؤون الناس وإنما يعنيهم رضا الله تعالى وحده، فهم يزيدون في أعمالهم وينفقون سرا ويبادرون إلى كل خير، ويسارعون إلى كل مكرمة، شعارهم قوله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ التوبة ١٠٥.

□ □

النقد والنظرية

بقلم: أحمد المعلم

ما الذي يُعنى به النقد من تقديم العمل الأدبي؟

كيف يستخدم النص الأدبي الأدوات؟ وما وظائفها؟

وما موقف الناقد من العمل الأدبي؟ وكيف يستجيب له؟

وفي كلّ كتابة هناك مضمر يحاول النقد أن يعرفه، فكيف يكون ذلك؟

وكيف تكون العلاقة بين التحول الاجتماعي واللغة في أثناء التحوّل؟

هذه التساؤلات قد يكون نقدنا العربي قد أغضى حياء عن بعضها، بينما تجد هذه التساؤلات صدى واسعًا لها في الغرب. وهذا ما نراه في كتاب: (النظرية الأدبية الحديثة ـ تقديم مقارن)، من تأليف آن جفرسون وديفيد روبي وترجمة سمير مسعود. إن نقدنا العربي المعاصر لا يزال يعيش على موائد الغرب وفتاتها، مع أن الملكة النقدية لدينا من حقها أن تبرز، وبخاصة حين يكون التراث النقدي العربي ليس قليلاً، غير أنه مُبعد عن التوسّع والتطوير. وليست العودة إليه تشفي الغليل في نقدنا المعاصر.

وكي لا نبخس نقدنا العربي فعله وجدواه، نشير إلى أن النظرية الأدبية الحديثة تستوعب معظم المعطيات النقدية في العالم، لكنّها تؤسس نظرتها على الموجود في الأدب الغربي بصورة خاصة. وبأسف نقول: إن بعض النقد العربي المعاصر أصبح تبعيًا، حيث يسحب المنقول والمنفّذ على بعض اللغات الغربية، لينفّذه على اللغة العربية [1]، مع أن هذه اللغة ليس من طبيعتها أن تستوعب ذلك، ولا تحتفل به. والأمثلة ليست في النغم الداخلي الذي يحاول النقد أن يفرضه، بل يمتد إلى البنى والصيغ في العربية، وكأن النصّ الأدبي قبل هذا النقد لم يكن فيه النغم الداخلي ولا تلك الصياغات.

وأحاديثنا عن النهضة منذ مدافع نابليون بونابرت جهيرة، فاعتبرنا بذلك التواصل نهضة، وليس الأمر كذلك. فالتواصل مفروض بين أطراف الدنيا الأربعة بلا مكابرة، وما يُسمى بالنهضة إن هو إلا تبعيّة للفكر الغربي بطرزه وأعرافه. ولا أبالغ إذا قلت: إن بعض المفكّرين العرب ينغمسون في أجواء التفكير الغربي، فلا يعون ما يقولون. فيأخذونه منهجًا وسبيلاً، منكرين خصوصية الشخصية، وظروف التحوّل الاجتماعي، ونمط السلوك العربي. فالمطلوب ببساطة لدى هؤلاء، ومن ضمن المنظور ذاته، أن يتحوّل الإنسان العربي ومؤسساته وقيمه ومفاهيمه وأعرافه وتقاليده إلى إنسان غربي تمامًا، حتى يحصل على التمدّن والرقي. نحن لا ننكر على النقد العربي المعاصر تواصله قدر ما ننكر عليه تبعيّته، حيث إنه، حتى الآن، لم يمتلك نظريته ولا خصوصيته في دراسة النصوص وعلاجها، وفق مقتضيات المنهج الذي تأسّس عليه البناء اللغوي العربي. وتلك فجوة كبيرة ليس من السهل ردمها. وأعتقد أن مسألة صياغة النظرية الأدبية والنقدية هي المهمّة الأولى التي يجب أن يواجهها الأدب العربي.

ليست مهمّتي أن أعرض محتويات الكتاب مع أنّها مهمّة، بل غرضي أن أفيد من هذه النظرية الأدبية، وأن أستوعب منها ما يفيد خطواتي باتجاه تحديث النقد الأدبي. فمسألة الفروق اللغوية في الأدب: التقديم والتأخير، وشبه الجملة، والمعاني، والجملة الفعلية والاسمية نرى تقديمًا لها عند الجرجاني في بلاغته [2]، وهي مطروحة على الشعر والنثر على السواء. وإذا كانت البنيوية المنسحبة من الشكلانية تؤسس رؤاها ومنهجها على الشعر ثم النثر، فإن الجرجاني كان يفعل ذلك. ولن أذهب شططًا، فأدّعي حمل هذه المعايير على الأجناس الأدبية من قصة قصيرة ورواية ومقالة، حيث إنّها لم تكن معروفة في الأدب العربي. لكنني أقول: إن مسألة الفروق في دراسة النص، التي يعرضها الكتاب المذكور ليست بعيدة جدًّا عن نمط معاينة الجرجاني لها: (مهمة الدراسات الأدبية للشكلانيين هي، إذًا، تحليل الفروق التي يتضمنها التعارض بين اللغة المحلية واللغة الشعرية، وإبراز هذه الفروق للعيان عن طريق الاستعانة بمفهوم التغريب [3]، ولا يمكن للدراسات الأدبية أن تحافظ على مادة دراستها الخصوصية إن لم تركّز على العامل الفرقي. فبقاؤنا داخل موضوع معيّن (في هذه الحالة، الشعر) دون مقابلته مع المواضيع التي يبغي التميّز منها، سيؤدي في الأغلب إلى تبخّر الموضوع الذي يستحوذ على اهتمامنا. من المستحيل تعريف الشعر من الداخل. إذ ليس هناك أي مواضيع شعرية أصيلة، ففي العصر الحديث تراجعت المواضيع الشعرية للشعر الرومانتيكي «مثل ضوء القمر، البحيرات، العنادل، القلاع... إلخ) أمام أكثر المواضيع عادية وابتذالاً. وبالمثل، لا يمكننا تعريف الشعر من خلال أدواته وحسب، لأن هذه الأدوات تتغيّر بمرور الزمن. كما لا يمكننا رسم معالم الشعر كمجال محدّد للتحليل إلا من خلال مقارنته بما ليس شعرًا» [4]. إذن، فالفروق هنا وسبل معرفتها تخصّ الأجناس الأدبية، ولا تخصّ الجنس الواحد مثل الشعر. نعم

مِن كُتّاب العدد

● **أحمد المعلم**

ـ من أعماله المطبوعة: الجذوة ـ دراسة في الشعر المعاصر.

وله قيد الطبع: الشتاء والمرأة في القصة القصيرة ـ دراسة في القصة القصيرة العربية.

ـ له مقالات منشورة في المجالات السورية مثل الموقف العربي والمعرفة، الأسبوع الأدبي، وفي المجالات العربية مثل الإتحاد والخليج والمجلة العربية.

إنّ العرب ميّزت قديمًا بين الشعر والنظم، لكن المعيار لم يعد صالحًا في العصر الراهن. ومنذ القديم كان الشعر معروفًا من التركيب والصياغة والمعنى والجرس والحال وغير ذلك، لكنّها أيضًا باتت شبه معطلة في الوقت الراهن. ويحتاج الموضوع إلى بحث أو بحوث، تنتهي إلى نتائج متوقّعة وغير متوقعة كما فعل الفراهيدي وغيره.

ارتكزت الشعرية العربية قديمًا على المبالغة والبديع في كلّ أحواله، وتلك هي النظرية الأدبية التي وقف النقد عندها كثيرًا. والشعرية في العصر الراهن ركّزت اهتمامها على التكوين والشمول وبناء الوحدة العضوية. هكذا يبدو أن الشعرية في الماضي والحاضر لم تكن موجودة في اللغة، أو أن اللغة هي قدرةٌ على الاستيعاب. لكننا لا نعدم رؤى نقدية في تراثنا العربي مازت اللغة، وسارت قصدها، وإن كانت المحاولة جاءت على حياء وخجل.

مرتكزات النظرية الأدبية

اليوم ترتكز النظرية الأدبية على أداة ووظيفة، تسير قصدها اللغة والتعبير. وإن كان الشاعر يتجاهل لغته، فليس النقد بقادر أن يفعل ذلك. فليست الأداة هي محطّ الرجاء في الشعرية، وليست الوظيفة أيضًا، فالأداة الواحدة تمارس وظائف متعدّدة، والوظيفة الواحدة تحتاج إلى أدوات عديدة. فالشعرية بعد كلّ هذا الإفراد والتناغم يبدو أنّها متمرّدة على النظم والقواعد، لا يكفي لانفراجها أن تصوغ عبارتها، بل لا بدّ من اطّراح الوهم منها، والبحث عن المركز، والأخذ بالدال والمدلول، وعلى الأخص فكرة الأداة والوظيفة في استجلاء المعنى والتركيب: «فالأداة الواحدة يمكن أن تستخدم في تأدية مجموعة متنوعة من الوظائف الممكنة، مثلما يمكن لأدوات مُختلفة أن تشترك في وظيفة واحدة (٥)». وليس القول في هذا الأمر فذلكة لغوية، إنما هو ارتباط وتوشج وتلاقح، يتحول إلى النص والشعرية، أكثر مما يتحول إلى كينونتهما.

فالفاعلية الشعرية والأدبية بوجه عام قائمة على الكتابة أولاً (٦)، فالكتابة ضمان التوصيل، وركيزة الاجتهاد، ومحور الرأي. قبل الكتابة يكون النص - إن وجد - مائعًا، رجراجًا، زئبقيًا. وبعد الكتابة يصبح متحولاً إلى الآخر، ومُحتفظًا أيضًا بكينونته الخاصة، التي خطّ طريقه فيها. فليس معنى التكوين الجمود، وإنما هو الإحالة والتحويل. تُرى. هل يكسب النص وجوده المتنامي لولا وجود الآخر؟

والآخر، قد يكون المبدع ذاته في أضعف الأحوال: «الأدب بأجمعه قائم على عملية الكتابة، وليس على عملية التفكير، أو التصوير، أو الإخبار، أو الشعور» (٧). وما هو جوهري وفاعل في الحياة يحفظه المكتوب، فقد يتناساه الإنسان، أو يجفوه قبل الكتابة.

وليس النص ما يريد أن يقوله المؤلف تمامًا. فالنص الأدبي بعد أن يخرج من يد المؤلف يغدو مستقلاً، يُحيل إلى نفسه، أكثر مما يُحيل إلى ما يريده المؤلف. لذلك يبالغ النقاد الذين يريدون من النص أن يكون فيه الحوار أو جوانب من السيرة الذاتية. وإن كنّا لا ننكر دور هذه الأحوال في مقاربة النص، إلا أننا، ونحن نطبق المعايير اللغوية والأسلوب المستخدم من الكاتب، لا بدّ من أن نواجه التعابير اللغوية الأخرى، فيما سلف وفي المعاصر، ونبحث عن الخصوصية الفرقية التي امتلكها النص: «يجد ديريدا نفسه يقول عن روسو، مثلاً، إن ما يكتبه فعلاً، يختلف عما يبغي قوله: أي إنه ملزم كأي منا، بأن يقول: «أكثر، أو أقل، أو شيئًا مختلفًا كلّ الاختلاف عما يقصده يرغب في قوله، أو حتى يبدو أنه يقوله - ومن هنا الحاجة إلى التفسير النقدي. إن مؤسسة النقد الأدبي بالذات هي، بمعنى ما، دليل مشخّص على هذا الافتراض. وهذا ما يميّز قراءة الأدب من قراءة الفلسفة؟ التي تتطلّب من المرء أن يفهم إلى أقصى حدٍّ ممكن ما المقصود، حيث يُفترض أن الكتابة ستوضّح المعنى بطريقة مباشرة وفورية وبذلك، وعلى الرغم من أن الافتراضات النظرية المسبقة للنقد الأدبي التقليدي مختلفة تمامًا عن تلك التي نجدها لدى ديريدا، فإن دارس الأدب سيقدّم على الأرجح استراتيجيته التي لا تتناول النصوص حسب معناها الظاهري» (٨) لكلّ ناقد استراتيجيّته الخاصة باحثًا في النص الأدبي، وكذلك لكل نص أدبي قوّة التحويل الخاصة التي تصطنع هذا المنهج، مغايرة النهج الآخر. ولعلّ خير النصوص، إن لم يكن أفضلها، ذاك النص، الذي يقبل التأويلات المتباينة، ويقدّم عونًا لكثير من استراتيجيات النقد. ولا يحصل مثل هذا الأمر في التصوّر قدر ما يحصل في الإبداع تجسيدًا وحضورًا، ووعيًا للأبعاد المعرفية والدلالية، وهي تنشأ من المخزون الفكري، واعية أبعاد الواقع.

وهذا التصوّر يقودنا إلى المضمر في الكتابة، فلا نصَّ أدبيًا إلا وله مضمره الخاص به، وإلا كان النص ينفي صفته الأدبية باتجاه لغته العلمية أو الفقهية أو ما شابه. النص الأدبي له المرتكزات الخاصة، والرموز، وسبل التعارف، ودون هذا التقدير يبطل مفعول النقد الأدبي بصفته قوّة فاعلة. فالنص جملة من المفاهيم والقيم لا بدّ من إدراكها ومعرفة أسرارها (٩)، والسير باتجاه ما خفي منها، أو ما تريد أن تفضي إليه مستترا: «ليست بنى جولدمان الذهنية بنى لغوية، وإنما علائق متبادلة بين مفاهيم. وكما الأمر في نظرية لوكاتش، لا تعطي اللغة أي دور متميّز أو مركزي في عمل جولدمان. ففي دراسة لمسرحيات راسين يرى البنية الذهنية متمثلة في شخصية بعضها «كالآلهة، المستترة بالضرورة» (١٠) حاضر في النص. ولكن ليس على المسرح. وبذلك، فإن «بنية جولدمان هنا شديدة الشبه بـ«الشكل» الذي لاحظه لوكاتش في صور ممثلي الطبقات الاجتماعية في الرواية. وفي الواقع أكّد جولدمان أن الأدب لغة، لكن ما قصده هو أن الأدب «مخصص للتعبير عن مضامين خصوصية معيّنة، وتوصيلها»، وأن هذه المضامين هي، على وجه التحديد، رؤى كونية» (١١).

وليس استجلاء المستتر في النص أو المضمر يأتي عفواً أو افتعالاً، إنما له مقوّمات وأسس وركائز، لا تغفل ولا تسهو عين النقد عنها. ويحتاج الناقد إلى كثير من الإمعان والتروّي قبل الشروع بالبحث، ومن ثم وضع الأسس والمرتكزات وليست الاستنتاجات صائرة إلى ما يهوى الناقد، بل إلى ما هو كائن ومتغلغل في النص الأدبي.

إن هنـاك تغييـرًا وتحولاً يُجـريـه التحـوّل الاجتماعي في سيـرورة الأبنيـة اللغوية، فتنحـرف هذه الأبنية إليها، محقّقة صبـوة التواصل والتفاعل. لكن مؤثرات البنى اللغوية القـديمة تتسلّل إلى النص الأدبي الحديث جدًّا، على الرغم من ولع النص بـالحداثة أو المعـاصرة، عن طريق الألفـاظ والتراكيب وطرائق التعبيـر والنحو والصرف وما شـابه. فنجد: «لا يملك شـروى نقير، ولم ينبس ببنت شفـة، وهكذا دواليك، وهلم جـرا... إلى آخره». تفـرض هيبتها أحيانًا على النص، وأحيانًا يبدو النص الأدبي واقعًا في إسارها.

التحول اللغوي والمد الاجتماعي

إن التصوّر لتحوّل لغوي يبتعد عن المدّ الاجتماعي هو محض اختلاق، وإن التحـول الاجتماعي أيضًـا إذا لم يطرح بعـض رؤاه وبناه وتعـابيره، فإنـه يكون جامـدًا، أو أسير النظرة المتخلّفة في المـاضي. ليس المدّ الاجتماعي في تحـوّلـه بعيدًا عن الانتقـال اللغـوي، وليس التحـول اللغوي بعيـدًا عمـا يحـدث في المجتمـع، بينهمـا صـلات قـربى ووشـائج لا يمكن عـزلهـا بالسكيـن، مهما كانـت الرؤية تمتلك مـن وسائل وأدوات: «وذلك عنـدما تجادل بأن الثورة في اللغـة تتطابق مع الثورة الاجتماعيـة دون أن تكون متصلة بهـا مباشـرة، ودون أن يحتاج المـؤلف أن يكـون مدركًـا سياسيًّـا بمعنى واع وعملي» (١٢). وهذا الأمر في التحول والتغيير عرفته العربية على أوسع مدى في رسالـة الإسلام، وبخاصـة تلك الدلالات التي اختصّت بشعـائر معيّنة، عليها يقـوم الإسلام وفروضـه، وكذلك في الشعر، حيث إن شعـر حسان بن ثابت في جاهليته هو غيره في صدر الإسلام.

إن امتلاك الظاهرة النقدية للنص الأدبي ملـزمة بوعي النظرية الأدبية التي تبثّ خيط التـواصل بين المؤلف ومن ثمّ، وبـالتالي، تقـود العملية النقـدية إلى الاطمئنـان لغايـاتها ونتـائجها، من دون أن نهمل أن لكلّ مـؤلف نظرتـه الخـاصة، وتعـاملـه الخـاص، ورؤيته الخـاصـة أيضًا، ويـوازيـه في ذلك النـاقـد. فهل أنجز النقـد العـربي نظـريتـه الأدبية للتعـامل مع النصـوص، وبخـاصة نصـوص الأجناس الأدبيـة الوافـدة مثل القصة القصيـرة والروايـة، والتي أصبح لها ميـدان واسع في أكثر من مكـان في الوطن العربي، أم تـرانا سنظل نسترفد النظـرية الأدبية الغربية مـددًا، في سبيل التعامل مع مثل هذه النصوص؟!

السؤال يظلّ مطروحًا حتى نجد النظريـة الأدبية العربية الحديثة، وعندئذ يكون لنا شأن آخر.

الهوامش

(١) انظر: كمـال أبـو ديب ـ البنية الإيقـاعيـة للشعر العربي.

(٢) عبد القـاهر الجـرجاني ـ أسرار البـلاغـة ـ المقصد من تلك المقدّمات.

(٣) المقصود هو اغتراب الكاتب عن الواقع.

(٤) النظـرية الأدبيـة الحـديثـة: تقديم مقـارن، ص٤١.

(٥) السابق، ص ٤٤.

(٦) محمد بن حيـدر البغدادي ـ قانـون البلاغة ـ فضل الكتابة.

(٧) النظرية الأدبيـة الحـديثـة: تقديم مقـارن، ص١٦٥.

(٨) السابق، ص ٢٠٣.

(٩) سيّد قطب ـ النقد الأدبي: أصوله ومناهجه ـ ص ١٢٢ وما بعدها.

(١٠) أحسب الإشارة إلى الرموز في الأسطورة.

(١١) النظـرية الأدبيـة الحديثـة: تقديم مقـارن ـ ص ٢٨٠.

(١٢) السـابق، ص ٣٠٦.

□□

الشباب والتيارات



شباب اليـــوم انفتـح أمـــامهـم سبل المعرفة، وتقارب بينهم ما بَعُدَ بتوفـر المواصـلات والاتصالات الحـديثـة، لـذا فإنهم يمـرون بمـواقف عـديـدة، وتتجـاذبهم تيارات متنـوعة فـي مآخذهـا ومآربهـا، وتحيط بهم مـدلهمـات خطيـرة، وتعتـرض مسيـرتهم عقبات كأداء. فشباب اليوم قـد صوب لعقولهم غزو متعمـد وأشرعت في نحورهم سهام مـريشة تقصد إصابتهم في الصميم، وبلبلة أفكارهم.

وتهدف تلك الشبـاك المنصوبـة مباعدتهم بطرق شتى عن دينهم، وتشكيكهم في قدرة شـرائعه على حل ما يعترضهم، ومـا أصعب الثقافة ووسـائل المعرفـة عندمـا تأتي في قـالـب معكوس، أو تشـوه صورتهـا، وتعـرض في غلاف جميل، خـاصـة إذا كان الـذهن خـاليًا، والخلفيـة ضعيفة.

ومن هنـا فإن الحمايـة من تلك الأخطـار تحتـاج إلى جهد يبـذل، وعمل يتـواصل، وجهـود تتضافـر، مع أسلـوب يوجـه ذلك وهـو الفهم العميق، وحسن الإدراك والرّوية.

فشباب اليـوم قد انفتحت أمـامه مصـادر المعرفـة، وتكاثـرت عليه الآراء المتباينة، وانتشرت في ثقافاتهم الأفكار والنوايا المغرضة، التي يراد بهـا تشكيك المسلم في دينـه، وانحـرافـه عنه، مـا بين مسمـوع ومـرئي ومقروء، وأصبحـت المعـرفة الموجهـة للشباب بصفة خاصـة ذات أبعاد متنـوعة من فكـرية إلى عقـدية، إلى مـادية وابتـزاز، إلى ملذات ودعـوة لتسليم النفس قياد الهوى، والنفس أمارة بالسوء.

أصبحت وسـائل الثقـافـة اليـوم سـلاحًـا ذا حـدين في التـوجيـه والاهتمـام، وخلق كل ثقـافـة بعـدًا عميقًـا، في الجـذور العقـديـة، والمنطلقات الفكرية، وغـالبها خلفه أيد نشطة، تحركـه وتغذيه، وتدفع في سبيله الشيء الكثير من جهد ومال، ووقت وتخطيط.

أصبحت وسائل الثقافة المـوجهة، متوفرة في كل صقع في الأرض، بل دخلت كل بيت في أنحـاء المعمورة حتى أكـواخ الفقراء، ومضـارب البـادية، وحصـون النسـاء بين خـدورهن، لقد تسـربت إلى كل مكـان تحـركها عـوامل متعـددة: من نفس وهـوى وشيطان، وشيـاطين الإنس أشـد خطـرًا من شياطين الجن، لأن شيـاطين الجن يطـردهـم ذكـر، ويحصّن دون أذاهم الـورْد الذي أخبر بـه رسول الله ﷺ، فـآية الكـرسي تحفظ من الشيطان، ولا يضر الإنسان شيء ما دام متحصنًا بها كما جاء في حـديث أبي هـريـرة رضـي الله عنـه، لكن شيـاطين الإنس يـزينـون ويلبسون، ويضللون ويقلبون الحقائق إلى غير صورها.

ووسائل الإعلام إن روقبت فهي وسيلة ثقـافية مفيدة وخيّرة، ذلك أننا عنـدمـا نجيل النظـر، فإننـا لا نجد شخصًـا لا يملك جهـاز راديـو، أو يحتفظ بجهاز للتسجيل، كما أن الأجهزة المرئية من تلفاز وفيديو وغيرها قد سـرت في المجتمعـات الإسلامية سـريان النـار في الهشيم، ويـزيـد حدّتها البثّ المباشر بواسطة الأقمار الصناعية.

فكـان لا بد من معـرفة ذلـك، ثم التعرف على السبل المعينـة على حمـايـة المجتمع من ضـرره، ثم تسليح الفـرد لمجابهـة تلك الأخطـار المحدقـة، والأعمال المسلطة، والإنسـان لا بد أن يكون حـذرًا مستعدًا للمعركة بمـا يناسب المقام من سلاح وقـوة: قوة في الفهم، وقـوة في الحجة، وقـدرة على رد الشبهات. وسـلاح يقارع بـه ما سلط نحـوه ومـا نصب لـه من أهـداف، كما يقـال في المثل العـربي: إذا لم تكن ذئبًـا أكلتك الذئاب.

د. محمد بن سعد الشويعر

د. كيم: درس الأديان عشرة أعوام ثم أسلم

كـان مشغوفًا منذ سنوات عمره المبكرة بدراسة الأديان، وعقد المقارنات بينها، والاطلاع على طقوسها ومبادئها.

وعندما طرق **الفيلسوف الأمريكي د. أرثر كين** ميدان الحياة العملية، كان قد تزود بمعين كاف من الدراسات الخاصة بالأديان بما تحمل من فلسفات روحية ومادية، فاشتغل في الصحافة موجهًا قلمه وجهده إلى الكتابات الاجتماعية والفلسفية.

ثم قرر التفرغ للتأليف خاصة في مجال علم النفس العلاجي، الذي وضع له عدة مؤلفات، وقاده ما أصابه من مرض وإعياء نتيجة الإفراط في تدخين السجائر إلى وضع كتاب عن تلك العادة المضرة، وما تسببه من أذى لمتعاطيها، معطيًا للأطباء فكرة دواء معين يهدئ أعصاب الممتنعين عن التدخين والمقلعين عنه.

وحين لمس ما تسببه الخمر من أضرار لأبناء وطنه ومجتمعه ألف كتابًا أسماه **«الخاطئون السبعة»** حكى فيه عن سبعة أشخاص كانوا يشربون الخمر حتى كادت حياتهم تتحطم وكيف نجحوا في اجتياز محنتهم والإقلاع عن السكر.

دراسة الأديان

خلال تلك الفترة كان د. **أرثر كين** يعيش حياة تكاد تكون منطوية، يمارس في نهم متعة القراءة **دارسًا بشغف ما تصل إليه يداه من كتب الأديان المختلفة، متعمقًا فيها، وشده أن يجد الإسلام يصف الخمر بأنها «أم الخبائث» ووجد في هذا الوصف أصدق ما ينطلق على ذلك الشراب الضار**، الذي يفتك بالعقل والروح، ويهدم الأسر ويشتتها، ويخرب المجتمع، فازداد إقبالاً على تصفح كتاب الله والتحقق في آياته، وتدبر أحكامه من خلال **نسخة مترجمة لمعاني القرآن الكريم، ولكن تمنى** - وقتها - لو كان يعرف اللغة العربية ليتمكن من قراءة **القرآن الكريم** بلغته التي أُنزل بها على النبي محمد ﷺ.

كيف توصل إلى الإسلام؟

ويحكي د. كين كيف توصل إلى الإسلام في مقال نشرته مجلة **«حضارة الإسلام»** المصرية في شعبان ١٣٨٣هـ يناير ١٩٦٣م نقلا عن مجلة **«الحسنى»** المغربية بعنوان «لماذا أسلمت» يقول: **«أخيرًا خرجت بنتيجة مهمة ووصلت إلى الحقيقة التي ظللت أبحث عنها طويلاً، وهي أنني سأعتنق الإسلام وأكون مسلمًا، لذا اتجهت نحو الشريعة الإسلامية أقرأ كل ما كتب عنها بالإنجليزية، فقرأت القرآن الكريم مرتين في تأنٍ وروية، وقرأت كتبًا كثيرة في الفقه الإسلامي والدراسات الإسلامية، وانتهيت في يقين إلى أن الدين الإسلامي هو دين العقل والمنطق، وهو دين الدنيا والآخرة، وهو أيضا دين المادة والروح»**.

رحلة البحث عن الحقيقة

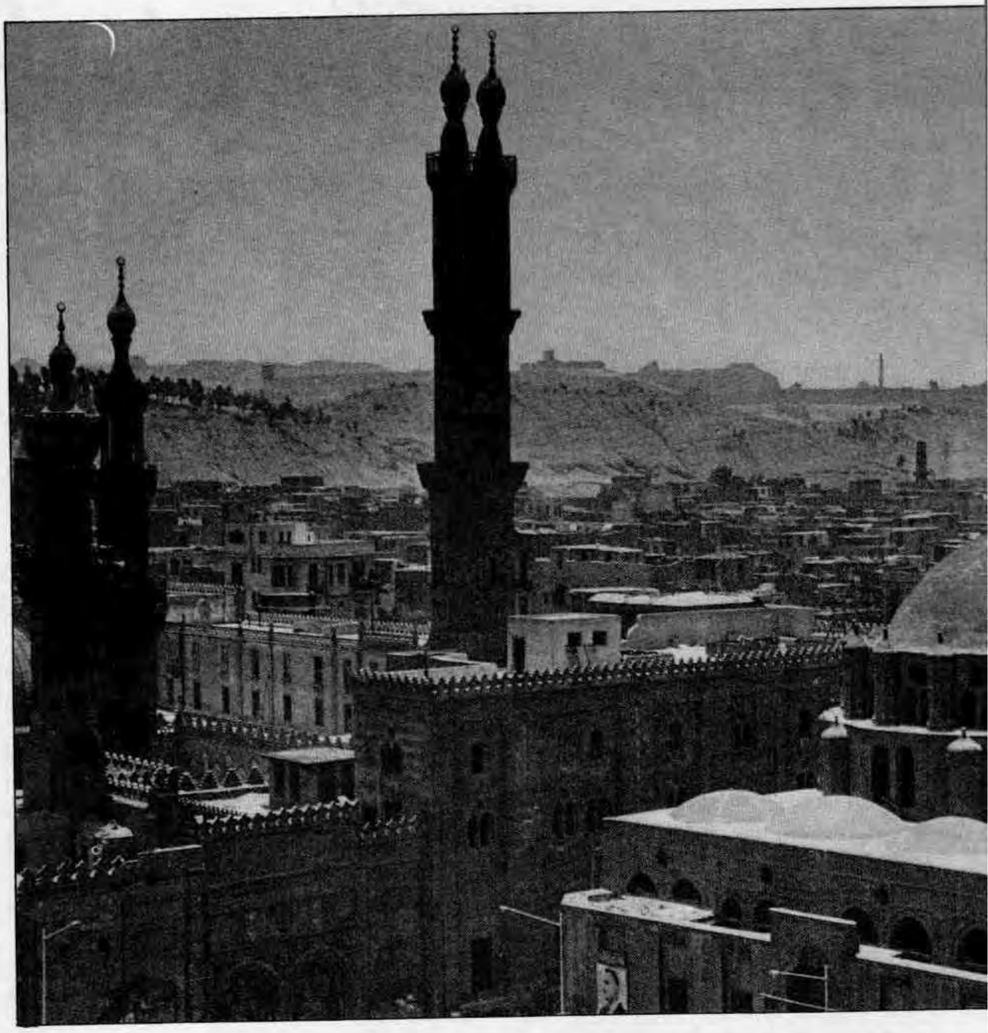
لقد كانت النظرة السليمة لدى د. كين تساند عقله المتفتح في رحلة البحث عن الحقيقة، ورغم صعوبة هذه الرحلة الإيمانية خاصة في بلد لا يعرف الإسلام، ينسب إليه سوءات ليست فيه، إلا أن د. كين ظل يسعى في صمت متخذًا من العزلة التي اختارها لنفسه معينًا يوفر له وقت البحث، ويبعد عنه فضول الفضوليين وتشكيك المشككين.

وأمكن له بعد بحث طويل في سر الوجود ساعده عليه وتعمقه في الأبحاث بحكم دراساته السابقة للأديان والفلسفة وعلم النفس أن يصل إلى القرار الصحيح حين رأى ولمس أن الإسلام هذا أقرب الأديان إلى الله، وإلى النفس الإنسانية، حيث يتوافر فيه ما لا يتوافر لغيره من الأديان من تكامل في شريعته، فتأكد أنه وضع قدميه على الطريق الصحيح، وأن الإسلام هو الدين الذي تقبله نفسه.

اتخاذ القرار

أمضى د. كين عامين من التردد قبل أن يتخذ قراره، ثم حسم أمره واتخذ الخطوة الأولى.

ولندع د. كين يروي بنفسه كيف كانت خطوته الأولى يقول: **في عام ١٩٦١م أعلنت إسلامي أمام الشيخ محمد داود في مدينة نيويورك، وأخذت من المركز الإسلامي في واشنطن كل ما أرغب في قراءته من كتب الفقه والشريعة الإسلامية، ولكنني أحسست أن إسلامي لن يكتمل إلا بزيارة بعض الأقطار الإسلامية والعيش** فيها فترة من الزمن بين إخواني المسلمين، فاخترت



القاهرة تلك المنارة الإسلامية التي يتطلع إليها أبناء الإسلام في شتى أنحاء العالم، وهكذا أتيحت لي الفرصة المأمولة فزرت القاهرة فعلاً، وفي مكتب فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر رددّت في إيمان واخلاص، وفي صدق ويقين الركن الأول من الإسلام وهو الشهادتين».

المهتدي الجديد

كانت هذه الخطوة نقلة كبيرة في حياة د. كين الذي صار اسمه علي عمر كيم، إذ جعل همه تعلم اللغة العربية كي يقرأ أصول دينه من مصادرها الأصلية بعيدًا عن تحريفات الحاقدين وتخرصات الجاهلين.

وصار المهتدي الجديد يقضي جل وقته موزعًا ما بين قراءة معاني القرآن الكريم مترجمة إلى اللغة الإنجليزية أو الاستغراق العميق والقراءة الجادة في

> ”
> **قرأ القرآن مرتين وانتهى إلى أن الإسلام دين العقل والمنطق**
> “

القاموس الذي لم يكن يفارقه قط عن اللغة العربية.

محاسن الإسلام

وتكشفت له أشياء كثيرة لم تدر في باله عن الإسلام وأركانه، فحين بدأ يمارس **الصلاة** باعتبارها من أركان دينه وجد فيها معاني كثيرة، أحس أن السجود وملامسة جبهة المسلم للأرض يعني تأكيد المساواة بين البشر، فالجميع عبيد للخالق، والجميع حاكمًا ومحكومًا يعفرون جباههم بالسجود على الأرض اعترافًا بعبوديتهم لله ولا يرون في ذلك ما ينقص قدر أحدهم؛ فالكل متساوون كأسنان المشط.

ورأى في **الصوم** كبحًا لشهوات النفس وسموًا بها عن صغائر الدنيا وتفاهاتها وتقربًا صادقًا إلى رب العرش المكين.

أما **الزكاة** فلم يغب عن فكره ما تشتمل عليه من معان سامية تؤدي في النهاية إلى تحقيق المجتمع العادل الذي لا يبقى فيه محروم أو جائع، فالفقير له حق رباني في مال الغني، يدفعه الأخير برضا وطمأنينة نفس فرحًا أن تتاح له فرصة تنمية ماله بتأدية زكاته.

الإسلام بدّل حياته

لقد تغيرت شخصية د. كيم في جوانب كثيرة بعد إسلامه، صار أكثر روحانية وشفافية وقد روى هو ذلك حين قال: «لقد أصبح الإسلام بعد ذلك جزءًا لا يتجزأ من حياتي، أتنسم تعاليمه كل يوم، وأحس بروحانيته تسري في كياني وتسبغ عليّ هناء وسعادة، **إني أحس بتحول غريب طرأ على نفسي وفكري**».

شيء واحد كان يؤرق فكر د. كيم هي رغبته الطموح في تعلم اللغة العربية في أسرع وقت كي يحقق أمنيته في قراءة كلمات الله التامات باللغة التي أنزلت بها.

وقد دفعته هذه الرغبة إلى المناداة بضرورة ألا يقتصر عمل الدعاة في البلدان غير الناطقة باللغة العربية على شرح مبادئ الدين والشريعة للمسلمين، وإنما ينبغي أن يمتد هذا الدور إلى فتح فصول لتعليم اللغة العربية لمن لا يعرفها منهم وتدريسها لهم. وقد شرح كل هذا في كتابه «**لماذا أسلمت**» الذي تحدث فيه عن الأسباب التي أدت به إلى اعتناق الإسلام، مهيبًا بالجهات المناط بها أمر الدعوة تحقيق هذا المطلب.

طريق الهدى

فتاوى لفضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

رؤية الأهِلَّة بالمنظار

● المنظار المقرب هل يُعْتَمَد عليه في إثبات دخول الشهر الجديد؟

سليمان العلي الداوودي ـ الولايات المتحدة ـ إنديانا

□ كنت قد أجبت على مثل هذا السؤال من قبل، وكنت ذكرت أن المنظار (التلسكوب) إنما هو عبارة عن آلة بحكم تقصيرها المسافات البعيدة فإنها تحدد مكان الهلال في السماء يعني جهته.

وهذا أمر لا يتعلق به شرع خاصة رؤية الأهلة كهلال رمضان وذي الحجة، لأن الشرع علق الحكم الشرعي برؤية العين المجردة فيما ثبت من حديث «صوموا لرؤيته..».

والرؤية هنا المراد بها العين البصرية دون وسيلة مقربة أو محددة، لأن الشرع قد رفع التكلف بل نهى عنه وحذر منه، ولأن ولادة الهلال تكون بأفقه الظاهر وأفقه الباطن.

أما الظاهر فهو ما يمكن تعلق الحكم عليه بإدخال الهلال، لأن الرؤية له واضحة بالعين المجردة، وأما أفقه الباطن فهو ولادته فعلاً لكنه يتعذر جدًّا تسجيل رؤيته على أحد حتى ممن عرف بذلك إذا كان أمينا، ورعًا، ضابطًا، وهذه الولادة هي التي تُمَكِّن للمنظار تحديد مكانه ولا يتعلق به حكم. والله أعلم.

المهر للزوجة فقط

● **ما حكم أخذ شيء من مهر الزوجة من قبل ولي أمرها دون علمها؟**

مبارك. م. م ـ وادي الدواسر

□ الأصل **أن المهر كاملاً للزوجة** بعد موافقتها على الزواج ولا يحق لأحد أخذ شيء منه إلا برضاها طواعية؛ وذلك لأن المهر حق لها خاص، وولي أمرها إنما هو أمين عليها وراع لها **إجابة لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ**، فيلزم من هذا إعادة ما أخذ من المهر إليها.

كما أن الزوج من باب آخر لا يحق له بعد الزواج أخذ شيء منه علنًا أو عن طريق الحيلة.

حديث صحيح

● **هل صحَّ حديثُ «قد أَجَرْنا من أَجَرْتِ»؟**

عبد الله بن محمد ـ كلية أصول الدين ـ الرياض

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

□ **الحديث في الصحيحين**، وأم هانئ ـ رضى الله عنها ـ هي المقصودة هنا بتوجيه الخطاب وقبول إجارتها لمن استجار بها وهي: **بنت أبي طالب** وهي أخت **علي ـ رضي الله عنه ـ اسمها هند، أو فاطمة** على خلاف، ولم يظهر لي أي الاسمين آكَدُ، وهي رضي الله عنها قد أجارت رجلين كافرين من أقاربها فأجاز **النبي ﷺ** لها ذلك والله أعلم.

لا يُحْسِن الدعوى

● **إذا كنت لا أُحسن الدَّعوى فَحُكِمَ ضدي فكيف أعمل..؟**

طه جبران على نويهض ـ المغرب ـ أكاديرو

□ هذا السؤال قادني، من باب التداعي، إلى قضية قديمة حصلت بين متداعيين: أ و ب، الأول يطلب طلاق ابنته من الثاني لسوء معاملته لها، والثاني يزعم أنه مغشوش بها فلم يخبروه بحقيقة مرضها، وإن كانوا قد أخبروه لكنهم أخفوا نتائجه عنه، وللثاني من زوجته: بنت وهو يريد زوجته مع هذا كله، وحينما مثلا أمام «الحاكم» غاب عن بال الثاني ما يود ذكره من كونه «مغشوشًا» وغاب عن باله تمسكه بابنته كشرط لطلاقها إذا أرادت الزواج بعد العدة.

وتم الطلاق هكذا مع وجود انحياز خفي بين الحاكم والمدعي أو هكذا خيل إلى المدعى عليه.

والمقصود أن المدعى عليه كان صاحب حق ٩٠٪ لكنه غُلِبَ بسبب غَيْبة البديهة أو عدم حضور الذهن. هنا يكون الزواج صحيحًا، والطلاق فيه شبه إكراه خفي، أما المهر، حسب اجتهادي، فلا يجوز لولي المرأة أخذه فضلاً عن البنت بعد زواج أمها ولو لم يطالب بها والدها لسبب أو لآخر.

والمخرج هنا هو: الدعاء على والد الزوجة والزوجة وأمها للتواطؤ الحاصل ولسبق الغش البيّن. وهذا الذي حصل فقد مرض الوالد بالربو وضعف عن زوجته وأصيبت الأم بالآلام المبرحة... إلخ.

ومن هنا فإن التقوى تلزم كل أحد بالإنصاف والعدل، بصرف النظر عن «الحكم»؛ لأن الحاكم يحكم بما يظهر له، من كلام وبينات، وشهود... إلخ.

فإذا عرفنا هذا فإن على الذي لا يُحسن الدعوى تعبيرًا واستدلالاً وقوة حق أن ينيب غيره في هذا، فإن لم يجد فيصبر والصبر عاقبته حميدة ويديم الذكر والدعاء ويرجو ويخاف فإنه ما خاب من صبر.

هذا رأيي يا أخ طه جبران علي نويهض. والله المستعان.

ردود خاصة

● **الأخ/ ضيف الله. ع. ل. ـ عفيف:**

الصك إذا كان صحيحًا وقديمًا فهو ينسخ ما عداه إذا لم يجر ما يبطل هذا من «وجه شرعي»

● **الأخ/ علي جاسم حسين ـ البحرين:**

كتاب «**مروج الذهب**» **للمسعودي** كتاب جيد جامع مختصر لكنه جمع بين الأخبار الضعيفة والموضوعة فلا يؤخذ به إلا بعد البحث الجاد.

● **الأخ/ سعود بن فهاد نوار البلوي ـ مكة المكرمة:**

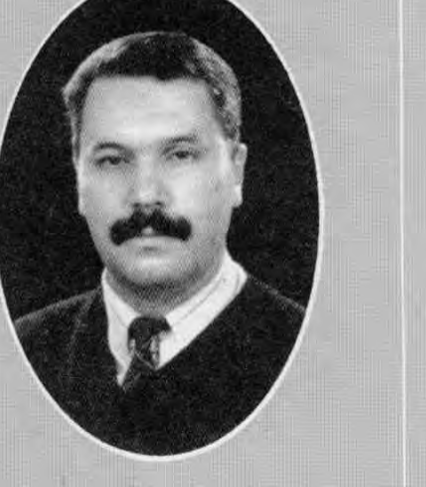
حقنة تسكين الألم لا تسبب الفطر في نهار رمضان.

□ □

من تجاربهم

تجربتي مع القصة

بقلم: أحمد منور



بدأت ميولي الأدبية تبرز منذ المرحلة الابتدائية من الدراسة، وتجلت خاصة في تفوقي في مادة الإنشاء، وفي القدرة على الارتجال والتعبير بسهولة عما يجول بخاطري من مشاعر وأفكار، وما إن أنهيت هذه المرحلة من الدراسة حتى رحت أكتب محاولاتي الأدبية الأولى، وكانت في ميدان الشعر أولا، قبل أن أتحول إلى القصة. ولم يكن تحولي إلى القصة عفويا، ولكن جاء نتيجة مثبطات جوبهتُ بها في ميدان الشعر، ومحفزات صادفتها في مجال القصة.

الكاتب في سطور

- من مواليد ١٩٤٥م بمنطقة جيجل، بالجزائر.
- ليسانس آداب، وماجستير (تخصص مسرحي) من جامعة الجزائر، و دبلوم دراسات عليا في الأدب المقارن من جامعة السربون بباريس.
- يعد حاليا رسالة دكتوراه دولة في موضوع «أزمة الهوية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية».
- حصل على بعض الجوائز الأدبية، أهمها جائزة وزارة الإعلام والثقافة للشباب سنة ١٩٧٤م، وجائزة الدولة الشرفية سنة ١٩٨٧م.
- أعماله المنشورة تتوزع بين القصة والدراسات، هي: الصداعُ، لحن أفريقي، عرس الذيب، آخر موسم للعنب، قراءة في القصة الجزائرية، شروق المسرح الجزائري، بالإضافة إلى قصص ودراسات منشورة في الصحف والمجلات.
- يعمل أستاذا بمعهد الآداب، جامعة الجزائر.
- عضو الأمانة التنفيذية لاتحاد الكتاب الجزائريين، مكلف بالإدارة والعلاقات الخارجية.
- ترجمت بعض قصصه إلى الفرنسية والألمانية والإسبانية، والروسية والصينية.

كانت البداية ببيتين من الشعر قلتهما على لسان زميل لي في الدراسة كان يكره المواد الرياضية إلى درجة التقزز، فقلت متندرًا على لسانه:

ألا أيها الناس إني كرهت

كرهت الحساب، كرهت الكسور

إذا ما قرأت كسورًا وجبرًا

شعرت بقلبي ورأسي يدور

ولقي البيتان صدى لم أتوقعه لدى زملائي التلاميذ، وذلك حين راحو يتندرون بهما على صاحبنا وعلى غيره من ضعاف التلاميذ في مادة العلوم الرياضية، وهو الشيء الذي شجعني ودفعني إلى تكرار المحاولة في موضوعات متفرقة، وتطور البيتان ليصبحا أبياتا، ثم «قصائد» مطولة. غير أنني اصطدمت بشيء اسمه الوزن والقافية، فقد لاحظ العارفون أن محاولاتي كانت تعاني كسورًا لا يمكن جبرها إلا إذا تمكنتُ من العروض، فقلت لا بأس، سأتعلم العروض، وقصدت أول بائع كتب صادفته في طريقي، واشتريت منه كتابا في العروض نصحني به وقال لي لن تجد كتابًا أفضل منه في هذا العلم، وهو بعنوان **«المتوسط الكافي، في نظمي العروض والقوافي»**، وأقبلت على قراءة الكتاب بكل همة وحماسة، لكن همتي وحماستي راحتا تضعفان شيئا فشيئا كلما تقدمت خطوة في قراءة الكتاب، إذ بدا لي حينها أن المعادلات الجبرية المركبة، والمسائل الهندسية المعقدة التي يحقد عليها صاحبي أرحم بكثير من زحافات الشعر وعلله. وحملت الكتاب إلى أحد خريجي «جامع الزيتونة» وما أدراك ما جامع الزيتونة! وطلبت منه أن يساعدني على فهمه، لكنني لم أجد منه تجاوبا، وحين ألححت عليه في الطلب، أخرج القلم، وخط على الورقة سلسلة من الأعمدة والدوائر الصغيرة، ولم يكلف نفسه حتى بأن يفهمني أنها ترمز إلى الحركات والسكنات كما عرفت بعد ذلك، وقال لي:

انسج على هذا المنوال، ودعك من الكتاب.

قلت: وما هذا؟

قال: هذا حمار الشعراء.

قلت: وما حمار الشعراء؟

قال: إنه بحر الرجز، وقد سُمِّيَ حمار الشعراء لأنه سهل الركوب، ولا سيما للمبتدئين من الشعراء أمثالك.

وتأملت ما خطه على الورقة بعض الوقت، ثم سألته:

- كيف اختصرت كل هذا الكتاب في هذه الطلاسم؟

وأجابني: لن تخرج بأكثر من هذا ولو قرأت



الكتاب ألف مرة، فقد أمضيت في حلقات جامع الزيتونة سنين طويلة من عمري، وأبليت على حصيرهـا مـا لا يقل عن اثني عشر سروالاً، ولم أخرج من دروس العروض بها بأكثر من هذا.

وشعرت بعد هذا بخيبة أمل كبرى، فعزفت عن قول الشعر، ولم أجد في نفسي أية رغبة في ركوب حمار الشعراء.

واليوم، حين أتأمل مسألة عزوفي عن الشعر أصل في كل مرة إلى القناعة بأنني لم أجد في واقع الأمر من يوجهني ويشجعني، ولو حظيت بذلك لما تخليت عنه.

القصة والبداية المشجعة

أما علاقتي بالقصة، فقد كانت على العكس تماما من علاقتي بالشعر، فمنذ البداية كان هناك جو ملائم، ووسط دراسي مشجع، والفضل في ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى أستاذ شاب، متخرج بدوره في «جامع الزيتونة»، ولكنه كان يختلف كثيرًا عن المتخرجين في ذلك الجامع العتيد، بثقافته العصرية، واهتمامه بالفنون المستحدثة في الأدب العربي كالقصة والرواية والمسرحية، وكان ملما إلمامًا جيدا بالأدب الفرنسي، فكان هذا الأستاذ ــ واسمه إبراهيم حسين ـ يخصص لنا حصتين أسبوعيا لقراءة نماذج قصصية مختارة لكُتّاب من الشرق والغرب، ويحثنا على قراءة عيون القصص والروايات، ويرشدنا إلى أماكن وجودها. وكانت مجلة «الهلال» خاصة، وكتب حلمي مراد التي تلخص أعظم الروايات العالمية وتقدمها مبسطة أهم مراجعنا في هذا الصدد، والمخزون الذي لا ينضب معينه.

ومع هذا الأستاذ كانت لي أول محاولة في الكتابة القصصية، وذلك حين أعدت صياغة حكاية شعبية تروى باللسان الدارج، وهي قريبة في أجوائها من قصة «الشاطر حسن»، فكتبتها باللغة الفصحى، وتأنّقت ما استطعت في تدبيج عباراتها، وانتقاء ألفاظها، وإن كنت قد وجدت صعوبة كبرى في نقل الحوار إلى الفصحى، وهي الصعوبة التي ظلت تواجهني كلما أجريت حوارًا على لسان شخصيات قصصية تعود إلى أصول شعبية. وقد عرفت من خلال مطالعاتي بعد ذلك أن مسألة الحوار هي من أهم المسائل الفنية التي واجهت القاصّ العربي في العصر الحديث ولا تزال تواجهه إلى يومنا هذا. وقدمت محاولتي للأستاذ، فأعجب بها، وطلب مني أن أقرأها على زملائي في الصف، غير أنه اغتنم الفرصة ليوضح لنا الفرق بين الحكاية والقصة، ومميزات كل نوع، لكن في غير شروح ضافية ولا تفاصيل مملة.



ومنذ ذلك اليوم، وكنت في الرابعة عشرة من العمر، أصبحت أميز بين هذه وتلك، وفهمت أنه ينبغي علي لكي أكتب القصة أن أعالج أحداثا معاصرة، وأن آخذها من الحياة اليومية التي أعيشها أو يعيشها الناس من حولي، وأن تكون محدودة في الزمان والمكان، وأن أهتم فيها بالتفاصيل الصغيرة، وبتطور الحدث، وأن أتجنب التكرار الذي نجده في الحكاية، إلخ . . .

أسماء في حياتي الأدبية

وعن طريق هذا الأستاذ تعرّفنا قصص محمود تيمور، وميخائيل نعيمة، وعلي الدوعاجي، وأحمد رضا حوحو، لنكتشف بعد ذلك موباسان وإدجار ألان بو، وتشيكوف، وماكسيم جوركي.

وعن هذا الأخير، لا أذكر أن كاتبا عربيا أو غير عربي قد أثّر في بقدر ما أثّر فيّ هذا الكاتب بقصصه، فهي تحمل من حرارة العاطفة، ونبل المشاعر الإنسانية، ما يجعله ـ في اعتقادي ـ يؤثر في أيّ شخص يتمتع بحس فني مهما كان بعيدًا عن مجتمع الكاتب وثقافته، على أنني قرأت قصصه مترجمة، وكانت أول مجموعة قرأتها له مترجمة إلى اللغة العربية بقلم الأستاذ منير البعلبكي، ولم أعد أذكر الآن عنوان المجموعة وإن كنت ما أزال أذكر الكثير من تفاصيل تلك القصص.

ولا داعي للتذكير هنا بأن الآثار الأدبية تفقد الكثير من خصائصها الفنية حين تنقل إلى لغة أخرى، ومع ذلك يظل هناك في قصص جوركي شيء خفي ينبض بالحياة ويقفز فوق كل الحواجز التي تضعها اللغات في طريق الآثار الأدبية المترجمة، ليصل إلى القارئ ويلمس شغاف قلبه.

غير أن تأثير هذا الكاتب في أدبي لم ألحظه على مستوى الممارسة الكتابية في قصصي، كأن يبرز مثلا في أسلوب الكتابة، أو في كيفية المعالجة، ولكني لاحظت تأثير كتاب آخرين في بعض قصصي، دون أن أعي ذلك أثناء الكتابة، مع أن إعجابي بهؤلاء الكتّاب أقل بكثير من إعجابي بجوركي. ومن هؤلاء «جي دي موباسان» و«ألبير كامو»، ومن ذلك أنني استعملت في بعض قصصي ذلك الأسلوب البرقي في السرد والحوار علي السواء، للتعبير عن موقف ما، أو عن شخصية معينة بأقل قدر ممكن من الألفاظ، وبأبسط ما يمكن من التعبير، وهو الأسلوب الذي تتميز به كتابات ألبير كامو، ومن ذلك أيضا ما لاحظته من تأثير موباسان في تطوير العقدة القصصية، وتجميع أطرافها شيئا فشيئا، ولكن دون عجلة أو إبطاء.

والنقد ــ في رأيي ـ هو وحده الكفيل بإبراز هذه التأثيرات وأسبابها وكيفياتها، وهذه من أسمى المهمات التي ينبغي على النقاد أن يضطلعوا بها، لأنها تكشف عن علاقة الثقافات والآداب

الإنسانية المختلفة في تفاعلاتها المتعددة الأوجه، ومن ثمة تسهم في تقارب الشعوب والأمم، وتعاونها، وتزيل الكثير من الأحكام المسبقة، والتصورات الخاطئة التي تحملها بعضها عن بعض.

ولا يفوتني، وأنا أتحدث هنا عمّن أثّروا في تكويني القصصي – إن صح التعبير – أن أذكر والدي – يرحمه الله – فقد كان – على ثقافته المحدودة– راوية ممتازًا للقصص والحكايات، خاصة تلك القصص التي كان هو بطلها، ولا سيما تلك التي كان يرويها عن حياته حين كان عاملا في فرنسا. فعلى الرغم من أنني استمعت إليه وهو يرويها عشرات المرات، إلا أنني كنت في كل مرة أجد فيها متعة ولذة، والسبب في ذلك يعود أساسًا إلى براعته الخارقة في طرق الحكي، وفي تنويعه لأسلوب الرواية، وتعليقاته الفكهة على مختلف المواقف، وذكره لأدق التفاصيل التي تجعل السامع يعيشها كأنه يشاهدها، وأعتقد أنني قد ورثت عن والدي شيئا من هذه المواهب، وأفدت منها في كتابة القصة، حتى وإن كنت على يقين بأنني لم أرث منه في هذا الصدد إلا القليل.

«هلال» كانت البداية

بعد المحاولات الأولى التي بدأت كتابتها سنة ١٩٦٨م، والتي لم تر النور لأنني غيرت رأيي فيها بعد كتابتها وأتلفتها، أو لأن المشرفين على الصفحات الأدبية في اليوميات أو في الجرائد الأسبوعية أهملوها؛ كتبت محاولات أكثر جدية، وكنت آنذاك قد التحقت بالجامعة، وعرضتها على أستاذي الدكتور عبد الله ركيبي، وهو ناقد متخصص، وله تآليف في نقد القصة، فشجعني وقدم لي ملاحظات قيمة أفادتني كثيرًا في تجربتي اللاحقة، ونشرت أول قصة لي بعنوان «هلال» وهو اسم بطلها، في مجلة «المجاهد» سنة ١٩٧١م، وكان يشرف على هذه المجلة الأستاذ الدكتور أبو العيد دودو، وهو بدوره يعدّ من أبرز كتّاب القصة القصيرة في الجزائر وأغزرهم إنتاجًا، وكانت المجلة على مستوى عالٍ بما ينشر فيها من دراسات ونصوص أدبية، فكان نشرها لقصتي شهادة

النقد وحده الكفيل بإبراز التأثيرات وأسبابها وكيفياتها

بالنسبة إلي، واعترافًا بموهبتي الشابة آنذاك، وقد نشرت هذه القصة ضمن مجموعتي الأولى «الصداع».

وحين أعود إليها اليوم ألوم نفسي بعض الشيء، وأعتبر أنني قد أخطأت حين نشرتها ضمن المجموعة، وكلما مرَّ الوقت ازداد اقتناعًا بخطئي، ويمتد الاقتناع إلى قصص أخرى غيرها، لكن الشيء الذي يخفف من حدة هذا الشعور هو النظر إليها باعتبارها تمثل مرحلة من حياتي وتطوري. والإنسان مهما كتب من أعمال لا يمكن أن يظل راضيا عمّا كتبه طوال الوقت، ويحضرني هنا قول العماد الأصفهاني: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غدة: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على كافة البشر».

النشر خارج الجزائر

وبعد نشر قصتي المشار إليها آنفًا في مجلة «المجاهد» أحسست بأن حاجزًا قويا كان يقف في طريقي قد انزاح، وأن كل الأبواب قد فتحت في وجهي، فنشرت على صفحات مجلة «آمال» التي

هل القصة القصيرة في طريقها إلى الزوال، وهل يمكن أن تنوب عنها الرواية؟

أنشأها وأشرف على صدورها مدة من الزمن الشاعر مالك حدّاد، وكانت تعد بحق مجلة الشباب التي احتضنت جيلا بأكمله من القصاصين والشعراء، أصبح يعرف بجيل أدباء السبعينيات، وتطلعت إلى النشر خارج الجزائر أيضا، فنشرت في تونس، وفي لبنان، وخاصة في مجلة الآداب البيروتية، التي نشرت ذات مرة قصة بعنوان «الذيب» في عدد خاص بالقصة العربية، وقد شعرت حينها بالغبطة الشديدة حين رأيت إنتاجي القصصي ينشر إلى جانب إنتاج نجوم القصة العربية آنذاك.

وهكذا انطلقت في هذا الطريق الذي اخترته، وقد مضى علي فيه أكثر من عشرين عامًا، أنتجت فيها عدة مجموعات، تعد بالقياس الزمني قليلة، لكن مسألة القلة والكثرة لم تكن تشغلني في أي وقت من الأوقات، لأن ما يعنيني أساسا هو النوعية، فأنا أحاسب نفسي عما أكتب حسابا عسيرًا، ولا أخرج للناس إلا ما يرضيني وأحس معه أنني بذلت فيه قصارى جهدي. وقد تمر بي أوقات يخيل لي فيها أن القصة قد فارقتني فراقا لا رجعة فيه، وأنني أعطيت فيها كل ما عندي، ولكن في كل مرة أصل فيها إلى لحظة اليأس تعود إليّ الرغبة في الكتابة بشكل مفاجئ، وأعني بذلك لحظة انبثاق الفكرة في ذهني، وأيضا لحظة كتابتها، فهما تأتيان في شكل بارقة مفاجئة، أما الأحداث والتفاصيل فتعيش في ذهني وتخالط مشاعري مدة قد تطول وقد تقصر إلى أن تنضج ويحين قطافها، ولطول ما تمكث في الذاكرة يحدث لها ما يمكن أن نعبر عنه بعملية «التفريخ»، حيث تتجمع حول الشخصيات والأحداث تفاصيل كثيرة أشبه ما تكون بالحياة الحقيقية المتطورة والمنفتحة على كل الاحتمالات، وهذا ما يجعلني أعود أحيانا إلى أحداث أو شخصيات القصة الواحدة لأكتب عنها قصصا أخرى، تتحول مع الوقت إلى حلقات من حياة الشخصية.

قصتي مع «الذيب»

هذا ما حدث لي مثلا مع قصة «الذيب» التي نشرت ضمن مجموعتي القصصية الأولى

من تجاربهم



«الصداع»، التي عدت إليها من جديد لأكتب عن بطلها قصة «عودة الذيب»، وقد نشرت ضمن مجموعتي الثانية «لحن أفريقي»، وعدت إليها مرة ثالثة لأكتب «عرس الذيب»، وقد اخترت هذا الاسم ليكون عنوان مجموعتي الثالثة، وأخطط منذ زمن لكتابة رواية متكاملة عن هذه الشخصية التي أراها غنية جدًّا من الناحية الفنية، ومعبرة تعبيرا قويا عن مرحلة معينة من تاريخ الجزائر المعاصر من الناحيتين الاجتماعية والسياسية.

وعلى ذكر الرواية، أو الاتجاه إلى كتابة الرواية بعد أن كتبت القصة واخترتها كفن أدبي مثالي بالنسبة إلي، أقول: إنني أشارك في هذا الاتجاه معظم القاصين الجزائريين ابتداء من الرواد أمثال عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار، إلى الجيل الذي أتى بعدهم، أمثال مرزاق بقطاش وخلاص جيلاني، وإسماعيل غموقات، والأعرج واسيني، وأخيرًا الحفناوي زاغز، وما زالت الدائرة تتسع يوما بعد يوم، وهذه ظاهرة جديرة بالدراسة، وليست ظاهرة خاصة بالجزائر حسب اطلاعي، فهناك نزوع قوي في مختلف الأقطار العربية لدى القاصين نحو التخلي عن القصة لكتابة الرواية.

ترى، هل يعني هذا أن القصة القصيرة في طريقها إلى الزوال مستقبلا؟ هل انتهت وظيفتها الفنية والاجتماعية؟ أم يعني أن لا حدود بين القصة والرواية إلا في الحجم والمساحة، ويمكن لإحداهما أن تنوب عن الأخرى؟ أم أن الأمر يتعلق بالكتّاب أنفسهم وباختيارهم الشخصي الذي لا علاقة له بالوظيفة الفنية لهذا النوع الأدبي أو ذاك؟ وتبقى هذه الأسئلة مطروحة إلى أن تجد لها جوابًا لدى النقاد والدارسين.

قصة قصيرة

الميراث

حلمي زكريا تركي

منذ أن اشتد المرض بالحاج **«رشوان»** عمدة القرية والدار لا تهدأ حركتها .. ليلها كنهارها .. أطباء المدينة يترددون عليها .. قوافل الأعيان والأكابر لا تنقطع حتى المساء، الكل يسارع في خدمته.

هو ذا **«منصور»** زوج وحيدته **«أمال»** لم يغادر الدار منذ عشر ليال، يرعى شؤون العمدة. يرقب كل همساته .. يلملم من كلماته المبعثرة أطيانه وأملاكه .. ما له وما عليه.

ولِمَ لا يفعل ذلك وهو زوج ابنته .. وريثته الوحيدة .. التي اضاع أغلى سنوات عمره معها .. دفن طموحه وآماله في أطيان أبيها وأملاكه .. ينتظر ذلك اليوم الذي يصبح فيه صاحبا لهذه الدار .. ومالكا لهذه الأطيان.

أنّات متقطعة تمزق صمت الليل .. أنفاس متعسرة يرسلها جسد واهن .. زجاجات الأدوية تملأ جنبات الحجرة التي تفوح منها رائحة المرض .. مصباح ساهر لا ينطفىء حتى الصباح. وعلى مقعد كبير في ركن الحجرة يجلس «منصور» مسندا رأسه على يده .. النوم يداعب أجفانه .. سقطت من يده نشرة الدواء التي كان يقرؤها.

تجمع الناس على صوت منادي القرية يعلن نبأ وفاة الحاج «رشوان». ارتدى «منصور» جلبابه وعباءته وأمسك عصاه .. دمعة بلا هوية خرجت من عينيه بين دموع أهل القرية الذين تجمعوا لدفن العمدة.

سرى النبأ بين أهالي القرى المجاورة .. وجوه غريبة تملأ القرية .. سرادق كبير يملأ الفناء المحيط بالدار .. وعلى مقربة منه تصطف سيارات عديدة جاءت تحمل الناس من كل مكان .. الكل جاء يشارك في وداع العمدة .. يقدمون العزاء لزوج ابنته «منصور».

يقترب الحاج **«متولي»** صديق العمدة وحامل أسراره وبصحبته سيدة وشاب في العشرين من عمره .. أشار بيده نحو «منصور»:

«منصور» زوج «أمال» ابنة العمدة رحمه الله.

وبيده أشار نحو السيدة والشاب:

«زينات هانم» زوجة المرحوم .. «أشرف» ابن الحاج «رشوان» .. كانوا عايشين في مصر.

صرخ «منصور» صرخة مكتومة أيقظته على صوت الحاج «رشوان» يطلب كوباً من الماء.

بين أحضان الشر

شعر: محمد شفيق البيطار

أَنْتِ تَرْتيلُ الدُّعا . . رُوحُ السَّحَرْ   أَنْتِ لَحْنٌ مِنْ أَغاريدِ القَمَرْ
أَنْتِ مَنْ صِيغَتْ عَلَىٰ لَحْنِ الهَوى   آيَةً غَرَّاءَ يَتْلُوهَا النَّظَرْ
طَافَ بي حُبُّكِ إذْ قَلْبي لَهُ   رَقْدَةُ الغَارِقِ في شَتَّى الفِكَرْ
هَزَّني فَارْتَعَتُ، مَا اسْتَأْذَنَني   وَسَقَاني كَأْسَ وَجْدٍ مُدَّخَرْ
نَبَّهَ الغَارِقَ مِنْ رَقْدَتِهِ   وَسَرَى في روحِهِ مَسُّ الخَدَرْ
لَفْتَةُ الجِيدِ . . وَتَوْقيعُ الخُطَا   كَظُبَيٍّ فَاتِنٍ إمَّا خَطَرْ
وَحَديث نَمْنَمَتْ أَحْرُفَهُ   مِثْلَمَا البُلْبُلُ يَشْدُو لِلشَّجَرْ
حَدِّثِي النَّاسَ ؛ فَمَا مِنْ كِلْمَةٍ   مِنْكِ إلا هِيَ أَشْدَى مِنْ وَتَرْ
كُلُّ مَا فيكِ جَمَالٌ سَاحِرٌ   وَنَشِيدٌ ذُو بَرِيقٍ كَالشَّذَرْ
بَسْمَةٌ . . قَدٌّ . . وَطَرْفٌ آسِرٌ   ـ يَا بَديعًا ! ـ وَفَمٌ كَالوَرْدِ ثَرّ
نَغْمَةٌ وَقَّعْتَهَا مِنْ بَشَرٍ   لَيْتَ شِعْرِي ! أَوَ لَحْنًا مِنْ بَشَرْ ؟!
أَنْتِ . . مَا أَدْري: أَسِحْرٌ مَسَّني   أَمْ شِفَاءٌ ؟ أَجَفَافٌ أَمْ مَطَرْ ؟
يَا حَبيبًا في دِمَشْقِ الشَّامِ هَلْ   لِي إلَىٰ قَلْبِكَ يَا حِصْني مَمَرّ ؟
كَانَ لِي حُبُّكِ أَيْكًا وَارِفًا   مِنْ مُرُوجٍ وَأَريجٍ وَزَهَرْ
وَنَسِيمٍ مَسَّ خُضْرَي جَدْوَلٍ   فَالتَوىٰ غَيْرَانَ يَشْدُو: لَمْ أَغِرْ
فَارْتَمَتْ رُوحيَ مَا بَيْنَ الرُّبَا   وَارْتَمَى قَلْبِي يُغَنِّي فِي الأَثَرْ
لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنِّي أَرْتَمِي   بَيْنَ أَحْضانِ لَهِيبٍ وشَرَرْ
يَا فُؤَادِي ! مَالَتِ الرِّيحُ بِنَا   وَانْتَقَتْ لِلْمُنْتَهَىٰ شَرَّ الحُفَرْ
فَرَّتِ الآمَالُ . . وَالفِكْرُ انْزَوىٰ   وَاعْتَرَى الإرْعَادُ أَجْسَادَ الفِكَرْ
فَاقْتَبِسْ نُوراً مِنَ النَّارِ الَّتي   أُوقِدَتْ فِي القَلْبِ وَجْدًا فَاسْتَعَر
أَنْتِ آمَالي . . وَلكِنْ لا أَرى   أَكْؤُسَ الأَقْدَارِ تَرْوِي مَنْ شَعَرْ
تِهْ حَبيبي، فَلَقَدْ ذُقْتُ الهَوىٰ   وَلَقَدْ جَرَّبْتُ أَصْنَافَ القَدَرْ
فَإذَا الأَقْدَارُ مُرٌّ طَعْمُهَا   وَإذَا الأَحْبَابُ أَدْهَىٰ وَأَمَرّ

من المكتبة السعودية





عبد الرحمن اللويحق

● الكتاب : الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة .
● المؤلف : عبد الرحمن بن معلا اللويحق .
● الناشر : مؤسسة الرسالة ببيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ٦٠٢ص .

إن البحوث التي تعالج قضايا المسلمين في حياتهم المعاصرة مطلب كبير، وهدف سام لدى الباحثين، مما يخدم الفكر الإسلامي، ويوضح الكثير من جوانبه، ويزيل ما علق بحواشيه من شوائب تراكمت في صميم وجدان الكثير من المسلمين وأذهانهم عبر مسيرة التاريخ .

وموضوع «الغلو في الدين» إحدى تلك القضايا التي على المفكرين المسلمين أن يتناولوها في بحوثهم ودراساتهم؛ فكان الباحث «عبد الرحمن بن معلا اللويحق» أحد من تناولها في بحثه العلمي المستفيض «الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة» .

ولقد اتضحت لدى القارئ فكرة الغلو الديني ومفهومه منذ بداية «تقديم» الشيخ زين العابدين الركابي للكتاب، حين بيّن أن للتدين الحق مقياسين هما : مقياس الاستجابة لمطالب المنهج ومقتضياته ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾، ومقياس الطاقة الواسع ﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ﴾ كما أن المقياسين مترابطان متكاملان؛ فالاستجابة للمنهج مشروطة بالقدرة في المجال العملي . أما الغلو فهو منزع مختلف، منزع شاذ لذينك المقياسين كليهما .

ومن هنا فإن الباحث اللويحق استطاع أن يخوض غمار هذا الموضوع الشائك، ويخرج منه بأمور على جانب كبير من الأهمية في حياة المسلمين الفكرية والعملية، عقيدة وعبادة . وذلك من خلال محاور ثلاثة بارزة وأساسية هي : جذور الغلو في الدين وطبيعته في حياة المسلمين المعاصرة، ومظاهر أو مجالات الغلو العقدية والتشريعية، ومظاهر أو مجالات الغلو العملية والسلوكية .

ومع المحور الأول في جذوره التاريخية والفكرية والنفسية قدم لنا الباحث عدة أمور ومفاهيم للغلو وطبيعته وحجمه ومفهومه الديني لدى العلماء المسلمين المعاصرين، والعلمانيين، والغربيين، كما قدم الباحث أيضًا في محوره الأساسي الثاني - غلو العقيدة والتشريع - خمسة موضوعات تفرعت بدورها إلى أجزاء، وهذه الموضوعات الخمسة هي : الغلو في الولاء والبراء، والغلو في التفكير، وإحداث أصول تشريعية جديدة، والغلو في ذم التقليد، والتشديد على الناس .

أما ما قدمه في محوره الثالث، الغلو العملي السلوكي، فكان من خلال سلوكين : غلو في السلوك الفردي (التشديد على النفس وتحريم الطيبات) وغلو في السلوك الاجتماعي (الخروج على الحكام وتحريم التعليم : والدعوة إلى الأمية، وتحريم الصلاة في المساجد، وغيرها) .

وفي كل ما قدمه لنا المؤلف في بحثه كان يستخدم منهجًا تاريخيًا، وعلميًّا، وتحليليًّا، وكما هو معروف، فإن المنهج التاريخي يعتمد على النصوص والوثائق التي هي مادة التاريخ الأولى، كما أن المنهج العلمي التحليلي يستخدم خطة منظمة للوصول إلى كشف الحقائق والبرهنة عليها، ثم يقوم على تقسيم الكل إلى أجزاء، ورد الشيء إلى عناصره المكوّنة له . ولقد أسعفه هذا المنهج في تحرير وصياغة مادة بحثه، ولا سيما أنه بصدد تأكيد الحقيقة من خلال بيان وسطية الإسلام بين طرفي الغلاة والجفاة . وهذه الوسطية منهج إسلامي : ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدًا ﴾

ويقدّم الإسلام هذا المنهج في كل شؤون الحياة، ويحذّر من المصير إلى أحد الانحرافين : الغلو أو التقصير، الإفراط أو التفريط : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ .

ولقد كانت الأديان الأخرى، وغلو أهلها، ماثلة في ذهن الباحث اللويحق . لذلك أورد نصوصًا من القرآن، مثل غلو رهبان النصارى، حين ابتدعوا رهبانية تعبّدوا بها الله وهي لم تكتب عليهم ولم يؤمروا بها : ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ . والله يريد أن يعظ هذه الأمة الإسلامية لتتجنب الأسباب التي أوجبت غضبه على الأمم السابقة .

ولهذا أورد الباحث أيضًا نصوصًا وأمثلة من الأحاديث يحذر فيها الرسول عليه الصلاة والسلام أمته مما وقع فيه من سبقهم من الأمم : «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» . وكانت آراء ومحاضرات «شكري مصطفى» وجماعته من الغلاة ماثلة في ذهن اللويحق في كثير من مواقفه ورؤاه . ولذلك أورد بعض الإحصاءات عن الغلو وحجمه لدى المسلمين والنصارى في مصر ليشير أخيرًا إلى أن «تيار الغلو عند المسلمين هُوِّل وضُخِّم» . بينما أكد أن الغلو في الهند لدى «الهندوس» و«السيخ» أكثر منه لدى المسلمين، ودليله قول أحد قادة الجماعات الهندوسية المغالية في إحدى خطبه حين شبه المسلمين بالسرطان وعلى الهندوس أن يستأصلوا السرطان بالكفاح المسلح . ومثله غلو النصارى واليهود في الفلبين ولبنان وفلسطين وأنحاء العالم، ضد المسلمين . ومع كل ذلك فلا أحد يشير إلى غلوهم وصنيعهم بالمسلمين والمسلمون وحدهم متهمون بالغلو، وقد عزا ذلك إلى رجال الإعلام الغربي من يهود ونصارى حاقدين .

وإذا كان الباحث اللويحق قد رد على مواقف العلمانيين والغربيين الأصوليين وآرائهم في مفهومهم للغلو، وأقنع قارئه على نحو ما، فإنه كان هناك ردود صعبة ودقيقة تحتاج منه إلى وقفة متأنية مستفيضة وهو حيال مفهوم الغلو عند العلماء المسلمين المعاصرين أمثال : محمد الغزالي، وعبد الرحمن حبنكة الميداني، وخالد محمد خالد، وغيرهم، حين عرض خللهم في مفهومهم للغلو

الـديني، مع أنهم يـريدون لـلإسـلام صورة أكثـر إشراقًا.





د. عبد الله باقازي

● الكتاب : عنصر اللون في شعر المتنبي
● المؤلف : د. عبد الله أحمد باقازي
● النــاشـــر : نـــادي القصيـم الأدبي (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ١٦٢ص.

يقـوم بحث «عنصر اللـون في شعـر المتنبي» للـدكتور «عبـد الله باقـازي» على استلهام معـاني ودلالات الألـوان في الفـن عـامـة، والتشكيلي خـاصـة. لذلك استعـان ببعض مفـاهيم الألـوان حسب ورودهـا في المعـاجـم وكتب فقـه اللغـة والنقـد الفني والتشكيلـي، ونظـريـات اللـون للمـؤلفين العـرب القدامى والمحـدثين، أمثـال: ابن منظـور، وابن سيده، والثعـالبي، وابن حـزم، ويحيى حمودة وأمثاله.

ومنهج البحث الـذي اتبعـه المـؤلف لا يعير أهمية إلى الجهـد الذاتي والإبداعي الـذي تتطلبه طبيعة الموضـوع ومادته، وإنما كـان يقوم منهجه على استقـراء بعض شعـر المتنبي ــ وليس كلـه ـ واستخراج المفـردات التي تفصح عن الألـوان وما يشير إليها ثم جمعهـا من خلال ورودها في النص الشعـري، أو البيـت الـواحـد، وإدراجهـا تحت الألـوان المعروفـة.

ويبـــدو أن المـؤلف لـم يجمع سـائر ألــوان المتنبي، وكأنـه اعتمد علـى عيّنة من الشعـر. . . وإن كان قد أثبت جدولاً إحصائيًا في (ص ٨٦)، يـؤكد فيـه أن عـدد ورود اللـون الأبيض صراحـة وإشارة بلـغ ٧٤ مرة، والأسـود ٣٧، والأحمر ٢١ والأخضـر ١٢ والأسمـــر ٣٥، والـــذهبي ١٣، والفضي ٤، والأصفـــر ٦. وقـد استشهـــد بهـذه الأعداد كلها.

وكان يلجأ، في كل لون من الألوان السابقة، إلى بضع عبارات يعرّف فيها باللون ـ كما جاء في لسـان العرب ــ قبل أن يـذكر أبيـات المتنبي التي ضمّت مفردات هذه الألوان.

وإن اعتمــاد المـؤلف علـى نظـريـــة الفن التشكيلي ونقـده ودراسته بـرزت في وقـوفـه عنـد تمـــازج الألـــوان، ومحصلـــة أو نتيجـــة ذلك التمـازج. . وإن كان تحليلـه أو تعليله أو تعليقـه عليـه قليـلاً، وحتى هـذا القليل لا يشفي غليـلاً، لأنـه ينأى عن واقع التجـربة الشعـريـة والمعانـاة الوجدانيـة للشاعر. ويبدو أن المـؤلف متأثر على نحـو ما بـالدراسـات الأدبية الحـديثة التي غـزت عقـــول بعض المفكـريـن والـــدارسين من بـــلاد الغرب، وبعض مدارسهم واتجاهـاتهم كالرمزية والسـريـاليـة واعتمادهـا كثيـرًا على فكـرة اللـون وإيحاءاته النفسية، أو تلك التي تجعل من الشعر ميدانًا للإحصاء العددي.

وإن تصفّح الكتاب ــ بتمعن ـ يمنحنـا صورة واضحة عن مضمونه، ومجهود المؤلف فيه. ومع بدايـة الكلام في الفصـل الأول ـ الألوان فـي شعر المتنبي ـ نقـرأ ما قالـه ابن منظور في لسـان العرب عن (الأبيض): «البيـاض: ضـد السـواد، يكـون ذلك في الحيـوان والنبـات وغيـر ذلك ممـا يقبلـه غيره. البياض: لون الأبيـض». وبعد هذا الكلام يقول المؤلف:

«وقـــد ورد ذكـر اللـــون الأبيض في مـــواضع متعـددة من شعـر المتنبـي منهـا» ويـورد خمسـة وخمسين بيتًا يبدؤها بـ:

وبمـــا أثـــرت صـــوارمــــه البيض
لــــــه في جمــــاجـم الأعـــــداء

ثم تأتي الألـوان الأخـــرى وهكـذا حتى نصل معـه إلى الفصـل الثـاني الـذي أطلق عليـــه [مـا يتضمن الإشـارة إلى اللـــون في شعـر المتنبي]، ويبدأ بـالأبيض، ليقول: «وقـد وردت الإشارة إلى اللون الأبيض في شعر المتنبـي في مواضع متعدد منها قولـه» ويذكر تسعة عشر بيتًـا تشير إلى اللون الأبيض وإلى جانبه توضيـح لما «يمثله من نوع أو عنصر»؛ ويبدأ بالبيت التالي:

حمـالـة ذا الحســـام على الحســام
ومـوقع ذا السحـاب على السحـاب

ونقرأ توضيحًا لهذا البيت: «حسام + حسام = أدوات حـرب وقتال، السحـاب + السحـاب = عنصر طبيعي» ويجيء البيت الثاني:

تجف الأرض من هـــذا الـــربـــاب
ويخلق مـــا كســـاهـــا من ثيـــاب

ويـوضحـه بقـولــه: «الـربـاب: السحـاب الأبيض، عنصـــر طبيعي». ثم تجيء عنـــاصـــر أخـرى معـدنية وغـذائيـة وغيـرها ممـا يشيـر إلى الأبيض وهي على التـــوالي: «مشيت، ضبـــاب، خربا، الحليبا، أغر محجل، اللحية، الأشهب، الأبقع، لبن، العيـس، الـــدر، الصبح، يققـــا، أزهر، المقطم، الجمان» وتتـوالى إشارات الألوان الأخـرى بمثل ذلك التـوضيـح، ولكنـه مع اللـون «الأزرق» تتسع دائرة توضيحـه حين يستأنس برأى الدكتور أحمـد مختار عمر حول نـدرة هذه اللون عند العـرب لكراهيتهم لـه، وذلك بما يثيـر فيهم من تشـاؤم وخوف. بينمـا نقرأ في الفصل الثـالث (حالة تمازج الألـوان في شعر المتنبي) مقدمة عن هذا التمـازج من خلال كتـاب (المخصَّص) لابن سيده، ثم يقوده هذا المـزج إلى رؤية معاصرة عن وجـوده في الفن التشكيلـي حسب رأي الـدكتـور يحيى حمـــوده ليصل إلى تعـــداد ذكـر نصـــوص المتنبي الشعـريـة حـول ذلـك التمـازج ونتـائجـه «الأبيض والأسـود» و«الأصفـر والأسود» و«الأحمـر بـالأسود» و«الأخضـر بـالأسود» وهكـذا مع بعض الألـــوان. . لينتهـي إلى بضع عبـــارات يحلل أو يعلق وربمـا يعلل أسبـاب بروز صبغـة لـون على سـائر الألوان، حين يرجعهـا إلى عـوامل نفسيـة وشخصيـة ووجوديـة، ولكن بصيغـة أخرى. أمـا «دلالات الألوان في شعر المتنبي» موضوع الفصل الرابع، وغلبة اللـون الأبيض على الألوان الأخرى، وحسب توضيحه وتعليله وإحصـائه السابق، فقد أوقعه في نتائج لا تتفق وحياة المتنبي وشخصيته، حين قـرن الأبيض بـالأمل، وسيادتـه على الألـوان

من المكتبة السعودية

الأخرى ودلالاتها النفسية من خوف وحزن وتشاؤم ويأس وقنوط وغيرها من مشاعر كانت هي المفجرة والمعبرة عن معاناته وتجربته الشعرية وأعماله الإبداعية، مما اتفق عليها الكثيرون ممن درسوا شعر المتنبي. ولكن يبدو أن المؤلف أحد المتأثرين بالدراسات الأدبية الحديثة الغازية التي تقوم على تفتيت النص وتشويه مقاييسه الموضوعية والجمالية وإغفالها في الذوق العربي.





محمد بن ناصر العبودي

- الكتاب: جولة في جزائر جنوب المحيط الهادي.
- المؤلف: محمد بن ناصر العبودي.
- الناشر: (؟) ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. «٣٠٥ص».

كان إبحار الأستاذ محمد بن ناصر العبودي، في هذه الرحلة، في المحيط الهادي حيث جزره الكثيرة. وقد استقر به إبحاره في كل من جزر «فيجي» و«نيو هبريدز» و«نيوكلدونيا» و«سلمون». وقبل أن نقف عند أهم الأمور في رحلة العبودي، علينا أن نذكر الجزر والمدن والمواضع التي مرّ بها بداية ونهاية.

كانت رحلته إلى «جزر فيجي» يوم الأحد ٢٩/ ١١/ ١٤٠١هـ ٢٧ سبتمبر ١٩٨١م. انطلق من «لوس أنجلوس» إلى «هونولولو»، ومنها إلى «نادي»، ومن تلك البلدة إلى «سوفا» العاصمة. ولم تستغرق هذه الرحلة سوى خمسة أيام، لأنه في يوم الجمعة يسافر إلى «أوكلاند» في نيوزيلاندا حيث تبدأ رحلة ثانية، وقد أوردها مع رحلة إلى جزيرة «تسمانيا» في كتاب (إطلالة على نهاية العالم الجنوبي). ولأن رحلات العبودي ـ من أجل تفقد أحوال المسلمين ـ كانت عديدة ومتواصلة، فقد عاد ثانية إلى «جزر فيجي» بعد سنة ونصف تقريبا، وذلك يوم الخميس ١٨ من جمادى الأولى عام ١٤٠٢هـ ٣/ ٣/ ١٩٨٣م، ومر بالأماكن السابقة نفسها، ولم تدم رحلته غير يومين، إذ رحل في يوم السبت ٢٠ من جمادى الأولى إلى «نيوكلدونيا» من «نادي» إلى «نوميا» العاصمة حيث مكث فيها يومين أيضًا، ليرحل إلى «نيو هبريدز» أو «وانـاواتو» ـ وهذا اسمها بعد الاستقلال ـ يوم الاثنين ٢٢ من جمادى الأولى ١٤٠٣هـ، ووصل إلى العاصمة «بورت فيلا» ليمكث فيها يومًا واحدًا، ثم رحل إلى «جزر سلمون» يوم الثلاثاء ٢٣/ ٥/ ١٤٠٣هـ، وذلك من جزيرة «سانتو» في «وانا واتو» إلى «هونيارا»، أقام بها يومين، ليرحل في ٢٥/ ٥ إلى عاصمة استراليا «بدزبن». ويبدو أن له حديثا عن أستراليا نجده في كتابه (رحلات في القارة الأسترالية).

ويظل الأستاذ العبودي محافظًا على منهجه الرحلي الذي يقوم على وصف المحسوس والمرئي ثم المستغرب منها خلال رحلاته، فضلاً عن الوقوف عند أمور المسلمين في جمعياتهم ومدارسهم ومساجدهم ومشكلاتهم، ليجمع - في رحلاته ـ بين العنصر السياحي الذي يقوم على ذكر المعلومات عن الأماكن والبيئه من زوايا جغرافية وتاريخية، وبين العنصر الديني الملتزم بالأصالة والمواقف والرؤى الإسلامية.

على أن العبودي كان يفصح ويبوح ببعض مشاعره الخاصة وأخباره الذاتية من حين لآخر، ليقترب في كتابته من أدب السيرة الذاتية، سواء فيما ينتابه من مشاعر وأحاسيس، أو ما يمارسه من أعمال وأقوال، أو ما يقع له من قصص وأحوال. فقد كان من عادته أن يشعر بالبهجة عند وصوله إلى مكان جديد في هذا العالم لم يره من قبل، وقد يجعل شعوره مثل شعور أي غريب يصل لذلك المكان، حيث يأسره الكلام الجميل والنظر الحسن من الآخرين والأخريات وقد يشيع في وصفه جوًا من المرح وخفة الروح والمزاح. كما قد ترق مشاعره إزاء المرئيات، فيبدو أديبًا يستحثه الشعر.

لا يغفل العبودي المطاعم الإسلامية، فيسأل عنها ليأكل فيها، ويعجب المسؤول، ويقدر السائل: «يا أخي إن المسلم الذي يسأل عن مطاعم المسلمين يستحق الإجلال» ص٣٨. وقد يصوغ تعبيرًا بليغًا بديعًا تقتضيه المناسبة والمشهد «جاءت الصينية (المرأة) بصينية (صحن فيه رز)» ص٣٨. ويفيض بمعلومات عن المساجد والمدارس، والمساعدات، ومصاريفها. ولا ينسى أن يقف عند التميز العنصري، وينفي وجود النزاعات الأخرى بين الديانات والطوائف، بين أهل البلاد (الفيجيين) والهنود المهاجرين، وكذلك ينفي وجود ذلك النزاع بين المسلمين والهندوكيين. ويذكر الميزة أو العلامة التي تميز المسلمين من غيرهم، وهي لباس «الطاقية» على الرأس، أو في اللحى الهندية وكذلك ما يميز الفيجيين الأصليين من صفات ظاهرة كالشعور الضخمة الجعدة الكثيفة. ونقل خبرًا عن المسلمين هناك بأن مالكًا سعوديًا ثريًا، هو عدنان خاشقجي وشركاءه السعوديين لهم مطار ومنطقة واسعة في العاصمة «سوفا». ويذكر البعثات التنصيرية وجماعات أخرى ودعواتها وتفاؤله بانتصار الإسلام عليها.

وإذا كانت كتابات العبودي ومعلوماته وأخباره الرحلية، ولا سيما في شأن أحوال المسلمين، مما كان يحملها عنهم تستوجب توضيحًا وعلاجًا وحلاً وعدهم بها، فإنه لم يوضحها في هوامشه، ويعرّف القارئ بمصير تلك الأمور بعد وصوله إلى المملكة العربية السعودية، والتي أوفدته وكلّفته ـ بصفته الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي ـ وأوكلت إليه أمر قضايا المسلمين في مختلف أنحاء العالم.

□ □



اللوفر الكبير

إعداد: كامل يوسف حسين

على امتداد عام ١٩٩٣م يتحقق الموعد الذي ضربته باريس لإقامة سلاسل ممتدة من الاحتفالات بالذكرى المئوية الثانية لتحويل اللوفر إلى متحف. يؤكد المسؤولون عنه أنه من خلال إنجاز مشروع «اللوفر الكبير» قد أصبح المتحف الأكبر في العالم، والأكثر أهمية في رسم صورة شاملة لمجمل عطاء الحضارة الإنسانية وإبداع البشر على امتداد العالم بأسره.

ومن خلال اللقاء مع ميشال لاكلوت مدير المتحف، وهو اللقاء الذي انتُزع وقته من برنامجه الحافل بالمشاغل في إطار الإعداد لتلك الاحتفالات، حرص مع مساعديه على التأكيد على حقيقتين أساسيتين: أولاهما أن الاحتفال بالذكرى المئوية الثانية لتحويل القصر إلى متحف لا يجب أن يحجب عن الذاكرة أن القصر يمتد عمره إلى قرابة ألف عام، والثانية أن الاحتفالات ليست تجسيدًا لفرحة باريس وحدها، أو فرنسا بمفردها بهذه المناسبة، وإنما هي تأكيد البعد العالمي والإنساني الشامل للحضارة التي تعبّر عنها مجموعات المتحف.

ويوضح لاكلوت خلال اللقاء معه، أن الاحتفالات تشمل افتتاح ثلاثين قاعة عرض جديدة، تخصص لعرض سبعمائة لوحة فنية، تنتمي إلى مدرسة التصوير الفرنسية، التي ترجع إلى القرنين الثاني عشر والتاسع عشر، لمجموعة من أهم الفنانين الفرنسيين، ومنهم ديلاكروا وانجرا وشاروان وغيرهم.

وردًا على سؤال عن الجديد بالنسبة لمجموعة التحف والآثار الإسلامية بالمتحف، أشار إلى أنها تحظى باهتمام خاص في العناية والترميم، وستنقل إلى جناح ريشيليو بدلاً من مقرها القديم في جناح دونون، مما يتيح الفرصة لعرضها وتقديمها للزائرين بطريقة أفضل، وعلى نحو يتيح المزيد من الراحة وحرية الحركة للرواد والزائرين.

وأوضح أنه في إطار عملية إعادة الترتيب سيتم تحريك بعض الأعمال الفنية البارزة من مواقعها الحالية إلى مواقع أخرى، وأبرز هذه الأعمال لوحات عصر النهضة، المعروضة حاليًا بالقاعة الخامسة في جاليري دونون، والتي سيتم نقلها إلى القاعة رقم ٤، ومنها لوحة ليوناردو دافنشي المعروفة باسم «الموناليزا» أو «الجيوكندا».

وأشار مدير اللوفر إلى أن تكامل مشروع «اللوفر الكبير» سيفيد - سواء بشكل مباشر أو غير مباشر - جميع أقسام المتحف، فبعد ترك وزارة المالية لمكاتبها بالمتحف سيأخذ «جاليري ريشيليو» بعدًا هائلاً، بحيث إنه وحده سيكون خلال الاحتفالات معادلاً لمساحة متحف الأورسي بكاملها، الأمر الذي سيتيح المجال إلى جوار عرض اللوحات الفرنسية عرض التماثيل الفرنسية ومجموعات من السجاد النادر ومدارس الشمال الفنية.

ويحرص مسؤولو المتحف على الإشارة إلى أن «اللوفر الكبير» أو «لوفر الغد» كما يحلو لبعضهم تسميته لا ينفصل بحال عن تاريخ اللوفر العريق.

محطات في تاريخ اللوفر

الحقيقة الأساسية، فيما يتعلق بتاريخ اللوفر، هي أنه لم يكن قصرًا في الأصل، وإنما قلعة وسلسلة من الاستحكامات والتحسينات، أمر بإنشائها الملك فيليب أوجست (١١٦٥ - ١٢٢٣ م). وهكذا فإن نقطة البدء للوفر كانت في القرن الثالث عشر، وقد عكست تطوره تاريخ الأمة الفرنسية نفسها، بقدر هائل من الدقة والوضوح.

وقد حرص ملوك فرنسا وحكامها كافة - منذ ذلك الحين وحتى عهد الرئيس الحالي فرانسوا ميتران - على أن يضيفوا إضافة خاصة بهم إلى اللوفر.

وفي هذه المسيرة الممتدة، تبرز محطات خاصة، ففي عام ١٥٤٦ م أمر الملك فرانسيس الأول المهندس المعماري بيير ليسكو بإدخال تعديلات وإضافات على اللوفر، تجعله أقرب إلى روح عصر النهضة، وهكذا قام ليسكو بهدم القلعة القديمة، التي ما تزال بعض أسوارها وأبراجها قائمة حتى الآن، وبنى القصر الجديد مكانها. وشهد القصر إضافة متميزة ببناء كاترين دي مدسيس لقصر التويلري على مسافة منه، وتطلع ملوك فرنسا إلى ربط القصرين ببناء أجنحة مميزة من اللوفر إلى التويلري.

المشروع يعيد ترتيب أجنحة المتحف ومجموعاته ليكون أهم متاحف العالم

وأسهم لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر ونابليون ونابليون الثالث بإسهامات كبيرة في الإضافة إلى اللوفر. وبعد تبدد حلم ربط اللوفر بالتويلري مع احتراق القصر الأخير في مايو ١٨٧١ م اتخذ اللوفر الشكل الأساسي، الذي ما زال قائمًا حتى الآن.

وقد كان فرانسيس الأول هو الذي بدأ - في القرن السادس عشر - تجميع المجموعات الفنية وحشرها في اللوفر، حيث شكل نواة ما أصبح فيما بعد أعظم متحف في العالم. وقدم لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر إضافات كبيرة في هذا المجال.

وفي ١٠ أغسطس ١٧٩٢ م تم فتح القصر للجمهور، وأصبح متحفًا، ومنذ ذلك الحين ازدادت المجموعات الفنية والأثرية مع الدول الأوروبية في أن تقدم مجموعات من تحفها الفنية إلى اللوفر. وحسب قوائم المتحف فإن جدرانه تضم أكثر من أربعمائة ألف عمل فني وآثاري، تنطبق صفات الكنوز و«النجوم» على أعداد كبيرة منها، وتنقسم إلى المجموعات المصرية واليونانية والرومانية والشرقية والعائدة إلى القرون الوسطى وإلى العهود الحديثة، فضلاً عن الأعمال الفنية المنتمية بصفة خاصة إلى هذا التصوير وإبداع التماثيل.

اللوفر الكبير

انطلق مشروع «اللوفر الكبير» في العام ١٩٨١م بقرار من الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران تضمن إعادة أرجاء اللوفر كافة إلى وظيفتها الأصلية كمتحف، بمعنى إخلاء الغرف والقاعات التي كانت تشغل وزارات وإدارات عديدة، كانت آخرها مغادرة وزارة المالية للوفر، كما شمل القرار إعادة ترتيب أجنحة المتحف ومجموعاته بما يجعله أكبر متحف في العالم وأكثر المتاحف أهمية.

وربما كان أخطر ما تضمنه القرار الخاص بمشروع اللوفر الكبير اعتماد المشروع الذي وضعه



من مجموعة المتحف الشرقية

المهندس المعماري العالمي الأمريكي المنحدر من أصل صيني «أيو مينج باي»، دون دخول المشروع في مسابقة عالمية، كما جرى العرف بذلك.

وقد أثار اعتماد مشروع «باي» ضجة كبرى، ويسلم وزير الثقافة الفرنسية جاك لانج نفسه بأن اعتماد مشروع « باي » الذي تم في صيغته النهائية والتفصيلية في مارس ١٩٨٣ كان عملاً «تحكميًا»، ولكنَ له ما يبرره من العديد من الجوانب.

ومصدر هذه الضجة الكبرى أن مشروع باي قد ضم إعادة الأجنحة، واعتماد تصميم معماري مدهش، ليكون المدخل الرئيس للوفر، ويتألف هذا التصميم من هرم زجاجي بارتفاع ٧١ قدمًا، صنع من الزجاج الشفاف المتين، حيث اعترض الكثيرون على التكلفة الهائلة للمشروع، كما ذهبوا إلى أن اللوفر فيه ما يزيد على الكفاية من الطرز المعمارية المتعددة والمختلفة والمتباينة، ولا ينقصه هرم زجاجي يقام بالاستعانة بالتقنية الحديثة ويتناقض معماريًّا مع ما حوله.

وقد وصل احتدام الخلاف حول هذا المشروع إلى حد اضطر «باي» ومنفذي المشروع معه إلى إنشاء مجسم بالحجر الطبيعي في مايو ١٩٨٥ م لإقناع المعارضين بعدم صحة أسس اعتراضاتهم.

وكان المنطق الذي حكم مشروع باي هو ضرورة تحويل اللوفر إلى متحف بالمعنى الحديث، ينطلق بالحياة، ويرحب بالزائرين دون أثر سلبي على تاريخ المكان.

وقد تمت عمليات حفر هائلة تحت أرض موقع الهرم، وذلك لجعل ارتفاعه لا يتجاوز المقرر له وهو ٧١ قدمًا، بالمقارنة بارتفاع المباني المحيطة به، والتي شيّدها نابليون الثالث، ويصل إلى ١٥٠ قدمًا. وأنشئت ثلاثة أهرامات أخرى صغيرة مواجهة للأجنحة الرئيسة للمتحف.

ويقول باي معبرًا عن الفلسفة التي حكمت عمله: « لقد حان الوقت لإحياء اللوفر؛ لأنه إن غرق في سبات، فإن باريس بأسرها ستغرق في سبات أيضًا».

كيف يزار اللوفر ؟

اليوم أصبح هذا الهرم الشفاف المدهش هو المدخل الرئيس للوفر، ويحرص الكثيرون على دخول المتحف منه، حتى وإن اقتضاهم ذلك الوقوف في الطابور

التقليدي الطويل، والذي لا ينتهي أبدا أمام المدخل، ويتواصل على نحو مدهش على مدى ساعات دخول المتحف، وفي أحيان كثيرة تحت المطر والريح والبرد.

وكما يقول ميشال لاكلوت مدير اللوفر - عن حق - فإن هناك العديد من الطرق لزيارة المتحف الأكبر في العالم، فالزائر الذي لا يتاح له الكثير من الوقت لإنجاز زيارته للمتحف، يحرص على مشاهدة ما يصفه لاكلوت بـ «الأعمال - النجوم».

وفي مقدمة الأعمال - بالطبع - لوحة «الموناليزا» التي أبدعها ليوناردو دافنشي، وكذلك تمثال فينوس دي ميلو، وتمثال نصر ساموثراسة، بالإضافة إلى تماثيل العبيد من إبداع مايكل أنجلو، ولوحة «الحرية تقود الشعب» بريشة ديلاكروا، وأخيرا وليس آخرًا تمثال الكاتب المصري الشهير.

مع ذلك، فهذا ليس إلا مستوى واحدًا فحسب من مستويات «قراءة» المتحف أو زيارته. وفي اعتقاد الكثيرين - ومن بينهم كاتب هذه الكلمات - فإنه ليس بالمستوى الأفضل، ولا الأقرب إلى المنطق أو إلى روح المتحف نفسه.

والزائر للمتحف، قبل الانتهاء من مشروع «اللوفر الكبير» بما شمله من تعديلات هائلة على ترتيب أجنحته ومجموعاته وكنوزه، كان يجد نفسه أمام ثلاثة «جاليريهات». قد يكون من قبيل التبسيط الخادع وصفها بأنها معارض أو أجنحة، فهي ليست إلا امتدادًا يكاد يكون غير منته من القاعات والغرف، التي تضم كنوزًا لا حصر لها من الأعمال الفنية والأثرية.

الجاليري الأوسط هو «جاليري دينون»، وهو في الواقع - كما يلاحظ الزائر من اللحظة الأولى لانطلاقه عبر السلالم المتحركة الصاعدة إلى الأجنحة من أسفل هرم المدخل - أكثرها استقطابًا للجمهور.

وربما كان السر في ذلك هو أن هذا الجناح يضم عددًا من «الأعمال - النجوم» كما سماها لاكلوت، فهناك ووسط حشد لا نهاية له من روائع الفن الإيطالي موناليزا، التي لا ينقطع الزحام أمامها، ويمنع موظف خاص الجمهور من تصويرها، وهي موضوعة داخل صندوق من الخشب والزجاج غير القابل للكسر لحمايتها.

وردًا على التساؤل الذي لا شك أنه يدور في ذهن القارئ، فإنه من الصحيح تمامًا أن اللوحة تبدو وكأن المرأة التي تصوّرها تبتسم لك من أية زاوية نظرت إليها.

ورغم جدارة الموناليزا بالرؤية والتأمل طويلاً، فإن كاتب هذه الكلمات يرى أن زائر المتحف لن يجانبه الصواب إذا أمضى وقتًا أطول - على سبيل المثال - في مشاهدة مجموعة لوحات التي يتضمنها المتحف.

وجناح دينون يضم كذلك مجموعة روائع الفنون الإغريقية والرومانية والأتروسكية، إلى جوار حشد هائل من اللوحات والتماثيل وأعمال الجرافيك.

لكن جناح «سولي» - بلا شك - سيفلح في استقطاب الزائر، فهو يضم مجموعة الآثار

○ نابليون جعل من شروط معاهداته مع الدول الأوربية أن تقدم مجموعات من تحفها إلى اللوفر

الفرعونية، ويلفت النظر من بينها بصفة خاصة النسخ الفريدة لكتاب الموتى وتمثال الكاتب الجالس، وتمثال شيخ البلد، ومجموعات لا حصر لها من الحلي والتماثيل، وأدوات القتال والأدوات المستخدمة في الحياة اليومية.

ويضم «جاليري سولي» كذلك مجموعات الفنون والآثار الشرقية العتيدة إضافة إلى المجموعات المنتمية إلى القرون الوسطى.

أما جناح أو «جاليري ريشيليو» فقد كان تحت التجديد والإعداد خلال زيارتنا الأخيرة للمتحف، ولكن من المعروف أن جوانبه تضم كنوزًا من الإبداع الفرنسي في مجالات التماثيل واللوحات والآثار والسجاجيد والجداريات وغيرها.

المجموعة الإسلامية

يسلم الخبراء والاختصاصيون بأن مجموعة التحف والفنون والآثار الإسلامية التي يضمها متحف اللوفر بين جدرانه ليست الأكبر ولا الأكثر أهمية بين المجموعات العالمية، مقارنة على سبيل المثال بما يتوافر في بعض المتاحف البريطانية أو في القاهرة أو إستانبول، لكنهم بالمقابل يشيرون إلى فرادة بعض قطع المجموعة الموجودة في اللوفر وندرتها.

وهم يشيرون إلى أنه بعد انحسار الحملات الصليبية على الدول الإسلامية حمل بعض العائدين من هذه الحملات، وخاصة من الملوك والقادة بعض القطع الفنية الإسلامية التي نُقلت بحرًا إلى أوربا، وحملت المجموعات الملكية الفرنسية القديمة بعض الملامح البارزة في هذا الصدد.

غير أن اللوفر لم يتلق كنوزًا إسلامية ذات شأن كبير من الناحية الفنية إلا مع انتصاف القرن التاسع عشر، وبصفة خاصة في عامي ١٨٤٠ و ١٨٥٦ م، وتلقى دفعة إضافية في نهاية ذلك القرن، الأمر الذي سمح في النهاية بتجميع ما أصبح - يُعرف ضمن تصنيفات المتحف - بالقسم الإسلامي، وهو القسم الذي ينقل في إطار الاحتفالات بالذكرى المئوية الثانية للمتحف من «جاليري سولي» إلى «جاليري

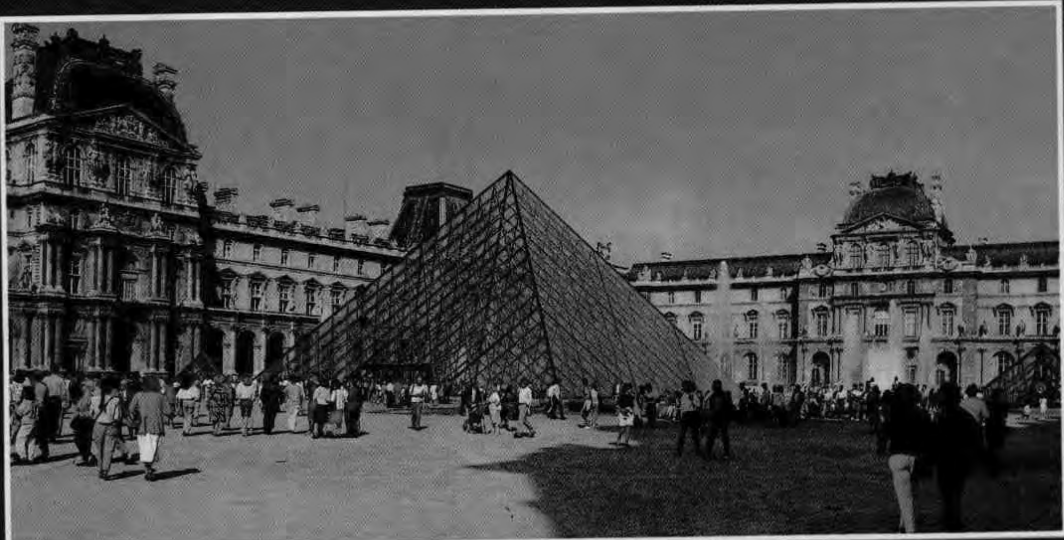
ريشيليـو» للسياح بمساحة أفضل.

وقد أقيم في العام ١٩٠٣ معرض ضم أكثر من ألف قطعة جُمعت من مجموعات خاصة من المقتنيات الإسلامية، وأهديت أعداد منها للمتحف من قبل أصحابها في وقت لاحق، حيث تنافس أصحاب المجموعات في ذلك، إذ أهدى دواستو - على سبيل المثال - للمتحف سجادة من الحرير والمعدن تعود إلى القرن السادس عشر، وكذلك آنية نادرة تعود إلى العصر الأيوبي.

وتتيح المجموعة الإسلامية الموجودة باللوفر، سواء من حيث العدد والمستوى الرفيع، تقديم صورة مشرقة للإبداع الفني الإسلامي.

وفي العام ١٩١٢م، وبالإضافة إلى وجود روائع من الإبداع الفني الإسلامي، مصدرها مصر وسورية وإيران وغيرها من البلاد الإسلامية، أهدت البارونة ديلور دي جليو إلى اللوفر مبلغ مائة ألف فرنك، لإعداد قاعة ضخمة تخصص للمجموعة الإسلامية وهو ما سمح بتخصيص قاعة في الطابق الثاني من جناح لورلوج.

وبسبب العراقيل التي فرضتها الحرب العالمية الأولى لم يتم افتتاح هذه القاعة رسميًا إلا في العام ١٩٢٢م.



الهرم الزجاجي: المدخل الجديد للوفر



متحف الأورسي: جاليري ريشيليو وحده يعادل مساحته

وخلال فترة ما بين الحربين العالميتين أصدر جاستون ميون مجلدين ضخمين، قدم عبرهما للعالم أبرز ما في مجموعة اللوفر من الروائع الإسلامية، مع تعقيب مسهب على كل قطعة. كما أصدر جورج سال دليلاً خاصًا يلقي الضوء على مجموعة التحف الإسلامية.

وضمت مجموعات لاحقة ناتجة عن الاكتشاف في مواقع مختلفة إلى القسم الإسلامي بالمتحف، ومنها المكتشفات النادرة في منطقة سوسة بإيران. وبعد الحرب الثانية وتحت إشراف جان ديفيد فيل ضمت المجموعة إلى مجموعة الآثار الشرقية.

وفي ظل مشروع اللوفر الكبير استقلت المجموعة الإسلامية مجددا بقسم خاص في جناح ريشيليو.

وتسترعي النظر في المجموعة منحوتة خشبية نادرة، تعود إلى عهد الدولة الطولونية بمصر، وتعكس تمكن الفنان وقدرته الفذة على الحفر في الخشب، وعلى الجمع بين مؤثرات الضوء والظل، عبر النقش الذي يجمع تركيبا زخرفيا غاية في الرقة يصور طائرًا بخطوط نباتية، ينفي بذلك التصوير التشبيهي.

ويتوقف الزائر طويلاً عند علبة مجوهرات قرطبية؛ تعود إلى العهود الأولى للخلافة الأموية في الأندلس، حيث يتألق النحت في



العاج على سطحها، لتجمع بين القيمة العملية والرؤية الجمالية، وتحمل العلبة بوضوح اسم المغيرة، نجل الخليفة عبد الرحمن الثالث، ويصور النحت حيوانات متصارعة ومشاهد ترفيهية كالصيد وعزف الموسيقى.

ويسترعي النظر كذلك مشهد زجاجة عطر رائعة، أبدعها فنان مسلم من سورية في وقت يُرجَّح أنه بين عامي ١٣٤٢ و ١٣٤٥ م، وتتميز باستنادها إلى تقاليد طويلة أرساها الفنان المسلم المبدع في تذهيب الزجاج وزخرفته، وقد استخدمت هذه الأساليب الإبداعية في عصر الدولة الأيوبية وراجت في عهد المماليك منذ منتصف القرن الثالث عشر وحتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي.

ومن تركيا يتوقف الزائر عند إبداع الفنان المسلم لطبق نادر يحمل رسمًا لطاووس، وسط مؤثرات زهرية جميلة، ومن المعتقد أن هذا العمل يعود إلى الربع الثاني من القرن السادس عشر.

وأخيرًا، ووسط حشد رائع من القطع الفريدة من السيوف والخناجر والدروع وغيرها من أدوات القتال، التي طالما أبدعها الصناع المسلمون يجذب النظر خنجر صنع مقبضه على شكل رأس جواد قوي، ومن المعتقد أن هذه القطعة، التي اشتراها وكلاء المتحف من الهند، تعود إلى القرن السابع عشر، وتستوقف العين، إلى جانب جماليات المقبض، الزخارف الرائعة التي تحلّي أصل النصل وقاعدة المقبض، والتي تجعل من هذا العمل قطعة فريدة ورائعة من روائع الفن الإسلامي.

ولا يملك المرء أخيرا وهو يغادر متحف اللوفر ـ بعد زيارة حافلة ـ إلا أن يتذكر كلمات ميشال لا كلوت، مدير المتحف والمسؤول عن الإعداد للاحتفالات: «إن هذه الاحتفالات هي احتفالات الإنسانية بأسرها التي قدمت الكنوز التي يضمها اللوفر الكبير».

○ مقتنيات "اللوفر" الإسلامية ضُمَّت إليه في القرن ١٩، وبعضها نُقِلَ بحرًا بعد انحسار الحملات الصليبية

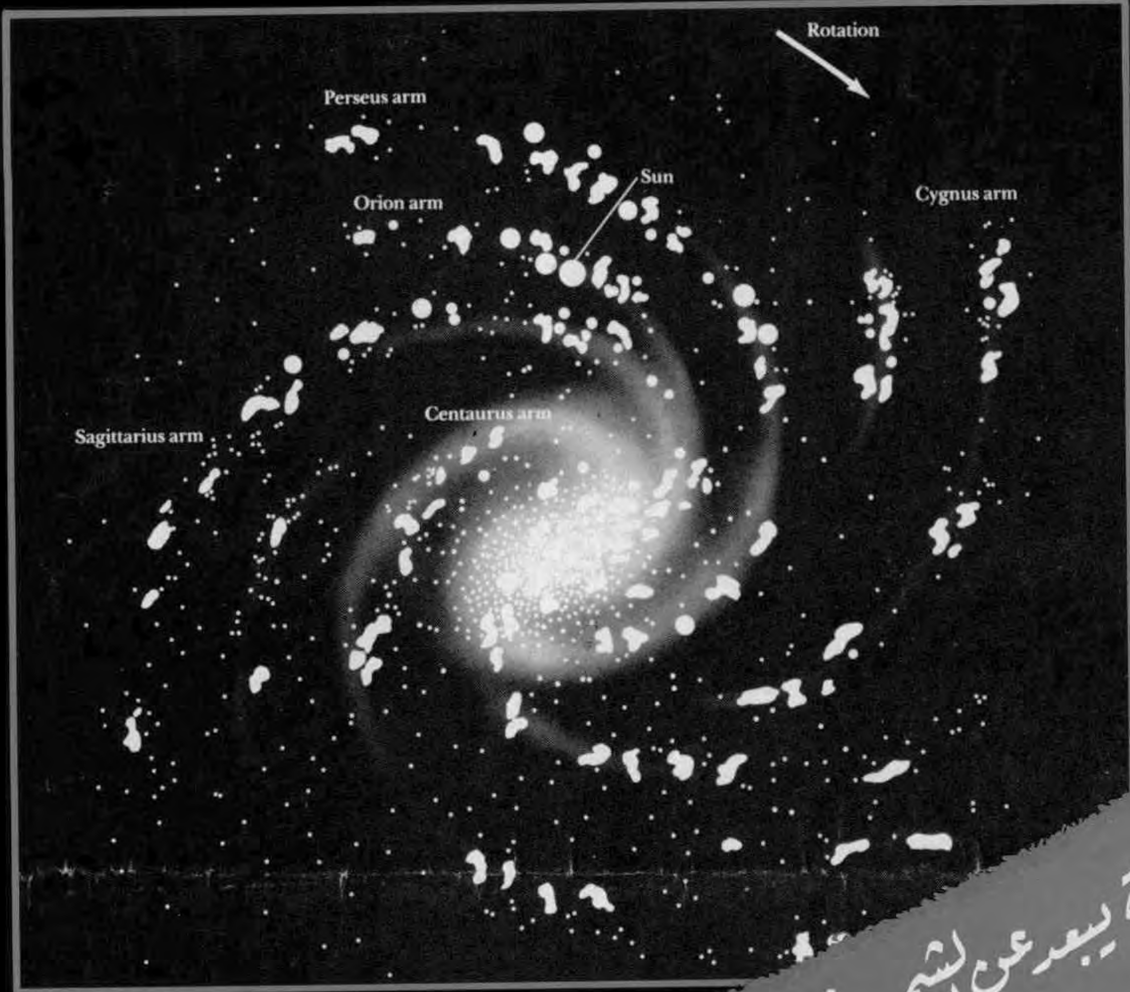
المراجع

(1) Louvre : Guide to the Collections-ed. by : Genevieve Bautier - Paris - 1991 Reunion des Musees Nationaux.

(2) The Grand Louvre - by Jerome Coignard and others - Paris 1992 - Beaux Arts.

(3) All Paris - by Casa Editirice - Paris - 1990 - Bonechi.

(٤) سلسلة من المقابلات أجراها الكاتب مع مسؤولي المتحف خلال زيارة ميدانية.



(الشكل ١) : خريطة لمجرتنا (درب اللبّانة) تظهر فيها الأذرع المختلفة والجوف المركزي وجهة الدوران وموقع الشمس

مركز المجرّة يبعد عن الشمس نحو ٣٠ ألف سنة ضوئية..

مجرّتنا درب اللّبّانة.. أحد الألغاز الكونية!

إعداد : عدنان عضيمة

قبل عقدين من الزمان فحسب، لم تكن المعلومات التي تمكّن الفلكيون من جمعها حول هذا التركيب النجمي الهائل الذي تنتمي إليه شمسنا تتعدى عشرة في المائة مما يعرفونه عنه الآن. فلقد مَكّنت أجهزة الرصد الحديثة من اكتشاف الكثير من الخصائص والحقائق والظواهر المتعلقة بهذا النظام النجمي الهائل المعروف باسم «مجرّة درب اللبّانة» (Milky - Way Galaxy) بما في ذلك التعرّف حتى على كتلتها الكلية وقطرها. وبناء على ما يعرف الآن من أن المجرات تعد الوحدات البنائية للكون برمته فقد استأثرت المشروعات العلمية المتعلقة باكتشاف أسرار درب اللّبانة بالكثير من الاهتمام في الآونة الأخيرة؛ لأن من شأنها أن تقود إلى تفهّم خصائص الكون على أوسع نطاق.

مجرّة درب اللبانة: أحد الألغاز الكونية

المجرة اللولبية

تصنّف مجرّة درب اللّبانة في نوع المجرّات اللولبية (Spiral galaxy) وفقا للتصنيف الذي ابتدعه الفلكي الأمريكي **(ادّوين هابل)** في العشرية الثالثة من القرن الميلادي الراهن. وأثبتت عمليات الرصد الإشعاعي للمجرّة أن لها أربع أذرع لولبية رئيسة تنبثق من جوفها المركزي، بالإضافة لعدة أذرع ثانوية قصيرة نسبيا. ولو نظرت إلى السماء في ليلة صافية فإن كل ما تراه من نجوم لا يمثل إلا قطاعا فضائيًا ضيقًا من الحافة الداخلية لإحدى الأذرع الرئيسة، تدعى **(ذراع الجوزاء) (Orion arm)** ويتضمن برج الجوزاء بالإضافة لعدد كبير من المجموعات النجمية المتقاربة. وذراع ساغيتاريوس (Sagitarius arm) يجاور الشمس باتجاه مركز المجرة ويليه ذراع قنطورس (Centaurus arm) القصير والأكثر قربًا وانغلاقًا على المركز. ومن الأذرع الرئيسية الأخرى ذراع بيرسيوس (Perseeus arm) الأبعد عن الشمس بالنسبة لمركز المجرّة ويليه ذراع سيجنوس (Cygnus arm). (انظر الشكل ١).

ويقع النظام الشمسي عند الحافة الداخلية الأقرب إلى مركز المجرّة لذراع الجوزاء، وعلى هذا تُرى النجوم كافة من الأرض محتشدة في قوس دائرية تقطع القبّة السماوية. ولقد بينت عمليات الرصد الإشعاعي أن قطر القرص المجرّيّ يبلغ مائة ألف سنة ضوئية، ويبلغ سمكه ألفيْ سنة ضوئية مما يعني أن الشكل الكلّي لمجرّة درب اللبّانة ليس كرويًا بل هو نظام منبسط دائم الدوران حول مركز المجرّة. وتبعد النواة المجرّية (galactic neucleus) بنحو ثلاثين ألف سنة ضوئية عن الشمس وهي محاطة بتجمع كروي من النجوم يدعى الجوف المركزي.

ولعل من الجدير الإشارة إلى أن الأذرع اللولبية تنشأ نتيجة للدوران السريع للمجرّة حول مركزها بحيث تنعطف الأذرع لجهة تعاكس جهة الدوران. وبالرغم من أن درجة انعطاف أذرع مجرّة درب اللبانة كان من المفترض أن تسمح بتحديد سرعة دوران المجرّة حول نفسها، إلا أنه ثبت أن الأمر أعقد من ذلك بكثير. فلقد بيّنت عمليات الرصد الإشعاعي للإشعاع ذي طول الموجة المساوي ٢١ سنتيمترًا المنبعث عن غاز الهيدروجين، وهو الغاز الأكثر انتشارًا في النجوم، أن مجرتنا لا تدور حول نفسها كتلة

○ الفلكيون يبذلون جهودًا قصوى لتحقيق فهم أفضل لمركز المجرَّة

واحدة كما يدور الجسم الصلب ولكنها تبدي ظاهرة الدوران التخالفي (differential rotation) بحيث تدور النجوم ذات الأبعاد المدارية المختلفة عن مركز المجرّة بسرعات دورانية مختلفة. وبسبب هذه الظاهرة تبدو النجوم الأكثر بعدا عن مركز المجرة من الشمس والأكثر سرعة وهي تدور لجهة معينة بينما تبدو النجوم الأقرب من مركز المجرّة والأقل سرعة وكأنها تدور لجهة معاكسة. **ولقد تمكن الفلكي السويدي بيرتل ليندبلاد (Bertil Lindblad) من قياس سرعة دوران الشمس حول مركز المجرّة بعد أن لجأ إلى مقارنة حركتها بمواقع المجرّات البعيدة فوجدها ٢٥٠ كيلومترًا في الثانية (أو نصف مليون ميل في الساعة). وإلى جانب هذه النتيجة استند الفلكيون إلى الحقيقة التي أثبتتها عمليات الرصد مؤخرا التي تحدد بعد مركز المجرّة عن الشمس بنحو ثلاثين ألف سنة ضوئية لحساب زمن دورة كاملة للشمس حول المركز فوجدوه مائتي مليون سنة.** ولعل هذا الاكتشاف يوضح بجلاء الاتساع الهائل لمجرّة درب اللبانة. وبتطبيق قانون كيبلر الثالث [١] تمكن الفلكيون من استنتاج كتلة مادة مجرّة درب اللبانة المنتشرة بين مدار الشمس والمركز فوجدوها مساوية لمائة مليار مقدار كتلة النظام الشمسي. ولقد أكدت مختلف عمليات الرصد الحديثة أن المادة المنتشرة خارج مدار الشمس ذات كتلة هائلة لم تكن متوقعة، وبناء على أحدث المعطيات الرصدية قدرت الكتلة الكلّية لمجرة درب اللبّانة بستمائة مليار مقدار كتلة النظام الشمسي. ولعل من الجدير الإشارة إلى أن معظم مادة المجرّة لا تزال خافية عن أعين البشر ومناظيرهم بسبب إظلامها شبه التام، لذا فهي تعد الآن من أهم الألغاز الفلكية.

النواة المجرّية

يطلق مصطلح **النواة المجرّية** (galactic neucleus) على القطاع المركزي للمجرّة. ولقد أثبتت عمليات الرصد الإشعاعي لنواة درب اللبانة أنها مكان مزدحم بالمادة زاخر بالنشاط. وإذا كتب لك أن تزور أحد الكواكب القريبة من مركز المجرّة فسوف ترى أكثر من مليون من النجوم التي يفوق سطوعها سطوع شمسنا بآلاف المرّات. ويقدّر الفلكيون أن تكون الشدّة الضوئية الكلّية الآتية من هذه النجوم المتقاربة كافية لأن تجعل من الليل ظاهرة مستحيلة الحدوث فوق ذلك الكوكب.

ونظرا لوجود وفرة من الغبار والغاز المنتشر بين نجوم المركز المجري الذي يمتص أمواج الضوء المرئي ويحجبها عن آلات التصوير الضوئي العادي فقد كان على الفلكيين أن يبتدعوا مناظير تسمح بالتقاط الإشعاعات الضوئية غير المرئية التي لا تتشتت عند اختراقها للوسط المادي المنتشر بين النجوم ومنها الإشعاع تحت الأحمر. وأطلقت لهذا الغرض مجموعة من الأقمار الصناعية المزوّدة بأجهزة التقاط هذه الأشعة كان من أهمها وأكثرها فعاليّة القمر الصناعي إيراس (IRAS) الذي اشتق اسمه من الأحرف الأولى للعبارة الإنجليزية التي تعني (قمر الأشعة تحت الحمراء الفلكي). وتظهر في (الشكل ٢) ثلاث صور حقيقية لقطاع واسع من المجرّة يضم مركزها. فالصورة (أ) ملتقطة بآلة تصوير ذات عدسة واسعة تلتقط أمواج الضوء



صورة (جـ)


صورة (ب)

(الشكل ٢) : ثلاث صور حقيقية للقطاع المركزي لمجرّة درب اللبّانة

المرئي وتبدو فيها أكوام الغبار والغاز المنتشرة بين النجوم. وفي الصورة (ب) التي التقطها القمر (إيراس) بمطياف الأشعة تحت الحمراء يبدو القطاع نفسه أكثر وضوحا ويحصر المستطيل قطاعًا من الجوف المركزي للمجرّة يقع المركز في وسطه. وتوضح الصورة (ج) القطاع نفسه المحصور ضمن المستطيل وقد التقطها (إيراس) باستخدام مطياف مقرّب، ويبدو فيها مركز المجرّة محاطًا بأكوام الغاز والغبار التي تظهر بلون أزرق. على أن القطاعات التي تبدو بلون أبيض في الصورتين (ب)، (ج) تمثل تجمعات لنجوم تتميّز بقدرتها البالغة على إصدار الموجات الإشعاعية القويّة ومركز مجرّة درب اللبّانة يعد مصدرًا قويًّا لهذه الإشاعات.

وتوضح صورة (**الشكل ٣**) ذات الوضوح العالي والملتقطة بمطياف الأشعة تحت الحمراء قطاعًا من مركز مجرّة درب اللبانة قطره سنة ضوئية واحدة وتوافق الألوان المختلفة المنتشرة عبر الصورة الإصدار الضوئي وفق مختلف أطوال الموجات الإشعاعية تحت الحمراء. ويمثّل الجسم الأبيض أعلى الصورة عملاقًا أحمر (red giant) يفوق من حيث سطوعه شمسنا بنحو مائة ألف مرة. والعملاق الأحمر نجم استهلك معظم الهيدروجين الذي يمثّل الوقود النووي الحراري ويزوّد النجم بطاقته وضوئه كافة. وعندما يبلغ النجم هذه المرحلة من الشيخوخة ويشرف على الموت فإنه يقوم بإحراق ما تبقى من الهيدروجين والهيليوم دفعة واحدة وفق عدة أنماط من التفاعلات النووية الحرارية فيتضخّم فجأة ويشع مقادير هائلة من الإشعاعات الحرارية تحت الحمراء. وأما الأجسام الملونة الأخرى التي تبدو في الصورة فتمثل عمالقة حمراء يختلف بعضها عن بعض من حيث درجة إغراقها في الشيخوخة. ويبقى أن نشير هنا إلى أن التركيب الأزرق الذي له شكل الحرف اللاتيني (Y) يمثّل النواة المجرّية.


صورة (أ)

الثقوب السوداء

من أهم الظواهر المسجلة قريبا من الجوف المركزي لمجرة درب اللبّانة تلك التي التقطتها أجهزة الرصد للكتل الهائلة من البلازما والغازات

المشحونة التي تتدفّق في الفضاء عموديًّا على مستوى قرص المجرّة ولمسافات هائلة ثم تعود من حيث أتت. وحركة الجيشان هذه تثبت أن للقطاع المركزي للمجرّة حقلاً مغناطيسيًّا بالغ الشدّة. وتوضح صورة **(الشكل ٤)** قطاعًا من مركز المجرّة قطره ٣٠ سنة ضوئية وتبدو فيه تراكيب مادية شبيهة بأسلاك عجلة الدّراجة وتمثّل تدفقات كتل الغازات والغبار ودورانها حول مركز المجرّة. ومثل هذه الصورة ذات الوضوح العالي الملتقطة من الأرض بواسطة المناظير الإشعاعية تشير إلى أن هناك شيئًا ما يتحكم بحركة الغازات عالية السرعة أثناء دورانها حول مركز المجرّة. وبالاستناد إلى قانون كيبلر الثالث تحقّق العلماء من أن امتناع هذه الغازات من الانفلات في الفضاء الكوني يتطلّب وجود جسم في مركز المجرّة تفوق كتلته النظام الشمسي بأكثر من مليون مرة. ولقد قدّر أن مثل هذا الجسم لا بد أن يكون بالغ الصغر والكثافة بحيث لا يتعدى قطره بضعة سنين ضوئية. ولقد عبر عدد من علماء الفلك وعلماء الفيزياء الفلكية عن اعتقادهم أن مثل هذا الجسم لا بد أن يكون ثقبًا أسود (black hole). ويعرّف الثقب الأسود بأنه جسم فلكي بلغت جاذبيته حدًّا من الشدة تجعل سرعة الانفلات منه تتعدّى سرعة الضوء. وبسبب الكتلة الهائلة للثقب الأسود الموجود في مركز درب اللبّانة فقد أطلق عليه مصطلح «الثقب الأسود فائق الكتلة» (**Super-massive blak hole**). وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن الفلكيين وجدوا أن مثل هذا النشاط غير العادي الذي يسود مركز مجرّتنا يحدث أيضا في العديد من المجرّات الأخرى حتى إنهم اعتبروا ذلك دليلاً على أن معظم هذه المجرّات تتضمن ثقوبًا سوداء في مراكزها. ولا يفوتنا أن نشير أيضًا إلى أن العديد من الفلكيين



(الشكل ٤) : صورة حقيقية لمركز درب اللبانة تظهر التدفق الدائم للبلازما والغازات والغبار



(الشكل ٣) : صورة عالية الوضوح لمركز مجرّة درب اللبّانة بمطياف الأشعة تحت الحمراء.

يعارضون فكرة وجود ثقب أسود فائق الكتلة في مركز مجرّتنا، ويرى هؤلاء أن بعض الصور عالية الوضوح لمركز المجرّة، مثل صورة (الشكل ٣)، لا تتضمّن أي دليل على وجود شيء من هذا. ولا يزال الفلكيون يبذلون الجهود القصوى لتحقيق تفهّم أفضل لمركز المجرّة. والمتوقع أن أجهزة الرصد الحديثة ستحقّق لنا ـ إن شاء الله ـ خلال السنوات القليلة المقبلة فهمًا أفضل لطبيعة مركز مجرّتنا.. درب اللبّانة.

هوامش

(١) وضع الفلكي جوهانس كيبلر (١٥٧١م ـ ١٦٣٠م) ثلاثة قوانين أساسية تشرح حركة الكواكب حول الشمس نورد نصوصها كما يلي :

القانون الأول : (إن مدار الكوكب حول الشمس قطع ناقص تقع الشمس في أحد محرقية).

القانون الثاني : (إن المحور الوهمي الذي يصل بين الكوكب والشمس يمسح أثناء الدوران سطوحا متساوية المساحة خلال فواصل زمنية متساوية).

القانون الثالث : (تتناسب مربعات أزمنة قطع الكواكب المختلفة لدورات كاملة حول الشمس طرديا مع مكعبات أنصاف أقطار مداراتها الوسطية حول الشمس). ويعبر عن هذا القانون رياضيا بالمعادلة : $د^{٢} = نق^{٣}$ حيث تقاس أزمنة قطع الكواكب للدورات الكاملة (د) بالسنين وأنصاف الأقطار (نق) بالوحدات الفلكية. والوحدة الفلكية هي المسافة الوسيطة بين الأرض والشمس أو $١,٤٩٦ \times ١٠^{٨}$ كيلومترات.

المراجع

1 - (DISCOVERING THE UNIVERSE): William J. Kaufmann, W.H. Freeman, New York, pages : 314 - 329; 1989.

2 - (UNIVERSE) : William J. Kaufmann, W.H. Freeman, New York, pages : 455 - 461; 1985.

3 - (DARK MATTER IN SPIRAL GALAXIES) : Vera C. Rubin in (SCIENTIFHIC AMERICAN), Vol. 284, pages : 88 - 101; June 1983.

٤ ـ (المجرّات.. الحزر الكونية). عدنان عضيمة، الفيصل عدد رقم ١٣٧ لشهر ذي القعدة/ يونيو ويوليو ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ص ص ٦٧ ـ ٧٦.



شجرة الزيتون
غذاء ودواء وبركة

درويش الشافعي

شجرة الزيتون هي إحدى معطيات الخالق عز وجل، التي أنعم بها على عباده عندما فطر السموات والأرض.

ولشجرة الزيتون في التاريخ حكاية، ولها في الطب الشعبي صفحات، وقد جاء ذكرها في العديد من الآيات القرآنية، التي تحثنا على زراعتها واستعمالها في الغذاء والدواء.

وفي هذه المقالة سنبين دور شجرة الزيتون وأهميتها في شتى مناحي الحياة، الطبية والغذائية والبيئية.

لمحة تاريخية

يضرب تاريخ شجرة الزيتون في بطون القرون القديمة، ويختلف الباحثون في معرفة موطنها الأصلي، فمنهم من يقول: إنه آسيا الصغرى وأرمينيا، ومنهم من يقول: إنه سورية، ولكن الرأي السائد أن موطنها الأصلي الشرق الأدنى، ومنه انتقلت إلى أوربا وشرق آسيا وشمال

شجرة الزيتون
غذاء ودواء وبركة

أفريقية، ويبدو أن أصحاب الرأي الأول ــ أي الذين يقولون: إن موطنها أرمينية وآسيا الصغرى - يعتمدون على ما ورد في الكتاب المقدس وهو (أن نوحا عليه السلام عندما رست به السفينة على جبل أرارت، وأطلق الحمامة، عادت إليه، وفي فمها غصن زيتون أخضر)، غير أن هذا الحدث لا يؤكد أن موطنها هناك؛ وذلك لأنه من الممكن وجودها في مناطق أخرى أبعد بكثير من أرمينية وآسيا الصغرى، لا سيما وأن الحمام مشهور بقدرته على الطيران لمسافات متناهية في البعد.

بيد أن الإشارة إلى ذكر شجرة الزيتون في عهد نوح عليه السلام دليل على غور قدمها، فلم يسبقها في الذكر المدون من الأشجار المثمرة، إلا شجرة التين في قصة آدم وحواء عليهما السلام عندما كانا في الجنة. وتثبت الوقائع التاريخية، ويؤكد المؤرخون اليوم أن شجرة الزيتون نشأت في بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط، ويبدو أن هذا القول هو الأكثر واقعية؛ حيث إن مناخ وتربة حوض البحر الأبيض المتوسط يوفران أفضل الظروف لنمو شجرة الزيتون.

ومع تعدد الآراء حول موطن شجرة الزيتون الأصلي، واختلاف شكلها وثمارها واستعمالاتها، كانت وما زالت شجرة مباركة محتفظة بمكانتها المرموقة في قلوب الناس منذ القدم، فقد ورد ذكرها في جميع الكتب السماوية، وقال موسى عليه السلام فيها: «لا تقطفوا شجرة الزيتون حتى آخر حبة، بل اتركوا عليها بعض ثمارها ليأكل منها الإنسان المحتاج والطيور والحيوانات البرية، كما حث عليه السلام على رعايتها والمحافظة عليها. أما القرآن الكريم فقد وصفها بالبركة، في قوله تعالى: ﴿ اللهُ نُورُ السمواتِ والأرضِ مَثَلُ نُورِهِ كمِشكاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصباحُ في زُجاجةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنها كَوكَبٌ دُرِيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرةٍ مُبَارَكَةٍ زَيتُونَةٍ لا شرقية ولا غربية يَكَادُ زَيتُهَا يُضِيءُ وَلَو لَمْ تَمْسسهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ. . . ﴾ النور ٣٥.

وقد ورد قسم صريح في القرآن الكريم بشجرة الزيتون في قوله تعالى: ﴿ والتين والزيتون، وطور سينين، وهذا البلد الأمين. . . ﴾ التين ١ــ٢. كما ورد ذكر شجرة الزيتون في عدة سور كريمة، مثل سورة الحج، والأنعام، والرعد، والمؤمنون، والنحل، وغيرها.

وقد دعا رسول الله ﷺ لشجرة الزيتون بالبركة مرتين بقوله: «الله بارك في الزيت والزيتون» كما حث على أكل الزيت والتداوي به، في قوله «كلوا الزيت وادهنوا به؛ فإنه شفاء من سبعين داء منها الجذام».

ويبين التاريخ مدى اهتمام المسلمين بأشجار الزيتون، فلم يجنوا ثمارها من خلال جلدها بالعصي، حتى لا يؤذوا أغصانها وأوراقها، بل كانوا يلتقطون ثمارها باليد.

وقد عمل المسلمون على إدخال شجرة الزيتون إلى شمال أفريقية وإسبانيا وشبه الجزيرة الأيبيرية، وازدهرت زراعتها في أسبانيا والبرتغال إبّان حكمهم لها.

التصنيف العلمي

تنتمي شجرة الزيتون إلى الفصيلة الزيتية Oleaceae التي تضم الدردار، الياسمين، والليلك وغيرها. أما أسمها العلمي فهو (Olea europaea)، وجميع أنواع هذه الفصيلة لا تتعدى كونها نباتات زينة باستثناء شجرة الزيتون، التي يوجد منها في العالم نحو سبعين نوعا، وتصنف أشجار الزيتون بالاعتماد على شكل ثمارها وأحجام نوياتها وألوانها، وقد نتجت جميع هذه الأنواع من الزيتون البري بعد أن أدخلت عليه تحسينات عديدة ومتتالية.

البيئة ومقاومتها

تعد شجرة الزيتون من الأشجار المثمرة، المقاومة للعديد من الأمراض، والقادرة على التكيف في ظروف طبيعية متباينة، والتي لا تحتاج إلى رعاية خاصة.

فأشجار الزيتون تنمو في سفوح الجبال الرملية والصخرية قليلة العمق، وكذلك في الوديان والسهول ومناطق البادية، وتمتاز شجرة الزيتون بمقاومتها للحر والبرد والجفاف، إلا أنها تتقزم وتضعف، عندما تزرع في مناطق يزيد ارتفاعها على (١٠٠٠) متر عن سطح البحر، وذلك بسبب تعرضها للرياح الشديدة والبرد القارس. وقد تؤدي الظروف البيئية غير الملائمة إلى تشويه أغصان الشجرة وأوراقها وثمارها، كما تؤثر على درجة حموضة الزيت، التي تعد من أهم المقاييس التي تتخذ لمعرفة جودته، وكلما انخفضت درجة الحموضة تحسن مذاق الزيت، وازدادت قيمته الغذائية وقدرته التخزينية، فالزيت الذي يحتوى على حموضة تتراوح من ١ ,٠١ــ٢٪ يعتبر من الدرجة الأولى والثانية، وهو من الأنواع الممتازة، أما إذا كانت درجة حموضة الزيت (٣٪) فهو من الدرجة الثالثة، وإذا زادت على ذلك فلا يصلح الزيت للاستهلاك البشري، بل يستفاد منه في الصناعات المختلفة، مثل صناعة الصابون ومواد التجميل. وبالإضافة إلى العوامل البيئية تعتمد حموضة الزيت أيضا على عدة عوامل، من أهمها طريقة جني المحصول، نوع الزيت، طريقة استخراج الزيت والوقت الذي جني فيه المحصول، وأخيرا طريقة الحفظ والتخزين. ومن أجل حفظ زيت الزيتون دون أن ترتفع درجة حموضته ينبغي حفظه في صفائح معدنية محكمة الإغلاق، أو في أوعية زجاجية بعيدة عن الضوء والحرارة المرتفعة.

استعمالاتها

ليس في شجرة الزيتون جزء لا يستفاد منه أو ينتفع به، فالأزهار والأوراق والأغصان والثمار والخشب والرماد تجد لها استعمالات عديدة، ولعل من أكثر استعمالاتها شيوعا ما يلي:

الاستعمالات الغذائية:

تستعمل ثمار الزيتون كمقبلات لذيذة ومغذية، ويحتوي زيتها على فيتامين الثيامين والريبوفلافين، حمض النيكوتينيك، البيوتين، والبيريدوكسين وحمض البانتوتنيك، أما بالنسبة إلى الكاروتين الذي يشكل بدايات تكوين فيتامين (أ) فيوجد بنسبة (١٨) ميكروغرام في كل ١٠٠غرام في الزيتون الأسود، ويفيد زيت الزيتون في زيادة مقاومة الأغشية الخلوية عموما وأغشية الأعصاب (غمد الميلين) بشكل خاص، كما يعزز من قدرة مقاومة أغشية الكرات الدموية، وذلك بسبب احتوائه على حمض اللينوليك الذي يصل نسبته إلى ١٠,٥١ غرام لكل ١٠٠ غرام.

وتجمع التقارير الطبية على أن نسبة الإصابة بأمراض القلب تنخفض بين شعوب مناطق

البحر الأبيض المتوسط، وقد فسروا ذلك على أساس أن هذه الشعوب تتناول زيت الزيتون بكثرة، حيث إن زيت الزيتون يحتوي على مادة البروستاغلاندين، التي تحول دون حدوث تجلطات دموية، وتزيد نسبة البروتين الدهني (HDL) في الدم، الذي يغذي عضلة القلب، ويقلل كثافة الدم مما يقلل احتمالات الجلطة.

ويحتوي زيت الزيتون على الفوسفاتيد الضروري لنمو الجسم. وبسبب وجود فيتامين (هـ) والذي يسمى فيتامين الشباب أو مضاد الشيخوخة، فإن المواظبة على تناول زيت



الزيتون يعزز قدرات الغدد الصماء، ويقوي الشرايين والأوعية الدموية، ويساعد الجسم على تحمل الإرهاق والضغوط النفسية، ويعزز مناعة الجسم ضد الأمراض.

الاستعمالات الطبية:

أسهب الأطباء الأوائل في سرد فوائد الزيت والزيتون، ومما ذكروه أنه يقوي المعدة، ويفتح السدد، ويحسن لون الوجه، كما وصفوه لأمراض الكبد. أما أوراق الزيتون فقد وصفوها مضغا لمعالجة التهاب اللثة وأورام الحلق، وإذا هرست ووضعت على القروح والأورام أزالتها.

وفي الطب الشعبي الحديث يستعمل زيت الزيتون لمعالجة الجروح والحروق، وتليين الجلد، وتخفيف آلام الروماتيزم عند دلكه على موضع الألم. ويستعمل خليط الكبريت مع الزيت في معالجة قشرة الرأس ومنع تساقط الشعر، وذلك بدلك الخليط على فروة الرأس.

ويفيد شرب ملعقتين من زيت الزيتون صباحا في التخليص من الحصى والرمل من الكليتين، كما يزيد زيت الزيتون في إدرار الصفراء. ومن الوصفات الهامة والمستعملة بفاعلية كبيرة هي غلي أوراق الزيتون، وشرب المغلي بمعدل فنجان مرتين يوميا؛ بهدف تخفيض الضغط الدموي، ونسبة السكر في الدم.

ويستخدم زيت الزيتون لإزالة تجعدات الوجه والرقبة، وذلك بطليها بملعقتين من زيت الزيتون الممزوج مع نصف صفار بيضة وقليل من عصير الليمون، يترك المزيج على الوجه لمدة (٢٠) دقيقة ثم يغسل الوجه بالماء الفاتر، تكرر العملية عدة مرات.

ويستعمل زيت الزيتون في إزالة تشققات الأيدي والأرجل، كما يدهن به جسم الأطفال حديثي الولادة؛ لتوفير الراحة لعضلات أجسامهم، ولمنع الإصابة بنزلات البرد.

وتستعمل أزهار الزيتون في عمل لبخات لتسكين الآلام المختلفة، خصوصا آلام الرأس، وذلك من خلال عجن الأزهار مع قليل من الزيت، ولصقها على الجبين والصدغين. وعند خلط الأزهار مع طحين الشعير، وقليل من زيت الزيتون فإن ذلك يفيد في إيقاف الإسهالات المزمنة عند الصغار والكبار، كما يفيد مغلي الأزهار في تخفيف التهابات العين وتقرح الجلود.

استعمالات أخرى:

يستفاد من الأوراق بعد جني المحصول والتقنيب في تغذية وتسمين حيوانات المزارع، وذلك لاحتوائها على نسبة عالية من البروتين، الذي تصل نسبته إلى ٨٪ من وزنها كما تحتوي على دهون بنسبة ٥,١٪، وتعد نسبة البروتين في الأوراق أعلى نسبة موجودة في جميع النباتات المستعملة لتغذية الحيوانات باستثناء البرسيم.

ويستعمل الخشب ونوى الثمار في الصناعات الخشبية المختلفة والصناديق الفاخرة، وفي الصناعات اليدوية الدقيقة مثل المسابح وبراويز الصور وأغلفة الكتب وغيرها. أما نوى الثمار فتستعمل في التدفئة، حيث تطول مدة احتراقها بأقل ناتج لعوادم الاحتراق الضارة، وأخيرا يستعمل الرماد في صنع الحرير الطبيعي، وبقايا الزيت في صناعة الصابون.

فوائدها للبيئة

تمتاز شجرة الزيتون بصفات وخواص عديدة، تجعلها مميزة بين جميع الأشجار المثمرة، فبالإضافة إلى كونها شجرة اقتصادية مهمة تدعم الاقتصاد والدخل القومي، وتزيد فرص العمل للعديد من الأشخاص، فإنها شجرة دائمة الخضرة، تزود الجو بالأوكسجين على مدار فصول السنة دون توقف، وتعد شجرة الزيتون من أكثر الأشجار تواضعا، حيث تنمو في كل مكان، ولا تحتاج لرعاية خاصة، وحيثما وجدت تثبت التربة وتمنع انجرافها، وتعتبر أشجار الزيتون مصدات ممتازة للريح، وهي توفر الغذاء والمأوى للعديد من أنواع الطيور، وبالإضافة إلى كل ما ذكر تتصف شجرة الزيتون بجمالها وخضرتها الدائمة، فتزيد في جمال الجبال والوديان والبوادي.

ومما قيل فيها ما قاله الشاعر طاهر الطبري عام ١٩٤١م:

أحسن اللذات أن تقطف ما
غرست يمناك زيتونا نما
كن رؤوفا في قطاف إنما
يرحم الله الذي قد رحما
وتعجب في يد تقطف ما
حوت الأغصان في رفق سما

ونحن إذ نشارك الشاعر رأيه، لا بد من التذكير بأن شجرة الزيتون المباركة شهدت على معاركنا وانتصاراتنا، ومن أغصانها صنعت أكاليل النصر، وحملت أغصانها الطيبة بشائر السلام والاطمئنان.

وطوبى لكل يد زرعت شجرة زيتون.

المراجع

١ - التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية لعبد اللطيف عاشور، القاهرة.

٢ - النباتات الطبية في الأردن لفوزي محمد كريم وصالح أحمد القرعان، ١٩٨٦م.

٣ - صيدلية التجميل الطبيعي لزياد القطب، ١٩٨٨م، عمان.

٤ - معجم الفيتامينات لليونارد مرفين، ١٩٨٤م، قبرص.

1. The Little Herb Encyclopedia. JACK Ritchason. 1982 U.S.A.

السمنة
عرض أم مرض؟!

د. حسان شمسي باشا



تنجم السمنة في معظم الأحيان عن اختلال بين ما نصرف من طاقة وما نتناول من طعام. ونقول: إن فلانًا مصاب بزيادة الوزن حينما يزيد وزنه ١٠٪ من الوزن المثالي. وإذا زاد وزنه على أكثر من ٢٠٪ فوق الوزن المثالي، نقول: إنه مصاب بالسمنة. وتشير الإحصاءات الحديثة إلى أن ١٠٪ ــ ١٥٪ من الرجال الأمريكيين مصابون بزيادة الوزن، و ٢٠ ــ ٢٥٪ من الأمريكيات مصابات بزيادة في الوزن.

والسمنة شائعة عند الأطفال في أمريكا وأوربا. فيقدر الخبراء أن ٦ ــ ١٥٪ من أطفال المدارس هناك مصابون بالسمنة. وتصل هذه النسبة إلى ٢٠ ــ ٣٠٪ في سن البلوغ. وقد وجد أن ٨٠٪ من البدينين في سن المراهقة ظلوا بدينين فيما بعد. ولهذا يجب الانتباه إلى المحافظة على الوزن المثالي في تلك الفترة من العمر.

ومن الطريف أن اليهود هم أكثر أهل الأديان بدانة، يليهم النصارى الكاثوليك.

وأما أقل نسبة للسمنة فكانت عند البروتستانت.

أسباب السمنة

تنجم السمنة ـ كما ذكرنا عادة عن تناول كميات من السعرات الحرارية في الطعام أكثر مما يحتاجها الجسم. إلا أن هناك بعض الأمراض التي قد تسبب السمنة كقصور الغدة الدرقية.

وهناك من البدينين من يقسم لك أنه لا يأكل من الطعام أكثر مما يأكله شخص آخر غير بدين.

وقد أكدت الأبحاث العلمية الحديثة أن هذا صحيح. فهناك استعداد بنيوي داخل الجسم ليصاب الإنسان بالبدانة. وأما الفكرة القائلة: إن كل البدينين أناس شرهون للطعام فقد أصبحت فكرة قديمة وغير صحيحة.

وهناك نوعان من الدهون في جسم الإنسان.

الأول: دهن طبيعي يقع تحت

الجلد. وحين نأكل كميات كبيرة من الدهون أو المشويات أو البروتينات، تتحول هذه المواد إلى دهون تختزن في جدار البطن والوركين.

وأما الثاني: فقد اكتشف حديثًا، ويسمى «الدهن البني» (Brown Fat). ويوجد هذا النوع من الدهون بين لوحي الكتفين وحول الكليتين، ويبدو أن هذا الدهن يقوم بحرق الكمية الفائضة من الطاقة.

وقد يكون الدهن البني عند البدينين **غير فعّال**، فلا يحرق ما زاد في جسمهم من طاقة، ومن هنا يختزن الدهن في مستودعاته تحت الجلد.

ويعتقد بعضهم أن هذا هو سبب السمنة عند البدينين. ويعتقد بعض الباحثين أيضا أن أحد الأسباب الرئيسة للسمنة هو زيادة عدد الخلايا الشحمية في الجسم.

وعادة ما يكون البدينون قليلي الحركة، مما يزيد الأمر سوءًا.

مشكلات السمنة

السمنة مرض ينبغي الوقاية منه. وقد أكدت الدراسات العلمية أن البدانة تترافق بزيادة معدّل الوفيات عند البدينين من الشباب، وليس من المسنين. ولكن الدراسات تؤكد أيضا أن زيادة في الوزن تصل حتى ٢٠٪ فوق الوزن المثالي، لا تترافق بأية زيادة في معدل الوفيات.

وفيما يلي عرض لأبرز الأمراض ذات العلاقة بالسمنة:

أكدت الدراسات الحديثة أن هناك علاقة وثيقة بين مرض شرايين القلب التاجية والسمنة. فالبدانة تزيد من مستوى السكر في الدم، وترفع ضغط الدم، وتزيد أيضا من مستوى دهون الدم. وكل هذه عوامل تهيئ للإصابة بمرض شرايين القلب التاجية.

وقد أشارت دراسة فرامنجهام الأمريكية إلى أن كل زيادة في وزن الجسم بمقدار ١٠٪ فوق الوزن المثالي تؤدي إلى زيادة تبلغ ٦,٢ ملم زئبقي في ضغط الدم، وزيادة تصل إلى ١٢ ملغ ٪ في كولسترول الدم، وارتفاعًا بمقدار ٢ ملغ ٪ في سكر الدم. وهناك أدلة تشير إلى أن السمنة التي تبدأ في سن مبكر (٢٠ ـ ٤٠ سنة)، تعطي تأثيرًا أشد على شرايين القلب من السمنة التي تبدأ بعد ذلك السن.

وهناك علاقة وثيقة بين السمنة **ومرض السكر**. ويقدِّر الباحثون أن السمنة تزيد من احتمال حدوث مرض السكر بمقدار عشرة أضعاف.

ويرتفع مستوى الإنسولين في الدم عند البدينين، ولكن خلايا الجسم لا تستجيب لفعله، فلا يدخل السكر إلى الخلايا كما ينبغي أن يكون. وهكذا تجد البنكرياس نفسها مضطرة لإنتاج المزيد من الإنسولين لتسيطر على سكر الدم. ويسبب ذلك العمل المتكرر ضعفًا وإرهاقًا لهذه الغدة العظيمة. وبعد مدة من الزمن ينقص إنتاج الإنسولين، ويظهر مرض السكر عند من لديه استعداد وراثي لهذا المرض.

وكثيرًا ما يترافق **ارتفاع ضغط الدم** بالسُّمنة. ومن المؤكد علميًّا أن تخفيف الوزن عند المصابين بارتفاع ضغط الدم، يساعد في السيطرة على ارتفاع ضغط الدم. كما يجب الإقلال من تناول الملح عند المصابين بارتفاع الضغط.

وبالنسبة للتنفس فكلما ازداد وزن الجسم زاد عبء الشحوم على الرئتين، وصعب على الرئتين التخلص من غاز ثاني أوكسيد الكربون.

وفي حالات السمنة الشديدة، يؤدي حبس هذا الغاز في الدم إلى النعاس والكسل. ويزداد كذلك عدد كريات الدم الحمر لتأمين كمية كافية من الأوكسجين إلى لأنسجة الجسم.

وارتفاع عدد كريات الدم الحمر قد يزيد من حدوث الخثرات (الجلطات) في الأوعية الدموية.

هل كل البدينين أناس شرهون للطعام؟!

وبالنسبة لأمراض المرارة يزداد حدوث أمراض المرارة عند النساء البدينات بشكل خاص. ويكثر حدوث حصيات المرارة عند هؤلاء خصوصًا فوق سن الأربعين.

أما **مرض النقرس** فينجم عن ارتفاع حمض البول في الدم. ونوبات النقرس أكثر حدوثًا عند البدينين.

مشكلات أخرى ذات علاقة

وأهم هذه المشكلات دوالي الساقين وفتق المعدة والإمساك وبطء شفاء الجروح بعد العمليات والتهاب المفاصل التنكسي الذي يحدث بشكل خاص عند البدينين.

الهدي النبوي في علاج السمنة

كلنا يعلم حديث رسول الله ﷺ المشهور: «ما ملأ آدمي وعاء شرٌّ من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»(١)

ولكن كثيرًا منا ـ للأسف ـ يغفل عن تطبيق هذا الحديث في حياته اليومية. وفي هذا الحديث أيضًا معجزة علمية فالرسول العظيم ﷺ حين يخصص الثلث الآخر للنفس، لم يشأ التعرض لحقائق علمية. والحقيقة أن الطعام بحاجة إلى هضم. والهضم لا يتم بدون مفرزات المعدة، فإذا امتلأت المعدة بالطعام والشراب تمامًا لم يبق هناك مكان لتلك المفرزات والعصارات الهاضمة. فتحتاج تلك العصارات إلى ذلك الثلث الأخير الذي ورد في الحديث. وهذا ما أثبتته الدراسات الطبية الحديثة.

فمن ملأ معدته بالطعام والشراب، ولم يَدَعْ فيها متنفسًا شعر بعد ذلك بالتخمة وعسر الهضم.

وهناك سرٌّ آخر في هذا الحديث، فقد ابتكر العلماء ـ أخيرًا ـ في الولايات المتحدة طريقة حديثة لإنقاص الوزن، وذلك بإدخال بالون إلى المعدة، ينضح بشكل يملأ ثلث المعدة. ويبقى ثلثا المعدة الآخران فارغين للطعام والشراب. ووجد الباحثون أن هذه الطريقة تساعد على إنقاص الوزن.

أليس هذا ما جاء في حديث رسول الله ﷺ قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام؟

وقال عليه الصلاة والسلام يذم أولئك الذين يبطرون بالطعام والشراب:

«أكثر الناس شبعًا في الدنيا أطولهم جوعًا في الآخرة» (٢)

وقال رسول ﷺ: «شرار أمتي

السمنة
عرض أم مرض؟!

الذين غُذُّوا بالنعيم، يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدَّقون في الكلام [٣]

من أقوال الحكماء

أجمع الأطباء على أن رأس الداء كله إدخال الطعام على الطعام. وقد قيل لأحد الحكماء : ما أفضل الدواء ؟ قال : أن ترفع يدك عن الطعام وأنت تشتهيه.

وقيل لأبي قراط : مالك تُقلُّ الأكل جدًّا ؟ قال : إني إنما آكل لأحيا، وغيري يحيا ليأكل.

وقال رجل من أهل الشام لرجل من أهل المدينة : عجبت من أن فقهاءكم أظرف من فقهائنا، ومجانينكم أظرف من مجانيننا !

قال : لا أدري. قال : من الجوع. ألا ترى أن العود إنما صفا صوته لـمَّا خلا جوفه ؟!

وقال بعض الحكماء : إذا كنتَ نهمًا فعدّ نفسك من الزَّمني، واعلم أن البشم داعية الشبع (التخمة)، والشبع داعية السقم، والسقم داعية الموت. ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة، لأنه قاتل نفسه، وقاتِل نفسِه ألأم من قاتل غيره [٤].

٦ نصائح علمية تُنْقِص وزنك إذا طُبِّقَت بالكامل

كيف تنقص وزنك ؟

يلخص الدكتور ديفيس في كتابه "Nutritional Medicine" طبعة ١٩٩١ م خطة إنقاص الوزن في الشكل التالي :

١ ـ كل أقل مما كنت تأكل :

فمن المهم جدا أن تقلل من كمية الطعام التي تأكلها، وخصوصا الأطعمة الدهنية، وتقلل من كمية السعرات الحرارية التي تتناولها يوميًّا.

٢ ـ تجنب الأطعمة الدسمة :

فالدهون تعطي من الحراريات ضعف ما تعطيه السكريات أو البروتينات، فتجنب اللحوم الدهنية، ومنتجات الألبان (الحليب) من قشدة وزبدة وجبنة، وخاصة السمن الحيواني (المرجرين).

وعليك تناول الحليب قليل الدسم أو الخالي من الدسم، واللبن الزبادي قليل الدسم، وهناك أنواع من الجبنة لا تحتوي على أكثر من١ ٪ من الدسم.

واستخدم سمن (مرجرين) غني بالدهون غير المشبعة كالمرجرين (السمن) المصنوع من زيت دوار الشمس (Sunflower)أو من زيت الذرة.

وإلى السيدات نقول : حاولي طهي الطعام بزيت الزيتون أو زيت الذرة أو زيت دوار الشمس.

٣ ـ تجنب السكر والنشويات المكررة :

فينبغي الابتعاد عن الحلويات والشيكولاتة والجاتو والمعجنات والبسكويت.



٤ ـ تناول أطعمة مغذية :

وأفضل هذه الأطعمة الخضروات والسلطات والفواكه، والبقول من فول وبازلاء وفاصوليا، والسمك والدجاج، والخبز الأسمر. ولكن لا تكثر من الخبز.

٥ ـ الاعتدال في الطعام :

فيجب تناول وجبات خفيفة، وتجنب الوجبات الثقيلة من الطعام.

٦ ـ التمارين الرياضية :

لا شك أن الحركة والتمارين الرياضية أو المشي بشكل عام تنقص الوزن، كما ترفع من معنويات الشخص. وينصح الخبراء الآن بالمشي أو السباحة أو الجري مرتين إلى ثلاث مرات في الأسبوع ولمدة ٢٠ ـ ٣٠ دقيقة في كل مرة. ويجب استشارة الطبيب قبل البدء بالتمارين الرياضية إذا كان الشخص مريضا.

ويقول الدكتور ديفيس : وبهذه الطريقة يمكن للمرء أن ينقص وزنه، فيفقد الإنسان في الأسبوع الأول أو الثاني ٢ ـ ٣ كيلوجرامات، ومع الاستمرار بهذه الطريقة في الحياة فإن نقص الوزن يكون بمعدل ١ ـ ٣ كيلو جرامات في الشهر.

وقد جمع الله تعالى علم الغذاء الذي كتبت عنه المؤلفات، ونشرت فيه المقالات، في ثلاث كلمات :

قال تعالى : ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ الأعراف ٣١، فهي القاعدة العامة للغذاء السليم.

الهوامش

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم (صحيح الجامع الصغير ٥٦٧٤).

(٢) رواه أبو نعيم (صحيح الجامع الصغير ١٢١٠).

(٣) رواه البيهقي (صحيح الجامع الصغير ٣٧٠٥).

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٨/ ١٨.

الإمامُ النوويّ

فَقِيهٌ وَرِعٌ.. وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الحَقِّ

وجيـه الخيمي

إلـى الجنوب الغربي من مدينة دمشق، وعلى بعد نحو مائة كيلومتر منها، يرتفع تل له شهرة في التاريخ، هو «تل الجابية»، وإلى الشرق منه قليلاً تقوم بلدة «نوى»، في أرض حوران.

أهدت هذه البلدة للمسلمين إمامًا في الفقه الإسلامي وفي الحديث الشريف، هو الإمام النووي الذي سمّاه بعضهم «الشافعي الصغير أو محيي المذهب الشافعي».

نشأته الأولى

محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى بن حسن بن حِزام النووي، ولد في العشر الأوسط من المحرم سنة ٦٣١هـ ١٢٣٣م.

يقول والده: لما بلغ يحيى السابعة من عمره، كان نائمًا ليلة السابع والعشرين من رمضان بجانبي، فانتبه نحو منتصف الليل وأيقظني وقال: يا أبت، **ما هذا الضوء الذي قد ملأ الدار؟** فاستيقظ أهله جميعًا **فلم نر شيئًا**. قال والده: **فعرفت أنها ليلة القدر.**

ويقول الشيخ **ياسين بن عبد الله المقري المراكشي،** إنه في شهر رمضان من سنة نيف وأربعين وستمائة مر **بنَوَى،** فرأى الشيخ محيي الدين وهو ابن عشر سنين، والصبيان يُكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي محبته. وكان أبوه قد جعله في دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن قراءة القرآن، فأتيت معلمه وأوصيته به قائلاً له: **إنه يرجى أن يكون هذا الطفل أعلم أهل زمانه وأزهدهم وينتفع الناس به.** فقال لي معلمه: **أمنجم أنت؟** قلت لا: **وإنما أنطقني الله بذلك.**

وذكر معلمه ما قلت له لوالده، فحرص عليه والده إلى أن ختم القرآن الكريم وقد ناهز الحلم، وظل الشيخ النووي يزور الشيخ ياسين في دمشق فيما بعد ويستشيره في أموره ويرجو بركته.

دراسته

يقول **الإمام النووي**: فلما كان عمري تسع عشرة سنة قدم بي والدي في سنة تسع وأربعين إلى دمشق، فسكنت في **المدرسة الرواحية** (استمر مقيمًا فيها حتى مات ولم ينتقل منها حتى حين ولايته على **المدرسة الأشرفية**، وهي لصق الجامع الأموي من ناحية **باب جيرون (باب الوَفرة** حسب التسمية المحلية).

قال: وبقيت فيها نحو سنتين، أتقوّت بجراية المدرسة لا غير (ويقال: إنه كان يتصدق بجزء منها على الآخرين)، وحفظت كتاب التنبيه في نحو أربعة أشهر ونصف، ثم حفظت ربع العبادات من كتاب **المهذب** في باقي السنة، وجعلت أشرح وأصحح على شيخنا **الكمال إسحاق المغربي**، ولازمته.. فأعجب بي لما رأى من ملازمتي للاشتغال، وعدم اختلاطي بالناس، وأحبني محبة شديدة وجعلني معيد الدرس بحلقته لأكثر الجماعة.

وكانت طريقة التدريس كما يلي: يراجع الطلاب البحث قبل موعد الدرس، وفي الموعد المقرر يشرح المعيد البحث، ثم يعيد الشيخ شرحه ثانية بالتفصيل والتعليق والإجابة عن أسئلة الطلاب، ويختم الدرس بالمناقشة، **ولا شك أن هذه الطريقة من أفضل طرائق التدريس.**

وفي سنة إحدى وخمسين حج مع والده، قال والده: ارتحلنا من أول رجب وأقمنا **بالمدينة المنورة** نحوًا من شهر ونصف، وكانت الوقفة يوم جمعة، وإنه من

الإمام النووي

فقيه ورع .. وسيف من سيوف الحق

يوم توجهنا من **نوى** أخذت الشيخ حمى فلم تفارقه إلى يوم عرفة، وهو صابر لا يتأوه، فلما تم الحج ورجع إلى دمشق **صب الله عليه العلم صبًّا**.

قال تلميذه علاء الدين بن العطار: ذكر الشيخ لي أنه كان يقرأ كل يوم **اثني عشر درسًا** على المشايخ، شرحًا وتصحيحًا، درسين في **كتاب الوسيط**، ودرسًا ثالثًا في **كتاب المهذب**، ودرسًا رابعاً في **الجمع بين الصحيحين**، ودرسًا خامسًا في **صحيح مسلم**، **ودرسًا سادسًا في كتاب اللمع لابن جني في النحو**، ودرسًا سابعًا في **إصـــلاح المنطق لابن السكيت في اللغة**، ودرسًا ثامنًا في **التصريف**، ودرسًا تاسعًا في **أصول الفقه**، تارة في كتاب اللمع **لأبي إسحاق**، وتارة في كتاب المنتخب **للفخر الرازي**، ودرسًا عاشرًا في **أسماء الرجال**، والدرس الحادي عشر في **أصول الدين**، وبعد ذلك يقول الشيخ: كنت أعلق

> ○ كان يحرق بعض مؤلفاته خشية أن يكون قد أخطأ فيها

جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل وإيضاح عبارة وضبط لغة، ولقد بارك الله لي في وقتي واشتغالي وأعانني عليه.

شيوخه

درس **الإمام النووي** على عدد كبير من كبار شيوخ عصره، ويمكن أن نذكر منهم:

(أ) أبو إبراهيم إسحاق بن عثمان المغربي المقدسي.

(ب) أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي الأندلسي الشافعي.

(ج) الإمام المحدث الكبير الضياء بن تمام الحنفي.

(د) شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر بن قدامة المقدسي.

وإلى جانب هؤلاء أعلام كثيرون كان لهم دور في ثقافة الإمام.

تدريسه

كان الاختصاص أو التخصص معروفًا في ذلك العصر، وكان كل شيخ يفحص طلابه ويجيز من يراه منهم أهلاً للتدريس أو العمل في الفرع الذي درسوه عليه، ومثال ذلك الإجازة التي نالها **الإمام النووي** من أستاذه الشيخ محمد بن رزين الشافعي ونصها كالآتي:

«الحمد لله كما هو أهله

عرض عليّ الفقيه أبو زكريا يحيى بن شرف النووي من أول كتاب التنبيه في الفقه، وقد امتحنت حفظه في مواضع منه، وأذنت له بتكراره، على جمعه وتحصيله، وفقني الله وإياه له وللعمل به.

وذلك لسبع مضين من شهر ربيع الأول سنة خمسين وستمائة.

كتبه محمد بن رزين الشافعي حامدًا مسلمًا مستغفرًا.»

ويستدل من تاريخ الإجازة أنه نالها قبل ذهابه إلى الحج، أي بعد دراسته بسنة واحدة، وهي خاصة بالمذهب الشافعي، ومعنى ذلك أنه نال إجازات عديدة في علوم عديدة، منها **علم اللغة، وعلم الرجال، وعلم الحديث**، وغير ذلك من علوم مرت معنا أسماؤها أثناء الحديث عن دراسته.

وفي شهر رمضان من عام خمسة وستين وستمائة للهجرة، توفي شيخ دار الحديث، الشيخ **شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي المعروف بأبي شامة**، وكان الشيخ النووي لا تزيد سنه عن أربع وثلاثين سنة، فهو صغير السن بالنسبة لمشايخه، ومع ذلك اتفق هؤلاء على توليته مشيخة دار الحديث ــ التي هي بمنزلة جامعة في ذلك العصر ــ، رغم تردده في قبول المنصب وتمنعه، لأنهم يعرفون أنه أصبح مرجعًا في عدة علوم، ولهذا كله أطلق عليه بعض العلماء: **محيي المذهب الشافعي ومنقحه**.

وتطورت دار الحديث في عهده، وكانت معاملته لطلابه تتصف بالرفق والشفقة مع رقابة وتأديب، وكان يجمع راتبه عند ناظر دار الحديث، وفي آخر السنة يشتري بما تجمّع لديه ملكًا أو كتبًا يوقفها على المدرسة.

مصنفاته

صنَّف الإمام النووي أكثر من خمسين مؤلفًا، ولكننا ـ مع الأسف ـ نجد أن المطبوع منها لا يتجاوز العشرين، كان لايضيِّع وقتًا، حتى في ذهابه وإيابه كان يشتغل في تكرار محفوظه أو في مطالعة كتاب مفيد، وقد بقي على هذا الوجه من التحصيل نحو ست سنين، ثم بدأ التصنيف، وخلف لنا مصنفات تعد ذخرًا ومفخرة سوى ما أحرقه من مصنفات وكراريس كان يخشى أن يكون قد أخطأ في بعض نواحيها، وهذه بعض مصنفاته:

- **كتاب الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار.**
- **الأربعون حديثًا النووية.**
- **البيان في آداب حملة القرآن.**
- **تهذيب الأسماء واللغات.**
- **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين.**
- **خلاصة الأحكام من مهمات السنن وقواعد الإسلام.**
- **شرح المهذب للإمام الكبير الشيرازي.**

يقول السخاوي: أمرني الشيخ مرة ببيع نحو من ألف كراس بخطه،

وأمرني بالوقوف على غسلها في الوراقة، فلم أخالف أمره وفي قلبي منها حسرات.

وعن تلميذه **علاء الدين بن العطار** أنه وجد بخط شيخه مايلي:

أموت ويبقى كل ما قد كتبته — فيا ليت من يقرأ كتابي دعا ليا
لعل إلهي أن يمن بلطفه — ويرحم تقصيري وسوء فعاليا

حياته الخاصة

قال **الذهبي**: كان الشيخ عديم الميرة والرفاهية والتنعم مع التقوى والقناعة والورع والمراقبة لله تعالى في السر والعلانية، ترك رعونات النفس من ثياب حسنة ومأكل طيب وتجمل في هيئته. وقال ابن دقماق: **كان الشيخ يأكل من خبز يبعثه إليه أبوه من نوى لجمعة، ويأكل معه الدبس أو الخل أو الزيت، ومرة واحدة في الشهر يذوق اللحم عندما يذهب إلى نوى، ولم يكن يقبل من أحد شيئًا حتى يتحقق من دينه، وأنه لا غرض له معه.**

وقال تلميذه علاء الدين بن العطار: كان الشيخ لا يأكل من فاكهة دمشق، فسألته عن ذلك فقال: إن الغوطة كثيرة الأوقاف، وكثيرة الأملاك لمن هم تحت الحجر شرعًا، ولا يجوز التصرف في ذلك إلا على وجه الغبطة والمصلحة والمعاملة على وجه المساقاة ــ وفيها اختلاف بين العلماء ــ ومن جوَّزها قال بشرط المصلحة والغبطة لليتيم والمحجور عليه، والناس لا يفعلونها إلا على جزء من ألف جزء من الثمرة للمالك، فكيف تطيب نفسي بأكلها.

وكان الإمام النووي بعيدًا عن الحكام، لا يتقرب إليهم ولا يتصل بهم إلا عند الضرورة، حيث يوجه إليهم نصحه تأكيدًا لأمر الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن القضايا التي وقف فيها في وجه **الملك الظاهر بيبرس**:

(أ) قضية الحوطة على أراضي غوطة دمشق: أمر **الظاهر بيبرس** بحجر أراضي الغوطة بحجة أنها أملاك للدولة، وطلب من كل فلاح واضع يده على أرض إثبات ملكيته بوثيقة رسمية، ولما كانت الوثائق نادرة في ذلك الوقت فقد عجز الفلاحون عن تقديم الوثائق التي تثبت ملكيتهم. لجأ الفلاحون إلى الإمام النووي، فكتب إلى الملك الظاهر رسالة يبين له فيها واجب العلماء في إسداء النصيحة، فغضب الملك الظاهر وأمر بقطع راتبه وعزله، فقيل له: إن الشيخ لا يتناول راتبًا. عندئذ ذهب الشيخ بنفسه لمقابلة السلطان الذي زاد غضبه وأراد البطش به، ولكنه أذعن للحق فيما بعد وأبطل الحوطة.

(ب) أصابت بلاد الشام سنوات عجاف، وأجدبت الأرض وهلكت الحيوانات، وهُجرت القرى، فاستغاث الناس وطلبوا النصح من العلماء وفي مقدمتهم الإمام النووي، الذي دعا العلماء إلى اجتماع بحثوا فيه وتذاكروا ثم قرروا الكتابة إلى السلطان بإزالة المنكرات والمعاصي المعلنة، **ولكن مَن يجرؤ على الكتابة إلى السلطان من العلماء؟ لا أحد سوى الإمام النووي.**

كتب إليه رسالة تاريخها: الأحد الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ٦٦٨هـ يبين له كما في الرسائل السابقة أن نصيحة السلطان واجبة على العلماء، وأنه بلسان علماء الشام يطلب منه العمل على إزالة المنكرات، وإغلاق الحانات، وما إلى ذلك من أعمال تخالف الدين، لعل الله يغيث الأمة.

لقد تجاوب السلطان هذه المرة إذ عرف أن الإمام النووي مخلص في نصحه لا يبغي جاهًا ولا راتبًا، وعرف أن أحد المنافقين كان يوغر صدر السلطان على الإمام النووي فأبعده عن مجلسه.

أمر السلطان مناديًا بالصوم ثلاثة أيام بدءًا من الثاني عشر من الشهر نفسه أي اليوم التالي، وخرج السلطان بنفسه يوم الخميس إلى باب المصلى في حي الميدان بدمشق، وطلب من الإمام النووي أن يصلي بالناس إمامًا فصلى بهم ثم قام فخطب ووعظ فأبكى الناس.

وما مرت سبعة أيام حتى أغيثت البلاد، وتهاطلت الأمطار وكان موسمًا لم تره الشام منذ أكثر من ربع قرن. وقويت العلاقات بين السلطان والإمام وانقلبت الكراهية محبة واحترامًا.

وفاة الإمام النووي

في سنة ست وسبعين وستمائة، سافر الإمام النووي إلى القدس الشريف وعاد بعد ذلك إلى نوى، حيث مرض في شهر رجب من ذلك العام، **وتوفاه الله في ليلة الرابع والعشرين من الشهر المذكور سنة ست وسبعين وستمائة للهجرة**

> **○ في وقت قصير نال إجازات في علم الرجال وعلم اللغة وعلم الحديث**

(١٢٧٧م). فيكون بقاؤه في هذه الدنيا خمسًا وأربعين سنة، ولما بلغ نعيه دمشق تأسف عليه الجميع وتوجه **قاضي القضاة عز الدين محمد بن الصائغ** وجماعة من العلماء إلى نوى للصلاة عليه، ويقال: إن أقارب الشيخ أرادوا أن يجعلوا فوق قبره قبة، فرأت الشيخ في المنام عمَّة له يقول لها: لا تفعلوا، وذكرت ما رأت لأقاربه فامتنعوا من ذلك.

وفي أواخر القرن العاشر الهجري بنى الأمير **قنصوه الساعدي** قبة على القبر فوقعت ولا يزال قبره في مقبرة نوى، قبرًا عاديًا لا يميزه من القبور الأخرى شيء، كما أمر رسول الله ﷺ.

المصادر

(١) ترجمة الإمام النووي للسخاوي.
(٢) الأعلام لخير الدين الزركلي.
(٣) الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي.
(٤) الكتب الخاصة بالإمام في المكتبة الظاهرية بدمشق وغيرها.
(٥) الطبقات للسبكي.
(٦) الخلاصة للخزرجي.
(٧) الإمام النووي ـ الأستاذ علي الطنطاوي.



الجزيرة
الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن« مؤسسة الجزيرة «للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب:٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف« ٤٠٢٥٥٥٥ «..تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

حقوق الطفل

آفاق اجتماعية

د. تماضر حسون

إذا كـان العالم منـذ عام ۱۹۹۰م، وعلى وجـه التحديـد في شهر سبتمبـر من ذاك العام، أخـذ يقيم المؤتمـرات، ويجري البحـوث والدراسات لسن القـوانين والتشريعـات، التي تبين حقوق الطفل والطفولـة كي تحميهـا، فإننا لا نستطيع في المجتمع العـربي حين نصدق على تلك المعـاهدات والقـوانين والتشريعـات، إلا أن نؤكد على قيم إسـلامية أصيلة، وأفكار تـربوية مهمـة نادى بها التشـريع الإسلامي في مجال تربية الطفل وتنشئتـه. واهتمام الإسلام بالطفولة ظـاهر وواضح عبرت عنه آيات كريمـة وأحاديث نبوية شريفة.

والتشريع الإسلامي لم ينتظر ولادة الطفل كي يقدم الحماية لـه، بل بدأ في هذه الحماية منذ اللحظة التي يتخذ فيها الرجل والمرأة قرارهما بالارتباط في رابطة الزوجية، فقد وضع قيودًا على عقد الزواج، وقدم الحماية لـلأم في أثناء فتـرة حملهـا، وحمى الجنين إلى حين ولادتـه، واستمر في حمـايتـه ورعايتـه إلى أن يبلغ مبلغ الرشد.

فلقد وضع التشريع الإسـلامي قيودًا على عقد الزواج في معافـاة المقبلين على الزواج وصحتهم، وإشهار عقد الزواج بـوجوب شهادة شاهـدين؛ وذلك لحفظ نسب الطفل وصحته. كذلك الأمر فيمـا يتعلق بالعدة، حيث يلـزم الشـرع الإسلامي المـرأة التي تفتـرق عن زوجهـا لأي سبب من الأسبـاب بـالتربص مـدة معينـة؛ ليحصل الاطمئنان الكامل فيما إذا كانت حاملاً أم لا، كما حمى الإسـلام المرأة الحامل، وحرّم طلاقها إكراما للجنين الذي تحمله.

هذا، وقد اهتم الإسلام بحياة الطفل وحرم قتل الأولاد والأجنّـة خشية الفقر، وحمى البنات من الوأد خشية العار، وقد نهى عن ذلك صراحة، فقال تعالى في محكم كتابه ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خَشْيَةَ إملاق نحن نرزقهم وإياكم ﴾ الإسـراء ٣١، وعن وأد الـبنات قـال تعـالى ﴿ وإذا المـوءودة سئلت. بـأي ذنب قتلت ﴾ التكـوير ٨، ٩.

وحفظ الإسلام للطفل أيضًا حقـه في الميراث والوصية، وحقه المادي هذا يثبت لـه حتى قبل ولادته ومنذ ساعة تكوينه جنينًا.

وأول ما يتمتع به الطفل من حقوق منذ ولادته حقه في النفقة على والديه، وحقه في حُسن تقبل والديه له. ومن علامـات هذا الحب اختيار الأسمـاء الجميلة لـلأبناء والابتعاد عن الأسمـاء المنفرة، ونرى الـرسول ﷺ يسمي أحفاده بالحسن والحسين، في ذلك قـال عليه الصلاة والسلام «حسّنوا أسمـاءكم». كما حث الإسلام على تقبيل الطفل ومداعبته وحسن معاملته والتحبب إليه، بل أمر الآباء بملاعبة أطفالهم.

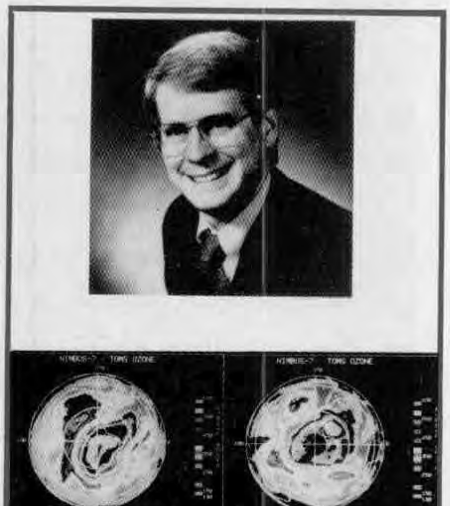
ورسم كبار العلماء والفقهاء الطرق التي ترشد الآباء إلى كيفية تربية صغارهم ومعاملتهم في هذه المرحلة من العمر حيث تتشكل فيهـا شخصية الطفل. فالقيرواني يـدعو إلى تعويد الطفل على عـادات الهدوء وعدم الإكثار من البكـاء، وأن ينضم له حتى ينـام ويعتاد الأصـوات اللذيـذة لأنها مريحـة للنفس، وينهى ابن قيم الجوزية عن تخـويف الأطفال بالقصص المرعبة والمناظـر البشعة والأصوات المزعجة والحركـات المفزعة، لأن ذلك ربما أدى إلى فساد قوتـه العاقلة وضعفها فلا ينتفع بها بعد كبره بشيء. كما ركـز ابن سينا في كتابه «القانـون» على تربية الطفل والعنـاية به جسميًّـا وحركيًّا وغـذائيًّا حتى ينمو في صحـة وسلامة. كـذلك أكد علماء المسلمين على أهميـة دور الأسرة في تربية الطفل في سنـوات عمره المبكرة، واتفقوا جميعًـا على أثر العـلاقات الطيبـة بين أفـراد الأسـرة على حسن تنشئـة الطفل، ولم يهمل هـؤلاء العلماء التأكيـد على أهميـة وضرورة توفير الحاجات المادية والنفسية والـروحية للأطفال، وتهيئة المناخ الصالح لهم لكي يتعلموا ويلعبوا ويلهوا مع من هم في مثل سنهم. ونهى الإسلام بحزم عن تشغيل صغـار السن، وحَمَّل مسؤولية إعالتهم على آبائهم أو القيّمين عليهم أو على السلطات الحاكمة إن لم يكن لهم أهل أوصياء.

نستخلص من هـذا كلـه أن التشـريع في الإسلام قـد وضع مبـادئ تكفل حق الأطفـال في التمتع بحيـاة الطفولة، كما اهتم بتنشئة هؤلاء الأطفال وتربيتهم في حدود إمكاناتهم.

الطريق نحو التقدم يبدأ من هنا!

محمد سلامة

لم يقف الاهتمام بالأبحاث والدراسات والتقنية في أوروبا عند الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث والهيئات والجمعيات المتخصصة، بل وصل ـ أيضا ـ إلى الشركات والمؤسسات والمراكز الخاصة، التي ترصد جوائز مالية سنوية كبيرة للعلماء والباحثين من أجل تشجيعهم على مزيد من البحوث والدراسات والاختراعات والابتكارات، وتمدهم بكل أسباب التشجيع، لأنها ببساطة ترى في العلماء والباحثين المستقبل والتطور والربح، والسيطرة التقنية التي تؤدي إلى السيطرة الاقتصادية وغيرها من أنواع السيطرة الأخرى.



ج. لانجفورد الفائز بجائزة طبقة الأوزون والصورتان الفضائيتان اللتان استعان بهما لإنجاز أبحاثه


د. هولكمب نال جائزة الآثار لاكتشافه الجزء الغربي من سور الصين العظيم

والغريب أن الدول العربية والإسلامية تعي ذلك جيدا، ومع ذلك فإن كثيرا منها تضع البحوث والدراسات التطبيقية التي يتوصل إليها العلماء، في ذيل قائمة اهتماماتها، ونظرة سريعة إلى ميزانيات مراكز البحوث والدراسات تؤكد ذلك، فميزانياتها لا تتعدى ٢٪.

والأهم أن اختراعات علمائنا وابتكاراتهم لا تجد آذانا صاغية في بلادهم، علاوة على ضآلة ما يتقاضونه من مرتبات، وعدم تطوير تلك المراكز بالأجهزة والآلات الحديثة، مما يؤدي إلى إحباطهم وهجرتهم إلى أماكن أخرى تعي قيمة العلم والاختراع والابتكار.

وآخر تلك المراكز والمؤسسات الخاصة التي رصدت جوائز مالية كبيرة للعلماء والباحثين، المركز التقني لصناعة الساعات بجنيف بسويسرا، حيث يوجد المركز الرئيس. وعلى امتداد خريطة العالم تنتشر فروعه في بروكسل، ولندن، ومدريد، وباريس، وميلانو، وكولونيا بألمانيا، وبومباي بالهند، وبوينس أيرس بالأرجنتين، وكاراكاس بفنزويلا، وهونج كونج، وجوهانسبرج بجنوب أفريقيا، ومانيلا بالفلبين، وملبورن بأستراليا، ومكسيكو سيتي بالمكسيك، وسو باولو بالبرازيل، وسنغافورة، وطوكيو، وتورنتو بكندا، وغيرها من الفروع في أنحاء العالم باستثناء العالم العربي والإسلامي.

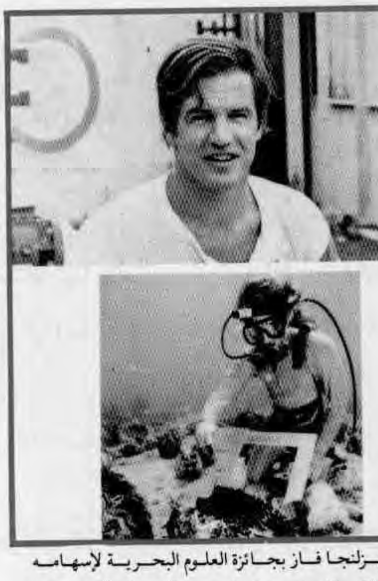
وقد فاز في عام واحد فقط خمسة وثلاثون عالما وعالمة من أنحاء العالم بجوائز المركز، بعد ترشيحهم من قبل لجنة علمية تحكيمية دون أي اعتبار للجنسية، أو اللون، أو الدين. ولم يكن من بينهم عالم عربي واحد.

أهم الأبحاث والجوائز

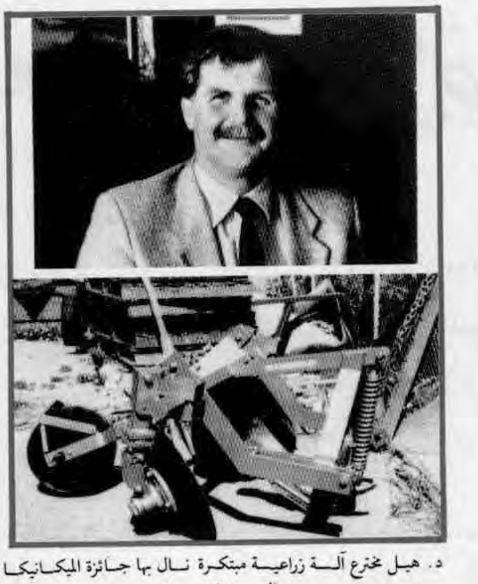
ومن أهم الأبحاث التي فازت بجائزة المركز ما يلي:

جائزة طبقة الأوزون:

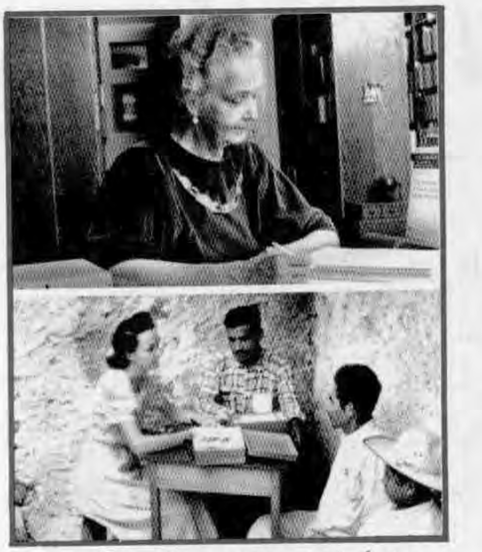
فاز بها العالم (**ج. س. لانجفورد**) الذي استطاع رصد حجم ثقب الأوزون في القطب الجنوبي من الكرة الأرضية، وتغيراته عن طريق صور التقطتها المركبة الفضائية الأمريكية في عام ١٩٨٦م، فقد التقط صورتين الأولى في يوم ٢ سبتمبر والثانية في ١٠ أكتوبر، وأظهرت تحليلات الصور أن ثقب الأوزون يتسع في فصل الصيف



ج . هيزلنجا فاز بجائزة العلوم البحرية لإسهامه في منع انقراض نوع نادر من القواقع البحرية



د . هيل مخترع آلة زراعية مبتكرة نال بها جائزة الميكانيكا الزراعية



م . كي فازت بجائزة العلوم الأنثربولوجية لإعدادها قاموس لغة شعب «الأستيك» ولهجته

٣٥٥ عالمًا - ليس بينهم عربي - يفوزون في عام واحد بجوائز مركز تقني خاص

○ ميزانيات البحث العلمي في الدول العربية والإسلامية لا تتجاوز ٢٪

أكثر منه في فصل الشتاء، وأنه يتخذ شكلا بيضاويا، كما أظهرت الفروق بين الصورتين تحول الثقب من اللون الرمادي إلى اللون البنفسجي واتسع حجم الثقب إلى أقصى مدى له .

جائزة الآثار :

فاز بها عالم الآثار (د. و. هولكمب) عن اكتشافاته للجزء الغربي من سور الصين العظيم، الذي يخترق الصحراء، وقد أثبتت الحفريات أن هذا الجزء قد بني في عهد الإمبراطور (ليهان) في القرن الأول قبل الميلاد .

واستطاع العالم تحديد ثلاثين ميلاً من السور (٤٨ كيلو مترًا)، ومن أهم الاكتشافات أن هذا الجزء من السور كان به أبراج وقلاع للحراسة، لصد هجوم الأعداء وغاراتهم على هذا الموقع . وقد استعان هولكمب بصور الأقمار الصناعية، وقام بتحليلها وتكبيرها للكشف عن مدى عمق السور، وعما إذا كانت هناك آثار تحته مدفونة في رمال صحراء تكلمكان بالصين .

جائزة العلوم البحرية :

فاز بها عالم البحار (ج . ر . هيزلنجا) لجهوده في منع انقراض نوع نادر من القواقع البحرية العملاقة، وتحسين سلالتها .

وكان هذا النوع من القواقع معرضًا لخطر الفناء والانقراض بسبب طول مدة نموه وتكاثره والتي تستغرق خمس سنوات كاملة، فقام هيزلنجا بإعداد بيئة مناسبة لحياة القواقع، وأنشأ بنكا لجيناتها، وقام بتطعيم وتهجين أنواعها من أجل تكاثرها والحفاظ على نوعها .

جائزة الميكانيكا الزراعية :

فاز بها الأسترالي (دين ستيفن هيل) لنجاحه في اختراع آلة زراعية تساعد على تحسين نوع التربة، وخصوبة الأرض المجدبة، وإعادة زراعتها بكفاءة .

جائزة العلوم الأنثربولوجية :

فازت بها العالمة الأنثربولوجية (ماري كي) لنجاحها في إعداد قاموس للغة شعب «الأستيك» ولهجته، وهو أحد شعوب الهنود الحمر في منطقة بويبلا بالمكسيك .

وقد عاشت العالمة سنوات طويلة بين أفراد



لي كيساون نال جائزة علوم الحيوانات لجهوده في إنقاذ نوع نادر من الدب العملاق من الانقراض

الشعب الأستيكي حتى استطاعت فك رموز اللغة الشفهية التي يتحدثون بها، والتي توارثوها عبر قرون طويلة .

ويعتبر شعب الأستيك من أقدم شعوب المنطقة، لذا قامت العالمة ماري كي بتدوين لغتهم، وتصنيفها، وبرمجتها، وتطويعها في قاموس للحفاظ عليها .

جائزة علوم الحيوانات :

فاز بها (لي كيساون) لجهوده في إنقاذ نوع نادر من الدب العملاق من الانقراض وهو من نوع «إيلوروبودا ميلانوروكا» .

فقد أنشأ كيساون غابة صناعية في مدينة «ولونج» مزودة بأشجار البامبو التي يعيش عليها الدب العملاق، مما مكنه من تكاثر النوع والحفاظ عليه .

قضية المبنى والمعنى بين الزجّاج وابن جنّي

محمد السيد علي بلاسي

لقد امتازت اللغة العربية عن غيرها من اللّغات البشرية بالغاية الفائقة في الدقة؛ إذ إن الألفاظ فيها أدلّة للمعاني، فإذا زيد فيها شيء أوجب ذلك زيادة المعنيّ به؛ حيث إن زيادة المبنى - في العربية - تدل على زيادة المعنى كما إنه إذا انحرف بعض الصيغ فيها عن وضعه؛ دلّ ذلك على حادث متجدد حدث غير الأول؛ دلالة على أنّ قوة اللفظ لقوة المعنى[1].

ويُرَى كلّ هذا بوضوح في صور كثيرة في اللغة العربية، جمع بعضها علامة اللغة الكبير «ابن جنّي» في كتابه «الخصائص» ويمكن عرض بعضها فيما يلي[2]:

١ - تكرار عين الفعل مع الفصل بينهما كقولهم: أعشب المكان، فإذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا: اعشوشب؛ فدلّ هذا على أن تكثير اللفظ لتكثير المعنى؛ إذ إن اعشوشب أقوى من أعشب.

٢ - تكرار عين الفعل مع عدم الفصل، نحو: قطع، فإذا أرادوا كثرة التقطيع قالوا: قطّع؛ فقوة اللفظ دلالة على قوة المعنى.

٣ - زيادة تاء الافتعال مع المجرّد، نحو: قدر واقتدر، فاقتدر أقوى معنى من قولهم: قدر؛ ولذا جيء باسم الفاعل من اقتدر لا من قدر في قول الله سبحانه ﴿أخذ عزيز مقتدر﴾ القمر ٤٢.

حيث إن (مقتدر) هنا أوفق من قادر؛ من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدّة الأخذ.

وعدّ ابن جنّي كسب واكتسب في قول الله تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ البقرة ٢٨٦ من هذا القبيل، إذ يقول:

«وتأويل ذلك أنّ كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر، وذلك لقوله - عزّ اسمه -: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يُجزىٰ إلاّ مثلها﴾ (الأنعام: ١٦٠).

أفلا ترى أن الحسنة تصغر بإضافتها إلى جزائها، صغر الواحد إلى العشرة، ولمّا كان جزاء السيئة إنما هو مثلها؛ لم تحتقر إلى الجزاء عنها، فعلم بذلك قوّة فعل السيئة على فعل الحسنة، ولذلك قال - تبارك وتعالى -: ﴿تكادُ السمواتُ يَتَفَطَّرن منه وَتنشقُّ الأرضُ وتَخِرّ الجبالُ هدًّا، أنْ دعوا للرحمن وَلَدا﴾ مريم ٩٠، ٩١. فإذا كان فعل السيئة ذاهبًا بصاحبه إلى هذه الغاية البعيدة المترامية؛ عُظِّم قدرها، وفُخِّم لفظ العبارة عنها، فقيل: لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت؛ فزيد في لفظ فعل السيئة، وانتقص من لفظ فعل الحسنة؛ لما ذكرنا»[3].

٤ - العدول عن «فعيل» إلى «فُعَال» كطويل وطُوال، إلاّ أنّ طُوال أبلغ معنى ومبالغة من طويل. فالعدول عن معتاد الصيغة نحوٌ من تكثير اللفظ لتكثير المعنى.

٥ - العدول عن «فعيل» إلى «فُعّال» مثل: رجل جميل، ووضيئ، فإذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا: وُضّاء، وجُمّال، فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه.

سبق الزجّاج لابن جنّي في هذه النظرية:

والناظر إلى ما سبق من الصور السابقة من باب «قوّة اللفظ لقوة المعنى» في كتاب «الخصائص لابن جنّي» (ت ٣٩٢ هـ) وقارن ذلك بما ورد في مؤلفات الزجّاج (ت ٣١١ هـ) من صور «زيادة المبنى لزيادة المعنى»؛ لوجد هناك تأثرًا كبيرًا إن لم تكن مماثلة في بعض المواطن!

وإن دلّ هذا؛ فإنما يدل على نضج نظرية «قوة اللفظ لقوة المعنى» في فكر الزجاج واستوائها في مؤلفاته؛ ونظرًا لأن ابن جنّي جاء بعد الزجّاج - من حيث الترتيب الزمني - فلا يُستبعد أن يكون اللاّحق قد أخذ النظرية من السابق.

وحتى لا يكون هناك ضرب من التجني على ابن جنّي، ولا موالاة للزجّاج يمكن مقارنة بعض ما ورد بين ثنايا كتب الزجّاج وما ورد في كتاب «الخصائص» لابن جنّي: -

١ - تكرار عين الفعل مع الفصل بينهما.

يقول الزجّاج عند تفسير قول الله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّهم يَثْنُونَ صُدُورَهُم ليستَخفُوا منه﴾ هود ٥.

« . . . ومعنى (يثنون صدورهم ليستخفوا)، أي يُسرّون عداوة النبيّ ﷺ.

وقيل: إن طائفة من المشركين قالت: إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا، واستغشينا ثيابنا، وثنينا صدورنا على عداوة محمد ﷺ كيف يعلم بنا، فأعلم - جلّ وعزّ - بما كتموه فقال جلّ ثناؤه: ﴿أَلاَ حينَ يستغْشُونَ ثيابَهُم يَعلمُ ما يُسِرُّون وما يُعْلِنُون﴾ هود ٥.

وقرئت « ألا إنهم يَثْنَوْنِي صدورهم». قرأها الأعمش ورويت عن ابن عباس «تَثْنَوْني» صدورهم، على مثال تَفْعَوْعِلُ ومعناها المبالغة في الشيء،

الهوامش

(١) الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جنّي تحقيق محمد علي النجار، ٣/ ٢٦٨ - بتصرف -، الطبعة الثالثة - عالم الكتب بيروت سنة ١٤٠٣ هـ.

(٢) راجع هذه الصور بالتفصيل في: الخصائص: ٣/ ٢٦٤ - ٢٦٩ (باب في قوّة اللفظ لقوة المعنى).

(٣) الخصائص: ٣/ ٢٦٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٣٨، ٣٩.

(٥) انظر على سبيل المثال: معاني القرآن وإعرابه: ١/ ٨٧، ١/ ١٠٢.

ومثل ذلك قد احْلَوْلَى الشّيءُ إذا بلغ الغاية في الحلاوة» (٤)

٢ ـ تكرار عين الفعل مع عدم الفصل (٥)

يقول الـزجّاج عند توجيهـه لقول الله تعالى ﴿ وانظـرْ إلى إلهكَ الذي ظَلْتَ عليه عاكفًا لَنُحَرِّقَنّه ﴾ طه ٩٧ .

« وقـوله (لَنُحَرِّقَنّــه) . ويقرأ (لَنُحْرِقَنَّــهُ) أي لَنَحْـرِقَنّه بـالنار، فإذا شَـدَّدَ فالمعنى نـحرّقه مـرّة بعد مرّة . وقرئت (لَنَحْرُقَنَّـهُ، وتأويلـه لَنَبْرُدَنّـهُ بالـمِبْرَد، يقال : حَرَقْتُ أَحْرُق وأحْرِقَ إذا بردت الشيء ولــم يقرأ (لنحرِقَنَّهُ)، ولو قرِئَت كانت جائزة» (٦)

٣ ـ زيادة تاء الافتعال مع المجرد.

يقـول الـزجّـاج عنـد تفسيره لأسماء الله الحسنى : «المقتـدر : مبـالغـة في الوصف بـالقدرة . والأصل في العـربية : أنَّ زيـادة اللفظ، زيادة المعنى . فلمّا قلت اقْتَدَرَ أفاد زيادةُ اللفظ زيادةَ المعنى» (٧)

٤ ـ العدول عن معتاد الصيغة نحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى .

يقول الزجّاج وهو بصدد تفسير أسماء الله الحسنى :

«فأمّا الرحمن الرحيم، فهما اسمان رقيقان وأحدهما أرقُّ من الآخر.

الرحمن : يختص بالله ـ سبحانه وتعالى ـ ولا يجوز إطلاقه في غيره .

وقـال بعض أهل التفسير : الـرحمن، الــذي رَحِــمَ كافَّــة خلقـه، بأن خلقهم وأوسع عليهم في رزقهم .

والـرحيم : خاصٌّ في رحمتـه لعبـاده المؤمنين، بأن هداهم إلى الإيمان وهـو يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع .

وقد قالوا : رَحْـمَان اليمامـة . وإنما قيل له ذلك : على جهة الاستهزاء به، والتهكم . فأمّا الفائدة في إعادة هاتين اللفظتين مع الاشتقاق، واللفظ واحد؛ فهي لـما ذكرنـاه من تزايد معنى «فَعْلان» في «رَحْمَان» وعمـومه في الخلق كلهم، ألا ترى أنّ بناء «فَعْلان» إنما هو لمبالغة الوصف .

يقـال : فلان غضبـان، وإناء مـلآن، وإنما هـو للمتلئ، غضبًا، ومـاءً؛ فلهذا حَسُنَ الجمعُ بينهما» (٨).

وممّا سبق يتضّح ـ بالمقارنة بين ما ذكره «ابن جنّي» في خصائصه وما ساقـه «الزجّـاج» في كتبـه ـ أن نظريـة «زيادة المبنى لـزيادة المعنى» قـد اكتمل بنيانها ووضحت معالمها على يد «الزجّاج» يرحمه الله .

أما ابـن جنّي فقد جمع شتـاتها من كتب السابقين عليـه كالـزجّاج وغيره ـ وإن لم يشر إلى ذلك ـ إلى جـانب أنه أفرد لها بابـا في «الخصائص» تحت مسمّى «باب في قوة اللفظ لقوة المعنى» وأضاف إليها المزيـد مع التوجيه السّديد الذي قد لا يخلو من جديد والذي امتاز به عـلاّمة اللغة «ابن جنّي» ـ يرحمه الله ـ وعُدّ خصّيصة من خصائصه .

---

(٦) معاني القرآن وإعرابه : ٣/ ٣٧٥ .

(٧) تفسير أسماء الله الحسنى : إملاء أبي إسحق الزجّاج، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، ص ٥٩، الطبعة الخامسة ـ دار المأمون للتراث بدمشق سنة ١٤٠٦ هـ.

(٨) تفسير أسماء الله الحسنى : ص ٢٨، ٢٩ .

ستارة

قصة قصيرة

بقلم: سلامة الشطناوي

مازلت يا سميح على هذه العادة!

ما الذي سيجعلك ترميها خلف ظهرك وتفيق ؟

مـا تـزال تفكـر في آخـر الليل بالمستقبـل وتنهض في ساعة متـأخرة من النهار ناسيًا أو متنـاسيا ما قررت في الليل، قابعًا في زاوية غرفة ضيقة، تتنفس فيها من شباك يطلّ على بيت مهجور تعشش فيه الغربان .

● **الواحدة بعد منتصف الليل :**

تغلق المذيـاع فتبدأ مشـوارك مع الحلم . تفكر في المستقبل وتتكلم مع نفسك كـلامًا يـذهب هباء في عـالم يركب أشعة الليزر، ويحصرك في غرفة مهشمة كل ما فيهـا جدران مصفحة بالبرد وخذلان الشارع .

● **الثانية :**

تشعـر بشيء من السأم فتخـرج للـرصيف، حيث لا أحـد، وتزهـو كـالطفـل بصـديقك الظـافـر حين يضحك كأنك تعيـد للعـالم نقـاءه وتشكلـه تشكيلاً جـديـدًا . يسألك العسس عما تفعل في ساعات الليل المتأخـرة ثم يركلـونك على مؤخـرتك لتغضب على هـذا الصديق الـذي لم يتحرك أو ينبس ببنت شفة لأجلك .

● **الثالثة :**

غرفة القرية البعيدة المعتمة قابعة في شرايينـك تحكم عليك الصمـت والعـزلة الآن والجلـوس أمـام هذيـر خيال ينسج كل حالة بعدما تطل من الضبـاب حـالـة أخـرى، وتتقمص عزلتك في القرية البعيدة وكأنك تحن إلى عـالم الحنق والظلـم والجلـوس في عتمـة الليل لتهـرب من سيـاط زوج أمك .

● **الثالثة والنصف :** تعيد مخيلتك للـوراء، وتتـذكـر قسـوة وظلم زوج أمك، يتهيالك صوت فيروز، يسري في جـروح الذاكـرة «**يــــا جبل اللّي بعيـد، ، خلفك حبـايبنا . . بتمـوج مثل العيـــد . . وهمّك متعّبنـــا . .** » فتدمع عيناك .

● **الرابعة :** تحلم بعـالم خـاص بك، أن تتخلص مـن الســوط ومن حسرة أمك، من ضربك عنـد تناول وجبة الطعام . النافذة الوحيدة تشير لك بطرد الغربـان، بعمل يزيح عن وجهك ستـارة الغرفـة الباليـة، تقول إنك لـن تتخبط كـــوطـــواط، ولن تتراقص في العتمة، ولن تقيم شرفات تطل على خرابات أجدادك وحكايات الغيلان . . ولن . . . ولن . .

● **الرابعة والنصف :** تفكـر : كيف ستـدفع إيجار هـذه الغـرفـة القــذرة؟ سيطل عليك أبـو نظمي ويقــول لك : **أسكنـاك في قـريتنـا وضَمَمْناكَ كابن لنا على الرغم من أننا لا نعــــرف عن أصلـك وفصلك .**

سيتكلم كثيرًا وتقف كما كنت تقف أمام زوج أمك .

● **الخامسة :** تتذكر مـا قال لك زوج أمك : **لن يصير فيك خير يـا سميح . أنـا وإياك والـزمن !** وتبقى دجاجة مكسورة الأرجل لا تبيض ولا تستطيع أن تبحث عن طعام .

● **السادسة صباحا :** تبحث عما في خلــدك، تــداري وجهك وتلف رأسك بوسادتك القذرة، تحاول النوم فتخفق لأن الأشبـــاح تملأ أشيـــاء الغرفة وتظهـر مخالبها . **تخرج وبيدك المذيــاع لتسمع أغنيــة لفيروز وتجد نفسك، أو ترجع وتدفن رأسك تحت أنقـاض البيت المهجـور الـذي يطل عليك من نافذة الغرفة (لأن أبا نظمي لن يسمح لك بـدخـول الغرفـة مـرة أخرى) .**

لا أريد ابني فاشلاً

بقلم: د. عبد اللطيف بن حسين فرج

الإنسان سيد هذا الوجود والمؤثر فيه، وهذه السيادة التي وهبها الله للإنسان تتوقف بمدى ما أعطي من عقل وتفكير تميز به عن غيره من الكائنات الحية.

ويبقى العقل الذي لدى الإنسان عاديًا إذا لم يستخدم الاستخدام الأمثل وتأتي العملية التعليمية في الذروة من نشاطات العقل البشري، وبما أن الإنسان تفرد بالعقل، فجدير به أن يحسن الاستفادة منه. ولا يمكن أن نحكم على شخص سليم القوى العقلية بأنه فاشل دراسيًا إلا بقصور بيّن وواضح من الشخص نفسه. وإلا فالإنسان مهيأ لأن يتعلم ويكتسب الخبرات والمعارف مما حوله فطريا.

إذًا الفشل الدراسي ناتج عن تقصير الإنسان نفسه نتيجة عوارض واجهته أو عقبات لم يستطع اجتيازها فئة معينة، وليس كل إنسان يعجز عن الاستمرار في التعليم والتحصيل العلمي.. فالقضية هي قضية عقبات وصعوبات تواجه بعض الناس وتعيقهم عن الاستمرار في الدراسة والنجاح، مما يتوجب على القائمين على شؤون التعليم النظر في هذه العقبات والصعوبات وتقديم الحلول المثلى لها.

والفشل الدراسي من المشكلات التي أصبحت متفشية في المجتمع الإنساني، ويقتصر تفشيها على بعض الأفراد دون البعض الآخر، ولا يمكن أن نطلق على أغلبية الأفراد بأنهم فاشلون إذا حصل لهم أي تأخير في مراحلهم الدراسية.

فقد يحصل لشخص ما عائق عن إكمال تعليمه برغم أنه ليس فاشلاً دراسيًا، ولكن هذا راجع لعدة أسباب تؤدي إلى الفشل الدراسي، قد تختلف من شخص لآخر كما سيأتي في أسباب الفشل.

مشكلة الفشل ودور المجتمع

تعود مشكلة الفشل الدراسي لعدة أمور وصعاب تنتاب بعض الطلاب أو تعيقهم عن مواصلة تقدمهم الدراسي وهي متشعبة ومتعددة النواحي. فلو ابتدأنا من الأسرة باعتبارها الركيزة الأولى في المجتمع، ومنها ينطلق الفرد الذي تناط به المهمة التعليمية، فسنجد الشيء الكثير من الصعوبات التي أثرت على الطلاب، وكذلك المجتمع والمدرسة نفسها والمناهج والمعلم والنظام المتبع في الامتحانات وغير ذلك.

وقد يجعل الفشل في الدراسة الطلاب غير قادرين على إنشاء علاقات قوية وبناءة مع عائلاتهم أو مع مدرسيهم، بل تجدهم يحملون غيظًا على بعض زملائهم. وقد يتعدى الأمر إلى أشد من ذلك، فتجد الطالب الذي فشل في الدراسة لا يثق بنفسه، ولا يستطيع أن يجزم بنجاح في المستقبل في أي عمل أو مهنة تُسند إليه.

إن إنقاص عدد الأطفال الفاشلين الذين هم رجال الغد يجنب المجتمع كثيرًا من المشكلات التي تسبب فيها هؤلاء، وبالتالي يتولى القيادة في المجتمع أناس على قدر كبير من العلم والدراسة والثقة بالنفس.

إن الشخص الذي فشل في دراسته قد لا ينجح بوجه عام ما لم يستطع بطريقة ما أن يجرب النجاح أولاً في جانب مهم من حياته.

ونجاح الطفل في تعليمه المبكر لا شك أنه نجاح عام قد يساعده في تكوين مستقبل أفضل وحياة نفسية أهدأ وشعور طيب تجاه المجتمع الذي منحه هذا النجاح.

وتظل التربية التي يتلقاها الطالب في البيت أولاً، ثم في المدرسة ثانيًا عاملاً جازمًا مؤثرًا على نجاح أي طالب وتقدمه. فإذا لم نختر التربية المؤثرة والفعَّالة ونبتدع طريقة لتخريج طلبة أكثر تربية ونجاحًا فإن كثيرًا مما نفعله يصبح هباء إذ لم يوجد أناسا ناجحين فعلا.

أما مقولة إنها مسؤولية كل طفل، يجب أن يعمل حتى ينجح في المدرسة أو الحياة، فإن الناس ليسوا جميعًا على قدرة واحدة من العمل أو تحمل الشدائد، ثم إن عمل الجماعة يخدم فئة أكبر

وأشمل، ويقدم للمجتمع أفرادًا يستطيعون أن يفيدوه ولا يستطيع القيام بذلك فرد واحد مهما أوتي من تقدم ونجاح فمهمة المجتمع أن يوجد المدارس المناسبة التي يستطيع أن ينجح فيها كل الأطفال.

لذلك وجب علينا تقديم أساليب تربوية تؤدي إلى جو يكون فيه النجاح أكثر، ويعتمد على الأسلوب العملي الذي يحقق للطالب الجو المناسب ولا يعتمد على الأسلوب النظري فحسب، بل يكون صالحًا للتطبيق العملي داخل الحجرة المدرسية.

أسباب الفشل الدراسي

من نتائج زيارتي لبعض المدارس الابتدائية وإجراء بعض المقابلات مع بعض أعضاء هيئة التدريس ومرشدي الطلاب وأولياء الأمور وسؤالهم عن أسباب الفشل الدراسي لدى بعض الطلاب يرى هؤلاء أن أسباب الفشل الدراسي من وجهات نظر كل طرف هي:

● أولاً: من وجهة نظر المدرسين:

١ ـ عدم قيام الطلاب بأداء ما عليهم من واجبات منزلية، وعدم الانتباه داخل الفصل.

٢ ـ عدم الحضور الذهني الدائم من قبل الطالب داخل الفصل.

٣ ـ عدم وجود المتابعة المنزلية من أولياء الأمور.

٤ ـ وجود بعض المعوقات داخل الفصل كتكدس وامتلاء الفصول بالطلاب.

٥ ـ عدم وجود المباني المدرسية المهيئة لاستقبال الطلاب لتلقي العلم والتي تمكّن المدرس من أداء عمله، وتساعد الطالب على فهم المادة.

٦ ـ الاتكالية بالنسبة للطالب وعدم قيامه بالاستفهام عمّا لا يفهمه.

٧ ـ ارتفاع مستوى السن في بعض الفصول بالنسبة للسن العادي.

٨ ـ انخفاض مستوى الذكاء عند بعض الطلاب.

٩ ـ عدم وجود التعاون بين البيت والمدرسة، وعدم زيارة أولياء الأمور لأبنائهم في المدرسة والسؤال عنهم.

١٠ ـ وجود صعوبة في فهم بعض المواد مما يؤدي إلى كثرة الرسوب، وبالتالي إلى الفشل الدراسي.

١١ ـ عدم وجود الوقت الكافي لمتابعة الطلاب، نظرًا لشحن وقت المدرس بعدد كبير من الحصص اليومية التي يقوم بتدريسها، وبالتالي لا يستطيع متابعة الطلاب بالصورة الصحيحة نظرًا لإرهاقه بالعمل.

١٢ ـ عدم استقرار المدرس في مدرسة واحدة، وبالتالي لا يستطيع تأدية عمله على أكمل وجه لعدم استقراره نفسيًّا.

● ثانيًا: من وجهة نظر مرشدي الطلاب:

مما لا شك فيه أن الفشل الدراسي يرجع إلى عدة أسباب يمكن إرجاعها إلى ناحيتين أساسيتين هما: ـ

(أ) الناحية الذاتية.

(ب) الناحية البيئية.

فمن الناحية الذاتية يرجع الفشل الدراسي إلى:

١ ـ انخفاض مستوى الذكاء عند الطالب، مما يؤدي إلى إهماله لدروسه، وعدم قدرته على السير مع زملائه، مما يؤدي إلى تأخره دراسيًّا، وبالتالي إلى فشله الدراسي حيث لا يستطيع أن يستوعب دروسه.

٢ ـ الناحية الصحية للطالب حيث إن إصابته ببعض الأمراض كالصَّمَم والأنيميا وأمراض الكلام كالتهتهة والتلعثم تؤدي إلى انخفاض مستوى استيعابه وبالتالي إلى تأخره دراسيًّا عن زملائه الأسوياء وبالتالي الفشل.

٣ ـ عدم رغبة الطالب في دراسة نوع معين من الدراسة والضغط عليه من والديه.

٤ ـ الهروب والتسرب من المدرسة نظرًا لوجود عوامل جذب خارج المدرسة.

٥ ـ عدم وجود الطموح الشخصي لتحقيق الأحسن.

٦ ـ عدم وجود الدافع الشخصي للدراسة.

٧ ـ صعوبة المواد والمناهج الدراسية بالنسبة للطالب مما يؤدي إلى هروبه من المدرسة.

(ب) من الناحية البيئية: يرجع الفشل الدراسي إلى:

١ ـ المشكلات الاجتماعية، الخلافات المستمرة بين الوالدين، مما يؤدي إلى عدم وجود المناخ الاجتماعي المناسب لمذاكرة الطالب، فيهمل الطالب دروسه كنوع من العقاب للوالدين.

٢ ـ التفرقة بين الأبناء في المعاملة.

٣ ـ المشكلات الاقتصادية حيث إن انخفاض مستوى المعيشة وانخفاض الناحية الاقتصادية يؤدي إلى قيام الوالدين بتوجيه أبنائهم للعمل من أجل مساعدتهم في البيت، وبالتالي ابتعاد الطلاب عن المدرسة والفشل دراسيًّا.

٤ ـ أصدقاء السوء حيث إنها أحد العوامل الأساسية التي تؤدي إلى فشل الطالب دراسيًّا نتيجة لتقليده للأعمال غير السوية.

٥ ـ عدم متابعة الطالب لمدرسيه وحل واجباته بصفة مستمرة.

٦ ـ عدم تعاون البيت مع المدرسة من أجل مصلحة الأبناء.

٧ ـ كثرة التدليل للأبناء وتلبية رغباتهم مع عدم متابعتهم في الدراسة.

٨ ـ ارتفاع المستوى الاقتصادي للأسرة حيث تلبي طلباته بصفة مستمرة، وبالتالي يهمل دراسته ودروسه فيفشل في دراسته.

٩ ـ عدم وجود القدوة للطالب التي تدفعه للاهتمام بدراسته.

١٠ ـ التناقض في المعاملة داخل الفصل حيث إن التفرقة في المعاملة داخل الفصل تؤدي إلى شعور الطالب بالنقص، وبالتالي يهمل دروسه ويفشل.

● ثالثًا: من وجهة نظر أولياء الأمور:

من نتائج مقابلة بعض أولياء الأمور المتعلمين وسؤالهم عن أسباب الفشل الدراسي من وجهة نظرهم يرى هؤلاء أن أسباب الفشل الدراسي هي: ـ

١ ـ عدم قيام المدرسة بدورها الأكمل في أداء وظيفتها.

٢ ـ عدم متابعة المدرسين للطلاب طوال الوقت وانشغالهم بالمواد الدراسية مما يؤدي إلى قيام التلاميذ بأعمال لا يجدون فيها توجيهًا من قبل المدرسين فيبدؤون بالتدخين والهروب من المدرسة، وفي النهاية يفشلون دراسيًّا.

٣ ـ عدم تعاون بعض الآباء مع المدرسة عند استدعائهم للتعاون من أجل مصلحة أبنائهم.

لا أُريدُ ابني فاشلاً !

٤ ـ عـدم قـدرة المـدرسين على توصيل المادة الدراسية للطالب .

٥ ـ عـدم اتباع المدرس للأساليب التربـوية في تعامله مع الطلبة مما يؤدي إلى خوف الطلبة منهم، وبالتالي الفشل .

آثار الفشل الاجتماعية

ممـا لا شـك فيـه أن الفشل في أي مجال لــه مسـاوئه الخطيرة وآثـاره السيئـة ، وهـذه المسـاوئ تتفاوت حسب أهمية مجالها، والـدراسة والتعلم من أهم ضروريـات الحياة الإنسـانيـة بعامـة ، ويترتب على ذلك تضخم آثـار الفشـل سـواء على مستـوى الفرد أو على مستوى المجتمع ؛ فالمجتمع ما هو إلا أفـراد تنعكس أعمال الفـرد فيـه على مجتمعـه . وأول الآثار وأعظمها للفشل الـدراسي ـ إذا انتشر بشكل كبير ـ هـو (التخلـف) على جميع مستـوياتـه سواء الثقـــافي منهـــا أو الاجتماعي أو الاقتصــــادي أو السياسي . . إلخ .

وأمـامنــا مستـويــات دول العـالم في عصرنــا الحديث فـالدول الكبرى هي التـي حصل أفرادهـا على مستـوى أكبر من النجـاح التعليمي ونـدرة في الفشل الـدراسي فالـدول التي تتخلف علميًا هي دول تردَّت أحوالها على مختلف المستويات .

والمجتمعـات المتأخرة هي المجتمعـات التي لم تنل حظًّا وافرًا من التعليم، وهنـا نقطة مهمة وهي أنه إذا أصاب مجتمعا مـا ارتفاع في الفشل الدراسي كـان ذلك بمثـابـة عـدم وجــود التعلم أصـلاً، فالنتيجة واحدة في كلتا الحالتين .

وهـذا الأثر واضـح بيِّن لا يحتاج إلى إكثـار في القـول، ومن آثـار الفشل الدراسي اختـلال تـوازن المجتمع وعـدم انسجـام أفـراده واختــلال البنيـة الاجتماعيـة ، فنجـد عدم التكـافـؤ في الأعمال التي يقـوم بها هذا المجتمع من نـاحية، وتبـاين طبقاتـه من نـاحيـة أخـرى ، ويصبح المجتمع عبـارة عن أجـزاء متفـاوتـة ، قسم متعلم نـاجح في دراستـه ، وقسم فشل في دراستــه فتخلف ، فتجــد فجــوة عميقـة تجعل إنجازات هـذا المجتمع مختلفـة وغير متـزنة ، ممـا يؤدِّي إلى الاستعـانـة بالآخـرين . ومن الآثار أيضًـا لهذا الفشل الاضطراب النفسي الخطير لدى الأفـراد الفاشلين دراسيًّـا ، وذلك لإحساسهم أنهم عالـة على مجتمعاتهم ، فيكثـر العاطلـون عن العمل، وفي ذلك خطر على المجتمع .

كما يـؤدي هـذا الاضطـراب النفسي والعصبي عنـــد هـــؤلاء الأفـــراد إلى التمــــرد على المجتمع وكـراهيتهم لـه ممـــا قـد يـؤدي بهم إلى الثـورة على مجتمعهم وسلـوك سبيل الإجرام، وهـذا ما تـؤكده الدراسات العلمية . فمعظم الذين يسلكون سبيل الإجرام والمخـدرات والأعمال غير المقبــولـة هم في الحقيقة أفـراد فشلوا في دراستهم، ثم اعتراهـم هذا الإحســـاس بـــالنقص ، ففجـــروا حقــدهم على مجتمعاتهم بأعمال مشينة .

وهنـاك نقطـة مهمــة في مجال تحصيل التعليم الأكـاديمـي ومـا يقـاربــه ، وربما اعتبرنــاهـــا من المحاسبـة ، وهي أن الفشل في الدراسة الأكـاديمية ربما كان ذا فـائدة؛ إذ ليس من المفروض أن يتعلَّم جميع أفـراد المجتمع هـذا النـوع من التعليم فهنـاك الأعمال المهنيـة التي تتطلب وبإلحاح من يقـوم بها ، وربما كان الفشل في هذا المجـال وعدم القدرة على مواصلته دافعًا وحافزًا للتعلم المهني .

كيف تتجنب الفشل ؟

لما أصبحت مشكلـة الفشـل الـــدراسي ذات تأثير على جمع غفير من أبنـائنـا وبنـاتنـا ، وتشغل حيـزًا كبيرًا في مـدارسنـا ، فـإن البحث عن حلـول واقتراحات لتجنب المجتمع هـذه العقبة الصعبة في سبيل تقـدمه والنهـوض بأبنـائه الذين هم أملـه في الغـد ، وصنـاع النجـاح فيـه ، ومن هـذه الحلــول والمقترحـات ما يلي : ـ

١ ـ إن ما تميز به الإنسـان على بقية الكائنات ، العقل فيجب أن يقـوم بعمله خير قيـام ، لذا يجب أن يــرتبط التعليم بـالتفكير السليم ، وأن يكــون المنهج الـذي يدرسـه الطـالب يقوم على استخـدام التفكير وتنشيطـه إلى الأحسن على مـــدار سنـوات الــدراســـة . إن هنـــاك منــاهج تقــوم على حفظ واسترجاع المعلـومات فقـط دون استخدام التفكير فيهـا ، وهـذه العمليـة لا شك أنها تلقي بكثير من الطــلاب إلى الفشل الـــذريع ، إذن مطلـــوب من المنهج الاستفـــــادة القصــــــوى من التفكير الجاد وتعــويـده حلَّ المشكــلات بـاستخــدام التفكير السليم . يقـول (الـدكتــور جـلاسر) : «إنني لـــم أقـابل طفــلاً عـاجـزًا عن التفكير والمشـاركـة في المدرسة» .

٢ ـ ارتبـاط التعليم بحياة الطـالب : كلما كان التعليم ينطلق من احتيـاجات الإنسـان الأساسيـة ازداد الطالب ارتباطًا بـالتعليم نفسه، وأصبح أقدر على الاستمرار فيـه ، وأكثر استيعـابًا لــه ، ومقدرة على الإبداع فيما يتلقاه في المدرسة .

٣ ـ مـراعاة الحــالة النفسيـة والاجتماعيـة لدى بعض الطـلاب لأنها تـؤثـر على تحصيل الطـالب العلمي . وعنــدمـا يسـود الجوَّ الأسري نــوعٌ من التفاهم والتفـاؤل ينعكس أثره على عطاء الأبناء ، والعكس يـؤثر على مسيرة الطـالب التعليمية . لـذا يجب على المدرسـة تفهم حـالـة الطـلاب ومـراعـاة ذلك .

٤ ـ مـراعاة الفـــروق الفرديـة بين الطلبـة : لا شك أن قـدرات الطالب الذكـائية تختلف مـن فرد إلى آخر. فيجـب على المربي أن يراعي هـذه الفروق الفردية بين أبنائه الطلبـة ، ويعامل كل طالب على حسب قدرته الذكـائية ، ولا يجعلهم على حد سواء من النـاحيـة التفكيرية ؛ لأن مراعاة هـذه الفروق قد تجنب الكثير من الطلبة الوقوع في الفشل الدراسي .

٥ ـ النـــصح والإرشاد مـن قبـل المربي : يجب على المربي أن يتقـرب من أبنـائه الطلبـة ويقـدم لهم النصح والإرشـاذ الــذي يفيـــدهـم في مستقبلهم التعليمي ويجنِّبهم الكثير مـن المشكـلات، ومنهـــا الفشل الدراسي .

٦ ـ اتبـاع أسـلوب اللين والشفقـة في معاملـة الطلبة : لا شك أن المربي الناجح هـو الذي يعامل طلبته بيسر ولين وشفقة ويتجنب الشدة في التعامل معهم، فهذا قد يؤدي إلى حب وتقرب الطالب من مـربيه وحب مـادته الـدراسية والنجـاح فيها، أمـا عكس ذلك فقـد يسبِّب عـواقب وخيمـة ، ومنهـا الفشل .

٧ ـ يجب إعــداد الأطر (الكـــوادر) التعليمية النـاجحـة وبخاصة في المرحلة الابتـدائية ، لأنها هي الأساس وبداية انطلاقة الطلاب .

المـراجـع

1) Bode, Boyd H, Modern Educational Theories (N. y. : Macmillan), 1927.

2) Glasser, w. Shools without Failure (n. Y : Harper and Row), 1969.

3) Kant, Immanuel, Education (Ann Arbor, Mich University Of Mich. Press), 1960.

٤) عبد اللطيف بن حسين فرج، مرجع إداري المدرسة لتوجيه المعلم وتقويمه (جدة : الدار السعودية للنشر)، ١٤٠٥ هـ.

البراءة البائسة

(عن جرائم الصرب في البوسنة والهرسك)

بقلم الأديب المسلم: جمال الدين لاتيش - ترجمة: حسين عمر سباهيتش

المكان : القرى المسلمة الواقعة في جنوب غرب البُوسْنَة .

الزمن : أثناء الحرب العالمية الثانية .

قصة واقعية من ذكريات شهود عيان .

حوار بين الكاتب والمرأة التي نَجَتْ مِن مَذابح الصّرْب .

ــ داهموا القَـرْيَة، يـا بُنَيّ . بَـاغَتُونا قبل ليلتين . مُحَرّم أوُسْمِيش وخديجة أوُسْمِيش ورجالُه .

ــ المـوتُ للنـازيين، يـا مُحـرّم ــ يصرخ حسن غورانيتش .

ــ المـوت للشعب البريء ! يـا حسن، صـرخت خديجة .

ــ يا محرّم، ما الـذي تقـوله، يـا أخي في الله ؟ - يسأله حسن .

- لا شيء - أجاب - دَعْكَ عن هَذَيَان النساء .

- قـل لنا، يـا محرّم يا بُنـيّ، إذا كان لكـلامها أيّ معنى ؟

- ليس لـه معنى، يا أخي .

☆ ☆ ☆ ☆

- وكانوا كلّهم هاربيـن أمام عصابات الصّربِ الشَتْنِيك .

- هل كان محرّم قد انضم إلى جيس التّحرير (ثُوّار تيتُو - يُقال لهم بَارْتيزَانِي) ؟

- نعم كان في جيش التحـرير، وهو على قيد الحيـاة لـلآن . هـو ومصطفـى، وقـد قتل عثمـان وصالح، ورجـب، وعمر، ومات إبـراهيم ؛ كلُّهم من بيت أوسميش .

- وكانوا جميعُهم في جيش التحرير ؟

- نعم جميعُهم . عندما لحق بهم مصطفى في رافْنُوا (هضبـة مجـاورة للقريـة) كـان سابعَهم . وقبلها كان أجيرًا عند جُـولْ آغا في بْرُوزُورْ (مدينة صغيرة فـي غربي البوسنـة) وهرب منـه ، ثـم لحق بجيش التحريـر في رَافْنُو. كان سـابعهم، وهكذا كيف يُسَمّونه ؟ هـذا رفعت غوروفيتش نعم، كان سادسَهم ومصطفى أوُسْمِيش سابعَهم .

ــ ومن أيــن رفعت غُـورُوفيتش هـذا ؟ مــن بْرُوزُور ؟

من بْـرُوزُور نفسهـا، كـانـوا يحصـدون ويرصّون رزَمَ السنـابل على الكومة ثم جيء إليهم بالسـلاح فبدؤوا يُـدافعون عن القـرى. وهؤلاء من



كُوفَاتْش بُولْيَه (اسم القرية). كانوا يصرخون :

ـ الموتُ للنازيين ـ محرّم هذا. فأجاب حسن غُورَانْشِيش، وكانت بنتُه قاضية تحت فاضل :

ـ الموت للنازيين، يا محرّم، فأجابت خديجة : الموت للشعب، ياحسن.

ـ وما الذي قصدته بكلمتها تلك ؟

ـ وهي الأخرى كانت في جيش التحرير. هربت مع ابن عمها محرّم من نافذة البيت. وكان مِيْلَهْ زُوبَانْتْش (صربي أرثوذكسي) يُغني : يا خديجة، يا جمالَك، سيأتي مِيْلَه ليأخذَك ! عدوُّ الله، يريد اختطافَها وأخذَها إلى قريته.

ـ وكان يُضرب المثل بجمالها ؟

ـ نعم، كانت الكلمات تَعجز عن وصف جمالها.

ـ ولكن، قولي لي : ما الذي أرادت بقولها : الموت للشعب !

ـ أرادت بذلك أن الصرب الشَّتْنِيْك يطاردونهم، ولكنّها خافت من محرّم أن تُفصح عن ذلك صراحة. جاء محرّم مع رجاله إلى بُلُوشَة (قرية) على مقربة من قريتنا، وهاجم الصرب قريتنا ! ثمانيةَ عشرَ ألفًا ؟ !

ـ ثمانية عشرَة ألفًا !

ـ نزلوا في كُوفاتش بُولْيَه وكان ذلك يومَ الخميس بعد صلاة العصر. وخرجوا من القرية صباحَ يوم الاثنين.

ـ ومن أين جاء هؤلاء الشَّتْنِيكْ السَفّاكون ؟

ـ جاؤوا من كل مَكان. من الجبل الأسود (جمهورية تقع جنوب شرق البوسنة). اجتمعوا من كل مكان، ثم ذبحوا رجالَ قريتنا. ذبحوا ستّةً وستّين مسلمًا في قرية كُوفَاتْش بُولْيَه وحدَها.

ـ معاذ الله !

ـ بعد رجوعنا إلى القرية وجدناهم مذبوحين، وقد جَمعوهم في شكل الكومة. وجدت زوجي مُحَرَّمًا مرميًّا هكذا. قَبض رِجْلَه هكذا، وأَرسل رجلَه اليسرى، ويده اليمنى على صدره وينزف الدم من رقبته، ولم أَجد قطرةَ دم

البراءة البائسة



على قميصه. أَحضروه آخرهم، ثُمّ ذبحوه، فلما رأى الآخرين المذبوحين المكوّمين عَرف مَصيره، فصاح : يا فاطمة ! ويل لأولادي الأربعة ! يا سبعةَ جُروحي ! فانقضوا عليه وأَضجعوه وذبحوه ! نعم، يا بُنَيّ !

ـ رحمة الله عليه، وكان زوجك ؟ وكم كان عمرُه آنذاك ؟

ـ كان قد بلغ الثامنة والثلاثين أو الأربعين. أظنّه وُلد سنة ١٩٠٦م.

ـ ومتى حدث هذا، في أي وقت ؟

ـ يا بُنَيّ، لست أذكر تمامًا الآن، ولكن مضى عن ذلك ما بين ستٍّ وأربعين إلى ثمان وأربعين سنةً.

ـ وذبحوا ستّةً وستّين مسلمًا ؟ !

ـ نعم ذبحوا ستّةً وستّين مسلما من قريتنا، في ذلك اليوم. وقبله بليلة حاصروا القرية وأشعلوا النيران في جميع الجهات حتى لا يفلت منهم أحد. وقد أَمسكوا محمد دُوفنيَاكْ ووضعوا السكين على نحره، فصاح : يا ويلي، مِنْ أين سَيَعِيشُ أولادي التسعةُ، فلذات كبدي ؟ فصفعه السَفّاك الصربي وصرخَ فيه : قُمْ واذهب ـ فأخذ أولادَه إلى الغابة القريبة، وكان مصطفى طَبَّاقْ قد لاذ بالفرار أيضا، ولكن المسكينَ التفت وأبصر القرية تلتهمها أَلسنة النيران فرجع إليها. ـ إذا أَحرقوا عائلتي وكلَّ ما أَملك، ليس لحياتي قيمة بعدهم ! ـ قال ذلك ورجع. وما إن دخل القرية حتى أَمسكوا به من رقبته وذبحوه.

ـ وأنت ؟

ـ ثم أحرقوا الناسَ والبيوتَ. وكُنّا خمسَ نسوةٍ قد ارتقينا إلى تَلّ قريب. ومَرّوا بأخي وإبراهيمَ أَمامي، فنظر إليّ وعيناه تذرفان، وما إن مَرُّوا بنا خطواتٍ حتى أطلقوا عليه النارَ من البندقيّة وقتلوه، ثم أَخذُوا إبراهيم وذبحوه. ورأينا أنه لا نجاةَ لنا، فانتظرنا حتى لحقت بنا عجوز وقالت : يا بُنَيّتي، قد حاصرت النارُ بنتي زُلَاتَة في الإصطبل، ستحترق !

ـ أين ؟ قلتُ، وأخذت ابني الكبير يوسف، ومررت من تحت شجرة ولم أر منهم أحد، حتى قال لي ابني يوسف : إنه رأى الصّربَ يُحِدّون شفرةَ سكين تقطر دمًا. وأنقذتُ زُلَاتَة من الإصطبل وأخرجتها من الباب الخلفي، وكان أحد جانبيها قد اصفرّ من شدة النار، لأنّها قررت البقاء وفضّلت الاحتراق بالنار على الوقوع في أيدي الصرب، مخافةَ أن يَنَالُوا من عِرضها ـ وهي على قيد الحياة إلى الآن. ثم أخذنا مَنْ بقي من البَنَات الصغار وتوجهنا فوق المراعي إلى ينبوع قريب، اختفينا في الغابة، ومن هناك قصدنا القريةَ أُورَاشَاسْ وظننّاها قد سلمت من السَفّاكين ؛ لأنها تقع على المرتفع فوق قريتنا. وعندما اقتربنا منها وجدناها تحترق مثل قريتنا، فبتْنَا ليلتَنا تلك في الغابة. نحن خمسُ نسوة وأربع بنات صغار.

ـ وهل تنتظرن ذهابَ الشَّتْنِيكْ من القرية ؟

نعم، انتظرنا ذهابَهم. ورأينا أنّ كلَّ شيء قد احترق. وفي الصباح رجعنا إلى القرية ووجدنا أربعةَ بيوت فقط قد سلمت فتفرقنا فيها. ولم نجد فيها بساطا نفترشه، ولا لقمة أكل ولا شربةَ ماء ولا ما نتستّر به ولا ما ننتعله. وكان أمامي ثلاثةٌ من أولادي الصغار وفي بطني ولد رابع !

ـ وأين كان رجالُكنّ ؟

ـ ذُبحوا.

ـ ولم يُصلّ عليهم أحد ؟

ـ كيف نُصلي عليهم يا بُنيّ، ونحن نلتفت

يمينا وشمـالا : من أين سيباغتوننا ليقضـوا علينا وعلى هـؤلاء الأولاد الصغـار الـذين لـم يبق لنـا غيرُهم ؟

ــ ولكن، وَضّحي لي هــذا : أين كنتِ وأين كـان زوجُكِ، رحمـةُ الله عليـه، عنـدمـا اقتـرب الصرب من القرية ؟

ـ كُنّا في البيت.

ـ هل عرفتُم شيئًا عن هجومهم ؟

ـ نعم، عرفنا، لأنهم حـاصروا القريةَ وأشعلوا النيران حولها. وجـاء محمد أخو زوجي يَسأله : ـ ما العمل، يا محرّم ؟

ـ ما العمل ؟ ! اهرب من البيت !

ـ ولكن ما مَصيركَ ومصيرُ الصغار ؟

ــ ليكن مـا يكـون، عليك أن تنقـذ نفسك. فقال محمـد : يا الله، بسم الله الـرحمن الرحيم ـ وقفـز من النـافـذة، ولكـــن صـاحت زوجتُــه باكيـةً ــ قطع الله لسانها : ــ لِمَنْ تتركنـا ؟ فرجع وجلس معنـا. ثمّ داهمـوا البيتَ وصـرخـوا : هنـا اختبأتُم ؟ هكذا تجلسـون وتتحدّثـون ؟ وأمسكوا بزوجي فلم أدرِ عنه شيئًا حتى رأيته مَيّتًا.

ـ وكانوا يأخذون الرجالَ فقط ؟

ــ أخـذوهم جميعًـا، جَمعـوهم وذهبـوا بهم ليلاً. أبعد الله شـرَّهم عن كل الناس ! أدعو اللهَ أن يسترني في تُربة القبـر قبل أن أشهد الحرب ثانيةً ! مَنْ لم يعش أيّامها لا يمكن أن يتخيّل أهوالها !

ـ وكيف عشتِ مع صغارك بعد ذلك ؟

ـ عشتُ أيّام الفقـر والبؤس والحسرةِ. أخذوا مني ثَـوْرًا وبقـرةً، وبقيت لي بقـرتـان وشيء من العلف. وجاء شقيقـي الذي بقي على قيـد الحياة وباع ثـورًا وباع شيئًا من العلـف، ثمّ أعطاني ثمنَ ذلك، فكنت أُحضـر للأولاد كسـرةَ خبز أقسمهـا بينهم. ولستُ أنـا وحـدي، بل تحمّل معي هـذا الفقـر والبـؤس أكثـر من أربعين امـرأة تـرمّلن في مجزرة القرية.

ـ ومن كان قائدهم ؟

ـ كان يُدْعىٰ «لُوغـو»، له لحية كثيفة، وأنا لم أره، ولكن سمعتُ أنه كان يتقدّمهم ويحمل فوق عصا الـراية الصـربيّة رأسَ أحـد المسلمين. وقع ذلك في الصباح الباكر. يطلقون النار من البنادق من كل الجهـات، ويغنّـون ويفـرحـون. يُغنّـون لكل ما يـؤذي المسلمين ومُقدّساتهم. ثمّ هـربنا إلى الغابة القريبة.

ـ يَفرحون وهم يَقتلون ويحرقون ؟

ـ كيف لا يَفـرحون وقـد ذَبحوا المسلمين في القرى ؟

ـ وهل كانت هناك قرى كرواتيّة (كاثوليكيّة) ؟

ـ نعم، ولكن لم يَبْقَ منها شيء. لم يَنْجُ من الذبح غير رجل واحـد. حمل الشَّتْنِيْكْ (الصرب) أمـامهـم علمًـا كـرواتيًـا فخـرج أهـالـي القـرى لاستقبـالهم، فأخذهم الصـرب وذبحوهم واحـدا واحدا. هذا جيشكم قادم ـ قالوا للكرواتيين.

ـ هل انضمّ الكـرواتيّون إلى كتائب أُوسْتَـاشَا (الثُّوّار الكرواتيون المتطرّفون) ؟

ــ نعم، أكثـرهم، وذهب بعضهم إلى جيش التحريـر (بقيادة تِيتُو الرئيس الشيـوعي السَّفّاك). قبل ذلك بأيـام جـاء ثـلاثـة منهم وقـال أحـدهم لـزوجة أخي : لِمَ لَمْ تـذهبي إلى جيش التحريـر (مستهزئين بهـا) ؟ فقلتُ له : أنتَ الـذي أخذت الخبزَ من أمام أطفـالي قبل يومين فضحك وخرج قائلاً : لا، لست أنا.

ــ وهل كـان الكـرواتيون «أُسْتَـاشَـا» يقتلـون ويذبحون المسلمين ؟

ــ نعم، كانـوا يفعلون مثلمـا يفعله الصَّـرْبُ الشَتْنِيكْ. كلهم على نمط واحــد، ليس بينهم فرق.

ـ أنت وُلـدتِ هنا في قريـة كوفَاشِيفُوبُـولْيَهْ، وهنا تزوجت ولكنني لا أعرف اسمَكِ كاملاً ؟

ــ اسمــي فـاطمة زَشِيشْ، بنت سـليمان وسالمة، رحمة الله عليهما.

ــ وبعـد المذبحـة كيف عشت مع الأطفـال الصغار ؟

ـ كنت أُحضـر لهم العُشبَ وأطبخ على النار ونأكل، ثم دعانـا فْرَانْيُو (كرواتي من قـرية أخرى) فأعطانا شيئًا من الملح والسكر وبعض النقـود. وقابَلَنَا على الباب مِيْلَـهْ زُوبَاتْسْ (كرواتي) وقال : ـ ما هذا، بَالِينُكَا (بَالِيَا ـ كلمة احتقار للمسلمين والأتراك) ؟ هكـذا يقول ! أستغر الله وأتـوب إليه ! فْـرَانْيُـو في وجهه ــ اسكت، اجلس يـا حمـار ! ابتعـد عن الأيتـام والمســاكين ! دَع المســاكين يــدخلـون بيتـي لأعطيهم لقمــةً يستـردون بهــا أنفاسهم من الجـوع. بعد أيام كان مِيْلَـهْ زُوبَاتْسْ أوّل مَن قُتل في بْرُوزُوزْ.

ـ وهل كان مِيْلَهْ في عصابات أُوسْتَاشَا ؟

ــ نعم. وبعـد مـا نقلـوا فْـرَانْيُـو إلى وظيفـة أخـرى، إلى بُحيرة رَامَـا، استدْعـانا هنـاك. وفي الطـريق رأينـا رجـالَ أُوسْتَاشَـا (الكـرواتيّين) وقـد قبضـوا على خديجـة، لأنها كـانت تطبخ لجيش التحـريـــر، وهي الآن تحت وَيْسِيـلْ عليتش في سَرَايِيفُو، وأرادوا قتلها مع زوجها. فقلتُ لـ فْرَانْيُو بـاكيةٍ : قبضـوا على خـديجة ويـريدون قتلهـا ! فخرج ولحق بهم وأنقذها. هكـذا كان قلبُه رحيمًا وعطوفًـا على الأيتام. عـاش في رَامَا وهنـاك مات بعد الحرب.

ـ هـذه الناحية، هل كـانت فيها قـرى مسلمة فقط ؟

نعم، كلُّها قـرى المسلمين، وهناك في وادي النهر سكن الكـاثوليك (الكرواتيون) وتحـوّلوا إلى كتائب أُوسْتَاشَـا، كلُّهم. كم تَحَمْلنا من الخوف والفـزع آنـذاك ! ذات صبـاح خــرجتُ من البيت ورأيت أربعـةً من الكرواتيّيـن على قبعاتهم حـرف «يُو» (U ــ شعار عصـابات أُوسْتَـاشَـا الكرواتيّـة المتطـرفـة). قلت : لا حــول ولا قـوّة إلا بــالله، ورجعت إلى البيت فـزعـةً. يا حسن، يـا حسن ! كنت أنـادي دون جـدوى. وكان نـائمًـا ففتحت البـــاب بـرجلـي وأيقظتـه : يــا حسن، هــا هم أُوسْتَاشَا أمـام البيت، ثكلتك أمّك ! فقام وأمسك بالبندقية وهرب، ثم قبضوا على عمرَ وبكر وأرادوا اقتيـادهمـا إلى القـريـة الكـرواتيّـة، فـاعتـرض طريقهم محمد أوُسْمِيتْش وقال : أخْلُوا سبيلهما وإلاّ أحــرقت قــريتكم بمن فيهــا ـــ فأطلقهــا

الكرواتيّـون . وذات يوم كان رجالُ جيش التحـرير يلاحقون بُوزُو (صربي) من قرية مجاورة، فصاح بي : يـا زوجةَ محـرّم، أنقذيني، مـالي في الدنيـا غيرك ! ففتحت لـه مدخل الـدجاج فـاختبأ هناك حتى مرّ رجال الجيش، ثـمّ أحضرت نصف خبزة في الليل، بعدهـا بأربعة أشهر جـاء يناديني . من هناك؟ قلتُ . ــ بُوزُو ــ أجـاب . جئت لتشهدي لي عنـد محمـد في بْـرُوزُورْ أنني لم أقتل أحـدًا، حتى أستسلم لهم . ولما رجعنـا ونحن في الطريق إلى أمّـه قلتُ له : ــ انتظـرنا هنـا، سأسبقك إلى أمّك لآخذ منهـا هديّـة البشارة بِمَقْـدَمك . كانت تظل أمّه طوال اليوم في مكـان واحد ؟ تترنّح وتتأوّه وتبكي :

ـ يا بُوزو، يا ولـدي، يا جروحَ قلبي ! ولو كان قلب الإنسان صخرًا لبكى على حالها .

ـ اسمهـا إيفوشـا، أبعد الله ديـارهم ودينهم عنّا ! قلت لهـا : ـ إليّ بهدية البشـارة ! هذا ابنك بُـوزُو قـادم ! فقـامت تبكي وتقبلني كأني بنتهـا . وبعدهـا كانـوا يعتنون بي ويسـاعدونني . ثـمّ، يا جمـال يا بُنَيّ، أصـابه رعـد على باب البيت يـوم عيد الأضحى، فمات .

ـ وهكذا انتهى !

ــ نعم، يـا بنيّ كم تحملنا وكم ذقنـا من مـرّ الأيام ! سِترك وحِفظك يا رب !

ـ ودفنتنَّ ستة وستين رجلا من رجال القرية ؟

ـ نعم، نحن النساء دفنّـاهم في القبور . ودفنّا زوجي محرّمًا، رحمـه الله عليه . لا قدّر الله لا قدّر الله ! لا أدري كيف لم يفـارقنـي عقلي وصـوابي ! وأولاد صغـار !لـو لم نختف في الغـابـة لَمَـا بقي معنا من الذكور غير هؤلاء الأولاد الصغار.

ـ كم كانت أعمارهم ؟

ـ ابني يوسف كان قـد بلغ التاسعة، وإبراهيمُ كـان في الخـامسة، وبنتي قـاضيـة كـانت في السابعة، كلّهم صغار أيتام .

ـ ومتى أنجبتِ الولدَ الرابع ؟

ـ بعـد أن أحرق الشتنيك قريتنا بأربعـة أشهر أنجبت الولد الرابع، عاش سنةً ومات . الحمد لله



يـا بنيّ إذْ قدّر لـلإنسان أن يمـوت ! وأنا مسكينـة ماذا يمكنني أن أفعل به ؟

ـ وهل كان في مسجدكم إمام ؟

ـ نعم، ولكن ذبحه الصرب الشَتْنِيكْ .

ـ وماذا كان اسمه ؟

ــ كـان يُسمّى مصطفـى يُـوسِيتْش . ومـات الإمـام الـذي كـان قبلـه، وكـان يُـدعى حسين غُـورَانْشِيتْش، لا أذكـر متى ذهب ليـدرس في مدرسة الأئمة والخطباء، لكن أذكر عودته جيّدًا . وكان يطلب العلم في إستنبول ثماني عشرة سنةً . ثمّ مـات وجاء مكـانه ابنـه يوسف . وأنـا تعلمتُ أُسُسَ الدين وتلاوة القرآن عنـده، وبعد وفاته جاء حسين بُـوكْفِيتْش، وبعده جاء الإمـام مصطفى . عمّرنـا له بيتًـا قربَ المسجـد، وعاش معنـا حتى ذبحه الشَتْنِيكْ .

ـ ذبحه الشَتْنِيكْ ؟

ـ نعم، الصرب، يا بُنَيّ . أطلقوا عليه النارَ من البنْدقيّـة، ثم أمسكوا بـه وذبحوه ! وكانـوا يقتلون ذبْحًا أكثر مما كانـوا يطلقون النار عليهم . نعم يا بُنيَّ يا جمال، هكذا . . .

ـ جمال الدين لاَتيش
(DZEMALUDDIN LATIC)

أشهـر أديب مسلـم من الجيل الجـديـد . ولـد سنة ١٩٥٦ م في مـدينـة غُـورْنِي وَاقُـوفْ ـــ غـربي سراييفو. سنة ١٩٧٦ م تخرج في مدرسة الغـازي خُسْـرَوْ بِيـكْ لـلأئمـة والخطبـاء، ثم تخـرج في آن واحـد من كليّتي الـدراسـات الإسلامية، واللغة البـوسنويـة وآدابها . وبسبب نشاطـه الملموس في مجال التـوعية الإسلاميـة ولصلته الـوثيقة بـالرئيس علي عزت بيغوفيتش، ألقي القبض عليه في شهر كانون الثاني يناير سنة ١٩٨٣م، وحكم عليـه بـالسجن لمـدة ست سنوات، قضى منهـا ثـلاث سنوات ونصف السنـة في السجن .

ومع بـدايـات سقـوط النظـام الشيـوعي في يوغسـلافيا شارك في تأسيس الحـــزب الإســـلامي اليـوغسـلافـي . وهـو الآن أبـرز مساعـدي فخامة رئيس الجمهـورية للشؤون الإعلامية والصحافية .

تـولـى رئاسـة تحـريـر مجلـة «النهضـة» الإسـلاميـة، ثـم مجلـة «المرأة» السيـاسية الثقافيـة، ويحرر الآن جـريـــدة «صـوت المسلم» الأسبوعية الناطقة باسم الحزب .

في سنـــة ١٩٩١ م حصل على شهـادة المـاجستيـر في اللغـة البوسنوية وآدابهـا، ويعدّ الآن رسالة دكتوراه .

له ثـلاثة دواوين شعر، أشهـرها «يَا بَيْتَ داود» . وقـد منحه الله قدرةً نادرة على ترجمة القصائد من اللغـة العـربيـة وصياغتهـا صيـاغـة شعـريـة، مع الإبقـاء على اللحن والبحـر الأصليّين، بحيث يتيسـر إنشـادها في المناسبات الدينيـة . ومن أشهر هذه القصائد «طلع البدر علينا» و «أشرق البدر علينا» و «كُنْ مسلمًا»، وغيرها كثير.

سياسات الدول النامية
في استغلال الموارد الطبيعية



تأليف:
وليام آسكر
روبرت هيلي
عرض وتقديم:
ياسر الفهد

ظهر في الولايات المتحدة في عام ١٩٩٠م كتاب مهم، باللغة الإنجليزية، بعنوان «سياسات الدول النامية في استغلال الموارد الطبيعية»، وهو يعالج مسألة كيفية صنع السياسات والقرارات الخاصة بمختلف الموارد الطبيعية من زراعية وحيوانية وبترولية ومائية ومعدنية.

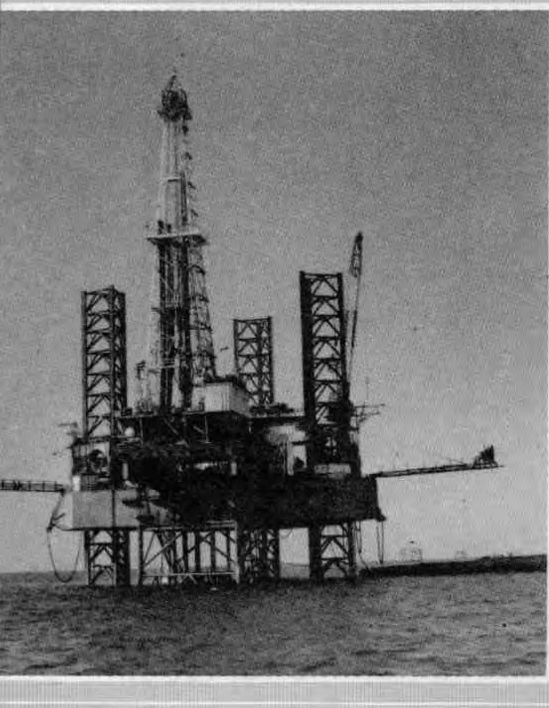
ويبين المؤلفان، وهما وليام آسكر وروبرت هيلي، أن أي كتاب يتصدى لموضوع صنع السياسات، سواء في حقل الموارد الطبيعية أو في غيره، لا بد أن يواجه صعوبات واضحة، لأسباب عديدة، منها أن وضع السياسات لا يتم نتيجة قرار واحد، وإنما يخضع لكثير من التأثيرات ونقاط التحول.

ويزداد الأمر صعوبة عندما يتعلق الأمر بوضع **سياسات الموارد الطبيعية** بشكل خاص؛ لأن هناك عوامل بيولوجية واجتماعية واقتصادية متشابكة تدخل في عملية إدارة هذه الموارد، ولا سيما تلك القابلة للتجدد مثل الغابات ومستجمعات الأمطار.

وقد اختار المؤلفان الدول النامية ميدانا للبحث؛ لأن هذه الدول بالذات - هي التي يُساء فيها استعمال الموارد الطبيعية واستثمارها، أكثر مما يساء في أية مجموعة أخرى من الدول. ففي كل سنة تتراجع في الدول النامية أعداد جديدة من الغابات، وتتآكل مزيد من التربة، ويقل احتياطي الأرض من البترول، ويتعاظم تدهور البيئة. ومن ثمّ فإن انحسار الغابات، يؤدي إلى تقلص إمدادات الحطب، وإلى تناقص أعداد الكائنات البرية الحية وتنوعها، ويمكن أن يؤثر حتى في المناخ، ناهيك عما يحمله من أخطار تزايد الفيضانات.

ومن جهة ثانية، فإن تآكل التربة يفضي إلى ندرة الأرض الصالحة للزراعة، مما يدفع المزارعين - كسبا للقوت - إلى البحث عن أرض جديدة قابلة للإنتاج، وإلى اللجوء إلى ما يسمى بالأرض الحدودية (marginal land).

ولكن إنتاج هذه الأرض غير مضمون، ونادرا ما يكون سخيا. كما أن الزراعة على المنحدرات غير مريحة، وأحيانا تكون خطرة بالنسبة للمزارعين. وتختلف درجة الإساءة إلى البيئة، وسوء استخدام الموارد الطبيعية من بلد نام إلى آخر، تبعا للعوامل الفيزيائية والاجتماعية والمؤسسية السائدة في كل منها.





سياسات الدول النامية
في استغلال الموارد الطبيعية

الموارد والبيئة والتنمية

يبين الكتاب أن هناك علاقات وثيقة تربط بين استعمال الموارد، ونوعية البيئة، والتنمية الاقتصادية، وهذه الصلات تشكل أحد محاور الدراسة الرئيسة في الكتاب الذي نحن بصدده، والذي يهدف إلى مد جسور جديدة بين التفكير الحديث حول البيئة والموارد، وبين تيار نظرية التنمية، مع تأكيد خاص على ضرورة تحسين الدخول وتوزيعها بشكل عادل. وقد أصبح موضوع الدخول يشكل أهم بنود سياسات التنمية.

ويذكر المؤلفان من بين العوامل التي يمكن أن تؤدي إلى رفع الدخل الفردي :

ـ الاكتفاء الغذائي الذاتي.

ـ التقنية المناسبة.

ـ تشجيع التصدير.

ـ مشاركة جميع قطاعات المجتمع في اتخاذ القرارات.

ويشير الكتاب إلى **استراتيجية الصيانة العالمية،** التي أصدرها الاتحاد الدولي لصيانة الموارد الطبيعية، والذي مقره في سويسرا، بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة، في مطلع الثمانينيات. وتبين هذه الاستراتيجية أن علاقة الإنسانية بالمجال الحيوي ستستمر في التدهور إلى أن يقوم نظام اقتصادي جديد، كما تبين أن حفظ الموارد الطبيعية هو من أهم مستلزمات التنمية. **وتسمّي الاستراتيجية ثلاثة أهداف بيئية أساسية لا بد من تحقيقها وهي :**

١ ـ دعم العمليات الإيكولوغية الأساسية ونظم الحفاظ على الحياة.

٢ ــ الإبقاء على التنوع الوراثي.

٣ ـ الاستغلال الرشيد للأصناف الحية والنظم البيئية.

ويذكر المؤلفان أربع طرق حديثة تتبعها الآن كثير من الدول النامية، من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية التي تستند إلى استغلال الموارد الطبيعية. وهذه الطرق هي :

١ ـ التحديث الزراعي : لقد اكتشفت الدول النامية بعد الحرب العالمية الثانية، أن الاهتمام بالصناعة دون الزراعة لم يمكّنها من الخروج من عنق الزجاجة التي حُشِرت فيها خلال محاولتها تحقيق النمو الاقتصادي القومي، مما دفعها إلى الاتجاه نحو التطوير الزراعي ووضعه في رأس قائمة أولويات الاهتمام. وهذا التطوير اتخذ شكل التحديث. **ومن النتائج التي تحققت نتيجة نجاح التحديث الزراعي في بعض الأقطار النامية تحسن مستوى الإنتاج الغذائي المحلي، وارتفاع عائدات التصدير، ومن ثمّ زيادة الدخل الفردي.**

ويبين الكتاب أن الفقراء أكثر تأثرا من غيرهم بالفشل الزراعي. فزيادة أسعار المواد الغذائية مزعجة بالنسبة للطبقتين الغنية والوسطى، ولكنها مدمرة بالنسبة للطبقة الفقيرة.

وتعد السياسة الزراعية على درجة كبيرة من الأهمية نظرا لأنها تحقق أهدافا أساسية منها :

ـ توفير الغذاء للمدنيين والريفيين.

ــ إيجاد وفورات يمكن الإفادة منها في التصنيع.

ـ توفير عملة صعبة من خلال الصادرات الزراعية.

ـ إفساح المجال لتوظيف نسبة كبيرة من السكان في قطاع العمل الزراعي.

ويتحدث الكتاب عن الثورة الزراعية التي اجتاحت آسيا وأمريكا اللاتينية منذ مطلع الستينيات، وغطت أكثر من نصف الأراضي تقريبا في هذه المناطق. وقد حققت الثورة الزراعية المسماة «بالثورة الخضراء» نتائج مرضية بفضل استعمال بذور وسمادات محسنة ومطوّرة، بالإضافة إلى تحسين وسائل إنتاج المواد الزراعية غير التقليدية.

٢ ـ خطط إعادة التوطين : يجري الآن في بعض الدول النامية تنفيذ خطط دراماتيكية، للوصول إلى تحسين فرص التوظيف وزيادة الدخول المالية، من خلال عمليات إعادة التوطين التي يتم بموجبها نقل سكان من مناطق قليلة الموارد إلى مناطق أخرى ذات موارد أغنى.

ويلقي الكتاب أضواء على مشروعات عديدة



من هذا القبيل، تم تنفيذها في الهند وأندونيسيا والبرازيل، محللا أهدافها ومقوما الخطط التي أُعدت لها وشارحا أسباب نجاح أو فشل بعضها.

إن تغيير الكثافات السكانية بنقل السكان من مناطق إلى أخرى، يؤدي إلى تأثيرات بيئية واجتماعية مختلفة، كما يقود إلى تغير الضغط على الموارد الطبيعية. وهناك صعوبات كثيرة تكتنف هذه العملية، فالسكان عندما يتحركون نحو بيئة جديدة غير مألوفة بالنسبة لهم، يجدون من الصعب عليهم التكيف والانطلاق بسرعة نحو العمل، وهم يحتاجون إلى فترات طويلة

حتى يتأقلموا مع الوضع الجديد. كما أن وجود سكان سابقين في المناطق التي انتقلوا إليها يوجد تفاوتات اجتماعية وثقافية تجعل الاندماج بين جميع السكان أمرا صعبا ويحتاج إلى زمن.

٣ ـ بناء السدود: تقوم السدود الكبيرة بأدوار اقتصادية مهمة في مجال إدراة الموارد الطبيعية، فهي توفر الطاقة وكذلك الري، كما إنها تضبط الفيضانات، وتؤدي إلى تحسين عملية صيد الأسماك. ولكن للسدود مخاطرها، فالمستودعات الخاصة بها تغطي مساحات واسعة من المناطق الزراعية والغابات، وهذه



خسارة لا يمكن التقليل من شأنها. ومن جهة ثانية، فإن تفتت التربة كثيرا ما يفضي إلى تغرين السد قبل الأوان، مما يقود إلى إضعاف فاعليته وتخفيض عائداته الاقتصادية. ولكن تحسين سياسات السدود كفيل بالتغلب على العديد من هذه الصعاب. ويقدم المؤلفان أمثلة على بعض السدود المهمة في العالم، ومنها تلك التي تُقام الآن في الهند وسيريلانكا.

٤ ـ الري: إن فوائد الري معروفة، ولا سيما في المناطق التي تتعرض لتقلبات مناخية تجعل هطول الأمطار غير منتظم. وأكبر نظام للري في العالم موجود في الصين، حيث يتم بواسطته ري خمسة وأربعين مليون هكتار من الأرض. يلي ذلك النظام الموجود في الهند والذي يروي أربعين مليون هكتار، وبفضله يجري إنقاذ ملايين الناس من الجوع. ويتم الري عادة إما بالسدود والقنوات الكبيرة، أو بالصهاريج الصغيرة.

سياسات الموارد الطبيعية

يبين الكتاب أن معظم سياسات الموارد في الدول النامية كانت غير موفقة وتفتقر إلى التخطيط السليم، مما أدى إلى الفشل في توفير دخل فردي جيد للمواطنين، وفي تحقيق العدالة في التوزيع. وقد كان لهذا الوضع تأثير سلبي في البيئة. ويتساءل المؤلفان عن أساس العلة ومكامن الخطأ في سوء تخطيط سياسات الموارد. ويجيبان عن ذلك بأنه ليست هناك جهة واحدة مسؤولة عن صنع سياسة الموارد، بل إن هناك العديد من الجهات المشاركة ذات المصالح والأدوار والمعلومات والنظرات المتفاوتة. فكل مرحلة من مراحل العملية تضعها مؤسسة رسمية تختلف عن المؤسسة التي تضع المرحلة التالية. وهي تواجه في أثناء ذلك تحديات كبيرة أهمها التحديات السياسية.

وتتضمن عملية صنع سياسة الموارد المراحل التالية:

١ ـ بداية التعرف على المشكلة.

٢ ـ التقويم، بما في ذلك الدراسة الفنية والتحليل المتخصص.

٣ ـ الاختبار، وهذا يشمل وضع السياسة والحوار والتفويض.

٤ ـ التنفيذ وتطبيق السياسة.

٥ ـ مراجعة السياسة.

ويبين الكتاب أن أهم هذه المراحل مرحلة «التعرف على المشكلة»، لأنها هي التي تحدد مسار العملية بأكملها، فكلما كانت هذه المرحلة أكثر وضوحا، سهل تطبيق باقي المراحل. ومن الأمثلة التي تثبت ذلك حالة «الثورة الزراعية»، حيث انتقل تحديد المشكلة فيها من كيفية زيادة الإنتاج الغذائي في العالم الثالث إلى مسألة أكثر تحديدا وتخصيصا، وهي كيفية تحسين أصناف الحبوب وراثيا، بهدف زيادة إنتاج هذه المادة. ولا شك أن تعيين المشكلة بهذا الشكل المحدد يسهل العملية إلى حد كبير، فعلماء الوراثة النباتيون بالتخصيص هم المسؤولون الرئيسون عن المشروع لا الاقتصاديون. وفي مشروعات الري، مثلا، تقع المسؤولية على عاتق المهندسين الذين يعملون على إيصال المياه إلى المناطق التي تحتاجها.

وهكذا، فإن تحديد هوية المختصين المسؤولين عن مشروع ما، أمر مهم جدا. أما بالنسبة للتقويم، فإنه يهدف إلى معرفة جدوى المشروع، وإلى التأكد مما إذا كان مفيدا لكل الناس والمجتمع، لا لجماعات أو أفراد محددين. ويتحقق ذلك من خلال دراسات فنية جادة. وهذه الدراسات ينبغي أن تأتي في الوقت المناسب، وقبل أن يصبح الوقت متأخرا جدا بحيث لا يسمح بإعادة صياغة المشروع. ومن المؤكد أن التقويم لا يمكن أن ينجح عندما يفتقر المشروع من حيث المدى والموقع والتوقيت إلى الوضوح، أو عندما يكون عرضة للتأثر بالرياح السياسية.

وسائل للإصلاح

يذكر الكتاب عدة خطوات لإصلاح سياسات الموارد، وهي:

١ ـ تحسين انتقال المعلومات بين الأجزاء المختلفة في نظام صنع السياسة. ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى تحقيق فوائد كثيرة، من بينها اكتشاف التأثيرات البيئية غير المرغوبة ومعرفة مصادر أسباب عدم التوزيع العادل للدخول.

كما أن الانتقال السريع للمعلومات يمنح واضعي سياسات الموارد فكرة أفضل عن الوقت، الذي يجب أن يتم فيه تعديل السياسات غير الناجحة، أو إلغاء هذه السياسات قبل فوات الأوان، وقبل أن يدخل التنفيذ مرحلة يصبح معها تعديل السياسة أو إلغاؤها أمرا متعذرا.

٢ ـ تزويد كل الأطراف التي تتأثر بسياسات الموارد الطبيعية، مثل المؤسسات الخاصة أو المزارعين، **بحوافز تغريهم على التعاون بفاعلية**



سياسات الدول النامية
في استغلال الموارد الطبيعية

من أجل إنجاز أهداف السياسات . مع احتمال فرض العقوبة في حالة عدم التعاون .

ومن الأمثلة على ذلك إقناع المواطن بأن ما تفعله الحكومة في سياساتها تجاه الموارد الطبيعية هو في صالح المجموع العام . وهذا يشكل حافزا عمليا . كما يمكن اللجوء ـ مثلا ـ إلى إلزام كل من يقوم بقطع أشجار باستبدال نبتات جديدة بها مع فرض الغرامات اللازمة ، في حالة عدم الإذعان .

٣ ـ تحسين التخطيط من خلال توسيع مدى المشاركة في هذا التخطيط . ففي الماضي مثلا ، كان الاقتصاديون وحدهم هم الذين يخططون ويقوّمون ، مع أن هؤلاء لا يدركون بصورة كاملة مدى تعقد الآثار الجانبية البيئية . لذلك فإن المؤلفين يحثان على ضرورة إشراك أطراف أخرى في التخطيط مثل علماء البيولوجيا والاجتماع والأنثربولوجيا والبيئة إشراكا فاعلا .

٤ ـ مراقبة «المردود» Feed back وتطوير أساليب التقويم من خلال إشراك المنظمات الدولية المختصة في التقويم ، والإفادة من خبرتها الفنية المحضة البعيدة عن التأثر بالعوامل السياسية .

٥ ـ الاعتماد على مركزية السلطة في تنفيذ سياسات الموارد ، تحقيقا للسرعة في حشد الجهود والبت ، وتوفير الاحتياجات المختلفة مثل الموظفين والمواد والسماد وغير ذلك .

كلمة أخيرة

إن موضوع هذا الكتاب مهم جدا بالنسبة للوطن العربي ؛ لأن هذا الوطن على الرغم من أنه يزخر بمختلف أشكال الموارد ، فإن مناطق كثيرة منه تعاني الفقر أو انخفاض الدخل الفردي ، بسبب سوء سياسات الموارد الطبيعية وعدم القدرة على استغلالها بالشكل المناسب . وهناك أربعة أنواع من الثروات الطبيعية العربية :

أولها **الثروة الزراعية** التي يعتمد عليها ٦٠٪ من السكان تقريبا . ولسوء الحظ فإن القطاع الزراعي لا يفي باحتياجات السكان لأسباب عديدة ، منها عدم استخدام التقنية الحديثة بصورة كافية في العمل الزراعي ، وعدم الوصول إلى الطاقة الاقتصادية الكاملة للأراضي المزروعة ، بالإضافة إلى عدم نجاح سياسات الموارد الزراعية .

وهناك أيضا **الثروة الحيوانية** ، وهي كبيرة جدا وتسهم إسهاما هائلا في الدخل القومي . ولكن هذه الثروة لا تزال بحاجة إلى رعاية واهتمام كإدخال التلقيح الصناعي وتوفير الأعلاف والعناية الصحية البيطرية .

ونذكر كذلك **الثروة البترولية** . ويعادل إنتاج البترول في الدول العربية ـ كما هو معروف ـ ثلث إنتاج العالم ، وهو في تزايد مستمر .

وهناك **الثروة المائية** ، ومن بين عناصرها الأسماك والإسفنج والملح والأصداف واللؤلؤ والأملاح المعدنية والقشريات . وقد تم استغلال هذه الموارد بشكل معقول في كثير من الأقطار العربية . أما الطحالب البحرية والزيوت السمكية والنباتات المائية ، فإنها لم تستغل ـ بعد ـ بصورة مرضية ، ولا بد من بذل جهود جديدة في هذا المجال . ومما يذكر أن النباتات والحيوانات والماء والتربة تعد من الموارد الطبيعية المتجددة ، أما البترول والمعادن والفحم والغاز الطبيعي ، فهي مصادر غير متجددة .

إن وضع سياسات رشيدة وحكيمة بشأن الثروات والكنوز الطبيعية ـ التي ينعم الله علينا بها في وطننا العربي ـ كفيل بإحداث تغييرات جذرية في الأوضاع الاقتصادية والمستويات المعيشية السائدة حاليا . ولا ريب أن الإفادة من تجارب الدول المتقدمة في هذا المجال ، سوف يساعد كثيرا على رسم أفضل الطرق للوصول إلى تطوير سياسات الموارد العربية .

”الموارد الطبيعية في الوطن العربي غير مُستغلّة جيدًا ، ولابد من تغيير سياساتها“



عظة الناشئين

للشيخ مصطفى الغلاييني

محمود رداوي

باتت الكتابات التي قيلت في عصر النهضة العربية خميرة حية في تاريخنا العربي الحديث. وأرى إحياء هذا التراث الحديث دعوة مهمة وصائبة، ورافدًا كبيرًا للدعوة الإسلامية، والصحوة الجديدة، ففي تلك الكتابات شحنات حارة وجادة للإنسان العربي المسلم في عصر الصحوة الإسلامية، والعودة إلى ينابيع السلف الصالح النقية الطاهرة.

وكتاب الشيخ مصطفى الغلاييني (عظة الناشئين) ــ والذي مضى على كتابته زهاء ثمانين عاما ـ أحد كتب عصر النهضة، وإحدى الكتابات التي كان لها وقعها المؤثر في نفوس العباد آنذاك، لا لمضمونها الإسلامي الأخلاقي فحسب، وإنما لأسلوب الخطاب فيها، وللغتها العربية النموذجية، وصياغة جملها وتعابيرها الرائعة. فهو أستاذ من الطراز الأول للغة العربية والنحو كلامًا وتأليفًا.

وإذا كانت عظات الشيخ مصطفى الغلاييني موجهة في الأصل للناشئين فردًا فردًا، فإنها كذلك خطاب جيد يشمل أمة بكاملها، ويلاصق قلوب وعقول الألوف المؤلفة من المجموع الذين هم هدفه، فهو ينطلق من روح المسؤولية والتزام أداء الواجب الوطني والقومي والديني لأمته العربية والإسلامية.

أدواء وأدوية

ولقد كان يرى أن الأفراد بناة الأمة، وكل فرد لبنة صلبة متينة مع مثيلتها في بناء لبنات متراصات محكمات، يتشكل بمجموعها بناء الأمة. والأمة ليست ومن ثمّ غير مجموع الأفراد والجماعات. لذلك سيكون مصدر قوة الأمة قوة أفرادها وجماعاتها. ومن هنا لم ينفصل خطابه الفردي عن الجماعي، يبدأ بالفرد لينتهي إلى الأمة كاملة.

إنه يدعو من خلال عظاته إلى غرس كل البذور النقية التي من شأنها أن تنبت جذورًا قوية متغلغلة في أعماق النفس البشرية ـ الأرض الثابتة المعطاء ــ لتخرج شجرة الإنسان العربي المسلم الأصيل العظيم. ومن ثمّ العمل على اجتثاث كل النباتات الطفيلية التي من شأنها أن تعيق إنبات تلك الشجرة المعطاء.

وإذا تصورنا أنّ عظات الشيخ الغلاييني للناشئين، والتي بلغت خمسًا وأربعين عظة، خطابات تقريرية مباشرة مكثفة، فعلينا أن نتصور أن في كل عظة منها رمزًا أو قيمة أو قضية أخلاقية ودينية وإنسانية واجتماعية. بل كل تلك القضايا تنتهي إلى الإنسان العربي المسلم، وتصب في قلبه ووجدانه وفكره، وتصلح من خلله وعلله، وتشفيه من كل داء.

ومن هنا يبدو لنا ونحن نقرأ تلك العظات كاملة، أن الإنسان العربي المسلم بات وضعه كالمريض الذي يتردد على الأطباء والصيدليات ليشخّص له مرضه ثم يشتري دواءه الشافي، كذلك فهو مهما تقدم به العمر وطال به الزمان ونهل من مناهل العلم والمعرفة والثقافة وتحلّى بمكارم الأخلاق واتبع الكثير من مبادئ الإسلام، يظل أشبه بمريض الجسم، بحاجة إلى طبيب ودواء، إلا من عافاه الله من كل مرض روحي أو جسمي.

ولهذا كان كتاب الشيخ الغلاييني أشبه بالمستشفيات المتخصصة بأمراضها والمتخصصة بعلاجها. فمهما تكن من أمراض عند العباد تجد لها أدوية للشفاء، ويحق لنا أن نطلق على كتابه (أدواء وأدوية). لأن فيه العديد من الوصفات الطبية للعديد من العلل والأمراض النفسية والخلقية والاجتماعية التي تعاني منها مجتمعاتنا وتعشش في نفوس أفرادنا.

الطبيب الماهر

ولقد كان الشيخ الغلاييني في وصفاته وتشخيصه وعلاجه ينطلق من موقفين: إما وصف الدواء، ومثابرة المريض على تناوله للشفاء، أو وصف الحمية التي تجنبه آفة الداء. وهكذا في سائر أدوائه وأدويته التي بلغت خمسة وأربعين داء ودواء.

فمن أدويته التي يصفها ويوصي باتباعها ويلح على تجرّعها: الإقدام،

> هذا الكتاب عصارة فكر وخبرة حياة وتجارب أمم ومخزون ثقافة.

الصبر، الإخلاص، الرجاء، الشجاعة، الشرف، الدين، الوطنية، الحرية، الإرادة، الصدق، الكرم، الثقة، التعاون.. وغيرها من الأدوية المرتبة في صيدلية الشيخ الغلاييني. أما أدواؤه التي يوصي بتجنب أسبابها، وترويض النفس على الحمية حيالها فهي - كما وردت مرتبة في قائمة مرضاه -: النفاق، اليأس، الجبن، التهور، الخمول، الغرور، الترف، الكذب، الحسد، التعصب.. إلى آخر الآفات.

ولقد كانت وصفات الشيخ الغلاييني مركزة منظمة، موضوعة لعلل ثابتة، ولأدواء مشخصة، من حكيم مدرك أبعاد أمراض مجتمعه وأفراده، يحاول أن تكون وصفته جامعة لكل أسباب الشفاء. فقد صبّ فيها عصارة فكر، وخبرة حياة، وتجارب أمم وأفراد، وخلاصة قصص وأمثال، ومخزون ثقافة ومحفوظ تراث، وقوة أسلوب وبلاغة لغة، ولا ينتهي من تلك الوصفات - العظات - حتى يدع مخاطبه مريضه يعتقد بعلاج دوائه، فلا يتردد عندها في تناوله، أو بالأحرى لا ينهي القراءة حتى يحسّ بالعافية، ويتمنى هذا الإحساس لأفراد أمته، فيما لو تناولوا مثله الجرعات نفسها، فهم حتما سيحسون إحساسه بالهداية والشفاء والعظمة.

والغلاييني شيخ تربى تربية إسلامية، ونهل العلوم والثقافة واللغة من مناهلها الإسلامية والعربية الأصيلة، فتزود قيم الإسلام، واقتدى بدروس خاتم الرسل وصحابته؛ فكانت عظاته أصيلة في منبعها سامية في أهدافها، صالحة لمبتغيها، ثم كانت أولاً وأخيرًا مستمدة نقاءها ورونقها وتأثيرها من وحي القرآن الكريم.

وحتى الطلبة من الناشئين المتعثرين في إنشائهم وكتاباتهم يجدون في عظاته - فضلاً عن تقويم الروح والأخلاق والشخصية - نموذجًا رفيعًا من الكتابة الإنشائية وصياغة رائعة في التعبير الوجداني والاجتماعي والفن الأدبي.

فإعادة طباعة مثل هذه الكتب ضرورية لقارئنا المعاصر. وما أحرانا اليوم بتوفير مثل هذه الكتب له.

نماذج من العظات

● يرى الشيخ الغلاييني أنّ **دواء الإقدام قد غرس الله** بذوره في الإنسان ليعود عليه وعلى مجموع الأمة بالخير إليهم. فهو **سلاح السلف الصالح**، وبه بلغوا تلك العظمة الهائلة.

● **والصبر** معيار العقل والنجاح، لأن الرجل العاقل من يصبر على الخطوب ويقابلها رابط الجأش، وإن **النفس العاقلة** فيها ملكة التؤدة والتأني، وهي تسعى هادئة لتزيل ما ألم بها من الخطْب، وتدفع عنها عادية المحن.

● **والعمل جسم روحه الإخلاص**، فكما أن الجسم متى فارقته روحه التي بها قوامه كان جثة هامدة لاحراك فيها ولا فائدة ترجى منها، كذلك العمل إذا زايله الإخلاص.

* **ويرى الشيخ الغلاييني** من أدوائه **النفاق** ذلك الداء الوبيل والمرض الفتاك، أكثر ضررًا بالأمة من ألد أعدائها، لأنه لم ير بين الخلال القبيحة والصفات الضارة - التي سرت في جسم الأمة سريان الكهرباء في الأجسام - خلة أقبح ولا صفة أشنع من داء النفاق.

● وما استولى **اليأس** على أمة إلا أخملها، ولا خامر قلوب قوم إلا أضعفها. وناهيك بضعف القلوب مُخْملا، فإنه أشد ألمًا من مرض الأجسام، وشرّ أثرًا من وقع الحسام.

* **ولقد قرن الشيخ الغلاييني أدويته بالحياة، وأدواءه بالموت**. كأن يقول:

(فإن في الجبن الموت وفي الشجاعة الحياة). أو: **(فما اليأس إلا موت في الحياة، وشقاء بعد الموت)**. **(وإن الحياة مع اليأس موت)** و**(فقدان الثقة فقدان الحياة)**.

ومن طرقه التي يستخدمها دومًا في عظاته أسلوب **الأمر والنهي**. **الأمر** في معرض الامتثال والإعراض، والنهي في معرض التحذير. ففي معرض الأول يقول مثلاً:

(فكن أيها الناشئ مخلصًا في عملك تبلغ أقصى أملك، واحذر أن تبيع الوجدان بالأصفر الرنان، فذلك دأب المنافقين، الذين يستبدلون الدنيا بالدين، والضلال باليقين).

أو يقول مضيفًا للمعرض الأول صيغة لفظية من **سجع وجناس**:

(فاذبحوا اليأس، وقوُّوا البأس، تكونوا من المفلحين).

أما في المعرض الثاني، **معرض النهي**، فيقول مثلاً بعد أسلوب الأمر:

(فتنبهوا أيها الناشئون إلى ما يحيط بكم من سباع الملذات، وما يحوطكم من ضواري الشبهات، ولا تسيروا سير العادين، كيلا تكتبوا في الذاهبين).

وكذلك يقول مثلاً في معرض النهي والتحذير: **(فإياكم معشر الناشئين والكذب، فإنه يؤدي إلى ثلم تاج الشرف، واحذروا الإخلاف بالعهد فإنه داعية نفور الأمة)**.

* وكثيرا ما تقوم منهجيته على تقرير الموعظة منذ الافتتاحية والدخول فيها بأسلوب الأمر أو الطلب، ولكنه بشكل الحكمة، كأن يقول مثلاً في بداية موعظة **(التعاون)**:

(كن عونًا لغيرك يكن غيرك عونًا لك، وأحبب الخير له يحبب الخير لك). كما تأخذ منهجيته شكل الحكم المصبوغة بالتقرير الطبي في نهاية

> الغلاييني عبّر عن أفكاره بمنهجية منظمة وأسلوب أدبي راقٍ.

الموعظة. كقوله في نهاية موعظة (القيام بالواجب) : (أنصف الناس من نفسك ينصفوك من أنفسهم. وقم بالواجب عليك نحو غيرك، يقم بالواجب عليه نحوك). وهكذا في الحالتين - البداية والنهاية - محاولة جادة لغرس أنجع الأدوية في أعماق النفس. والتزام الدعوة الإصلاحية تحتم عليه ملاصقة النفوس ملاصقة حميمة.

تصوير وتحليل وتحذير

● ولقد عبر **الشيخ الغلاييني** عن كثير من أفكاره وعظاته **بمنهجية منظمة موزونة**. فقد يجمل الفكرة الأساسية بعناصر بارزة ثابتة، ثم يحلل ويوضح كل عنصر على حدة، لتكتمل الفكرة بأسرها. يقول مثلاً في عظة **(الثقة)** :

(المخادع والمرائي والمنافق والكاذب والطامع والخائن والأناني، كل أولئك منفور منه، منئيّ عنه، وما ذلك إلا لفقد الثقة به من النفوس).

ثم يأخذ في توضيح ورسم صورة كل واحد من هؤلاء الأشرار السبعة لينتهي إلى فحوى عظته.

* وتظل منهجية **الشيخ الغلاييني** تقوم على **تصور المساوئ** بأبشع صورها، وتحليل لجذورها المقيتة وتتبع لدبيب حركتها في النفس الإنسانية، ثم **التحذير من تلك المساوئ** والحث على درء ضررها، والوقاية من شر وبائها كعادته في الكثير من عظاته كما في عظة **(الحسد)**.

* وقد ينتقي الشيخ الغلاييني من خميرة التاريخ العربي الإسلامي الأصيل قطعة حيّة، فيها من الفاعلية الشيء العظيم على التغيير وإصابة الهدف وتحقيق الغاية المرجوة، ينتقي ذلك ليفتتح بها عظته، ثم يترجم لنا الأثر الذي خلفته تلك القطعة التاريخية الرائعة، وينقل مدلولها وانطباعها وشحناتها في النفوس. يقول في عظة (المصلحة المرسلة) : «دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك فقال : « يا أمير المؤمنين أتت علينا ثلاثة أعوام : فعام أذاب الشحم، وعام أكل اللحم، وعام انتقى العظم، وعندكم فضول أموال، فإن تكن لله فبثوها في عباد الله ــ وإن تكن للناس فلم تحجب عنهم؟! وإن كانت لكم فتصدقوا بها، إن الله يحب المتصدقين». قال هشام : «هل من حاجة غير هذه يا أعرابي؟!» قال : «ما ضربت إليك أكباد الإبل أدرّع الهجير، وأخوض الدجى، لخاص دون عام».

فأمر له هشام بأموال فرّقت في الناس، وأمر للأعرابي بمال فرّقه في قومه. ويعلق قائلاً :

(إن لهذا **الأعرابي** أيها الناشئ نفسًا كبيرة ووجدانا صحيحًا وغيرة على قومه وغير قومه عظيمة، وذلك ما دعاه ألا تكون الأثرة بالخير دون سواه، لأنه علم علم اليقين أن حياة الفرد حياة السعادة وقومه في الشقاء، لهي حياة الذل وعيشة البؤس).

الوعظ بالشعر والأمثال

● وإذا كان الشيخ الغلاييني - كما رأينا - يستفتح عظته **بحكمة** أو نص تاريخي، فإنه في الوقت نفسه يلجأ في فاتحته إلى النص الشعري، ولا سيما إن **أثارته قضية**، أو حرّكه موقف أو استحوذت على اهتمامه عظة أكثر من غيرها - **كالدين** مثلا - فسرعان ما نراه يركن إلى الشعر الذي تستجيش له **قريحته**، وتتألق فيه صياغته وعاطفته، فلا يجد نفسه إلا وهو ينظم **شعرًا** في دوائه الأساسي الذي **يشفي كل المرضى من كل الأدواء. ألا وهو الدين** :

حق العـلاء لأنفس طَهُـرَتْ	عنهـا تنـاءى الفحش والفَنَـدُ
لبست دِثـار العلم وادّرعت	بالـدين، فهـو لمجدهـا عمد
فـالـدين لـولاه لمـا انقطعت	عن عقل هـذا العـالم العقـد
ولمـا استقـام لأمـرهم عِـوَج	ولمـا أقيـم لميلهـم أَوَدُ

ولا يكتفي بهذه المقدمة الشعرية، فيعود في سياق عظته إلى الشعر الذي تلهج به أعماقه وروحه. وقد وقف بمخاطَبه - بفتح الطاء - عند مفترق الطرق ممن يضرون ويسيؤون إلى الدين، فوجدهم واحدًا من رجلين :

ظنَّ دينَ الله في تـرك الـدنـا	ورأى الإعـراض عنهـا أنفعـا
وهـو لـو جـاءتـه منهـا بـدرة	طلّق التقـوى وعـاف الـورعـا
فهـو لا زُهْـدًا بهـا عنهـا نأى	لكنـه الجـدُّ يـذيـب الأضلعـا
خـاف أن يسعى فيـدمي رجلـه	فـرأى الـراحـة فيمـا صنعـا
ليس بـالـزهـد في الـدنيـا امـرؤ	يلبس الصـوف ويهـوى الـرقعـا
إنمـا الـزاهـد في الـدنيـا امـرؤ	عـفّ نفسًـا فأبى أن يخنعـا

أما الرجل الثاني فقد اكتفى الشيخ الغلاييني بوصفه نثرًا؛ وهو ذاك الرجل الذي «**يدعو إلى باطل باسمه، ويكفّر سواه أو يبدّعه أو يفسّقه**، لتظن العامة أنه متدين، وهو بعيد عن الدين بعد السماء عن الأرض، وبعدها فعَلى الشيخ الغلاييني أن يقف عند جوهر الدين والمتدينين، فيحذر - كعادته - نثرًا، ويشحن الوجدان شعرًا :

فاحذر أيها النشء الصالح هذين الرجلين، فهما آفة الدين. الدين نور، وعمل هذين ظلمة. الدين حق، وعملهما باطل. الدين عمران، وما يدعوان إليه خراب.

لا تَظُنَّ الـديـن مـا يملي الهـوى	ليس دينُ الله تلـك البـدعـا
إنمـا الـديـنُ ضيـاءٌ لَمَعَـا	فـاستنـار الكـونُ لمـا سطعـا
قبست منـه المعـالي شعلـة	صدعت قلب الدجى فـانصدعـا

● وإذا كان هذا جوهر الدين لدى الشيخ الغلاييني، وكانت جل عظاته

> "عظات الغلاييني لاتزال صالحة لمجتمعنا الحالي بعد ثمانية عقود على كتابتها ."

ـ كما ذكرنا ــ تنهل من مورد الإسلام، وتتفيأ ظلال القرآن، فلا بد أن نجده من حين لآخر يمهد لفكرته أو عظته بكلام مستوحى من آيات **القرآن الكريم**، ثم يضعنا وجهًا لوجه أمام **النص القرآني**، فيوضح مدلوله، ليتم بناء الفكرة بإتقان. فمثلاً يقول من عظة (**ورثاء الأرض**) :

(**الإنسان خليفة في الأرض، وإليه وكل أمر عمرانها وتجويدها . .**) إلى آخره من عبارات لينتهي إلى القول : (**وإلى ذلك الإشارة بقـوله تعـالى :**

﴿ **ولقد كتبنا في الزَّبورِ مِن بعد الذكر أنَّ الأرضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالحونَ** ﴾ الأنبياء ١٠٥ . ويأخذ **الشيخ الغلاييني** بتفسير إحدى كلمات النص القرآني السابق بما يتفق ومنظوره الديني والإصلاحي، فيقول : (**والمراد بالصالحين في هذا المقام من كانوا صالحين لعمارتها، وتجويد أعمالها**، وتحسين حال سكانها، بنشر العلم، وبسط لواء العدل، والاحتياط لدفع العدو، والأخذ بيد الأعمال النافعة . كالزراعة والصناعة والتجارة، وليس المراد بهم من يطيلون الركوع والسجود، وهم عن اتخاذ الأسباب لوراثة الأرض هجود) .

* وإذا كان **الشيخ الغلاييني** ينهل من آيات القرآن مغزى وفكرًا، ويتخذ منها عناوين لعظاته، فإنه أيضًا يلجأ إلى الأحاديث النبوية للغاية نفسها،

فكثيرا ما رأيناه يقدم ويمهد لفكرته كي يدخل بنا إلى حديث شريف يتضمن العنوان الأساسي لعظته، كقوله مثلاً في عظته (**انتظر الساعة**) : (إن لكل عمل وُسِّد إلى غير أهله نهايةً هي الخراب، وساعةً ينتهي إليها أهلُه هي الفشل فيه . وإلى ذلك الإشارة في الحديث الصحيح : «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» أي ساعة الإخفاق فيه وفساده) .

● كما يدخل **الشيخ الغلاييني** إلى قضيته **بمثل من أمثال العرب** تفضي به إلى جوهر عظته، وكأنه يستمد من ذلك المثل ـ كعهده بكل ما يستشهد به ـ ثبات فكرته وأصالة منهله ويقين مراده . يقول في مطلع عظته (المرأة) : (من أمثال العرب : «**كل ذات صدار خالة**» . أي من حق الرجل أن **يغار** على كل امرأة كما يغار على **حرمه**، لأن كل امرأة **أخت لأمه في الجنسية**، فتكون خالة له) . ويتابع طريقته في تقديم عظته، وقد منح الوجدان شحنة، والفكر دفقة .

العظات غذاء للعقل وصقل اللغة

وقد يجري الشيخ الغلاييني ــ وهو اللغوي المفوّه ـ **وراء اللغة وكنوزها**، ويقف عند أصل عنوان عظته ومدلوله أو قضيته، فيجد أنه لا خلاف في جوهر المدلول اللغوي وجوهر الموعظة المدني أو اتجاهها الاجتماعي والإصلاحي، فيقول مثلاً في بداية قضية (**الحرية**) :

(**الحرية هبة من الخالق للمخلوق**، يصرّفها فيما يعود على نفسه وعلى غيره بالسعادة والخير . **وتدل في اللغة على معنى الخلوص، فالحر خلاف العبد لخلوصه من الرق، وحرّ كلِّ شيء خياره، والحر من الطين** والرمل هو الطيب منهما، ورملة حرة أي صالحة للإنبات، وحر كل أرض أطيبها) . ثم يستخلص من الدلالات اللغوية ما يأتي : (فأنت ترى أن هذه المادة تدل على الطهارة والجودة وخلوص الشيء مما يكدر صفاءه وجودته) . وعندها يحين المقام ليدخل إلى صلب موضوعه بعد أن أوحى لقارئه بتلك الدلالات الأصيلة؛ فنراه يقول : (والحر بالمعنى المدني من كان خالص التربية، نقيّ النفس، متمسكًا بالفضائل، كاسرًا قيود العبودية، عاملاً بما يطلبه منه الواجب) .

● وهكذا فإن **الشيخ الغلاييني ـ بوصفه عالم لغة ـ** يستفيد من كنوز اللغة العربية، ويعرف أسرارها، وأساليب التعبير عن بلاغتها وفاعليتها . كما يدرك جيدًا أن أية فكرة مهما سمت في مدلولها لا قيمة لها إن لم نلبسها لغة جميلة مستقيمة متألقة .

لذلك فقد رأيناه يجوّد أسلوبه اللغوي ويصقله جيدا من خلال التركيب والبناء والتصنيع والصياغة، لتجيء لغته كيانًا محكمًا، فضلاً عما يزخرفها به من محسنات لفظية ـ وبخاصة السجع ــ من حين لآخر، لتضيف لمدلولها الإصلاحي إيقاعًا صوتيًا جميلاً .

● وأخيرًا كان الشيخ **مصطفى الغلاييني** أحد الدعاة المسلمين، لأنه دعا إلى إصلاح الجانب **الروحي والأخلاقي والاجتماعي والنفسي** والشخصي في **إنساننا العربي المسلم**، الذي هو اللبنة الأساسية في بناء مجتمع كامل تسوده القوة والعزة والمثل والحق والخير .

وكان خطابه عظات حارة، نابعة من العقل والقلب والوجدان . ولم تتجه إلى فرد دون آخر في هذا المجتمع، ولا إلى حقبة دون أخرى، فهي ـ رغم مرور **أكثر من ثمانين عامًا** على إنشائها وإصدارها ـ لا تزال صالحة لمجتمعنا الحالي، ولكل عناصره؛ فقد وجدناه أيضًا يخاطب في عظاته الصفوة والقادة قبل العامة، وكأنه يرى أن النفوس البشرية واحدة مثلما أجسامها واحدة في تعرضها للأمراض والعلل والأدواء، لأن المرض لا يفرق بين كبير وحقير، ورفيع ووضيع؛ والجميع بحاجة إلى الدواء . وكذلك عظات الشيخ الغلاييني كانت هي الدواء لصلاح نفوس الناشئين والأفراد كلهم .

إعداد: محمد عبد العظيم دكروري

أعلام المفسرين «٤»
(من الصحابة)

أ

أُبَيّ بن كعب:

هو أبو المنذر، أو أبو الطفيل، أبيُّ بن كعب بن قيس، الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة وبدرًا، وهو أول من كتب لرسول الله ﷺ حين مقدمه المدينة، وقد أثنى عليه عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال: «أبيٌّ سيدُ المسلمين» وقال: «أبي أقرؤنا». رواه البخاري.

منزلته وعلمه:

يعتبر أبي بن كعب سيِّدَ القراء، وأحدَ كُتَّاب الوحي لرسول الله ﷺ، وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «وأقرؤهم أبيُّ بن كعب»، وليس أدل على جودة حفظه لكتاب الله تعالى من قراءة رسول الله ﷺ عليه، فقد أخرج الترمذي بسنده إلى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «إنَّ النبي ﷺ قال لأبي بن كعب: إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿**لم يكن الذين كفروا**﴾، قال: آلله سماني لك؟، قال: نعم، فجعل يبكي».

وفي رواية أنه قيل لأبي: وفرحت بذلك؟

قال: وما يمنعني، وهو يقول: ﴿**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**﴾ يونس ٥٨.

الصحابي العالم:

كان أبي بن كعب من أعلم الصحابة بمعاني القرآن الكريم، وقبل ذلك كان حبرا من أحبار اليهود، العارف بأسرار الكتب القديمة وما ورد فيها، وهو أحد كتَّاب الوحي لرسول الله ﷺ، وذلك يجعله على علم عظيم بالناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمفصل والمجمل، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، وأسباب النزول، ومقدم القرآن ومؤخره، وكانت لا تمر عليه آية يُشكل معناها عليه دون أن يسأل رسول الله ﷺ، ولذلك كان تفسيره معتدا به.

مبلغ ما يروى عنه من الصِّحة:

لم يسلم أبي بن كعب كغيره من الصحابة من الوضع عليه، والكذب فيما نسبَ إليه من تفسير لآيات القرآن الكريم، وقد مَحَّص العلماء ما أُثر عنه من روايات وأشهرها:

١ ـ طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي رضي الله عنه. وهذه طريقة صحيحة وقد ورد في التفسير عن أبي نسخة كبيرة، يرويها أبو جعفر الرازي بهذا الإسناد إلى أبي، وقد خرَّج ابن جرير وابن أبي حاتم منها كثيرا، وأخرج الحاكم منها أيضا في مستدركه، والإمام أحمد في مسنده.

٢ ـ طريق وكيع عن سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي عن أبي وهذه يخرج منها أحمد في المسند، وهي على شرط الحسن، لأن عبد الله بن محمد بن عقيل وإن كان صدوقا تُكُلِّم فيه من جهة حفظه. قال الترمذي في سننه: «عبد الله بن محمد بن عقيل، هو صدوق وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه، وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان أحمد بن حنبل، وإسحق بن إبراهيم، والحميدي، يحتجون بحديث عبد الله بن محمد بن عقيل. قال محمد ـ يعني البخاري ـ وهو مقارب الحديث، ونص الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد على أن حديثه حسن».

وفاته:

اختلف المؤرخون في وفاته على أقوال كثيرة، والأكثر على أنه مات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقيل توفي سنة ثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان رضي الله عنه.

ز

زيد بن ثابت :

هو زيد بن ثابت بن الضحاك البخاري الأنصاري، كان عمره لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة إحدى عشرة سنة، وأول مشاهده الخندق، وهو أحد كتبة الوحي لرسول الله ﷺ، وقد أمره النبي الكريم ﷺ أن يتعلم السريانية، قال له: «تعلم لغة يهود فإني لا آمنهم على كتاب الله»، فأقبل عليها وحذقها في خمسة عشر يومًا.

علمه وفضله :

كان زيد من أعلم الصحابة والراسخين في العلم، وكان من أفكه الناس إذا خلا مع أهله، وأزمتهم إذا كان في القوم، ويوم «تبوك» كانت راية بني مالك ابن النجار مع (عمارة بن حزم) فأخذها رسول الله ﷺ ودفعها إلى زيد بن ثابت، فقال عمارة: يا رسول الله بلغك عني شيء؟

قال: لا ولكن القرآن مُقَدَّمٌ وزيد أكثر أخذا للقرآن منك».

مسؤولية جمع القرآن: (١)

قام أبو بكر بأمر الإسلام بعد رسول الله ﷺ، وواجهته أحداث جسام في ارتداد جمهرة من العرب عن الإسلام، فجهزَ الجيوش وأوقدها لحروب المرتدين، وكانت غزوة أهل اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة تضم عددا كبيرا من الصحابة القراء، فاستشهد في هذه الغزوة سبعون قارئا من الصحابة، فهال ذلك عمر ابن الخطاب، ودَخل على أبي بكر وأشار عليه بجمع القرآن وكتابته خشية الضياع، فإن القتل قد استحَر (اشتد) يوم اليمامة بالقُرّاء، ويخشى إنْ استحر بهم في المواطن الأخرى أن يضيع القرآن ويُنسى، فنفر أبو بكر من هذه المقالة، وكبُر عليه أن يفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ، وظل عمر يراوده حتى شرح الله صدر أبي بكر لهذا الأمر، ثم أرسل إلى زيد بن ثابت لمكانته في القراءة والكتابة والفهم والعقل، وشهود العرضة الأخيرة، وقص عليه قول عمر، فنفر زيد من ذلك كما نفر أبو بكر من قبل، وتراجعا حتى طابت نفس زيد للكتابة، وبدأ زيد في مهمته الشاقة معتمدا على المحفوظ في صدور القراء، والمكتوب لدى الكتبة، وبقيت تلك الصحيفة عند أبي بكر.

روى البخاري بسنده عن زيد بن ثابت قال:

أرسل إليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استَحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أريد أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله؟، قال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك رأي عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟، قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مكتوبة مع غيره ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم**﴾ حتى خاتمة براءة. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر» حتى طلبها عثمان من حفصة.

وروى البخاري بسنده عن أنس بن مالك:

أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفةَ اختلافُهم في القراءة، فقال لعثمان: أدْرِكْ الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلغة قريش؛ فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق، قال زيد: آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري، ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾ الأحزاب ٢٣. فألحقناها في سورتها في المصحف.

وعن قتادة قال: «سألت أنس بن مالك من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟ فقال أربعة: كلهم من الأنصار، أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد ابن ثابت، وأبو زيد، قلت ومن أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي». رواه البخاري.

وفاته :

وبحسبه مفخرة وفضلا أنه هو الذي جمع القرآن في الصحف في عهد الصديق، بعد أن كان مفرقا في العسب، والأكتاف واللخاف، وأنه رئيس الجماعة التي كتبت المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه. وكانت وفاتُه سنة خمسٍ وأربعين للهجرة رضي الله عنه وأرضاه.

ع

عبد الله بن عباس :

هـو عبد الله بن عبـاس الهـاشمي ابن عم رسول الله ﷺ، أمـه أم الفضل لُبَابَـة بنت الحارث الهـلالية، وُلـد وبنو هـاشم بالشِّعب قبل الهجـرة بثلاث سنين، فهو إذن هاشمي قرشي، والبيت الهاشمي هـو خير بيوتات قريش، وأشرفها نسبًا وحسبًا.

قال النبي ﷺ«إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من كنانة بني هاشم» رواه مسلم.

العالم الرباني :

دعـا رسـول الله ﷺ لابن عباس فقـال : «اللهم فقهه في الـدين، وعلِّمه التأويل» رواه أحمـد والطبـراني، وفي صحيح البخـاري بلفظ « اللهم علِّمـه الحكمة» وفي رواية «اللهم علِّمه الكتاب».

وكان ابن عباس أعلم الصحابة بتفسير القرآن قال ابن مسعود :

«نِعْمَ ترجمان القرآن، ابن عباس» رواه ابن سعد، والبيهقي في الدلائل.

وقد آتى الله تعـالى ابن عباس فصاحة اللســان، وبلاغة البيان، طـاوعته العـربيـة فـانقـادت لـه أسـاليبهـا، واستثمـرهـا في قـوة الحجـة، وإقـامـة البرهان، وبيان الحق، وتفسير القرآن.

عن مسروق قال :

«كنت إذا رأيت ابن عبــاس قلت أجمل النـاس، فـإذا نطق قلت أفصح الناس، فإذا تحدث قلت أعلم الناس».

ولما مات زيد بـن ثابت قال أبو هريرة : مات حبـر هذه الأمة، ولعل الله أن يجعل في ابن عباس خلفًا.

وسئل ابن عمر عن آية فقال : «انطلق إلى ابن عبـاس فاسأله، فإنه أعلم من بقي بما أنزل على محمد».

وعن مجاهد قال : «كان ابن عباس يُسَمَّى البحر لكثرة علمه»، وكان مع سعة علمه ذا رأي ثاقب، وبصيرة نافذة.

ولما مات ابن عباس قال محمد بن الحنفية : مات رباني هذه الأمة.

وكان عمر رضـي الله عنه يقول : «ذاكم فتى الكُهول، لــه لسان سؤول، وقلب عَقولٌ».

وقال فيه عطاء : «ما رأيت أكـرم من مجلس ابن عباس : أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحـاب الشعر عنده، يصدرهم كلهم من وادٍ واسع».

وكـان علي بن أبي طالب يثني علـى تفسير ابن عبـاس ويقول : «كأنمـا ينظر إلى الغيب من ستر رقيق».

وقد حفـظ عن النبي الكريم ألفـا وستمائة وستين حـديثا أثبتهـا البخاري ومسلم في صحيحيهما.

أسباب نبوغـه :

يُرجع الدكتور محمد الذهبي، أسباب نبوغه إلى ما يأتي :

أولًا : دعاء النبي ﷺ بقـوله « اللهم علِّمـه الكتاب والحكمـة» وفي رواية «اللهم فقهه في الدين وعلِّمه التأويل».

ثانيًا : نشأتـه في بيت النبوة ومـلازمته لـرسول الله ﷺ في عهـد التمييز، فكـان يسمع منه الشيء الكثيـر، ويشهد من الحـوادث والظروف التي نـزلت فيها بعض آيات القرآن.

ثالثًا : ملازمته لأكـابر الصحابة بعد وفـاة النبي ﷺ، يأخذ عنهم ويروي لهـم، ويعرف منهم مـواطن نزول القـرآن، وتواريخ التشريع وأسبـاب النزول، وبهذا استعاض عما فاته من العلم بموت النبي ﷺ.

رابعًا : حفظه للغـة العربية، ومعـرفته لغـريبها، وأدابها، وخصـائصها، وأساليبها، وكثيرا ما كان يستشهـد للمعنى الذي يفهمه من لفظ القرآن بالبيت والأكثر من الشعر العربي.

خامسًا : بلوغه مرتبة الاجتهاد، وعدم تحـرجه منه، وشجاعته في بيان ما يعتقد أنه الحق، دون أن يأبه لملامة لائم ونقد ناقد، ما دام يثق بأن الحق في جانبه، وكثيرا ما انتقد عليه ابن عمـر جرأته على تفسير القرآن، ولكن لم ترق له همة نقده، بل ما لبث أن رجع إلى قـوله واعترف بمبلغ علمه، فقد رُوي أن «رجلا أتى ابن عمـر يسأله عن معنى قولـه تعالى ﴿ **أو لم ير الـذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما**﴾ الأنبياء : ٣٠.

فقـال : اذهب إلى ابن عباس ثم تعـال أخبرني، فـذهب فسأله فقـال :

كـانت السمـوات رتقـا لا تمطـر، وكـانت الأرض رتقـا لا تنبت، ففتق هـذه بالمطـر، وهذه بالنبـات، فرجع الرجل إلـى ابن عمر فأخبره فقـال : قد كنت أقول : مـا يعجبني جرأة ابن عباس على تفسيـر القرآن. فالآن قـد علمت أنه أوتي علمًا».

هـذه هي أهم الأسباب التـي ترجع إليهـا شهـرة ابن عباس في التفسيـر، يضاف إلى ذلك كونه من أهل بيت النبوة، منبع الهـداية، ومصدر النور، وما وهبه الله من قريحة وقَّادة، وعقل راجح، ورأي صائب، وإيمان راسخ، ودين متيـن»[١]

تواضعه وصلاحه :

قد كـان ابن عباس صورة مشرقـة للتواضع النبوي الكريم، فـازداد بعلمه رقة وليـنًا ورفقا بالمسلمين، فأعطى لكـل إنسان قدره من التـوفير والتبجيل، وعرف لكل ذي فضل فضلـه، روى أحمد في المسند عن ابن عبـاس قال : صليت خلف رسـول الله ﷺ، فأخـذ بيدي، فَجَـرَّني حتى جعلني حِـذَاءَهُ، فلما أقبل على صـلاته خَنَسْتُ (تأخرت) فلما انصرف قـال لي : ما شأنك ؟ فقلت يا رسول الله، أو ينبغي لأحد أن يُصلي حِذَاءَكَ وأنت رسول الله ؟! فدعا لي أن يزيدني الله علما وفهما».

وركب زيد بن ثابت بَغْلَته فأخذ ابن عباس بركابه، فقال : لا تفعل يا ابن عم رسول الله، فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقَبَّل زيد بن ثابت يده، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا».

الرواية عن ابن عباس ومبلغها من الصحة :

روي عن ابن عباس فـي التفسير ما لا يحصى كثـرة، وتعددت الـروايات عنه، واختلفت طرقهـا، فلا تكاد تجد آية من كتـاب الله إلا ولابن عباس فيها قـول أو أقوال، الأمـر الذي جعل نقَّـاد الأثر ورواة الحـديث يقفون إزاء هـذه الروايـات التي جاوزت الحـدَّ وقفة المـرتاب، فتتبعـوا سلسلة الـرواة فعدَّلـوا العـدول، وجرحـوا الضعفاء، وكشفـوا للناس عن مقـدار هذه الـروايات قـوة وضعفا.

وهذه هي أشهر الطرق :

أولها : طـريق معـاويـة بن صـالح، عن علي بن أبي صلحـة، عن ابن عباس، وهذه هي أجود الطرق عنـه، وفيها قال أحمد بن حنبل : «إن بمصر صحيفة في التفسيـر رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيهـا إلى مصر قاصدا ما كان كثيرًا».

ثانيًا : طريق قيس بن مسلم الكوفي، عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير، عن ابن عبـاس، وهذه الطريق صحيحة على شـرط الشيخين، وكثيرا ما يخرِّجُ منها الفريابي الحاكم في مستدركه.

ثالثها : طريق ابـن إسحاق صاحب السيـر، عن محمد بن أبـي محمد مولى آل زيد بن ثـابت، عن عكرمة أو سعيد بن جبيـر عن ابن عباس، وهي طـريق جيدة وإسنـادها حسن، وقـد أخـرج منها ابن جـرير وابن أبي حـاتم كثيرا، وأخرج منها الطبراني في معجمه الكبير» ا هـ.

وهناك طرق أخرى كثيرة ضعيفـة وموضوعـة.

«تنوير المقياس من تفسير ابن عباس» :

جمع هذا التفسيـر أبو طاهر محمـد بن يعقوب الفيروزآبـادي الشافعي، صاحـب «القاموس المحيـط»، وطبع بمصر مـرارًا، ومعظم ما فيـه مكذوب على ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ ومن أرادَ الحقَّ فليلتمس الروايـة الصحيحة عنه.

وفـاتـه :

أقام ابن عباس بـالطائف، وكان قد فقد بصره في أخـريات عمره، فجاء أحد الناس يواسيه فقال له :

إن يـأخـــذ الله مـن عينـي نُـــورَهمـــا
ففـي لســـانـي وقلبي منهمـــا نُـــورُ
قلبـي ذكـيٌ وعقلـي غيـــــر ذي دَخَـلٍ
وفـي فمي صـــارم كـــالسيـف مأثـــورُ

وبـالطائف كـانت وفاتـه سنـة ثمانٍ وستين من الهجـرة، ولـه من العمـر سبعون سنة، وتولى وضعه في قبره محمـد بن الحنفية وقال بعد أن سوَّى عليه التراب :

مات والله اليوم حَبْر هذه الأمة، رضي الله عنه وأرضاه.

عبد الله بن عمـر :

هـو عبد الله بن عمـر بن الخطـاب، بن نُفيل من بني عَـدي بن كعب بن لؤي بن غـالب بن فهر بن مالك بـن النضر، ويجتمع مع النبي ﷺ في كعب ابن لؤي.

ولد ابن عمر في السنة الثانية من المبعث، لأنه ثبت أنه كان يوم بدر ابن ثلاث عشرة سنـة، وكانت بدر بعد البعثة بخمس عشـرة سنة، وأسلم مع أبيه وهاجر معه.

قال ابن عبد البر في كتابه «الاستيعاب في معرفـة الأصحاب» :

«أسلم عبد الله بن عمر مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الـحُلُم».

وكانت الخنـدق أول مشاهـده، فعن نـافع عن ابن عمر قـال : عُرضت على رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشـرة سنة فلم يجزني وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني» متفق عليه.

ثم شهد مع رسول الله ﷺ المشاهـد كلها، وشارك مع الخليفتين أبي بكر وعمر في الفتوحات الإسلامية، وقـدم الشام والعراق والبصرة وفارس واليرموك وفتح مصر.

منزلته وعلمه :

سأل رسول الله ﷺ صحابته سؤالا قائلا :

«إن من الشجر شجـرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المـؤمن، حدثـوني ما هي ؟ قـال عبد الله : فـوقع النـاس في شجر البـوادي، ووقع في نفسي أنهـا

النخلة ؟ فاستحييت أن أقول وفي القوم أبو بكر وعمر، فقال النبي ﷺ : «هي النخلة» :

قال عبد الله : فحدثت عمر بالذي وقع في نفسي، فقال : لأن تكون قلتها أحبُّ إلى من أن يكون لي كذا وكذا» .

ويتجلى علمه الواثق، وحجته الدامغة، في ردِّه على الحجَّاج الثقفي حين كتب إليه متطاولا على ذلك العَلَم الألمعي الصالح :

«بلغني أنك طلبت الخلافة، وإن الخلافة لا تصلح لعييّ ولا بخيل ولا غيور» .

فكتب إليه ابن عمر : «أما ما ذكرت من أمر الخلافة أني طلبتها، فما طلبتها وما هي من بالي، وأما ما ذكرت من العِيِّ والبخل والغَيْرة، فإن من جمع كتاب الله عز وجل فليس بعييّ، ومن أدَّى زكاة ماله فليس ببخيل، وأما ما ذكرت من الغيرة فإن أحق ما غرتُ عليه وَلَدي أن يشركني فيه غيري» .

وابن عمر أحد العبادلة الأربعة : «عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير»، الذين جمعوا كتاب الله في صدورهم وعرضوه على النبي ﷺ .

ولم يكن حفظه للقرآن الكريم عن ظهر قلب، بقصد التذوق والمتاع، ولا التباهي والتعالي، إنما كان يحفظ القرآن للعمل والاتباع، وهذا شأن هذا الجيل القرآني الفريد، الذي ترجم القرآن إلى سلوك وحياة وجهاد موصول .

وكان لطول ملازمته للنبي عليه الصلاة والسلام، وقربه منه، أعظم الأثر فيما حفظ من الأحاديث النبوية الشريفة .

قال النووي : واعلم أن ابن عمر أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية عن النبي ﷺ وهم : أبو هريرة، ثم ابن عمر، ثم أنس بن مالك، وابن عباس، وجابر، وعائشة .

وبلغت روايته ثلاثين وستمائة وألفي حديث (٢٦٣٠) حديثا، أخرج له الشيخان ـ البخاري ومسلم ـ (٢٨٠) حديثا، اتفقا على (١٦٨) حديثا منها، وانفرد البخاري بـ (٨١) حديثا، ومسلم بـ (٣١) حديثا، وأحاديثه في الكتب الستة والمسانيد وسائر السنن .

وكان ـ رضي الله عنه ـ مع سعة علمه وثاقب نظره، يتهيب الفُتيا، ورعًا وخوفًا من الله تعالى. فعن نافع أن رجلا سأل ابن عمر عن مسألة فطأطأ ابن عمر رأسه ولم يجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته، قال : فقال له : يرحمك الله أما سمعت مسألتي ؟

قال : بلى، ولكنكم كأنكم ترون أن الله ليس بسائلنا عما تسألونا عنه، اتركنا ـ يرحمك الله ـ حتى نتفهم مسألتك، فإن كان لها جواب عندنا وإلاَّ أعلمناك بأنه لا علم لنا به .

مناقبه :

كان لابن عمر من الفضائل الجمة، والمناقب الوفيرة، ما شهد له به الأبرار وأثنى عليه الأخيار وفيه قال سيد البشر عليه الصلاة والسلام : إنَّ عبد الله لرجل صالح» . . . رجل صالح . . . وكفى .

وهذا ابن مسعود يقول : «لقد رأيتنا ونحن متوافرون وما فينا شاب هو أملك لنفسه من ابن عمر»، وفيه تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

ما رأيت أحد ألزم للأمر الأول من ابن عمر» .

وهذا سيد التابعين سعيد بن المسيَّب يقول : «لو شهد لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لابن عمر» .

وهذا النووي في كتابه «تهذيب الأسماء واللغات» يقول : «عبد الله ابن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ القرشي العدوي المدني الصحابي الزاهد، كان شديد الاتباع لآثار رسول الله ﷺ، ومناقبه كثيرة مشهورة، بل قَلَّ نظيره في المتابعة لرسول الله ﷺ في كل شيء من الأقوال والأفعال، وفي الزهادة في الدنيا ومقاصدها والتطلع إلى الرياسة وغيرها، وكان ابن عمر كثير الصدقة، ولم يقاتل في الحروب التي جرت بين المسلمين» .

وفاته ونهايته :

وأخيرًا آن لابن عمر الصوَّام القوَّام، المجاهد المفسر، الزاهد الأوَّاه، الخاشع البكَّاء، ـ أن يلقى ربه راضيًا مرضيًّا، وقد كانت وفاته بمكة سنة ثلاث وسبعين بعد مقتل ابن الزبير بثلاثة أشهر أو ستة أشهر، وهو ابن أربع وثمانين سنة، وذُكر أن وفاته كانت في شهر ذي الحجة رضي الله عنه وأرضاه .

المراجع

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي .
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر .
(٣) أسد الغابة لابن حجر العسقلاني .
(٤) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شهبة .
(٥) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني .
(٦) الأعلام للزركلي .
(٧) أعلام الموقعين لابن القيم .
(٨) البداية والنهاية لابن كثير .
(٩) تاريخ التشريع لمحمد الخضري .
(١٠) تاريخ القرآن لعبد الصبور شاهين .
(١١) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي .
(١٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي .
(١٣) جامع الأصول لابن الأثير .
(١٤) الحديث والثقافة لمناع القطان .
(١٥) حياة الصحابة للكاندهلوي .
(١٦) سير أعلام النبلاء للذهبي .
(١٧) صفوة الصفوة لابن الجوزي .
(١٨) صور من حياة الصحابة لعبد الرحمن الباشا .
(١٩) عبد الله بن عباس لمصطفى الخن .
(٢٠) عبد الله بن عمر لمحيي الدين مستو .
(٢١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان .
(٢٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية .
(٢٣) منتخب كنز العمال . حاشية السند .

مُسابقة أرامكو السعودية الثقافيَّة للصّغَار

بمناسبة مُرور ستّين عامًا على إنشاء الشركة



بمناسبة مُرور ستّين عامًا على إنشاء أرامكو، التي أصبحت تُعرَف الآن بأرامكو السّعُوديّة، يَسُرُّ إدارة العلاقات العامّة بالشركة دعوة جميع الأطفال السّعُوديّين وَغير السّعُوديّين المقيمين في المملكة إلى الاشتراك في هذه المسابقة الثقافيّة، راجين من الله التوفيق للجميع، آملين من جميع المشاركين الالتزام بشروط المسابقة بدقّة.

شروط المسابقة

أولاً: يحق لجميع الأطفال السعوديين وغير السعوديين المقيمين في المملكة ممن لاتزيد أعمارهم عن أربع عشرة سنة ولاتقل عن سبع سنوات الاشتراك في المسابقة.

ثانيًا: يحق لكل طفل المشاركة بقسيمة إجابات واحدة فقط، وسوف يستبعد كل مشترك يثبت اشتراكه بأكثر من قسيمة.

ثالثًا: يجب على كل مشترك أن يرفق بالإجابة صورة من وثيقة رسمية تثبت المعلومات الشخصية المسجلة على القسيمة، مثل: البطاقة العائلية، حفيظة النفوس، الإقامة، الجواز، شهادة الميلاد أو غيرها.

رابعًا: تكتب الإجابات بخط واضح وبقلم الحبر.

خامسًا: الإجابات التي تتطلب تحديد تاريخ معين يمكن الإجابة عليها بالتاريخ الهجري أو الميلادي أو الاثنين معًا.

سادسًا: لن تدخل المسابقة أية قسيمة مخالفة للشروط، كما لن تقبل الإجابات المرسلة بجهاز النسخ الهاتفي (الفاكس)

سابعًا: آخر موعد لتلقي الإجابات هو ٩ صفر ١٤١٤هـ الموافق ٢٨ يوليو ١٩٩٣م.

ثامنًا: ترسل الإجابات قبل الموعد المحدد إلى العنوان التالي:

مسابقة الذكرى الستين للصّغار
قسم النشر - إدارة العلاقات العامة
غرفة ٢٢١٦ - مبنى الإدارة الشرقي
أرامكو السعودية - الظهران ٣١٣١١

الجوائز
ستون جائزة

كالتالي:

جائزة المركز الأول مقدارها ١٦ ألف ريال

جائزتان للمركز الثاني :	مقدار كل منهما	١٢	ألف ريال.
ثلاث جوائز للمركز الثالث :	مقدار كل منها	٨	آلاف ريال.
أربع عشرة جائزة للمركز الرابع :	مقدار كل منها	٤	آلاف ريال.
أربعون جائزة للمركز الخامس :	مقدار كل منها		ألفا ريال.

قسيمة الاشتراك في مسابقة أرامكو السّعوديّة الثقافية للصّغار

عزيزي المتسابق، اقطع هذه القسيمة، وأجب على الأسئلة وأملأ البيانات المطلوبة ثم ارسل القسيمة إلى العنوان الموضح في الإعلان :

المعلومَات الشخصيَّة

الاسم (رباعيًا ومطابقًا للوثائق الرسمية): الاسم الأول ______ اسم الاب ______ اسم الجد ______ اسم العائلة أو اللقب ______

رقم وثيقة إثبات الشخصية ______ نوعها ______ مصدرها ______ تاريخ إصدارها ______

تاريخ انتهاء صلاحيتها (إن وجد) ______ الجنسية ______ العمر ______

العنوان كاملاً: ______

______

ص.ب ______ المدينة ______ الرمز ______

رقم الهاتف: ______ رقم الفاكس: ______

عزيزي المتسابق، لا تنس إرفاق صُورة من الوثائق التي تثبت صِحّة المعلومَات المدوّنة هنا



أسئلة مسَابقة أرامكو السّعُوديّة الثّقافيّة للصّغار

س١ كان توقيع اتفاقية الامتياز بين الحكومة السعودية وشركة سوكال البداية الحقيقة لصناعة الزيت في المملكة ولشركة أرامكو السعودية فمتى تم توقيع هذه الاتفاقية ؟ وأين ؟
الإجابة : تم توقيع اتفاقية الامتياز في ______ هـ - ______ م في مدينة ______ .

س٢ كم عدد سور القرآن الكريم ؟ وكم منها مَكيَّة ؟ وكم مَدَنيَّة ؟
الإجابة : عدد سور القرآن ______ منها ______ مكيّة و ______ مدنية .

س٣ اذكر ثلاثة من مشتقات البترول .
الإجابة : من مشتقات البترول ______ و ______ و ______ .

س٤ في المملكة عدد من حقول الزيت على اليابسة وتحت سطح مياه الخليج . اذكر ثلاثة من حقول الزيت في المملكة .
الإجابة : من حقول الزيت في المملكة ______ و ______ و ______ .

س٥ تسهم أرامكو السعودية في دعم الصناعات الوطنية فهي تزود بعضها بالوقود اللازم لها وتزود البعض الآخر بالمواد الخام التي تقوم بتصنيعها ، ماهما أكبر مدينتين صناعيتين متكاملتين في المملكة ؟ ضع دائرة حول الحرف الذي يرمز إلى الجواب الصحيح .
الإجابة : أ- رأس تنورة وبقيق . ب- الجبيل وينبع . جـ - جدة وجيزان

س٦ ماهي العملية التي يتم من خلالها استخراج المشتقات المختلفة من الزيت لتصبح صالحة للاستخدام ؟ ضع دائرة حول الحرف الذي يرمز إلى الجواب الصحيح .
الإجابة : أ- الضخ . ب- الشحن والتفريغ . جـ- التكرير .

س٧ ما اسم البئر التي اكتشف فيها الزيت بكميات تجارية لأول مرة في المملكة ؟ ضع دائرة حول الحرف الذي يرمز إلى الجواب الصحيح .
الإجابة : أ- بئر الدمام رقم ٧ . ب- بئر الحوطة رقم ١ . جـ - بئر أبوسعفة رقم ٣ .

س٨ متى تغير اسم الشركة من أرامكو إلى أرامكو السعودية ؟
الإجابة : تغير اسم الشركة إلى أرامكو السعودية في ______ هـ ______ م

س٩ ارسم دائرة حول أسماء عواصم الدول العربية الآتية :
الإجابة : أ- عُمَان عاصمتها : دمشق ، مَسقط ، الرباط .
ب- موريتانيا عاصمتها : نواكشوط ، القاهرة ، المنامة .
جـ- المغرب عاصمتها : أبوظبي ، عَمّان ، الرباط

س١٠ متى أعلن الملك عبدالعزيز آل سعود، يرحمه الله، توحيد المملكة العربية السعودية تحت هذا الاسم ؟
الإجابة : في ______ هـ ______ م .

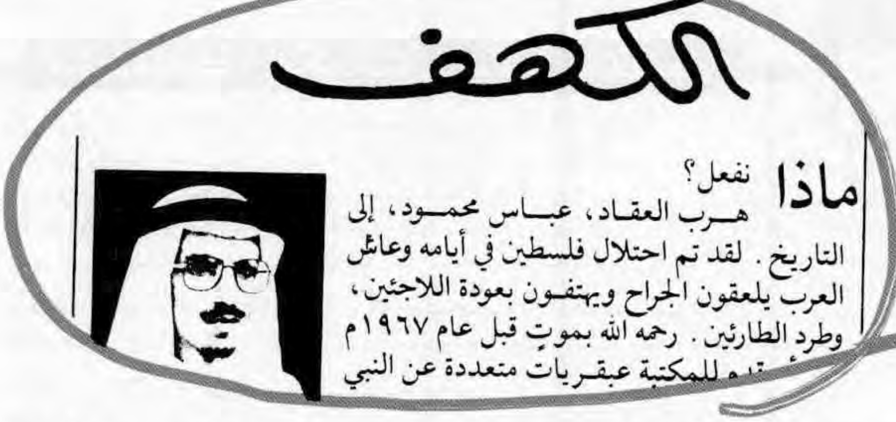
(PRS-8-93)



شجون الأزمة

قرأت مقالة الأستاذ محمد علي الجفري «الكهف» المنشورة في العدد ١٩٥، فأُخذت بـه وتفكرت فيه وأدرته في نفسي سـاعات وساعات، فـأرجو أن تقبلوا ملاحظاتي المتواضعة هذه بصدر رحب.

«**العقاد**» لنبدأ من عند هذا الرجل. لقد ورد في بدء المقالة: «هرب العقاد


الكهف

ماذا نفعل؟

هـرب العقـاد، عبـاس محمـود، إلى التاريخ. لقد تم احتلال فلسطين في أيامه وعاش العرب يلعقون الجراح ويهتفـون بعودة اللاجئين، وطرد الطارئين. رحمه الله بموتٍ قبل عام ١٩٦٧م [illegible] للمكتبة عبقـريات متعددة عن النبي

عبـاس محمود إلى التـاريخ. لقد تم احتـلال فلسطين في أيامـه وعاش العـرب يلعقون الجراح ويهتفون بعـودة اللاجئين وطرد الطارئين، رحمه الله، يمـوت عام ١٩٦٧م بعد أن قدم للمكتبة عبقريـات متعددة عن النبي ﷺ والخلفاء وخالد ابن الوليد». ولكن العقاد لم يهرب إلى التـاريخ! ولم تكن العبقريات إلا محاولة عقاديـة صادقة لاكتشـاف الهُوية. ولقـد أراد العقاد أن يقول: إن محمـدًا كان إنسانًـا عظيمًا انتظره العالم وتهيأ له وتأثـر به فيما بعد، ولـم تفرضه إرادة السماء قسرًا، وأراد أن يقـول أيضًـا: إن محمـدًا كـان مثلنـا يأكل الطعـام ويمشي في الأسواق، وقد يظن أحدنا أن هـذا الهدف قريب يسير، ولكن العقاد وما أدراك مـا العقـاد أُنهك وأُعْسر! فهـذا الأمـر على بسـاطتـه لم يطـرقـوه من قبل، بل وأحاطوا شخص الرسول الكـريم ﷺ بهالات وتهاويل وخرافات عدة. ثم إنه ـ أعني العقاد ـ عندما يبحث إنسانية الـرسول ﷺ فإنه يبحث في الحقيقـة هُويةَ المسلم الضـائعة منـذ القرون الأولى، ولا أحسـب العقاد قـد أراد عندمـا كتب عبقرية محمـد أن يُتْبعها بعبقريات أخرى، غير أننا لما قرأنا العبقـرية استخفنا الطرب وأطاشت بألبـابنا الأوهام، وأردنا قتل الـوقت فاستـزدناه فـزادنا ـ رحمه الله ـ عبقرية إثر عبقرية، حتى اختلط الهدف واضطربت الغاية علينا وعليه. فلقد اعتسف العقاد العبقرية، وأصبحت العبقـرية صفة يوزعها على القدامى والمحدثين ولم تعد بحثا عن الهوية، والهوية قد تعني وجود العلاقة مع مفردات الكون والحياة. إن الفرق بين عبقرية محمد والعبقريات الأخرى يماثل الفرق بين الـدخـان والضبـاب، فكلاهما متشـابهان في المظهـر، ولكن الأول حـار وفيـه حـركة، والثـاني بارد وخـامد. لقـد استهلكنـا الرجل وأحسبـه لو بُعث وعـاد واستقبل ما استدبر من عمره لقال:

أضـاعـوني وأي فتًى أضـاعـوا ... ليـوم كـريهة وسـداد ثغـر

«قطب» في ظـلال القـرآن، عندمـا تقـرأ هذا العنـوان تتـوقع خيرًا عميمًا، فالظلال تـوحي بالدعة والسكن والأحلام بعـد القلق والشدة والقحط، ثم ما تلبث بعد أن تقرأ مقـدمة «الظلال» أن تُفْجأ... لأن قطبًا يعتقـد أن العالم قد ارتكس أو انتكس وارتد إلى جاهلية جهـلاء، ولم يعد منا ـ نحن المسلمين ـ إلا القرآن نحيا في ظلالـه. إن «قطبًا» هو الذي يهرب، يهرب إلى القرآن! وأولى به أن يحاول اكتشاف الهويـة في القرآن، كتـاب الله للإنسـان، ولكنه مثل كـاتب المقالـة يعتقد أننا نعيش نكبـة ونكسة. نحن لا نعيش نكبـة، بل نعيش أزمة، والفـرق بين الأزمـة والنكبـة هـو الفرق نفسـه بين الـدخـان والضبـاب، من مفرداتها وجود الآخـر. انظر في العدد نفسه «إطلالـة» د. زيد بن عبد المحسن الحسين، واغتراب المفكـرين في مقالـة د. صدقـة يحيى فـاضل، وإشكاليـة مفهوم التراث في مقالة الأستاذ أحمد هيبة، وإمكـانات التراث في مقالة د. عبد الحليم عويس.

فإمـا أن نكتشف الهويـة بغير إسراف وسفــه، أو نقـول بصـوت خفيض خفيض خفيض:

وليتلطف ولا يشعرنّ بنا أحـد.

مظهر طـه

كفر الشيخ ـ مصر

عَوْدٌ علَى بَدْءٍ:

الخطابة كما يوظفها الإسلام



نشرت «الفيصل» موضوعا مهماً في العدد ١٩٢ لشهر جمادى الآخرة سنة ١٤١٣ هـ ديسمبر ١٩٩٢ بعنوان «الخطابة كما يوظفها الإسلام» بقلم الدكتور مصطفى أحمد أبو سمك حفظه الله. وهذا الموضوع يعتبر من أخطر الموضوعات في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، لأنه يعالج قضية خطبة الجمعة، وهي درس لتوجيه المسلم لتحسين سلوكه وعقيدته مرة كل أسبوع. ولقد وضح الأستاذ في مقالته بأن الخطابة لا بد أن تعمل في اتجاهين اثنين:

إشباع الذهن وإقناع العقول أولا، وإمتاع الوجدان وإثارة النفوس ثانيا. ولقد وضح الرجل أهمية الخطبة وأنها الدعامة الأساسية لكل دعوة والعمود الأساسي في بناء أي مذهب وأنها الأداة التي تنقل المعارف والأفكار وأنها العامل الأكبر في إحياء المجتمعات، يدفع أفرادها إلى فعل كل ما هو خير وحق ومعروف وإلى ترك ما هو شر ومنكر ومرذول.

ولأهمية الموضوع ومن منطلق دراستي وخبرتي عن خطبة الجمعة وقيامي بها منذ ثلاثين عاما ابتغاء وجه الله، وغيرة على الدين والإصلاح النفسي والقلبي والوجداني والاجتماعي، فقد لاحظت أننا في حاجة إلى خطباء على دراية وفهم وفصاحة وصوت واضح وطيب وقدوة حسنة. فلو نظرنا بعين الفحص والدراية لأدركنا جميعا بدون تجنٍّ أو اتهام أن عددا غفيرا من الخطباء يعتلون المنبر - وهو مكان الرسول ﷺ والصحابة - ويؤدون خطبة الجمعة، وعقب الصلاة يتساءل المصلون: ماذا ألقى الخطيب؟ وما الذي يريد؟ وما موضوع خُطبته؟ فلا يجدون للسؤال جوابا شافيا نافعا؛ وذلك لأن الخطيب أطال وعدّد الموضوعات ولم يتحدث في موضوع واحد محدد، والذي كان من الواجب أن يحدده ولا يخرج عنه قيد أنملة، وذلك تنفيذا لتوجيهات الرسول ﷺ، والذي جاء فيه أنه طالب بإيجاز الخطبة وإطالة الصلاة. وتنفيذا أيضا لتوجيه سيدنا أبي بكر الصديق الذي قال: «إذا وعظت فأوجز فإن كثرة الكلام ينسي بعضه بعضا». ومن الملاحظات على بعض الخطباء أنهم يتحدثون باللغة العامية في خطبة الجمعة بحجة أنها وسيلة سهلة. وهذا بعدٌ عن الحقيقة؛ لأن لغتنا العربية سهلة ميسورة ومن الواجب الحفاظ عليها للعامة والخاصة. وهناك من الخطباء من لا يجيدون قواعد اللغة العربية ولا يجيدون حفظ النصوص القرآنية والأحاديث إجادة مطلوبة ويخطئون فيها خطأ ظاهرا كما لاحظ ذلك أستاذنا عاصم بهجة البيطار في حديثه «على موعد: خطوة على طريق الإصلاح» في العدد نفسه.

وهناك بعض من الخطباء الذين لا يجيدون الإلقاء، بل تجدهم يصيحون ويصرخون وكأنهم يخاطبون قوما في جهل وجهالة، مع أن بعض المصلين قد يكون أكثر ثقافة وأغزر علما من ذلك الصنف من الخطباء. وهناك بعض الخطباء يجعلون من المنبر والخطبة ميدانا للجدل الفقهي والمناظرات العلمية مع أنه يعلم أن هذا مجاله الدرس بعد الصلاة أو قبلها. وهناك مَنْ يعسر ولا ييسر وينفر ولا يبشر ويصورون المجتمع بأنه كله فساد، وأن الفسوق والعصيان هما السائدان، وكأن الخطأ والخطيئة هما ما يتصف بهما المصلون، مع أن الدنيا بخير. ولو كان الفساد هو السائد لخربت ديارنا ولضاعت بلادنا. وهناك بعض من الخطباء ينتقدون سياسة أوطانهم نقدا هداما، ويفندون آراء حكامهم حتى ولو كان فيها الحق والصواب بطريق مباشر وغير مباشر، فيخرج المصلي حاقدا ناقما بعيدا عن الولاء وولاة أمره فلا يؤدي عمله بإخلاص ويكره المجتمع كراهية شديدة.

وهناك من يكثرون من الحديث عن جهنم وأن أكثرها النساء ويبالغون في وصف عذابها وجحيمها ولهيبها، وكأن الآخرة ليس فيها إلا جهنم وبئس المصير، مع أن الله أعدَّ فيها جنات نعيم يتمتع بها المسلمون بعد توبة نصوح وإن سرقوا وإن زنوا كما صرح بذلك المصطفى ﷺ لأبي ذر الغفاري. وهناك من يغلظون القول مع أن الله تعالى قال لسيدنا موسى في سورة طه ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري. اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾. وذكر بعض المفسرين ومنهم القرطبي أن المراد بالقول اللين تكنية فرعون بواحدة من كنى ثلاث وهي أبو العباس، أبو الوليد، أبو مرة. والكنية هي تكريم للمخاطب كما نعلم.

وهناك من يلقون خطبة الجمعة من كتاب أو ورقة بطريقة المطالعة مثله كمثل تلميذ في المرحلة الابتدائية لا يعطي للمعاني حقها والمواقف سلامتها. وهناك بعض من الخطباء يتحدثون في خطبهم بالهمز واللمز لخصومهم من المصلين نتيجة مشكلات شخصية وعلاقات متقاطعة، ويخرج بخطبته عن الجدية والموضوعية، بل إن بعضهم يصرح ولا يلمح ويخصص ولا يعمم، مع أنه يعلم أن نبي الهداية والرشاد ﷺ لم يفعل ذلك أبدا، بل كان يخطب في المسلمين قائلا: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»، فلا يتأثر المخطئ ولا يشعر بالحرج، وبذلك يستفيد الجميع في محبة ورحمة وألفة ووحدة. وهناك مَنْ يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يقولون، وهم والعياذ بالله أشد عذابا يوم القيامة كما شاهدهم المصطفى ﷺ في ليلة للإسراء والمعراج

وهم تنقطع ألسنتهم ثم تنمو ثم تنقطع ثم تنمو، ويخالفـون قول الله الذي جاء في سورة الصف ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولـوا ما لا تفعلون﴾. وهناك بعـض الخطباء يستغلون المنبر للدعـاية لمآربهم ومصالحهم ومصالح أهلهم وذويهم. وهناك مَنْ يلقـون الخطبة بطريقة روتينية وكأنها عبء يـريد أن يتخلص منـه. ولا يتفاعل مع مـواقف الخطبة بطـريقة فيها خشوع وخوف من الله سبحانه وتعالى وولاء لدينه ونبيه وأمته.

أفكار ومقترحات

لـذا، علينا أن نعـالج النقص بصورة عـاجلة لأن هـذا الأمر جـد خطير، ومن منطلق محبتي لله ولـرسول الله ولأجيـالنا في الحاضر والمستقبل أطـالـب ولاة أمور الدين في بلادنا بتنفيذ هذه الأفكار بعد دراستها على الطبيعة:

١ ـ تشكيل لجان متخصصة دارسـة فاهمـة تقوم بـاختيـار خطبـاء الجمعـة وتقويمهم شفهيا وتحريريا، والوقوف على صحة مخارج الحروف والكلمات وتـلاوة الآيـات والنصـوص، وأن يكـون صـوتهم مقبـولا وشخصيـاتهم متماسكة الأعصـاب، ولديهم الاستعـداد والموهبة أولا وأخيرا. لأنـه هناك عالم لا يصلح للخطابة. وتقوم هذه اللجان بمتابعة الخطباء بصفة دورية دائمة.

٢ ـ أن تضـع وزارات الأوقاف والمساجـد كتبـا لخطب الجمعـة، على أن تكون الخطبة في موضوع واحـد وبأدلـة مناسبة للموضوع، وتكـون الأدلـة آيات من كتـاب الله وأحاديـث نبويـة وأحـاديث قدسيـة، ولا مـانع من بعض أبيـات من شعـر الحكمـة والموعظـة، وإن من الشعـر لحكمـة كما ورد في بعض الأثر.

٣ ـ ألا يقـل وقت الخطبة عن ثلث سـاعة ولا يزيـد عن نصف سـاعـة حتى لا يضيع توضيح الهدف من الموضوع بالتطويل أو التقصير.

٤ ـ أن يعالج كل خطيب المشكلة مع المصلين، بسؤال كيف نحقق الهدف من كـذا وكذا وتحقيق كـذا وكذا حتى يشـد انتباههم، ثم يقـدم اقتراحاتـه في حدود الدين والسنة لعلاج المشكلـة التي يتحدث عنها، فمثلا إذا تحدث عن الـرحمة فيسأل قـائلا للمصلي كيف تكون رحيما؟ ثم يجيـب هو بـآرائه النافعة.

٥ ـ أن تكون مـوضوعات الخطبة لعـلاج مشكلات المجتمع، مثل: الكذب، النفـاق، البخل، الجهل، كـراهيـة البنـات، كـراهيـة النسـاء، كـراهيـة العمل، استغلال المال العـام، الخصام، البعـد عند العفـو عن المقدرة، كـراهية الـوطن، الشائعـات الكـاذبة، إهمال النظـافة، الإسراف، عـدم وجـود التسـامح الـديني عـدم طـاعـة ولي الأمـر، محاربـة المخـدرات والمسكرات، وغير ذلك من موضوعات تتعلق بحياة المسلم.

٦ ـ الحرص على إذاعـة صلاة الجمعة وخطبـة الجمعة في المذيـاع والتلفاز حتى تستفيد نساؤنا وبناتنا وهنّ في المنازل.

فاللهم أدعوك أن تتحقق هذه الأفكار، فبها الخير بإذنك يا رب العالمين.

حبيشي حسن شعبان

طنسا ـ ببا ـ مصر



استدراكات حول "ابن بطوطة أشهر الرّحالة"

نشرت مجلـة «الفيصل» في عـددهـا ١٩٠ ربيع الآخـر ١٤١٣هـ الموافق أكتوبـر ١٩٩٢م مقالة مترجمة تحت عنـوان «ابن بطوطة أشهـر الرحالـة»، وقد ظهـرت لي بعض الملاحظـات من خلال حـرصي على قـراءة «الفيصل» بتمعن شديد، جاء في الصفحة ٤٢، أن ابن بطوطة زار بعض البلدان المغربية مثل: «سالي». و«سالي» هذه ترجمة بالفرنسية لمدينة «سلا» المغربية، تلك المدينة التي توجد على المحيط الأطلسي لا يفصلها عن مدينة الرباط ـ عاصمة المغرب ـ إلا أبو رقراق، وهي مدينة تاريخية.

وفي الأسطر الموالية للمقـال نجد «سيجيل ماسا» وهي سجلماسـة ـ هكذا تكتب في المراجع التاريخية ـ وهي مدينة تاريخيـة قديمة في المغرب عاصمة بلاد تافيلالت سابقًا، على حدود الصحراء. كانت محطة للنخاسة ولتجارة الذهب والعاج والأبنوس والجلود.

وفي مكان آخر من هذه الصفحة، مـع نهاية المقالة أوردت المترجمة نجلاء حسن حـامد أن «ابن الجوزي» هـو الـذي انكب على كتابـة أخبار هـذه الرحلـة وتدوينها، والصحيح أن اسمه هـو أبو عبد الله بن جزي، وهـو الذي كتب الرحلة بعد أن أملاها عليه ابن بطوطة بعد عودته منها.

وأشير في هذا الصـدد إلى مقالة لي نشرت في «الفيصل» بالعـدد ٨٦ شعبان ١٤٠٤هـ الموافق أيار (مـايو) ١٩٨٤م تحت عنوان: «ابن بطوطـة ٢٩ عامًا في عالم الـرحلة» (ص٨١/ ٨٢)، وفيـه إشارة إلى الترجمة التي قـامت بها المستشرقة سعيدة حسنوفا للرحلة من اللغة العربية إلى اللغة الروسية.

وكيفما كـان الحال فقد وفقت المترجمة في عملهـا. مع شكري الكبير لمجلـة «الفيصل» التي ما فتئت تتيح الفرَصة لقرائها وكتابها للتحاور عبر صفحاتها.

أحمد المكينسي

سلا ـ المغرب

استراحة العدد

جمع القرآن

أول من جمع القرآن الكريم هو الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو أول من حفظ القرآن أيضا .

وأول من أمر بجمع القرآن الكريم وترتيبه هو خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، حفاظًا على كتاب الله بعد أن استشهد الكثير من الحفّاظ في حروب الردة ، وجمعت الرقاع وحفظت عند أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها .

ثم تم في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ جمع القرآن ونسخه مطابقةً للنسخة الموجودة لدى أم المؤمنين حفصة ، ولذلك سُمي مصحف عثمان ، ولا يزال الرسم العثماني للمصحف حتى اليوم .

ليل القمر ونهاره

قد يظن بعضنا أن القمر ليس به ليل أو نهار على اعتقاد أن نصفه مواجه دائما للشمس والنصف الآخر مظلم .

والصحيح أن للقمر ليلاً يمتد أربعة عشر يومًا ، ونهارًا يمتد أربعة عشر يومًا أيضا .

أيهما الفيلسوف

بينما كان الفيلسوف طاليس خارجًا من موقع ابتناه لرصد الكواكب إذ مر بحفرة عميقة فوقع فيها ، فرأته عجوز وأخرجته منها ثم قالت له : أتزعم يا طاليس أنك تعلم جميع ما في السماء مع أنك لم تعلم ما تحت رجليك ؟!

ويأتيك بالأمثال

يَوْمَ عُبَيْدٍ

يُضرب هذا المثل لليوم المنحوس الطالع ، وقصته أن النعمان بن المنذر كان له يوم بؤس مَنْ لقيه فيه أهلكهُ ، ويوم نعيم من لقيهُ فيه أكرمهُ ، وفي أحد الأيام لقيه الشاعر المعروف عبيد بن الأبرص ، فقال له النعمان : يا عبيد إنك مقتول فأنشدني (أقفر من أهله ملحوب) ، فأنشد :

أقفر من أهله عبيد ... فظل لا يبدي ولا يعيد

ثم قتله النعمانُ ، وصار يومه ـ أي يوم عبيد ـ يُضرب به المثل ، قال أبو تمام :

لما أظلتني سماؤك أقبلت ... تلك الشهود عليَّ وهي شهودي

من بعد ما ظنَّ الأعادي أنه ... سيكون لي يوم كيوم عُبيد

كرة القدم . قديما

عُرفت كرة القدم ـ باعتبارها لعبة ـ منذ عصور موغلة في القدم ، إذ مارسها المصريون القدماء ، وروي أن الصينيين لعبوها عام خمسمائة قبل الميلاد بكرات محشوة بالشعر ، كذلك عرفوها اليونانيون وعنهم أخذها الرومان في القرن الثاني قبل الميلاد واحتفظوا لها بالاسم الإغريقي نفسه «الأرسباتوم» ، وعبر الرومان انتقلت اللعبة إلى بلاد الغال تحت اسم «الصول» وكانت تُلعب بكرة مصنوعة من مثانة بقرة محشوة بالتراب .

وتذهب روايات إلى القول بأن بريطانيا عرفت هذه اللعبة في أعقاب طرد الدانماركيين الذين كانوا يحتلونها خلال الفترة بين عامي ١٠١٦ و ١٠٤٢م حيث قام البريطانيون بقطع رأس القائد الدانماركي وداسوها بالأقدام كما يفعل لاعبو الكرة اليوم !

قالوا

□ إن مهمة الكاتب ليست في حمل القارئ على الثقة به ، بل في حمله على التفكير معه .

□ ليس أتعس من حياة النساء اللواتي لم يعرفن إلا أن يَكُنَّ جميلات ، ذلك أنه ليس هناك ما هو أقصر من عمر الجمال .

□ نتعلم من التاريخ أننا لا نتعلم من التاريخ !

ضرتان

قال وهب بن منبه : مَثَلُ الدنيا والآخرة مَثَلُ ضرتين ، إن أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى .

من عجائب الخلق

من المعروف أن الطيور كالدجاج مثلا ليس لها أسنان تساعد على هرس الحبوب التي تتغذى عليها ليسهل هضمها .

لذا يعمد الدجاج إلى ابتلاع الحصى والرمل لطحن الحبوب التي يلتقطها تسهيلاً لعملية الهضم .



منظر عام لقرية الجوف في السعودية قبل سبعين عاما

وصية

قال لقمان الحكيم يعظ ولده : يا بنيّ ازحم العلماء بركبتيك، ولا تجادلهم فيمقتوك، وأبق فضول كسبك لآخرتك، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيّالا، وعى أعناق الرجال كلاّ، وَصُمْ صومًا يكسر شهوتك، ولا تصم صومًا يضر بصلاتك، فإن الصلاة أفضل من الصوم، وكن كالأب لليتيم، وكالزوج للأرملة، ولا تُحابِ القريب، ولا تجالس السفيه، ولا تخالط ذا الوجهين البتة.

ثلاث وثلاث

ثلاث مُنجيات :

خشية الله تعالى في السر والعلن

والعدل في الرضا والغضب

والقصد في الفقر والغنى.

وثلاث مُهلكات :

هوى متبع

وشح مطاع

وإعجاب المرء بنفسه.

(حديث شريف)

أحق منه بالسؤال !

طرق أحد السائلين باب جماعة ملتمسًا حاجة فقالوا له : يفتح الله عليك، قال : وقاكم الله السوء، تصدقوا ولو بكسرة خبز يابسة، فقالوا : ليس عندنا، قال : فشربة ماء. فقالوا : مَنْ زعم لك أن عندنا ماء ؟

قال الرجل : فما جلوسكم إذن هاهنا، قوموا فاسألوا الناس معي، فأنتم أحق مني بالسؤال !

سبيل الحلم

قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال من قيس بن عاصم المنقري، رأيته قاعدًا بفناء داره، محتبيًا بحمائل سيفه، يحدّث قومه حتى أُتي برجل مكتوف ورجل مقتول، فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك، فوالله ما حلَّ حبوته، ولا قطع كلامه، ثم التفت إلى ابن أخيه وقال : يا ابن أخي : أسأت إلى رحمك، ورميت نفسك بسهمك، وقتلت ابن عمك. ثم قال لابن آخر له : قم يا بني فحل كتاف ابن عمك، وسق إلى أمك دية ابنها، فإنها غريبة.

«العقل» الضائع

جاء أعرابي شيخًا، طالبًا قضاء حاجة، فقال له : لا سبيل إلى قضائها مــــا لم يحضر خادمي «عقل». فسار الأعرابي في طلبه وهو ينادي بصوت مرتفع تارة : يا عقل الشيخ، وطورًا : يا عقل الشيخ فلان. فلاقاه في الطريق شخص من أهل النباهة والظرف فسأله : مَنْ تطلب؟ أجاب : أطلب عقل الشيخ فلان. فقال له : إنه لا عقل للشيخ فلان ولا خدمه ولا استخدمه من الصغر. فرجع وهو يلوم الشيخ ويتهمه بالكذب والمحاولة إذ أتعبه بالبحث عن غائب لا وجود له.

الأطفال



طفل بريطاني بريء عمره ثلاث سنوات قتل بانفجار قنبلة في محل تجاري في وارنجتون ببريطانيا في ٢١ مارس ١٩٩٣م. وقد توجعت الصحافة البريطانية بحق، واضطر القتلة من الجيش الأيرلندي السري إلى الاعتذار بأنهم قد نبهوا الشرطة إلى زراعة قنبلة في ليفربول.

وللحقيقة فإن أي بشر سويّ سيتألم وسيحزن لقتل مثل هذا الطفل. إن الغاية لا تبرر الوسيلة، والسلاح يوضع في مكان دون أن يعلم واضعه ضد من يستخدمه وفي ذلك بلادة وانعدام الحياء.

والعالم كله يقف صفا واحدًا أمام هذه الظاهرة، ظاهرة تحميل الآخرين وأطفالهم نتيجة ما يفعله السياسيون. إننا نتمنى سياسة أقل جفاء وجفافًا وظلما وشراسة. ونتمنى أن يعامل مئات الآلاف من أطفال البوسنة والهرسك وفلسطين وكشمير بشيء من الرحمة والعطف. وحين نتألم عما يحدث للأبرياء من أي بلاد، فنحن نتوقع المثل، لكن الحقيقة غير ذلك.

فالصحافة في حقيقة الأمر تدين نفسها حين تنتحب على طفل بريطاني وتترك عشرات الألوف من الأطفال الفلسطينيين يتعرضون للنيران وللرصاص الإسرائيلي دون أن يرف لها جفن. والعواطف البشرية تذوي وتتبخر حين يطلق اليهود جرائمهم ضد أطفال المدارس في الأراضي المحتلة، وفي لبنان، وفي بحر البقر.

والصحافة تكيل بمكيالين حين يصاب يهودي واحد جاء من أقصى البلاد، فتنشر صورة زوجته تبكي، وأطفاله حزانى، وتستعرض آماله في تعليم أبنائه، وصورًا من حياته العادية مع زملائه وذكريات حزينة. كل ذلك استنكارًا لما يفعله العرب القساة الوحوش ضد اليهود. ولو أنصفت لرأت عكس ذلك تمامًا. فالعرب هم المعتدى عليهم وأطفالهم هم الأيتام، ونساؤهم هنّ الثكالى، وأرضهم هي المغتصبة. ومع ذلك فهم الإرهابيون القتلة المجرمون. والصور الصحفية والتلفزيونية تكرس هذه «الثقافة» لدى الرأي العام الغربي.

والمكاييل الصحفية لو كانت وقتية لهان الأمر، ولكنها تصبح تاريخًا، ومصدرًا يرجع إليه المثقفون والباحثون والدارسون ففي اليوم الأسود من الشهر الأزرق أصيبت فتاة يهودية في ساقها بحجر فلسطيني، ولكن لا يجد الباحثون أن ذلك اليوم الأسود قد حصد برصاص اليهود عشرات من الأبرياء الفلسطينيين. إن في ذلك اليوم حرم أطفال مدارس فلسطين من دراسة الإملاء والخط والحساب والقرآن. إنه في ذلك اليوم ظل عشرات الألوف من سكان مخيمات اللاجئين بلا طعام ولا ماء. وإن هذا يحدث للمرة المائة وللمرة المائتين في العام الواحد.

لا يجد المثقف المؤرخ في صحف أمريكا وبريطانيا سوى نصف الحقيقة - أستغفر الله - بل يجد التزوير بعينه وهو يظنه الحقيقة. ويكتب الكتب ويجمع الوثائق، ويصبح لديه منهج يصنعه لأطفاله في مدارس الغرب كلها، مؤداه :

العرب إرهابيون، واليهود رحماء طيبون مسالمون.

ثم يكبر هؤلاء الأطفال ويصبحون وزراء، ويتعاملون مع الواقع السياسي من واقع ثقافي مشوه مزور مدلس مغفل، فيزيدون الطين بلة، وتزداد الأمور تدهورًا.

فما الحل ؟ الغرب عنده الجواب : أن نقبّل أقدامه، ونترضاه ونتنوب من ثقافتنا وتراثنا وإسلامنا، وسينظر في الأمر بعد ذلك!

محمد علي الجفري

ردود خاصة

●الأخ محمد بلال توكل - حمص - سورية :

تسعدنا صداقتك للمجلة، ويؤسفنا في الوقت نفسه عدم تلبية طلبك لكونه لا يندرج ضمن اختصاصات المجلة. نرجو لك التوفيق.

● الأخ مرزوقي عبد الرحيم - الدار البيضاء - المغرب :

شكرا على مشاعرك نحو المجلة، ونحن نرحب بأية إسهامات أو مشاركات ترسلها إلينا، فأهلا بك.

●الأخ بياز عبد الرزاق - الجلفة - الجزائر:

لعلك تتفق معنا أن إعادة نشر ما سبق نشره في المجلة أمر غير مناسب، فضلا عن تقادم المعلومات التي أشرت إليها. عموما شكرا على تعليقك وحياك الله.

● الأخ إبراهيم عبد الوهاب شرف - جامعة المنصورة - مصر:

بخصوص مجلدات «الفيصل» هناك معلومات أرسلت إليك، أما اقتراحك فهو مأخوذ في الاعتبار وسينفذ في الوقت المناسب إن شاء الله، مع الشكر على شعورك الطيب تجاه المجلة.

● الأخ موسى علي عطيف - جيزان :

كلماتك الرقيقة أسعدتنا، ولا شك أنها وأمثالها خير حافز للإخوة الزملاء في المجلة لمزيد من العطاء من أجلكم جميعا.

● الأخ فتح الله وليد - تبسة - الجزائر:

لدينا مراسل في الجزائر، غير أن هذا لا يمنع من تلقي مشاركاتك، فأهلا بك.

● الإخوة: صالح عبد الله العمري - النماص، بكير عبد الرحمن خالد وطاحين محمد وحواسي عيسى - الجزائر:

المعلومات التي طلبتموها أو استفسرتم عنها أرسلت إليكم في حينها. نأمل أن تكون قد وصلت.

●الأخ محمد تيلولوت - المرس - المغرب:

لعل قسيمة الاشتراك في العدد تجيب عن استفسارك حول الاشتراك السنوي. وأنسب طريقة للحصول على أعداد سابقة «كاملة» سواء لسنة أو أكثر هي شراء المجلدات، وقد أرسلت إليك معلومات بشأنها. أما تأخر وصول الأعداد إلى بعض مناطق المغرب فسوف تعالج هذه المسألة مع شركة التوزيع. وشكرا.

● الأخ زايد سويد العتيبي - الطائف:

نأمل أن يكون العدد الذي طلبته قد وصلك.

●الإخوة عبد الله يعقوب عيسى - أم درمان - السودان، تخسي محمد - ورزازات - المغرب، أحمد موسى أبو العز - الإسكندرية، جعفر - عباس عبد الله - القاهرة - مصر:

نسأل الله تعالى لكم العون والتوفيق، ومع الأسف فإن ما سألتم عنه ليس في مقدور المجلة، مع الشكر على حسن ظنكم بنا.

● الأخ خالد حمزة المدني - الرياض:

شكرا على ثنائك على باب «الطريق إلى الله»، أما ما سألت عنه فهو غير وارد حاليا. وسنحاول تلبية طلبك قدر الإمكان، وحبذا لو اتصلت بنا هاتفيا للمفاهمة.

●الأخ محمد عبد الرحيم خليل - سوهاج - مصر:

الكشاف الذي أعلن عنه في قسيمة الاشتراكات المخفضة مخصص فقط - حاليا - للمشتركين الذين يرسلون إلينا قسائم الاشتراكات المخفضة.

● الأخ أحمد عارف الفاني - بيروت - لبنان:

يرجى مراجعة «الإيضاح» المنشور بجانب هذه الردود، ففيه ما يرد على تساؤلاتك.

●الأخت سميرة فاسي - وهران - الجزائر:

أهلا بك صديقة للمجلة. نحن في المجلة لا نتعامل باللغة الفرنسية التي تضمنت رسالتك أجزاء مكتوبة بها. وسنحاول تلبية بعض طلباتك بقدر ما تسمح به إمكاناتنا، غير أنك لم توضحي عنوانك البريدي حتى نرسل لك بعض المعلومات المطلوبة.

●الأخ أحمد محمد أبو النجا - القاهرة - مصر:

نرحب بك صديقًا ونشكرك على عواطفك الكريمة، ويسعدنا كذلك دوام الصلة، ونرحب بأي إنتاج أدبي ترسله إلينا.

● الأخ عبد العزيز عبد الله الجبيلان - عنيزة - القصيم:

بإمكانك الكتابة مباشرة إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (ص. ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣) للتعرف على كيفية اقتناء الكتب الصادرة عنه، وشكرا.

● الأخ ك. ل. س - قلعة السراغنة:

ما تشكو منه أمر طبيعي «جدًا» وليس فيه ما يدعو إلى القلق. أما إذا أردت التأكد أكثر فبإمكانك مراجعة الطبيب المختص. وبالمناسبة فإن باب «الدكتور» قد توقف منذ عدة أشهر. شكرا.

● الإخوة والأخوات: صالح عبد العزيز ناصر - القصيم، علي السناوي وعلي الكشي - الأحساء، عبد الكريم إدريس ووديع السعدي - رفحاء، أحمد جاسم البغدادي - الأرطاوية، محمد ندا وإبراهيم عبد الله - أم درمان - السودان، محمد عبد الرؤوف عطا الله - دمياط - مصر، أحمد بوكدوس - سيدي بوزيد - تونس، بوشنة محمد فاضل - العيون - المغرب، إلهام بوتشيشة وبوديسة أحمد - المسيلة، العاقب علي وأبا عبد الرحمن وزملاءه - الجزائر العاصمة، فتيح عبد القادر - م. بوضياف، شاعون محمد - خميستي، سليم عزوز - بسكرة، جوادي عبد الكريم - الوادي، باطير عبد الله - عين صالح، أحمد راشدي - بشار، غلاب عبد القادر - النعامة، سمير مفلاثني - سكيكدة، شويحة محمد - البويرة، جامع بشير - قالمة، بونشارة عبيد - سطيف -

الجزائر، محمد روسلن وعزبة نور حمزة وجونينا بصيران وحياتي حسين وزينل بن سعيد ـ نجري سمبلان ـ ماليزيا، عباس النوري وسلطان كمال المحسن ومكية إسكندر ومحمد حمزة هشيم ـ أندونيسيا، صمب أحمد ديوب وزملاءه ـ السنغال، الحسن عمر جارا ـ سيراليون، صالح إسماعيل وفيصل جبريل وعبد القادر حسين ـ غانا، عائشة عمر وعيسى بن عمر ـ نيجيريا، محمد حسين محمد ـ بيشاور، زربني دلندانج ـ لاهور ـ باكستان، عبد الله جازا ـ فريبرج ـ ألمانيا:**

الأعداد التي طلبتموها أرسلت إليكم، مع الشكر للجميع.

● **الإخوة والأخوات: مشروح لبندة ـ تيبازة، زيان رابح ـ البليدة، طاهري ولد بوحفص ـ سيدي بلعباس، عامر ليحيى ومفتاح ريطوط ـ بسكرة ـ الجزائر:**

نرحب بكم أصدقاء للمجلة، وللإحاطة فليس فيها باب للتعارف، ولهذا نعتذر عن عدم نشر عناوينكم.

● **الأخ عائض سعيد القحطاني ـ أبها:**

شكرا على اهتمامك بقضية التدخين وعلى المعلومات التي أرسلتها، ونأسف لعدم نشرها لأنها متداولة ومنشورة من قبل. وقد سبق لنا نشر موضوعات في هذا المجال، ونرحب بأي طرح جديد متميز في المجال نفسه. أما ما ذكرته في رسالتك عن شعر الزهد والحكمة فالمجلة ترحب بأي إنتاج جيد لم يسبق نشره. وأهلا بك.

● **الأخ محمد رضا البنهاوي ـ بنها ـ مصر:**

صداقتك للمجلة محل اعتزازنا، والاقتراح الذي قدمته نعد بدراسته غير أننا لا نعد بتنفيذه، لأنه سيدرس في إطار تطوير المجلة شكلا ومضمونا، وهذا كما تعلم يخضع لاعتبارات كثيرة. شكرا على اهتمامك ونرحب بأية أفكار جديدة ومفيدة.

● **الأخ سيد أحمد ـ العيون ـ المغرب:**

أسعدتنا كثيرا رسالتك. الموضوعات التي ذكرتها جديرة بالعناية، ونأمل أن تكون «أبحاثك» من الجدة بحيث يستفيد منها القراء ولا تكون تكرارا لما سبق تناوله في مصادر أخرى أشرت إليها. تساؤلاتك الفقهية ستجد الرد عليها في أحد الأعداد المقبلة في باب «طريق الهدى». ويسرنا أن تكون من متابعي ومراسلي زاوية «ردود قصيرة» التي عادت ابتداء من العدد الماضي باسم «ردود خاصة»، راجين الكتابة على وجه واحد من الورقة. أما «سلة المهملات» التي تقول إن رسائل سابقة منك وقعت فيها فلا نعرف عنها شيئا لأننا لا نتعامل معها!

● **الأخ ميهوبي طارق ـ المسيلة ـ الجزائر:**

المجلة لا تستطيع ـ مع الأسف ـ إعانتك على جمع الطوابع البريدية، وكل ما نستطيع تقديمه في هذا المجال هو عنوان الجمعية السعودية لهواة الطوابع لتراسلها بنفسك، والعنوان هو: ص. ب ٢٤٠ الرياض ١١٤١١ المملكة العربية السعودية. أما الكتب التي سألت عنها فستصلك بالبريد معلومات عنها. وأهلا بك.

● **الأخ أحمد رمضان موسى أحمد ـ أسوان ـ مصر:**

الموضوع الذي كتبت إلى رئيس التحرير بشأنه أحيل إلى جهة الاختصاص لعمل اللازم. للإحاطة وشكرًا.

● **الأخ بفاف عبد المالك ـ برج بوعد يريج ـ الجزائر:**

نطمئنك على أن واحدة على الأقل من رسائلك إلينا قد وصلتنا، وبناء عليها نكتب لك هذا الرد، وقد تكون رسائلك السابقة تخص إجابات المسابقة وبالتالي لم نطلع عليها. والزملاء في المجلة يردون على تحيتك بالمثل.

● **الأخ خيري ياسين ـ الجلفة ـ الجزائر:**

أهلاً بك صديقا للمجلة ونرحب بك وبمشاركاتك.

■ ■

إيضاح

وردت استفسارات من الإخوة والأخوات قراء المجلة تتعلق بحملة الاشتراكات المخفضة التي بدأتها المجلة من العدد ١٩٦ لشهر شوال ١٤١٣هـ ـ نيسان (أبريل) ١٩٩٣م.

ونظرا لتكرار هذه الاستفسارات، نود إيضاح ما يلي:

١ ـ جميع المعلومات الأساسية المتعلقة بالاشتراكات المخفضة موضحة على القسيمة.

٢ ـ يبدأ الاشتراك اعتبارا من تحصيل قيمة الاشتراك من البنك وليس استلام الشيك المرفق به القسيمة.

٣ ـ الأعداد السابقة التي يرغب بعض القراء في الحصول عليها لإكمال مجموعتهم من «الفيصل» لا علاقة لها بالاشتراك في المجلة.

٤ ـ الكشاف الشامل لأعداد السنوات الست العشرة الأولى سترسل بريديا إلى المشتركين المستفيدين من هذا العرض الخاص فور الانتهاء من طباعته، وهي جارية الآن في مراحلها النهائية.

٥ ـ مجلدات «الفيصل» التي أعلن عنها في قسيمة الاشتراكات المخفضة لا علاقة لها بهذا العرض الخاص، ويتم بيعها بصورة منفصلة، سواء عن بيع النسخ العادية أو عن الاشتراك السنوي في المجلة.

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي :

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح ثلاثة فائزين بين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً) .

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا) .

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا) .

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال .

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة .

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص . ب . ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها .

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

● أجوبة مسابقة العدد (١٩٦) ●

ج ١ : روى البخاري من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول : «إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل «اللهم أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاّم الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال : عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه . وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال : عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم ارضني به» . قال : ويسمي حاجته؛ أي يسمي حاجته عند قوله : «اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر» .

□ □ □

ج ٢ : الغُسل، معناه تعميم البدن بالماء، وهو مشروع، لقول الله تعالى : ﴿ وإن كنتم جُنُبًا فاطَّهَّرُوا ﴾ المائدة ٦ . وقوله تعالى : ﴿ ولا جُنُبًا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا ﴾ النساء ٤٣ .

والأغسال الواجبة على المسلم هي : خروج المني بشهوة في النوم أو اليقظة من ذكر أو أنثى، والتقاء الختانين؛ أي تغييب الحشفة في الفرج وإن لم يحصل إنزال، وانقطاع الحيض والنفاس . والمسلم إذا مات وجب تغسيله، والكافر إذا أسلم وجب عليه الغسل .

أما الأغسال المستحبة، فمنها : غسل الجمعة، وغسل العيدين، وغسل من غسّل ميتًا، وغسل الإحرام، وغسل دخول مكة، وغسل الوقوف بعرفة .

□ □ □

ج ٣ : تتم عملية الجلفنة؛ أي طلاء أسطح المعادن بمادة الزنك لإكسابها سطحًا لامعًا مقاومًا للصدأ؛ بإحدى طريقتين : أولاهما، التحليل الكهربي بوضع السطح المطلوب طلاؤه كقطب سالب في حوض يحوي محلول أملاح الزنك . والأخرى بغمسه في حوض يحتوي الزنك المنصهر عند حرارة معينة، فيتغطى السطح بطبقة رقيقة من الزنك . ويستخدم الزنك لطلاء المعادن لرخص ثمنه، وانخفاض درجة حرارة انصهاره، وخواصه الممتازة في مقاومة الصدأ .

□ □ □

ج ٤ : في ١٩ يوليو (تموز) سنة ١٥٨٨م ظهرت الأرمادا الإسبانية أو «الأرمادا التي لا تقهر» على مرمى البصر من الساحل الإنجليزي . كان أسطولاً يتكون من ١٣٠ سفينة، و٣٠,٠٠٠ رجل تحت إمرة دوق مدينة سيدونيا، جاء لغزو إنجلترا والاستيلاء على عرشها لفيليب الثاني ملك إسبانيا . واستطاعت إنجلترا أن تتصدى لهذا الغزو بأسطولها بقيادة تشارلز هوارد، وكان من بين قباطنة الإنجليز، سير فرنسيس دريك، وسير جون هوبكنز، وسير مارتن فوربشر، على متن سفن سريعة سهلة المناورة . وقد استطاع الإنجليز أن يدمروا نصف الأسطول الأسباني، ولم يرجع إلى أسبانيا إلا النصف الآخر . وفي أثناء المعركة استولى سير فرنسيس دريك على إحدى أكبر سفن الأسطول الأسباني وأسر قائدها (افتدى نفسه فيما بعد)، كما أنه كان صاحب الرأي القائل باستعمال سفن حريق تمكنوا من خلالها من تدمير تشكيلات أسطول الأرمادا .

□ □ □

ج ٥ : الامتيازات الأجنبية، امتيازات تمنح للأجانب بإعفائهم من الخضوع للولاية القضائية وتنفيذ القوانين في البلد الذي منحهم إياها، وهي تمنح بصفة عامة؛ وفي جميع البلاد؛ لرؤساء الدول، ولموظفي الأمم المتحدة، وللدبلوماسيين المعتمدين، ولمحال إقامتهم، وللسفن الراسية في بلد أجنبي، كما تمنح ـ أحيانًا ـ للقوات المسلحة المرابطة في بلد أجنبي . وقد يمنح الرعايا العاديون الأجانب الذين ينتمون إلى بعض الدول امتيازات قضائية ومالية دون أن يكون ذلك ماسًّا بحقوق السيادة، كما فعلت تركيا في القرن السادس عشرة، لكن الدول الغربية ـ في العهود الاستعمارية ـ مدّت كثيرًا من نطاق الامتيازات الممنوحة لرعاياها الذين لا يشغلون مناصب دبلوماسية، أو مراكز رسمية، وذلك عن طريق الضغط السياسي غالبًا . وكانت هذه الامتيازات بغيضة مجحفة بحقوق الدولة التي تمنحها، كما أن هؤلاء الرعايا العاديين أسرفوا في استغلالها إلى حد البشاعة واقتراف المظالم كما حدث في اليابان والصين ومصر . لكنه ما إن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى أكرهت معظم الدول الغربية على الموافقة على إلغاء امتيازاتها في جميع الدول التي عانت ذلك من قبل .



● نتائج مسابقة العدد (١٩٦) ●

أ ـ **فـازت بالجائزة المـالية الأولى**، وقدرهـا ٥٠٠ ريال سعـودي، **عزمي آمنـة بنت محمد**، خريبكـة ـ المغرب .

وفازت بـالجائزة المالية الثـانية، وقدرها ٣٥٠ ريـالاً سعوديًّا، **وجدان حسن أحمد محمد**، الخرطوم ـ السودان .

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًّا، **مريم وردة الآغا**، حلب ـ سورية .

ب ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من :

١ ـ **نهى عيد روس حامد عيد روس**، جدة ـ المملكة العربية السعودية .

٢ ـ **عبد اللطيف محمد عبد اللطيف شكور**، إربد ـ الأردن .

٣ ـ **فريدة سيد علي**، المسيلة ـ الجزائر .

٤ ـ **أنيس بن خليفة سلمة**، المنستير ـ تونس .

٥ ـ **نبيه طه محمدين عبد الفتاح**، الدقهلية ـ مصر .

ج ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني لمدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من :

١ ـ **بهية أحمد إبراهيم**، مدينة عيسى ـ البحرين .

٢ ـ **مختار قوادري**، إسلام آباد ـ الباكستان .

٣ ـ **محمد عصام الحلبي**، بيروت ـ لبنان .

٤ ـ **مروان قاسم محمد الفهد**، المذنب ـ المملكة العربية السعودية .

٥ ـ **محمد المختار بن الشريف الطاهر**، نواكشوط ـ موريتانيا .

٦ ـ **لطفي بن إبراهيم بن البشير**، المطوية ـ تونس .

٧ ـ **سعدة درويش فرحات**، دمشق ـ سورية .

٨ ـ **صالح السيد حنفيش**، البحيرة ـ مصر .

٩ ـ **عبد الحليم عاشور بختي**، المسيلة ـ الجزائر .

١٠ ـ **عبد الله بن عبد الرحمن العمري**، الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

د ـ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من :

١ ـ **شتيت نعيمة عبد القادر**، الرشيدية ـ المغرب .

٢ ـ **توحيد محمد بيومي**، الزقازيق ـ مصر .

٣ ـ **علي محمود صالح باشا**، عمّان ـ الأردن .

٤ ـ **محجوب موني فيرين هادي**، الخرطوم ـ السودان .

٥ ـ **خديجة موسى أحمد**، نجران ـ المملكة العربية السعودية .

● أسئلة مسابقة العدد (١٩٩) ●

● السؤال الأول :

أوحى الله ـ عز وجل ـ إلى نبيه موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه الحجر ليخرج منه الماء ويسقي من معه من بني إسرائيل . كم عينًا انفجرت عندما ضرب موسى عليه السلام الحجر بعصاه، وما دليل ذلك من كتاب الله تعالى ؟

□ □ □

● السؤال الثاني :

في معركة بدر كانت نهاية عدو الله أبي جهل عمرو بن هشام، فمن قتله في هذه المعركة الحاسمة ؟

□ □ □

● السؤال الثالث :

بعض الشعراء أطلقت عليهم ألقاب غريبة لحالات مختصة بهم، مثل تأبّطَ شرًّا، وصريع الغواني، وديك الجن، وغيرهم : فما اسم الشاعرين : الحيص بيص، والخليع ؟

□ □ □

● السؤال الرابع :

عرف الإنسان نخيل التمر منذ آلاف السنين، وظهرت رسوم أشجار النخيل في الآثار الفرعونية . بعد كَمْ من السنين من بدء غرسها تبدأ النخلة في إعطاء ثمارها ؟

□ □ □

● السؤال الخامس :

رباعيات الخيام، نظمت أولاً بالفارسية ثم ترجمت إلى لغات عدة . فإلى أية لغة ترجمت أولاً ؟

اعتذار شاعر

شعر: بدوي راضي

لا تحْزَني - حَبيبتي - إذا عَشقتِ شَاعراً
.. وغابَ عنْكِ في عذاب الخَلْقِ ، ثُمَّ عَادْ ..
مُمَزَّقَ الفُؤَادِ ، خَائِرَ القُوَىٰ
لا تَسْأَلِيهِ أَنْ يقولَ عَنكِ أَجْوَدَ الْكَلَامْ .
لا تَسْأَلِيهِ أَنْ يُفَلْسِفَ الْهَوَىٰ ..
لَا تنْظُري لِوَجْهِهِ المُغَضَّنِ الحَزِينْ ..
.. بنظرةِ ارْتِيَابْ ..
: تُرَىٰ يُحِبُّ غَيْرِي ، ما الذَّي يَشُدُّهُ إِلَيْها ..
.. عُيُونُهَا أَمْ شَعْرُهَا الطَّوِيلْ
عَيْنَايَ أَصْدَقُ الْعُيُونْ

مَاذَا جَرَى لِشَاعِرِي الْحَزِينْ !؟
.. يَا كَمْ تَغَنَّىٰ بِالْحَنَانِ فِيهِمَا
لَا تَفْرِضي الْفُرُوض - يَا حَبيبَتِي - تُحَوِّلِينَهَا حَقَائِقَا
فَإِنَّنِي مَازِلْتُ - للْحَنَانِ في عَيْنَيْكِ - عَاشِقَا
.. مَازِلْتِ عِنْدِي أَجْمَلَ النِّسَاءْ ،
..لَكِنَّهَا طَبِيعَةُ الشّعَرَاءْ ..
.. تَمَرُّدٌ عَلَى رَتَابَةِ الْقُيُودْ .

أَبْحَرْتُ عَنْكِ - يَا حَبِيبَتِي - في رِحْلَةٍ مَجْهُولَةِ الْمَصِيرْ
وَعُدْتُ مَجْرُوحَ الْفُؤَادِ ، خَاوِيَ الْيَدِ .
عُدتُ لأَسْتَرِيحَ في عَيْنَيْكِ . يَا مَلاَذِيَ الأَخِيرْ .
فَهَوِّني عَلَيْكِ ، هَوِّني عَلَيْكِ ، إِنْ عَشِقْتِ شَاعِراً
.. وَغَابَ عَنْكِ - في عَذَابِ الْخَلْقِ - ثم عَادْ ..
.. مُمَزَّقَ الْفُؤَادِ ، خَائِرَ الْقُوَىٰ .
.. تَحَمَّلِيهِ ، شَارِداً .. وَعَائِدَا
.. فَإِنَّهُ - إِنْ عَادَ يَا حَبِيبَتي - يَعُودُ مُجْهَدَا .

معايير النقد الأدبي



بقلم:
عبدالملك
عبدالرحيم

لا جدال في أهمية النقد الأدبي بالنسبة للمبدع، فالمبدع في حاجة - دائما - إلى ناقد عادل بصير، يغوص في أعماق النص الذي يكتبه، ويفسره ويحلله، ويلقي الضوء على مناطق وزوايا تخفى أحيانا على المبدع نفسه، مما يدفعه إلى تأمل مسيرته الإبداعية، وقد يعطيه هذا دفعة قوية إلى الأمام.

ولا جدال كذلك في أن وظيفة الناقد والأحكام النقدية، أصبحت الآن أكثر تعقيدا وتحديدا، فلم يكن الناقد فيما مضى بالصورة التي نراه عليها الآن، من تنوع في الرؤى النقدية، وثراء في الاتجاهات والمدارس.

لقد كان النقد الأدبي في العصر الجاهلي - على سبيل المثال - يجنح إلى العمومية في الأحكام، فهذا أغزل بيت، وهذا أهجى بيت، وهكذا. وكانت تتم ممارسات نقدية عامة، في مجالس الشعر والأدب، التي كانت تشهدها أسواق العرب، فقد كانت - بالإضافة إلى طبيعتها التجارية - ملتقى للشعراء والخطباء، وكان يتم الحكم على ما يلقى فيها على سبيل المثال لا الحصر: سوق «دومة الجندل»، وسوق «هجر»، وسوق «المشقر»، وسوق «صحار»، وسوق «ذي المجاز»، وسوق «مجنة»، وسوق «بارق». أما «عكاظ» فكانت أشهر أسواق العرب على الإطلاق، وقد اتخذت سوقا بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة، أي في عام ٥٤٠م، ثم بقيت في الإسلام إلى أن نهبها الخوارج، وفي هذه السوق كان الشاعر يلقي قصيدته، والخطيب كلمته، وفيها ضربت للنابغة الذبياني قبة من أدم، ليتحاكم إليه الشعراء أيهم أشعر.

وعلى مر الأيام أصبح النقد الأدبي أكثر تحديدًا، وأخذ النقاد يضعون مواصفات للشعراء، ويحددون مراتبهم، ففي كتاب «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده» لابن رشيق القيرواني، تم تقسيم الشعراء إلى أربع طبقات: شاعر خنذيذ، وهو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره، وشاعر مفلق، وهو من لا رواية له، إلا أنه مُجَوِّد كالـخِنْذِيْذ، وشاعر فقط، وهو فوق الرديء بدرجة، وشعرور، وهو لا شيء. وقيل: بل هم: شاعر مفلق، وشاعر مطلق، وشويعر، وشعرور. والمفلق هو الذي يأتي في شعره بالفلق، وهو العجب. وقيل: الفلق: الداهية والناقد في جميع الأحوال يضطلع بمهمة ليست باليسيرة، وهو مطالب الآن بالتغلغل في جوانب النص الأدبي، وإضاءة جوانبه وزواياه، وتفسيره تفسيرا، يفضي في النهاية إلى الترويج للعمل الإبداعي، وفتح صفحاته أمام جمهور القراء، وعقد آصرة حميمة بين المبدع والمتلقي، وهذا ما يجب على الناقد أن يأخذه على عاتقه، بالنسبة للأثر الأدبي الجيد، أما الأثر الهزيل أو الضعيف، فعلى الناقد أن يهمله، لأنه لا يرقى إلى مستوى النقد.

ولما كان النقد مرحلة حضارية تالية للإبداع، ومع التقدم في مدارج الحضارة الإنسانية، فإن طبيعة الناقد تقتضي في الواقع، أن يتسلح بمجموعة من المعايير والمواصفات اللازمة، منها: اطلاعه الوافر على التراث، وتمتعه بثقافة واسعة، ووقوفه على كثير من المعارف والعلوم والتخصصات المعاصرة، وقدرته على تذوق العمل الأدبي، والحكم عليه من خلال ذوق رفيع، ينميه المراس والمران والدربة على قراءة النصوص وتذوقها، وهو ما يعرف بالنقد التأثري. وعلى الناقد كذلك أن يكون نزيها عادلا، بعيدًا عن الأهواء الشخصية، وألّا يجيء نقده مدحًا أو قدحًا تبعا لقربه أو بعده بالنسبة لصاحب العمل الإبداعي، وألا يتأثر بعلاقته به، رغبة أو رهبة.

ونخلص إلى أن وظيفة الناقد الأدبي هذه الأيام، أصبحت أكثر صعوبة وتعقيدا، من وظيفة الناقد الأدبي في الماضي، بعد أن تعقدت الحياة الفكرية وتشابكت، وتداخلت المعارف، وتلاحقت الثقافات، وبرزت الاتجاهات والمدارس والنظريات، وظهرت علوم كثيرة، أصبحت تشارك في عملية الكشف عن خبايا النصّ، مثل علم النفس وعلم الاجتماع، وعلم الإحصاء، وغيرها، ومن هنا أصبح الناقد البصير نادر الوجود هذه الأيام، ودخل الساحة النقدية كثير من الأدعياء والمتسلقين، وهذا يجسد في حقيقة الأمر أحد أبعاد أزمة النقد الأدبي الراهنة.

متابعة شاملة للحركة الثقافية ومجرياتها في العالم؛ نقدمها لك من خلال هذا الرصد للأحداث والمناسبات والندوات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية والإصدارات الجديدة في مجالات المعرفة

الحركة الثقافية

□ معرض الكتاب الدولي بالرياض في رجب ١٤١٤هـ.

□ توصية بإنشاء هيئة علمية لتعريب العلوم.

□ مركز في القاهرة لتسجيل الآثار الإسلامية.

□ ندوة دولية عن موباسان.

□ ماركيز يمنع بيع كتبه في بلاده!

السعودية

معرض دولي للكتاب

يقام خلال الفترة من الأول حتى العاشر من رجب المقبل ١٤١٤هـ **معرض الرياض الدولي السابع للكتاب** الذي تنظمه عمادة شؤون المكتبات في جامعة الملك سعود بالرياض.

ينتظر أن يتضمن المعرض إلى جانب الكتب أحدث أوعية المعلومات غير التقليدية من أجهزة تقنية المعلومات الحديثة.

اجتماع بين الإيسيسكو ورابطة الجامعات الإسلامية

استضافت مدينة الرياض خلال الفترة من الأول حتى الثالث من ذي الحجة المنصرم ١٤١٣هـ (٢٢ ـ ٢٤ مايو ١٩٩٣م) **اجتماع اللجنة المشتركة** بين **المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة** (إيسيسكو) **ورابطة الجامعات الإسلامية**.

بحث الاجتماع تنفيذ ما تضمنته اتفاقية التعاون المبرمة بين المنظمة والرابطة التي تشمل مجالات علمية وتربوية وثقافية متنوعة.

ملخصات للرسائل الجامعية

أصدرت كلية التربية بجامعة أم القرى في مكة المكرمة **الجزء الأول من دليل «ملخصات رسائل الماجستير والدكتوراه في التربية الإسلامية خلال الفترة من ١٣٩٨ هـ إلى ١٤١٣هـ»**.

ضم الجزء الأول ملخصات لثلاث رسائل دكتوراه و١٠٤ رسائل ماجستير.

قام بإعداد الدليل د. **نجم الدين الأنديجاني** الأستاذ المساعد في قسم التربية الإسلامية.

معرض دائم بالأحساء للتراث

تعد إدارة مركز التنمية الاجتماعية في الأحساء لإقامة **معرض دائم للتراث والصناعات البيئية**

يشتمل المعرض على عدة قاعات قسمت بحيث تختص كل قاعة بنوع معين من التراث والحرف.

معرض لكتب اللغة الإنجليزية

نظمت جامعة الملك عبد العزيز في جدة بالتعاون مع المكتب الإعلامي في سفارة الولايات المتحدة الأمريكية **معرضًا لكتب اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها**.

ضم المعرض ـ الذي استمر خمسة أيام وانتقل بعدها للرياض والظهران ـ **قرابة أربعمائة كتاب**.

كتب جديدة

● **أسس تنظيم المكتبات والمعلومات**، تأليف **كلون هاريسون وروز ماري بينهام**، ترجمة **سماء زكي المحاسني وناصر محمد السويدان**، صدر عن مكتبة الملك عبد العزيز العامة في الرياض.

● **النشاط التجاري لميناء جدة خلال الحكم العثماني الثاني**، تأليف مبارك محمد المعبدي.



عبده خال

● **حكايات المداد**، مجموعة قصصية للأطفال تأليف **عبده خال**.

صدر الكتابان السابقان عن نادي جدة الأدبي الثقافي.

● **تمثيليات إسلامية وعربية**، تأليف **تميم الحكيم**.

● **رحلة العمر**، تأليف الرحالة **عبد الحميد مراد**.

صدر الكتابان السابقان عن نادي مكة الأدبي الثقافي.

● **دراسة تحليلية تقويمية لكتاب الجغرافيا للصف الرابع الابتدائي للبنين**، تأليف د. **حسن عائل**، صدر عن مركز البحوث التربوية في كلية التربية بجامعة الملك سعود في الرياض.

● **الدراسة النفسية للأدب**، تأليف **مارتن ليندأور**، ترجمة د. **شاكر عبد الحميد**، صدر ضمن سلسلة «الترجمة» عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر في جدة.

● **مـشــــوار**، مجمـــوعة مقـــالات للدكتـــور **عبد العزيـز النهـــاري**، صـــدر في جدة.



د. عبد العزيز النهاري

● **صـــــراع عقلي وعاطفي**، مجموعة قصصية لسلوى **عبد العـزيز دمنهوري**، صدرت عن دار الخشرمي في جدة.

● **مرويـات أم المؤمنين عائشـة في التفسير**، تأليف د. **سعود بن عبد الله الفنيسان**، صدر عن مكتبة التوبة في الرياض.

● **على طـــريـق الهجـرة**، ط٢، تأليف **عاتق بـن غيث البلادي**، صدر عن دار مكة.



عاتق غيث البلادي

● **دليل القـــرآن الكـريم**، تأليف الشيخ **مصطفى محمود أبو صالح**، صدر ضمن سلسلة «رسائل إرشادية» عن جامـعـة الإمام مـحـمد ابن سعود الإسلامية في الرياض.

الإمارات
حماية حقـوق التأليف والنشر

أقيمت في أبو ظبي جلسات **الندوة الإقليمية حـول حقـوق التأليـف والنشـر في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية**.

بحثت النـدوة سبل مكـافحـة القرصنـة في مجـال التأليف والنشر، والنشـاطـات التعـاونيـة للمنظمة العـالمية للملكيـة الفكريـة، والحمايـة الدوليـة لحقوق التأليف والنشر وحقـوق المؤلفين الأجانب.

نظمت الندوة التي استمرت يـومًا واحدًا وزارة الإعلام والثقـافة بدولـة الإمارات العربيـة المتحدة والمنظمة العالمية للملكية الفكرية.

الكويت
عودة «الغدير»

عاودت مجلة «**الغدير**» الثقـافيـة الشعبيـة الكويتية الصدور مرة أخرى بعـد توقف قرابة ثلاثة أعوام بسبب احتلال النظام العراقي للكويت في عام ١٩٩٠م.

و«الغديـر» مجلة تعنى بالأدب الشعبي بعـامة والشعـر الشعبي بخاصـة، وقـد ظهرت في ثـوب جديد متطور، ويرأس تحريرها **نايف الحربي**.

عـدن
مقبرة عمالقة

اكتشفت في قـريـة بئـر فضل شمـال شـرقي عـدن إثـر السيول التي حـدثت قبل أشهـر مقبـرة جماعية تضم ثمانية هياكل عظمية بشرية عملاقة يزيد حجم الواحد منها مرة ونصف مرة عن حجم الإنسان العادي.

لم يتم تحديد عمـر المقبرة، لكن يُعتقد أنها تعود إلى آلاف السنين.

مصـر
«شـخـصـيـة مـصـر» في طبعتين جديدتين

صـدرت ـ مـؤخـرًا ـ طبعتـان جـديـدتـان من الكتـاب المـوسـوعي «**شخصية مصر: دراسة في عبقـريـة المكـان**» للمفكر والعـالم **الراحل د. جمال حمدان**.



د. جمال حمدان

أولى الطبعتين الجديدتيـن صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة «المواجهة: التنوير» فيما صـدرت الأخرى عـن دار الهلال ضمن سلسلة «كتاب الهلال».

مركز لتسجيل الآثار الإسلامية

تم اعتمـاد أربعة مـلايين جنيـه مصري لبـدء نشـاطـات أول **مـركـز متقـدم لتسجيـل الآثـار الإسلامية وحفظها بـالصورة والوصف على أجهزة الحاسب الآلي والميكرو فيلم**.

يهدف المركز الـذي شاركت في تأسيسه عدة جهات حكـومية وبعثات آثـارية أجنبيـة إلى إنقاذ آثار مصر الإسلامية المهددة بالفناء حيث لم يتبق منها سوى نحو ٥٦٠ أثرًا فيما اندثر أكثر من ألف أثر إسلامي خلال المائة عام الماضية.

وقـد شكلت بالفعل مجمـوعات عمل كبيـرة ضمت مـؤرخين وآثـاريـين وفنـانين تشكيليين ومعماريين للإسهام في إنقاذ تلك الآثار.

مركز ثقافي عربي

تحت مسمى «**المـركـز الثقـافي العــربي**» افتتحت الجزائر في شهـر ذي القعـدة المـاضي ١٤١٣هـ أول مركز ثقافي عربي يقام في العاصمة المصرية.

يجيء افتتاح المركز في إطار اتفـاقية للتعاون الثقـافي والإعلامي كـان قـد وقعهـا عن الجـانب المصـري وزيـرا الإعـلام والثقافة **صفوت الشريف وفــاروق حسني**، وعن الجـانب الجزائري وزيـر الثقافـة **حمراوي حبيب شوقي**.



صفوت الشريف



فاروق حسني

ينظم المركز أسبوعيًا عــددًا مـن النـــدوات وعروضًـا سينمائيـة فضلاً عن معارض فنون شعبية وتشكيلية جزائرية.

الشخصية اليهودية في الآداب العالمية

تنظم كليـة الآداب في جـامعـة عين شمس خلال شهر ديسمبـر المقبل ١٩٩٣م ندوة علمية عن «**الشخصيـة اليهـوديـة في الآداب العـالميـة والأدب العبري**».

يشرف علـى الندوة **د. رشاد الشـامي** رئيس قسم اللغة العبرية في الكليـة، ويشارك فيها عدد من المتخصصين في الأدب العبري حيث تناقش سبعة محـاور عن الشخصية اليهـودية في الآداب العـالمية والعبـريـة خـلال القرنين التـاسع عشر والعشرين الميلاديين، قبل قيام اسرائيل وبعده.

اكتشافات أثرية جديدة

اكتشفت في منطقـة الصحراء الغـربية **مغارة تعود إلـى عصور ما قبل التـاريخ** سكنها الإنسان قبل عشرين ألف عام.

الحركة الثقافية

وتعد هذه أول مرة تكتشف في مصر آثار لعصور ما قبل التاريخ، وتمثل المغارة نموذجًا للمغارات الموجودة في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، مثل تلك التي اكتشفت في الجزائر وفرنسا.

والمغارة المكتشفة منحوتة بالكامل في الصخور وتحتوي على أنفاق. عثر فيها على مخلفات لعظام الحيوانات التي كان يأكلها الإنسان المصري الأول، وتوجد على جدرانها رسوم ونقوش توضح جوانب الحياة اليومية في ذلك العصر، وتتدلى من سقفها أشكال طبيعية.

ويجري العمل حاليًا على إعداد المغارة لاستقبال السياح.

من ناحية أخرى عثر في تل المخزن على مسافة ٢٧ كيلومترًا شمال مدينة القنطرة في سيناء على تمثال يمثل **أحد الملوك يعد أطول تمثال فرعوني من العصر المتأخر يتم اكتشافه في سيناء**، وهو على هيئة الرمز حنجور.

«أخبار التراث»

تعاود الصدور

عاود معهد المخطوطات العربية في القاهرة إصدار نشرته المتخصصة.

تهدف النشرة إلى التعريف بالجهود التي تبذل للحفاظ على المخطوطات العربية وتحقيقها ونشرها، والتنسيق بين العاملين في هذا المجال بهدف الحفاظ على جهودهم ومنع التكرار.

افتتاح متحف كفافيس

افتتح في النصف الثاني من شهر ذي القعدة الماضي ١٤١٣هـ بيت الشاعر اليوناني الأصل الإسكندري المولد **قسطنطين كفافيس بعد أن تم تحويله إلى متحف يضم مخطوطاته ومتعلقاته**.

جاء افتتاح المتحف في إطار احتفالات السفارة اليونانية وجمعية الصداقة المصرية اليونانية بذكرى مرور ستين عامًا على وفاة كفافيس.

تكريم أمين الخولي


أمين الخولي

أقامت محافظة المنوفية مسقط رأس المفكر الراحل **أمين الخولي** حفلاً تكريميًا في ذكراه.

شارك في الاحتفال الدكاترة **شكري عياد وعائشة عبد الرحمن وأسامة أمين الخولي ومحمد عيد** وآخرون وقد تحدثوا عن شخصيته وآثاره العلمية.

محاضرات وندوات

● «**البعد الطقوسي للقصيدة العربية القديمة**» عنوان محاضرة ألقتها في الجمعية المصرية للنقد الأدبي في القاهرة المستشرقة الأمريكية سوزان ستيتكيفيتش.

● «**ثقب الأوزون بين الفرضيات والقياسات**» عنوان محاضرة ألقاها المهندس **محمد الفقي** في قاعة الملتقى الثقافي لنادي المنطقة الشرقية الأدبي في الدمام.

● «**حرب الخليج في الكتابات العربية: أخطاء شائعة**» عنوان محاضرة ألقاها د. **حمد المرزوقي**.

● «**تطور أنظمة الاتصالات**» عنوان محاضرة ألقاها د. **محمد الحيدر**.

● «**الآخر الغربي من وجهة نظر كاتبة عربية**» عنوان محاضرة ألقاها د. **معجب الزهراني**.

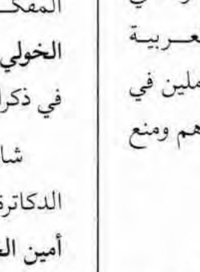
نظم المحاضرات الثلاث السابقة نادي جدة الأدبي الثقافي.

● «**صورة فرنسا في الأدب السعودي الحديث**» عنوان محاضرة ألقاها د. **معجب الزهراني** بدعوة من الملحقية الفرنسية في الرياض.

● «**أمرض الكبد**» كانت محور حديث د. **ياسين عبد الغفار** خلال أمسية أقامها رجل الأعمال **حسين بكري قزاز** في استراحته في أبحر الشمالية بجدة.

● «**بيت الله المحرم. تاريخ وأسرار**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة المكرمة الثقافي الشيخ **صالح بن عبد الله بن حميد**.

● «**التربية وتوجهات النظام الأساسي للحكم**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي د. **حسن إبراهيم عبد العال**.


د. حمد المرزوقي


د. معجب الزهراني

● «**الأسس العلمية لتشكيل الحرف العربي**» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الإعلامي السعودي في لندن د. **أحمد مصطفى**.

● «**مشكلات النزعة القومية: منشؤها، جذورها، أشكالها، نظرياتها، وتطورها**» موضوع ندوة أقيمت في جاليري الكوفة في لندن شارك فيها باحثون عرب وبريطانيون.

● «**المسلمون على مشارف القرن الحادي والعشرين**» عنوان محاضرة ألقاها د. **محمد سليم العوا** في قاعة المحاضرات التابعة

كتب جديدة

● **الأسطورة والتراث**، تأليف د. **سيد القمني**، صدر عن دار سينا في القاهرة.

● **فنون الغرب في العصور الحديثة**، تأليف **نعمت إسماعيل علام**.

● **القصة في القرآن الكريم**، تأليف د. **محمد سيد طنطاوي**، صدر ضمن سلسلة «اقرأ».

صدر الكتابان السابقان عن دار المعارف في القاهرة.

● **العالم البرجوازي الأخير**، رواية الكاتبة الجنوب أفريقية **نادين جورديمر**، ترجمها إلى اللغة العربية وكتب مقدمة لها **عبد اللطيف زيدان**، وصدر عن مؤسسة دار الهلال بالقاهرة.

● **النساء يغسلن أوراق الشجر**، مجموعة قصصية للأديبة **علية سيف النصر**، صدرت عن دار سعاد الصباح.

● **مجموعة الناصر خليل الفنية**، كتاب مصور يضم صورًا ووصفًا لنحو عشرين ألف قطعة من الفن الإسلامي، صدرت ضمن سلسلة «كنوز الفن الإسلامي» عن دار نشر الجامعة الأمريكية في القاهرة.

● **الإسكندرية: الموقع والتاريخ**، تأليف الدكاترة **مرسي سعد الدين ومصطفى العبادي وجمال مختار**، وصدر عن شركة موبيل أويل.


محمد قطب

● **لا إله إلا الله: عقيدة وشريعة ومنهاج حياة**، تأليف الداعية **محمد قطب**، صدر عن دار الشروق.

● **يوميات حرب أكتوبر**، تأليف المشير **عبد الغني الجمسي**، صدر عن دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر في القاهرة.


د. مصطفى عبد الغني

● د. **زكي نجيب محمود**، تأليف د. **مصطفى عبد الغني**.

● **مصطفى عبد اللطيف السمرتي**، تأليف د. **كمال نشأت**، صدر ضمن سلسلة «نقاد الأدب».

● **الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر** تأليف د. **سمير عمر إبراهيم**.

● **تعلم الهيروغليفية لغة مصر القديمة وأصل الخطوط العالمية**، تأليف د. **محمد حماد**.

● **دراسات في المسرح المصري**، تأليف د. **فاروق عبد الوهاب مصطفى**.

صدرت الكتب الخمسة السابقة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● **السياسة العسكرية المصرية في**

لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض.

● «**نظام تحديد المواقع العالمي وتطبيقاته**» عنوان محاضرة ألقاها د. **إبراهيم القاضي**.

● «**تمييز السمات**» عنوان محاضرة ألقاها د. **صبري محمود**.

● «**الاتجاهات الحديثة في كابلات الجهد الفائق**» عنوان محاضرة ألقاها المهندس **هشام المزين**.

● «**القياسات اللحظية في الموقع لمحطات الطاقة الشمسية ذات القدرة العالية**» عنوان محاضرة ألقاها د. **محمد أبو العلا**.

● «**التخاطب المرئي**» عنوان محاضرة ألقاها **سايمون وليامز**.

● «**تطبيقات الرسوم المجسمة في أنظمة الرادار**» عنوان محاضرة ألقاها المهندس **عبد الرحمن الغامدي**.

● نظم المحاضرات الست السابقة قسم الهندسة الكهربائية في كلية الهندسة بجامعة الملك سعود في الرياض.

● «**واقع وطموحات الصحافة الإسلامية**» عنوان ندوة نظمتها في الكويت «**مجلة النور**» شارك فيها عدد من الأكاديميين ورجال الإعلام والصحافة.

● «**توعية المستفيدين**» موضوع ندوة نظمتها في الكويت جامعة الدول العربية بالتعاون مع معهد الكويت للأبحاث العلمية، شارك فيها عدد من المتخصصين في مجال أوعية المعلومات واستخداماتها.

● «**قيادات مبدعة في عالم متغير**» عنوان ندوة نظمتها كلية التربية بجامعة عين شمس برعاية **معهد جوته في القاهرة**، شارك فيها نخبة من المفكرين والمبدعين المصريين والألمان.

● «**واجبات وحقوق المدرس تجاه الطلاب المسلمين**» عنوان


د. محمد عريف


د. محمد عبده يماني

محاضرة ألقاها د. **محمد خضر عريف** في إطار دورة آداب وأخلاقيات المعلم المسلم التي نظمتها وحدة التطوير في كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز في جدة.

● «**الأقليات المسلمة**» موضوع محاضرة ألقاها في كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز في جدة د. **محمد عبده يماني**.

□ □ □

الحركة الثقافية

التسعينيات، تأليف لواء د. **زكريا حسين أحمد**، صدر عن الهيئة المصرية العامة للاستعلامات.

● **أسطورة الكونغ فو**، تأليف **يحيى فوزي**، صدر عن مكتبة مدبولي بالقاهرة.

● **مع العقاد**، ط ٥، تأليف د. **شوقي ضيف**.


حسن عبد الله القرشي

● **أنات الساقية**، مجموعة قصصية **لحسن عبد الله القرشي**.

صدر الكتابان السابقان ضمن سلسلة «اقرأ» عن دار المعارف بالقاهرة.

● **أطياف من رماد الغربة**، مجموعة شعرية **لحسن عبد الله القرشي**.

● **مصر بين زلزالين: فصول سياسية**، تأليف **طارق حجي**.

صدر الكتابان السابقان عن دار الشروق بالقاهرة وبيروت.


إدوارد خراط

● **أمواج الليل**، تأليف **إدوارد الخراط**، صدر عن دار شرقيات في القاهرة.

● **أربعون عامًا على ثورة يوليو: دراسة تاريخية**، دراسات **الثمانية من أساتذة التاريخ**، قام بتحريره د. **رؤوف عباس**، وصدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في مؤسسة الأهرام.

● **بريد بيروت**، رواية **لحنان الشيخ**، صدرت ضمن سلسلة «روايات الهلال».

● **الهلال: مائة عام من التحديث والتنوير**، للباحث **أحمد حسين الطماوي**.

● صدر الكتابان السابقان عن مؤسسة دار الهلال بالقاهرة.

● **الشيوعية: الصنم الذي هوى**، تأليف **محمد إسماعيل**، صدر عن مكتبة التراث الإسلامي.

● **سجن العمر**، تأليف **توفيق الحكيم**، صدرت ترجمته إلى اللغة الإنجليزية بقلم المستعرب **بير كايكا** ضمن سلسلة «كتابات عربية حديثة» عن مطبعة الجامعة الأمريكية في القاهرة.

● **فكر المسلم المعاصر: ما الذي يشغله؟** تأليف مجموعة من الباحثين الإسلاميين.

● **والآن أتكلم**، مذكرات **خالد محيي الدين**.


صلاح جاهين

● **الزلزال وتوابعه**، تأليف د. **محمد الشرقاوي**.

● **الليلة الكبيرة**، تأليف **صلاح جاهين**.

صدرت الكتب الأربعة السابقة عن مركز الأهرام للترجمة والنشر.

● **نظرية اللغة الأدبية**، تأليف **خوسيه ماريا بوثوليو ايفانكوس**، ترجمه إلى اللغة العربية د. **حامد أبو أحمد**، وصدر عن مكتبة غريب بالقاهرة.

● **من قضايا الأزمة التربوية: وجهة نظر، تطوير القيم التربوية: رأي آخر**، كتابان للدكتور **حامد عمّار**، صدرا عن دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع.

● **قرطبة في التاريخ الإسلامي**، تأليف **جودة هلال ومحمد محمود صبح**.

● **الأعمال الكاملة للأديب أبو المعاطي أبو النجا**، صدر مجلدها الأول محتويا عدة مجموعات قصصية.

● **ألحان من عيونك**، مجموعة شعرية **لمحمد الغيطي**، صدر ضمن سلسلة «إشراقات أدبية».

● **الحمق والجنون في التراث العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الرابع**، تأليف **أحمد الحصخوصي**، صدر ضمن سلسلة «دراسات أدبية».

● **همس الوجدان**، ديوان للشاعر اللواء **عقيل القويعي**.

● **القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة**، تأليف د. **عبد الله خورشيد البري**.

● **الجسد والحلم**، تأليف **محمد أحمد الحمامصي**.

● **أرضي لك**، مجموعة قصصية **لسامي فريد**.


عبد القادر حميدة

صدرت الكتب الثمانية السابقة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● **رحلة الخولاني الكبير**، رواية **لسهير شمرول**.

● **ذكريات على الشاطئ**، تأليف **عبد القادر حميدة**.

صدر الكتابان السابقان عن مؤسسة روز اليوسف في القاهرة.


د. مصطفى ماهر

● **الحضارة المادية والاقتصاد والرأسمالية**، تأليف **فرنان برودل**، ترجمه إلى اللغة العربية د. **مصطفى ماهر**، وصدر عن دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

● **معالم إسلامية سياحية وإعلامية**، إعداد المؤرخ **إبراهيم عناني**، صدر في القاهرة على نفقة مؤلفه.

● **الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته**، تأليف د. **مصطفى الشكعة**.

● **الطفل العربي والأدب الشعبي**، دراسة **لعبد التواب يوسف**.

صدر الكتابان السابقان عن الدار المصرية اللبنانية.

● **الفرار إلى الله أو الفرار من الله**، تأليف الكاتب الإسلامي **حسن دوح**، صدر عن دار الاعتصام في القاهرة.

● **في القصة القصيرة**، تأليف **يوسف حسن نوفل**.

● **عودة السيد عدنان**، مسرحية شعرية **لطه حسين سالم**.

صدر الكتابان السابقان عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

الأردن — اختتام الموسم الثقافي لمجمع اللغة

اختتم مجمع اللغة العربية في عمان ـ مؤخرًا ـ موسمه الثقافي الحادي عشر بندوة عن «**واقع اللغة العربية في الجامعات الأردنية**».

ناقشت الندوة الحفاظ على اللغة العربية في الجامعات الأردنية ومساندة جهود التعريب في المجال الجامعي.

«البلاد»

انضمت إلى ركب الصحافة الأردنية صحيفة جديدة أصدرها **نايف الطورة** تحت مسمى «**البلاد**».

يرأس تحرير «البلاد» الصحافي **رائد صالحة**.

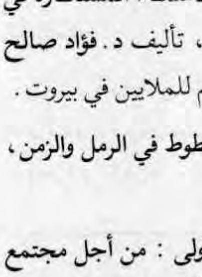
لبنان — كتب جديدة

● **قاموس أساطير العالم**، تأليف **آرثر كورتل**، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

● **معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي**، تأليف د. **فؤاد صالح السيد**، صدر عن دار العلم للملايين في بيروت.

● **حرب الخليج : خطوط في الرمل والزمن**، تأليف د. **حليم بركات**.

● **الثورة العالمية الأولى : من أجل مجتمع عالمي جديد**، تقرير كتبه **ألكسندر لينج وبرتراند شنيدر**.



تشومسكي

● **إعاقة الديموقراطية ـ الولايات المتحدة الأمريكية**، تأليف **نعوم تشومسكي**.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت.

● **أعمال سميح القاسم الكاملة**، صدرت عن دار الجيل في بيروت.

● **عكا . تراث وذكريات**، تأليف **منى سمعان بوري ويوسف أحمد شنبل**.

● **أشيب الشاربين يبكي مدينته**، ديوان للشاعر **جورج جحا**.

صدر الكتابان السابقان عن دار الحمراء في بيروت.

● **سمرقند**، رواية **لأمين معلوف**، ترجمة د. **عفيف دمشقية**، صدرت عن دار الفارابي.

● **من أعلام الفكر العالمي**، تأليف **قدري قلعجي**، صدر عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر في بيروت.



إبراهيم أصلان

● **مالك الحزين**، رواية جديدة **لإبراهيم أصلان**، صدرت عن دار الآداب في بيروت.

● **المورد الميسر** : قاموس عربي إنجليزي، تأليف د. **روحي بعلبكي**.

● **النظام العالمي الجديد : ملامح ومخاطر**، تأليف **شفيق المصري**.

صدر الكتابان السابقان عن دار العلم للملايين في بيروت.

● **حوار سياسي**، المصدر : الكاتب الفرنسي **موريس جولي**، المقتبس : **حبيب حرب**، صدر عن دار جروس برس في طرابلس.

● **النزاع السنغالي الموريتاني بين المأزق العرقي والمخرج الوطني**، تأليف د. **صالح بكتاش**، صدر عن دار المستقبل العربي.

● **الأصولية الإسلامية والنظام العالمي**، تأليف د. **أحمد الموصلي**، صدر عن مركز الدراسات الاستراتيجية.

● **المسيحية والتوراة : بحث في الجذور الدينية لصراع الشرق الأوسط**، تأليف **شفيق مقار**.

● **سلام ما بعده سلام**، تأليف **دافيد فرومكين**.

صدر الكتابان السابقان عن دار رياض الريس للكتب والنشر.

● **طفلك من باب الحياة إلى باب المدرسة**، تأليف **عبد العزيز الحاج**، صدر عن دار عز الدين للطباعة والنشر.

● **أمير البيان شكيب أرسلان ومعاصروه**، تأليف **نجيب البعيني**، صدر عن الدار الجامعية.

● **مثلهن الأعلى السيدة خديجة**، ط ٤، تأليف عبد الله العلايلي.

● **كأن لم يكن**، تأليف **فؤاد كنعان**.

صدر الكتابان السابقان عن دار الجديد.

● **جلنار**، ط٣، للشاعر **ميشال طراد**، صدر عن دار لحد خاطر.

● **أوراق نقدية جديدة عن طه حسين**، تأليف د. **يوسف بكار**، صدر عن دار المناضل في بيروت.

● **الطب النبوي في علاج مرضى الجهاز الهضمي والكبد**، تأليف د. **علي مؤنس**، صدر عن دار العصر الحديث للنشر والتوزيع في بيروت.



د. محمد جابر الأنصاري

● **النقد والأيديولوجيا**، تأليف **تيري إيجلتون**، ترجمة **فخري صالح**.

● **تجديد النهضة باكتشاف الذات ونقدها**، تأليف د. **محمد جابر الأنصاري**.

صدر الكتابان السابقان عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

● **جدلية الريف والمدينة في القصة التونسية من الاستقلال إلى سنة ١٩٨٢م**، تأليف **مصطفى التواتي**، صدر عن دار الفارابي.

● **العراق : الواقع وآفاق المستقبل**، تأليف **وليد الحلي**.

● **مقترحات للخروج من أزمة الخليج**، تأليف وليد الحلي.

صدر الكتابان السابقان عن دار الفرات في بيروت.

● **أسرار الماسونية**، تأليف د. **حكمت المر**، صدر عن دار الكاتب العربي في بيروت.

الحركة الثقافية

● **هكذا،** مجموعة شعرية **لأحمد دحبور،** صدرت عن دار الآداب في بيروت.

● **كتب الفراشة،** قصائد وأناشيد **أنطون رعد،** صدرت عن منشورات مكتبة لبنان في بيروت.

● الخدمة الاجتماعية في لبنان، تأليف **نعمت كنعان أبي عبد الله،** صدر عن منشورات مركز التدريب الاجتماعي في بيروت.

● **نقد الحياة السياسية اللبنانية،** تأليف **محمد كشلي،** صدر عن دار ابن خلدون للطباعة والنشر في بيروت.

سورية — كتب جديدة

● **ضرب الأمثال في القرآن الكريم: أهدافه التربوية وآثاره،** إعداد **عبد المجيد البيانوني،** صدر عن دار القلم في دمشق ودار الشامية في بيروت.

● **مرثية لجلجامش،** مجموعة قصصية **لعبد الإله عبد القادر،** صدرت عن دار حوار.

● **حدائق الإنعام في فضائل الشام،** تأليف **عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرزاق الدمشقي،** تحقيق **يوسف بدوي،** صدر عن دار الضياء في دمشق.

● **موسوعة كُتَّاب فلسطين في القرن العشرين،** أعدها **أحمد عمر شاهين،** صدرت عن دائرة الثقافة الفلسطينية ودار الأهالي في سورية.

● **رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية،** تأليف ابن كمال باشا، تحقيق **محمد سواعي،** صدر عن المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية في دمشق.

● **تاريخ مدينة صلخد منذ عهد الأنباط حتى نهاية عصر المماليك،** للباحث **نزيه حمزة،** صدر في دمشق.

● **مدائح الأشجار،** ديوان **لزهير غانم.**

● **أم أحمد لا تبيع مواويلها،** ديوان **لصالح هواري.**

● **آمال وآلام،** ديوان **لإلياس ندور.**

● **مراثي عائلة القلب،** ديوان **لعلاء عبد المولى.**

● **ضمير الغائب،** رواية **لواسيني الأعرج.**

● الموظفون، رواية **لسعيد سالم.**

● **المدينة الوردية،** رواية **لطارق حريب.**

● **الأفعال الناقصة،** مجموعة قصصية **لنضال صالح.**

● **الحارة،** مجموعة قصصية **لمصطفى جماهيري.**

● **الميثولوجيا،** دراسة **لهنا عبود.**

صدرت الكتب الأحد العشر السابقة عن اتحاد الكُتَّاب العرب بدمشق.

● **أعلام سوريون من صانعي الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم،** تأليف **سعد صائب،** صدر في دمشق.

تونس — الاحتفال بذكرى صلاح الدين

أعدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم برنامجا للاحتفال خلال العام الميلادي الجاري **بالذكرى الثمانمائة لوفاة «صلاح الدين الأيوبي».**

يتضمن البرنامج مسابقة إبداعية عن صلاح الدين وندوات تلفازية تقام في تونس وتنقل بالأقمار الصناعية إلى جميع الدول العربية، وإصدار كتاب عن هذا القائد المسلم يوضح مآثره مع بيليوجرافيا عن شخصيته، فضلاً عن ندوة علمية في تونس لبحث جوانب جديدة في شخصيته.

وكان المجلس التنفيذي للمنظمة قد دعا في ختام دورته الخامسة والخمسين التي عقدت مؤخرًا في القاهرة الدول العربية والإسلامية

رسائل جامعية

● **«الملابس التقليدية للنساء في مكة المكرمة: أساليبها وتطريزها: دراسة ميدانية»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم الاقتصاد المنزلي في كلية التربية في مكة المكرمة، تقدمت بها **ليلى عبد الغفار فدا.**

● **«نظام خبير لجمع وتحليل المعلومات في مجال التحكم في العمليات الصناعية»** عنوان رسالة ماجستير تقدم بها **رفيق مهاب جمال الدين.**

● **«تحويل الطور باستخدام مقطع الجهد المتردد»** عنوان رسالة ماجستير تقدم بها **مرزوق سعد الخالدي.**

● **«نظام حاسوبي للتحليل الهيكلي للشبكات الحاسوبية»** عنوان رسالة ماجستير تقدم بها **عادل عبد الله الرميح.**

نوقشت الرسائل الثلاث السابقة في قسم الهندسة الكهربائية في كلية الهندسة بجامعة الملك سعود في الرياض.

● **«تحضير وتفاعلات بعض المركبات الحلقية غير المتجانسة ذات النشاط البيولوجي المحتمل»** عنوان رسالة دكتوراه في الكيمياء العضوية تقدمت بها **منيرة عبد الرحمن آل الشيخ.**

● **«دراسات فسيولوجية وكيميائية حيوية على أيض ل - الأنين في الفطريات»** عنوان رسالة دكتوراه تقدمت بها **سهام عبد المحسن القضيب.**

● **«دراسات عن تحضير وتفاعلات بعض مشتقات الثيازولونات الجديدة ذات النشاط البيولوجي المتوقع»** عنوان رسالة دكتوراه في الكيمياء العضوية تقدمت بها **سهام عبد الرحمن العيسى.**

والمؤسسات الثقافية والفكرية والتاريخية والأكاديمية إلى الإسهام في هذه الذكرى التي تقرر أن تكون مفتوحة لمدة عام .

مرجعيات الفكر العربي في ندوة

نظم اتحاد الكتاب التونسيين ـــ مؤخرًا ـ ندوة بعنوان «**مرجعيات الفكر العربي المعاصر**» .

شارك في الندوة باحثون من دول عربية مختلفة بحثوا عدة موضوعات من أهمها : تحديد مفهوم العقلانية في علاقته مع التراث الفلسفي الإسلامي، وإشكالية إعادة صياغته في ظل تأثيرات الفكر العربي والأنظمة المعرفية الحديثة، والهوية العربية الإسلامية بين الأصالة والتجذير والاستلاب، وغير ذلك من الموضوعات .

وفاة قيقة

فقدت الحركة الثقافية العربية والتونسية ـ مؤخرًا ـ أحد الذين أسهموا في خدمتها بقسط وافر، الكاتب المعروف **الطاهر قيقة** المدير العام المساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (سابقا) .

ويعدّ **قيقة** من جيل الرواد في تونس، وقد تلقى تعليمه في السوربون خلال الأربعينيات الميلادية، ثم عاد إلى بلاده ليسهم في نهضتها الثقافية على امتداد نصف قرن في مجالات : التأليف والتحقيق والبحث والترجمة، حيث كان يجيد أكثر من لغة، وعرف بولعه الشديد للسير الشعبية، كما أدار المركز الثقافي الدولي في مدينة الحمامات ومهرجانها الدولي لسنوات طويلة .

من أعماله : **الملحمة الهلالية**، ومجموعات قصصية : «**نسور وضفادع**»، «**سبع ليال مع كاليجو**»، «**الصخرة العالية**»، فضلا عن دراسات أدبية وتاريخية لم يسعفه العمر لنشر بعضها .

مؤتمر المعجم العربي

استضافت تونس ـــ مؤخرًا ـ المؤتمر العربي الثالث عن «**المعجم العربي المختص**» الذي نظمته الجمعية المعجمية العربية في تونس .

شارك في المؤتمر متخصصون وعلماء من **مصر والسعودية وتونس والجزائر والمغرب والأردن وسورية ولبنان وإنجلترا وفرنسا وألمانيا**، وذلك لمعالجة قضايا المعجم العربي الحديث المختص على هدى من الجهود المصطلحية والمعجمية التي بذلت منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، وتطور البحوث المصطلحية واللسانية والمعلوماتية ومكتسباتها الحالية وحاجات المجتمع العربي ومتطلباته الحضارية والتنموية .

كتب جديدة

● **جمهوريات الدايات في تونس خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر**، للمؤرخ **توفيق البشروس**، صدر عن دار أوربيس في تونس .

● **شاعر وثورة**، قراءة نقدية للخطاب الشعري لدى الشاعر الجزائري د . **أبي القاسم سعد الله**، تأليف د . **حسن فتح الباب**، صدر عن دار المعارف في تونس .



د. حسن فتح الباب

المغرب — كتب جديدة

● **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب**، تأليف **محمد رزوق**، صدر عن دار أفريقيا الشرق في الرباط .

● **الشعر العربي الحديث المترجم إلى الإنجليزية**، تأليف **صالح جواد الطعمة**، صدر عن مدرسة الملك فهد العليا للترجمة في طنجة .

● **نقد الشعر في المغرب الحديث**، تأليف **عبد الجليل ناظم**، صدر عن دار توبقال .

جورجيا — كشف أثري مهم لعلماء الأنثروبولوجيا

اكتشف بالقرب من مدينة تيليسي عاصمة جمهورية جورجيا **بقايا عظام بشرية من بينها فك**

نوقشت الرسائل الثلاث السابقة في الأقسام العلمية بكلية التربية للبنات في الرياض .

● «**مناخ شمال المملكة العربية السعودية : ، دراسة في الجغرافيا المناخية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بالرياض تقدمت بها **هدى بنت عبد الله العباد** .

● «**تشخيص مرض الاكتئاب والعوامل المرتبطة باستخدام مقياس (بك) في المنطقة الغربية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة أم القرى في مكة المكرمة تقدم بها **علي حسن صحفان الزهراني** .

● «**مفهوم اليوت لنظرية الوحدة العضوية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية البنات بالدمام، تقدمت بها **يُمنى بنت عبد العزيز ناصر** .

● «**فن التحرير الصحفي في مجلات الأسرة في الوطن العربي بالتطبيق على مجلة (أسرتي) في دولة الكويت، ومجلة (زهرة الخليج في دولة الإمارات العربية المتحدة)**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق، تقدم بها إسماعيل إبراهيم عبد الرحمن .

● «**منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى**» عنوان رسالة ماجستير في العقيدة نوقشت في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها **خالد عبد اللطيف محمد نور**.

● «**دراسة واقع تقديم الأداء الوظيفي لموظفي وموظفات الإدارات المختلفة بجامعة أم القرى**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة أم القرى في مكة المكرمة، تقدمت بها **حياة محمد الحربي** .

الحركة الثقافية

بشري علوي متكامل بأسنانه الست عشرة يعتقد العلماء أن صاحبه عاش قبل مليون وثمانمائة عام مضت.

تكمن أهمية الكشف في كونه يقدم دليلاً واضحًا على أن مناطق القوقاز وأوروبا قد عرفت الحياة البشرية قبل ملايين السنين على عكس ما كان يُعتقد من قبل، مما يعني مراجعة العديد من النظريات العلمية عن حياة التجمعات البشرية في مناطق عديدة من القارات.

فرنسا

البتراء في كتاب عربي فرنسي


عبد السلام العجيلي


جمال الغيطاني


جبرا إبراهيم جبرا

اختتم في معهد العالم العربي بباريس نهاية شهر ذي الحجة الماضي ١٤١٣هـ (٢٠ يونيو ١٩٩٣م) معرض **(البتراء.. أقوال الحجارة)** الذي قدم أعمال ١٢ كاتبا بالعربية والفرنسية حول مدينة البتراء التاريخية، منهم: **عبد السلام العجيلي، جمال الغيطاني، جبرا إبراهيم جبرا، الطاهر بن حبون، عبد الوهاب المؤدب، أدونيس، ميشيل بوتور، أن ميكو فسكي.** وضم معرضا للصور الفوتوغرافية بعدسة عدد من المصورين المحترفين بهدف تسليط الأضواء على القيمة الجمالية والفنية والتاريخية لهذه المدينة العتيقة في نواحيها المختلفة، والتي تقع جنوب غرب الأردن حيث شيدت مثل قلعة طبيعية فوق مرتفع جبلي. وهي مدينة فريدة من حيث هندستها التي قامت على الحفر بالصخور. وقد تم حفرها منذ ثلاثة آلاف عام على يد نحاتين جاءوا من أرجاء البادية العربية ليستقروا في هذا المكان جاعلين منه إحدى أهم الحاضرات على طريق القوافل.

وكانت الإدارة الثقافية بوزارة الخارجية الفرنسية قد وجهت الدعوة لهؤلاء الكتاب العرب والفرنسيين لزيارة البتراء والإقامة فيها فترة من الزمن قاموا خلالها بتأليف أحد عشر نصًا نثريًا وقصيدة واحدة كتبها أدونيس.

وقد ترجمت النصوص الفرنسية إلى العربية، والعربية إلى الفرنسية لتصدر في كتاب باللغتين في وقت واحد.

وكان المستعرب الفرنسي **فيليب كاردينال،** الذي يشغل منصب الملحق الثقافي الفرنسي بالأردن قد اقترح فكرة استكتاب هؤلاء الأدباء في البتراء. وأوضح أنه يهدف من خلال ذلك إلى إيصال مدينة البتراء إلى الآداب والفنون المعاصرة لأنها لا تقل أهمية عن تدمر في سوريا، ومع ذلك فهي غير موجودة في الفنون والآداب الحديثة.

ندوة دولية عن موباسان


موباسان

أقيمت في فيجكان نيوماندي خلال الفترة من ٣٠ ذي القعدة إلى ٢ ذي الحجة ١٤١٣هـ (٢١ ــ ٢٣ مايو ١٩٩٣م) ندوة دولية عن أعمال الكاتب الفرنسي **جي دي موباسان** بمناسبة الذكرى المئوية لوفاته.

نظمت الندوة دار نشر تاثان تحت شعار «موباسان والصحافة» و«موباسان والقضايا النسائية».

ويذكر أن موباسان (١٨٥٠ ــ ١٨٩٣م) روائي وقاص كان عضوًا في ندوة زولا، واستمر في الكتابة حتى أصيب بالجنون عام ١٨٩١م وتوفي بعد ذلك بعامين في إحدى المصحات. ومن مؤلفاته: **«حياة صديق لطيف»، «بيير وجان»، و«قلبنا»** كما كتب ما يزيد عن ثلاثمائة قصة قصيرة أشهرها **«العقد»** و **«الميراث»** و **«الآنسة فيفي»**.

معرض عن بلزاك في بلاد القياصرة


بلزاك

أقيم في دار بلزاك في باريس معرض لأعمال الأديب الفرنسي الكبير **انوريه دي بلزاك** (١٧٩٩ ــ ١٨٥٠م) ومتعلقاته تحت عنوان «بلزاك في بلاد القياصرة الروس»، شارك في تنظيمه عشرون متحفا ومجموعة من المكتبات الروسية والأوكرانية، ويختص المعرض برحلة بلزاك إلى روسيا و أوكرانيا خلال الفترة ما بين عامي ١٨٤٣ و ١٨٥٠م، ويستمر المعرض حتى ١١ يوليو ١٩٩٣م.

ويذكر أن بلزاك الذي وُلد في مدينة تور الفرنسية قد عُرف بقوة الملاحظة وحدة الخيال والأسلوب الساحر اللاذع، وله مجموعة روايات وقصص قصيرة سماها **«الكوميديا الإنسانية»** صدرت بين عامي ١٨٣٢ و ١٨٤٧م.

الشعر والموسيقا

هذا عنوان ندوة أقيمت في باريس ـ مؤخرًا ـ بمشاركة باحثين ومختصين في **الشعر والموسيقا.**

نظم الندوة مركز البحث في الأدب المقارن بجامعة السوربون الثالثة والرابعة، وأقيمت في إطارها عدة محاضرات متنوعة استمرت يومين.

الرواية الصينية في الأسواق الفرنسية

ظهرت مؤخرا في أسواق الكتاب الفرنسي ترجمة لكتاب **(الرواية الصينية المعاصرة)** للروائي الصيني **زانج سويه،** وفيه يلقى الضوء على مولد الرواية الصينية المعاصرة على يد كبار الروائيين هناك ممن ظهروا في الفترة من ١٩١٨م إلى ١٩٤٩م.

وقد ازدهرت الرواية الصينية في النصف الأول من هذا القرن على يد كل من: **لو سازوم، ومادون، و شين فكونجويق.**

أحدث الكتب

● **عندما كانت الشمس حارة**، تأليف **جوزيت عليا**، صدر عن دار جراسيه للنشر في باريس.

● **حل لغز العالم ورأي شوبنهارو**، تأليف **ماري خوسيه برين**، صدر في باريس.

● **الصحافة العربية**، تأليف **إلياس حنا إلياس**، صدر عن منشورات ميزنيف لازور في باريس.

● **شجرة في بابل**، مجموعة قصصية للقاص **دانيال بولدنجيه**، صدرت عن دار نشر فوليو في باريس.

● **الماكرون**، تأليف **القاسم الحريري**، ترجمة **رينيه خوام**، صدر عن منشورات دار فيبوس في باريس.

● **الأساطير اليونانية**، تأليف **بيير شوفان**، صدر عن دار نشر فايار.

● **المنزل الغائب**، رواية **لجيرار خوري**، صدرت عن دار نويل بلاندين في باريس.

● الأيام تأليف **د. طه حسين**، صدر في طبعة جديدة باللغة الفرنسية بترجمة **جان لوسرف وغساستون وبات**، عن دار نشر جاليمار.

● المعجم الموسوعي للإسلام، تأليف المستشرق الأمريكي المسلم **سيريل جلاسيه**، نقله إلى اللغة الفرنسية **أيف تورافال**، وصدر عن منشورات بوروا.

● **من الصحراء العربية إلى حدائق الأندلس: روائع من الشعر ا لعربي الكلاسيكي**، إعداد **أندريه ميكيل**، صدر عن دار سندباد في باريس.

● **النجمة التائهة**، رواية **لجان ماري لوكليزيو**، صدر عن دار جاليمار.

● **أوضاع المرأة في القارة الآسيوية**، سبع دراسات في دول مختلفة، صدر عن منظمة اليونسكو.

● **مذكرات فرجينيا وولف**، صدرت طبعتها الجديدة بالفرنسية عن ترجمة وإعداد كوليت **ماري هوتب**، في باريس.

ألمانيا «بين القصرين» بالألمانية



نجيب محفوظ

حققت رواية الأديب **نجيب محفوظ** «**بين القصرين**» في ترجمتها الألمانية التي قامت بها المستشرقة **دوس كليا** رقمًا قياسيًّا في مبيعات الروايات المترجمة، حيث بيع منها خلال شهرين فقط نحو ٧٥ ألف نسخة.

وقد انتهت المستشرقة الألمانية من ترجمة الجزء الثاني من الثلاثية تمهيدًا لنشره.

معرض لأشهر الفنانين التشكيليين



سلفادور دالي



سيزان

استضاف جاليري الفن في بون ـ مؤخرًا ـ معرضًا ضم أعمال كبار الفنانين التشكيليين العالميين مثل **سلفادور والي** والفرنسي **سيزان**، والأمريكي **بولوك جاكسون**، وغيرهم.

تنوعت مدارس اللوحات المعروضة ما بين تكعيبية وتجريدية وتعبيرية.

الاحتفال بذكرى هوفمان

تحتفل ألمانيا في العام الميلادي الجاري بذكرى وفاة **الأديب والموسيقي والرسام الألماني أرنست تيودور هوفمان (١٧٧٦ ـ ١٨٢٣م)**.

و يعد **هوفمان** أول أديب ألماني يكتب القصص البوليسية وقصص الشخصيات المزدوجة مثل «**د. جيكل ومستر هايد**».

ولتربيته في كنف خاله المتشدد غريب الأطوار تأثر تكوينه النفسي سلبًا في طفولته، وهو ما انعكس على نوعيات الشخصيات التي اختارها لرواياته، كما تميزت مؤلفاته من روايات ومسرحيات وقصائد، بالرومانسية والطبيعة المزدوجة، التي هي صدى لطبيعته المضطربة والمزدوجة.

من أشهر رواياته: «**دون جوان**»، و«**أكسير الشيطان**»، و«**القط مور**».

بريطانيا أحدث الكتب

● **حدود**، تأليف **نويل موسترت**، صدر عن دار نشر بيمليكو في لندن.

● **حيوات منقسمة**، تأليف **روزاليند روزنبرج**، صدر عن دار نشر بنجوين في لندن.

● **إدجار ألن بو: فيض الذكريات الحزينة**، تأليف **كينيث سيلفرمان**، صدر عن دار نشر وايدنفيلد.

● **التسامح بين شرق وغرب**، تأليف **توماس بالدوين وآخرين**، ترجمة **إبراهيم العريس**، صدر عن دار الساقي في لندن.

● مصر... الماضي الحي، تأليف **ت. ج. جيمس**، صدر بالتعاون بين الهيئة المصرية العامة للاستعلامات والمتحف البريطاني.

● **حوار السجينة**.. النساء والعدالة البريطانية، تأليف **هيلينا كينيدي**، صدر عن دار شاتو وويندس.

● **الأوز البري**، تأليف **جونج تشانج**، صدر عن دار هاربر كولينز في لندن.

● **اللبنانيون في العالم: قرن من الهجرة**، تأليف مجموعة بإشراف **ألبرت حوراني ونديم شحادة**، صدر عن دار أي. بي. توريس.

● **مساجد مصر**، تقديم **د. كمال إسماعيل**، صدر عن دار نشر هزار.

● **فوق مقعد الطبيب النفسي**، تأليف **أنتوني كلير**، صدر عن دار نشر هانيمان.

● **احتكارات خاسرة**، تأليف **آدم جونز**، صدر عن دار نشر فابر.

● **صندوق النقد الدولي وأزمة الديون**، تأليف **بيتر كورنر، وجيروماس، وتوماس سيبولد**، صدر عن دار نشر زد في لندن.

الحركة الثقافية

● **الشعر الأيرلندي المعاصر**، مختارات لمجموعة من الشعراء، صدر عن دار بنجوين.

● **تشرشل في الجبهة الداخلية ١٩٠٠ - ١٩٥٠م**، تأليف **بول أديسون**، صدر عن دار نشرجوناثان كيب.

● **رهينة**، تأليف **جون كافلين**، صدر عن دار نشر ليتل وبراون.

● **حدود الحرية**، تأليف **ايزايا برلين**، ترجمة **جمانا طالب**.

● **العرب بين الحجر والذرة**، تأليف **حازم صاغية**. صدر هذان الكتابان عن دار الساقي في لندن.

● **الأوديسا الحمراء : رحلة عبر الجمهوريات السوفييتية**، تأليف **مارات اكشورين**، صدر عن دار نشر سيكر في لندن.

● **فلسطين : واجب لا مفر منه**، تأليف **ديفيد وتكينز**، صدر عن دار الهاني في لندن.

● **سلام ما بعده سلام : ولادة الشرق الأوسط ١٩١٤-١٩٢٢م**. تأليف **دافيد فرومكين**، مع ترجمة قام بها **أسعد كامل إلياس**. صدر عن دار رياض الريس للكتب والنشر في لندن.

النمسا — معرض للفن الفلامنكي

أقيم في العاصمة النمساوية - مؤخرًا - **معرض للفن الفلامنكي** استمر حتى نهاية شهر ذي الحجة المنصرم (٢٠ يونية ١٩٩٣م) تحت عنوان **«من بروجل إلى رونيز»**.

تضمن المعرض الذي أقيم في المتحف التاريخي ما يقرب من مائة وعشرين لوحة بريشة مجموعة من الفنانين الفلامنكيين يرجع معظمها إلى ما بين عامي ١٥٥٠ و ١٦٥٠.

ويذكر أن هذا المعرض قد تجول من قبل في عدد من مدن أوروبا.

بلجيكا — السويدية تفوقت على الجميع

احتلت الكاتبة السويدية **استريد لاندورين** التي عُرفت بكتاباتها للأطفال والشباب المركز الأول في قائمة أكثر الكاتبات التي ترجمت أعمالهن إلى اللغات المعروفة بدول السوق الأوروبية التسع حيث ترجم لها نحو ٢٨٠ كتابًا.

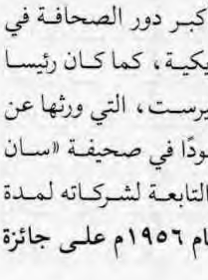
جاءت البريطانية **روث راندل** في المرتبة الثانية حيث ترجم لها ١٨١ كتابًا.

الولايات المتحدة — وفاة هيرست إمبراطور الصحافة

توفي - مؤخرًا - الملياردير **وليام راندولف هيرست** رئيس مجموعة **هيرست** الصحافية عن عمر يناهز ٨٥ عامًا.

وكان **هيرست** رئيسا لتحرير صحيفة «هيرست» التي تعد من أكبر دور الصحافة في الولايات المتحدة الأمريكية، كما كان رئيسا للجنة التنفيذية لشركة هيرست، التي ورثها عن والده، وكان يكتب عمودًا في صحيفة «سان فرانسيسكو اجزامينور» التابعة لشركاته لمدة أربعين عامًا، **وحصل عام ١٩٥٦م على جائزة بوليتزر الصحافية**.

ممتلكات نابليون للبيع



نابليون

يقيم مركز مؤتمرات مدينة ممفيس الأمريكية حاليا معرضًا يستمر حتى ٢٢ سبتمبر ١٩٩٣م عن حياة القائد الفرنسي الشهير نابليون بونابرت وعصره، من خلال اللوحات والقطع الفنية التي انتشرت في عصره.

ويضم المعرض أربعين لوحة لأشهر رسامي فرنسا منها لوحة **(بونابرت يجتاز مصر)** للرسام **جاك لويس** بالإضافة إلى مجموعة من الأعمال الفنية الزخرفية منها سجاد من موبلان وحرير من ليون بالإضافة إلى مجموعة الممتلكات الخاصة ببونابرت.

كما يضم المعرض نموذجًا لحجرة المجلس في ملليزون التي كانت مقرًا لإقامة نابليون والامبراطورة **جوزفين**. وهي الحجرة التي شهدت المفاوضات بين الامبراطور والحكومة الأمريكية والتي انتهت بضم لويزيانا لفرنسا.

شعراء سان فرانسيسكو غاضبون!

منعت مدينة سان فرانسيسكو المقاهي والمنتديات الأدبية من تنظيم قراءات شعرية إلا بتصريح مسبق من السلطات تنفيذًا لقانون قديم ينص على ذلك.

أثار القرار استياء المثقفين والشعراء، حيث كانت تلك المقاهي والمنتديات متنفسًا للشعراء الهواة.

وتدرس السلطات المختصة تعديل هذا القانون الذي لا يتماشى مع حرية الفكر ويضع قيودًا على الحركة الأدبية.

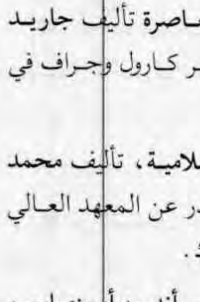
أحدث الكتب

● **دليل برامج الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية في الجامعات الأمريكية**، ط٢ مزيدة ومنقحة، صدر عن الملحقية الثقافية في سفارة المملكة العربية السعودية في واشنطن.

● **مفروشًا بحسن النوايا : فشل العلاقات العنصرية في أمريكا المعاصرة** تأليف **جاريد تايلور**، صدر عن دار نشر كارول وجراف في نيويورك.

● **روح الحضارة الإسلامية**، تأليف **محمد الفاضل بن عاشور**، صدر عن المعهد العالي للفكر الإسلامي في نيويورك.

● **ساعة كاسترو** تأليف **أندريه أوبينهايمر**، صدر عن دار سيمون وشوستر في نيويورك.



يوسف إدريس

● **يوسف إدريس**.. **رؤى متغيرة، يوسف إدريس وقصص** أخرى، مجلدان أعدتهما عن الأديب الراحل يوسف إدريس الناقدة الأمريكية **داليا كوهين**، وصدرا عن دار شيبا للنشر.

● **سورية وعملية السلام في الشرق الأوسط**،

المستعـــــرب فيـــدريكــــو كـــوريتني لـــــ «الفيصل» :

مـــــدراس الاستشـــــراق الإسبــــانيــــة.. انتهت

القاهرة ـ مراسل «الفيصل» :

قـال المستعـرب الإسبـاني فيـدريكـو كـوريتني إن المـدارس الاستشراقيـة الإسبانيـة قد انتهت، ولم تبق منهـا مدرسـة واحدة، وحلت محلهـا جهـود الأفـراد، ممـا يجعل النشـاط الاستشـراقي الحالي متسمًا بطابع فردي.

ووصف المستعـرب ـ الذي كان يتحدث إلى «الفيصل» عقب ندوة عن «الزجل في الأنـدلس» نظمها له ـ مؤخرًا ـ المركز الثقافي الإسباني فـي القاهرة ـ انتهاء مـرحلة مـدارس الاستشراق بأنـه أمر يَسُرّ، لأن تلك المـدارس مارست نـوعًا من السيطـرة على الابتكار وحدّت من حرية الفكر.

وكـان كـوريتني قـد تحـدث في محـاضـرتـه عن الـزجل في الأنـدلس من خـلال اختيـارات لأربعـة زجـالين هم ابن قـزمـان والششتري، وابن الخطيب، وابن زمـرك، حيث وصف أولهم بأنه كـان إمـام أهل فن الـزجل، فيمـا عدّ ثـانيهم رائد استعمـالـه لأغراض دينية، وكـان الأخيران شاهدين ـ لا غني عنهمـا ـ على أن أعظم علمـاء الأنـدلس لم يترفعـوا عن الاعتنـاء بهـذا الفن الأدبي الشعبي، ولم يجدوا غضاضة في قولهم الأزجال.

وعلل سر اختيـار موضـوع محاضـرته عن الزجل بـأن التواشيح نـالت في السنوات الأخيـرة رصيدًا مـن العنايـة لا بأس به فيمـا لم يهتم الباحثون بالزجل الأندلسي إلا نادرًا.

ويُذكـر أن كوريتني عضو بمجمع اللغـة العربية في القـاهرة، وهو صـاحب أول قاموس إسبـاني/ عربي، ومحقق ديوان الشـاعر الشعبي ابن قزمـان. ويعمل حاليًا أستـاذًا للغة العربيـة وآدابها في جامعة سراقسطا الإسبانية.

تأليف ألـديـر درايسـديـل وريمـونـد هبنيبـوش، صدرعن مطبـوعات مجلس العلاقات الخـارجية في نيويورك.

● **شجاعة الإبداع**، تأليف رولو ماي، صدر عن دار نورتون في نيويورك.

● **الجماهيرية والنخبويـة ـ السياسة في زمن المســاواة**، تأليف جيفــري بيل، صـــدر عن ريجنري جيفري.

● **سنـواتي العشـر مع تيـد كينـدي**، تأليف ريتشاردبـورك، صدر عـن دار نشر سان مـارتين برس في نيويورك، وسيد جويك أند جاكسون في لندن.

● **مقهى بـالي**، للـروائيـة جلـوريـانيلـور، صدرت عن دار هينمام ماندارين في نيويورك.

روسيا الاحتفال بذكرى بونين

تستعـد الأوسـاط الأدبيـة والثقافيـة الـروسيـة للاحتفال هذا العـام بالكاتب الشهير **إيفان بونين** (١٨٧٠ ـ ١٩٥٣م).

مناسبة الاحتفال ذكرى مرور ستين عامًا على منحه **جـائزة نوبل لـلآداب** عام ١٩٣٣م ومـرور أربعين عامًا على وفاته.

صحيفة لرجال الأعمال

قامت مجمـوعة من شركـات التأمين والبنوك الروسية بتمويل إصدار صحيفة يومية تحمل اسم **«سينو دنيا» أي اليوم**.

تعبر الصحيفة الجديـدة عن الاتجاه الليبرالي واختصـار السـوق ومصـالح الجيل الجـديـد من رجال الأعمال، ويعمل بها أربعون صحفيًا.

من أحدث الكتب

● **مبــادئ التعليم الـــوطني في البلـــدان الإسـلاميـة، والعـلاقة بين الإسـلام والعلمـانيـة**، تأليف الدكتورة رايسا شريبوفا.

من أحدث الكتب

● **العـلاقات الحضـارية بين مصر ورومـا في العصر الكلاسيكي**، كتـــاب عن أعمال المؤتمر المصري الإيطـالي الأول بـالقـاهـرة عـام ١٩٨٩م، صدر عن دار بوليجر إفيكو.

كولومبيا ماركيز يمنع بيع كتبه!



جارثيا ماركيز

قرر الأديب العالمي **جـارثيا مـاركيـز** الحائز على جــائزة نـــوبل لـــلآداب إيقــاف بيع مـؤلفـاتــه في بـلاده كولومبيا.

وأوضح بيـان أصدره الكـاتب أن هـذا القـرار يجيء احتجـاجًا على انتشار السطـو على مؤلفاتـه ونشرهـا في طبعات دون إذنه.

□ □

على موعد

الثقافة مع فارق التوقيت

للصحف اليومية مذاقها الذي لا يقبله الناس في غير يومها الذي صدرت فيه، بحيث لو تجاوز عمرها اليوم الواحد خرجت من دائرة الحياة إلى دوامة التاريخ، باستثناء موضوعات معينة يرى قارئ الصحيفة تأجيل قراءتها لسبب أو لآخر.

والشيء نفسه يقال في كثير من البحوث العلمية والدراسات النظرية التي تحرص على الرجوع إلى أحدث المراجع وآخر الطبعات، ما لم تكن طبيعة الدراسة تتطلب الغوص في أعماق التاريخ والرحلة عبر العصور المعرفية المختلفة.

إلا أن الأمر في عالمنا العربي يسير في بعض مظاهره بإيقاع مختلف لا يحكمه قانون التتابع المعرفي ولا البناء المعلوماتي، ففي الوقت الذي نجد فيه الموسوعات ودوائر المعارف في العالم تلاحق الإضافات والتغييرات في طبعات سنوية أو على الأقل في ملحقات واستدراكات سنوية، نجد أن دائرة معارف مثل الموسوعة العربية الميسرة التي صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٦٥م، ما زالت بأيدي طلاب المعرفة تُصَوَّر وتجدَّد أغلفتها إلى زمان الناس هذا، مع أن كثيرًا من المعلومات الموجودة فيها بحاجة إلى إعادة نظر حذفًا وإضافة وتعديلاً، وكذا دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي، وسوى ذلك من الأعمال المشابهة.

فإذا انتقلنا إلى ميدان الترجمة وجدنا أن الكتب التي تشكّل منعطفات في الفن الذي هي فيه، وتعتمد عليها معظم الدراسات التي تصدر بالعربية، لا تترجم إلا بعد مرور عشرات السنين على صدورها، فكتاب «محاضرات في الألسنية العامة» لفردناند دي سوسير الذي يرجع إليه معظم علماء اللسانيات في العالم، وصدرت طبعته الأولى عام ١٩١٦م، ترجم إلى العربية عدة ترجمات بعد مرور أكثر من سبعين سنة على صدوره.

وفي الأنثروبولوجيا نجد أن كتاب فلاديمير بروب «مورفولوجيا الحكاية الخرافية» صدرت طبعته الأولى باللغة الروسية عام ١٩٢٨م، ثم تُرجم ترجمتين: الأولى بالمغرب عام ١٩٨٦م. والثانية بجدة عام ١٩٨٩م، فيما تُرجم إلى الإنجليزية والفرنسية في الخمسينيات والستينيات الميلادية. وينسحب هذا القول على فروع العلم الأخرى، كالتربية وعلم النفس وعلم الاجتماع والنقد الأدبي وغيرها، مع عدم إغفالنا لدور المترجمين وأهمية أعمالهم، وسبقهم إلى الترجمة رغم تأخر العهد الذي لا يد لهم فيه.

إن الحديث عن ضرورة وجود مراكز أو مؤسسات تُعنى بالترجمة، وتشجع العلماء والمتخصصين على ترجمة الكتب التي تمثل منعطفات في فنونها بصورة مدروسة منظمة منتقاة وتنسّق الجهود حتى لا تتم ترجمة كتاب واحد أكثر من مرة دون حاجة لذلك - والشواهد على ذلك كثيرة - يعدُّ أمرًا ذائعًا وملحًّا.

ثم تكون حركة الترجمة هذه مرحلة وصل بالنشاط المعرفي في العالم، ولا يصبح الانفجار المعرفي في العالم مجرد ظاهرة نتطلع إليها من نافذة أو عبر باب موارب، ثم نتلقى فتات الترجمات المنتهية الصلاحية، وإنما لنصل إلى مرحلة أهم وهي إعادة إنتاج الثقافة، والسير بالمعرفة خطوات تتسم بطابع خاص يعيد إشعاع الخصوصية العربية في حضارة الإسلام.

وعندها لا يتعين علينا مراعاة فارق التوقيت الحضاري والثقافي والزمني في حياتنا المعاصرة.

د. عثمان محمود الصيني